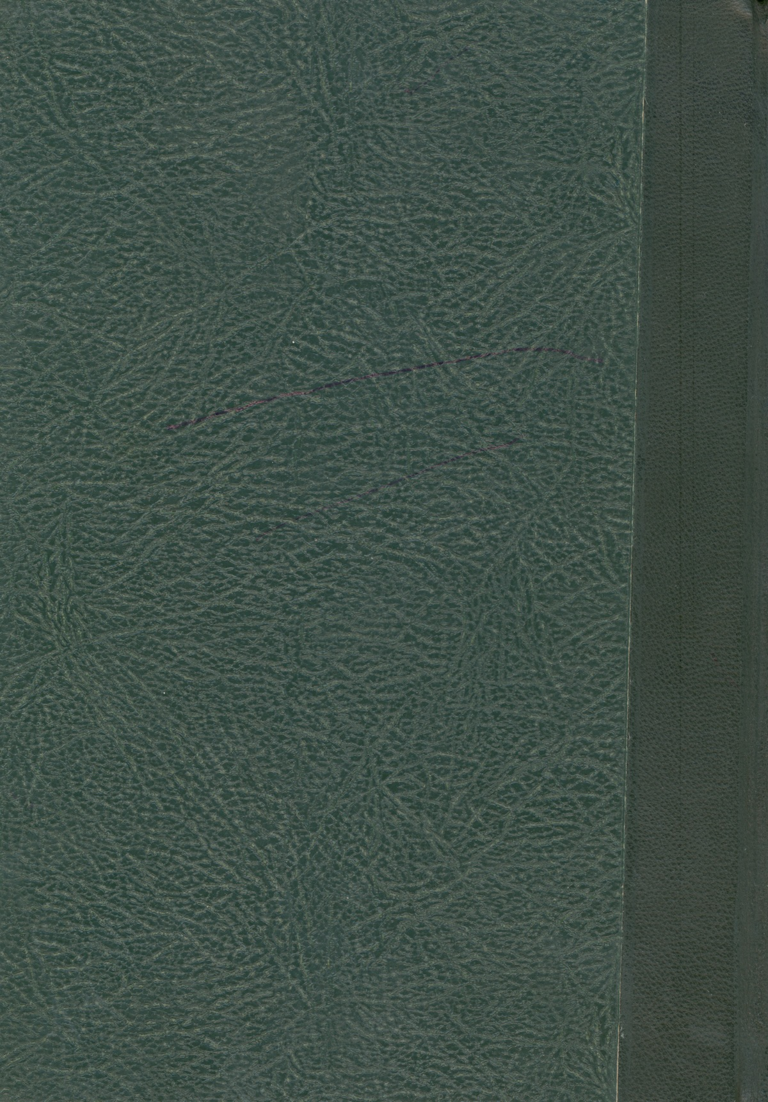




المجلد الخامس عشر — الجزء الأول

مايو سنة ١٩٥٣

تصدر هذه المجلة مرتين فى السنة . فى مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة جامعة فؤاد الأول بالجيزة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية الى المشرف على تحريرها حضرة عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بالجيزة

مطبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٥٣

الفهرس العربى

صفحة

الدكتور السيد محمد يوسف : علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجرى ١

الدكتور عبد الحليم النجار : فى اللهجات العربية وأصول اختلافها . . . ٣٥

الدكتور محمد كامل حسين : التشيع فى الشعر المصرى فى عصر الأيوبيين والمماليك ٥٧

الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى : الفلسفة فى الأندلس ، الدور الأول ، دور النشأة ٨٩

الدكتور يحيى نامى : اللهجات اليمنية الحديثة ، المجموعة الثانية . ١٠٣

الدكتور محمد محمود الصياد : تطور ساحل دلتا النيل ١١٥

الدكتور جمال محرز : المرايا المعدنية الاسلامية ١٢٩

الدكتور محمد متولى : المياه الباطنية فى مديرية التحرير ١٣٩

علاقات العرب التجارية بالهند

منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجرى

للدكتور السيد محمد يوسف

امتازت الهند منذ أقدم العصور بوفرة وتنوع إنتاجها النباتى والحيوانى والمعدنى كما أنها اشتهرت بجودة الصناعات المختلفة المرتكزة على ذلك الانتاج الطبيعى ، ثم هى تصاقب من الناحية الشرقية بلاد الصين التى اختصت بطائفة أخرى من الحاجيات والكماليات التى لم يكن للعالم الغربي بد منها ، ومن هنا نشأت « التجارة الشرقية » التى تنافس عليها المتنافسون من الفرس والعرب والروم ، وأخيرا أقوام أوربا الغربية ، أعنى البرتغاليين والفرنسيين والهولنديين والانجليز ، وقد استمرت هذه التجارة العالمية تجرى من الشرق إلى الغرب حتى غير مجراها الآلات والمخترعات الحديثة وما أدت إليه من الانقلاب الصناعي والتقدم الاقتصادى فى الممالك الغربية .

لقد كان لهذه التجارة أثرها الفعال فى مداولة الأيام بين الناس ، فمثلا يقول العلامة بارتولد : « صارت إيران مزاحمة قوية للدولة الرومانية فى زمن الساسانيين . . . واستولت براً وبحراً على طريق تجارة الهند والصين ذات الخطر لجميع العالم المتحضر ، وبهذا الحادث يبتدىء انتقال التفوق فى الحضارة من أوربا إلى الشرق الأدنى » (الحضارة الاسلامية ، ١٩٥٠ ، ص ٤) . كذلك يعتبر اهتداء واسكو دي كاما (Vasco da Gama) إلي طريق الهند نقطة التحول فى العلاقات بين الشرق والغرب ، وحقا لئن كانت صفقة تفوق صفقة أبى غبشان فى الخسارة والغبن ، فهى تلك التى جعلت أسد البحر ابن ماجد يقود رائد البرتغاليين إلى ميناء كاليكت (Calicut) فى سنة ١٤٩٨ م .

فأثر تجارة الهند والصين فى التطورات السياسية بين الأمم الشرقية والغربية معروف عند كثير من المؤرخين بابرازه وتقدير خطورته ، إلا أن

هناك ناحية أخرى طالما بقيت غامضة مطوية لم تلق الاهتمام اللائق بها إلا منذ زمن قريب ، ألا وهي تأثير العلاقات التجارية بالهند وما وراء الهند في حضارات الفرس والعرب والروم في العصور القديمة والوسطى، ولا أجد ما أقدم به لهذا الموضوع أحسن مما كتبه البروفسور هيرن (Heeren) العالم المتخصص فى العلاقات التجارية الدولية القديمة وهذا نصه :

"Of all the divisions of Asia the southern, containing the territory of Hindustan, is distinguished by the richness and diversity of its productions. Here we not only find, (with very few exceptions), all the products of other parts of civilised Asia, but so great a variety peculiar to its own climate, that it would appear as if a new and more beautiful creation had sprung up under the hand of nature. Nearly all the spices, which become necessary to mankind in exact proportion to the progress of luxury and refinement, have at all times been peculiar to this region, while two of the most important articles used in clothing, viz., cotton and silk, were first produced here, and continue to be so in an especial degree, though their cultivation has been gradually extended to other countries . . . . . . The influence which an intercourse with India may have had on the civilisation of mankind, is a question worthy the close attention of the philosophical student of history; and one which, notwithstanding the important illustrations it has of late received, has been by no means sufficiently elucidated, It is of the greatest consequence to ascertain the channels through which, at various periods, it found its way, or into which it was conducted; and the whole course of history tends to prove that the countries which became the staples or depots of this commerce, uniformly attained a high degree of opulence and refinement; which, however, gradually changed the habits and corrupted the manners of their inhabitants; at the same time that these were softened, sowing among them the seeds of luxury, and consequently of decline and ruin." *A. H. L. Heeren: Historical Researches into the Politics, Intercourse and Trade of the principal Nations of Antiquity.* Oxford, 1833. vol. I. pp. 35-36.

إذن كان من أثر تجارة الهند أن تطورت سبل المعيشة وأساليب الحياة، بل وتغيرت الأمزجة والطباع لغير واحد من الشعوب القاطنة غربي الهند، وغني عن القول أن العرب، بالاشتراك مع الفرس سكان الخليج الفارسي، كانوا، بطبيعة مركزهم الجغرافي، أكثر تلك الشعوب اتصالا وحرصا على الاحتفاظ بدورهم في حركة استيراد المنتجات الهندية المختلفة ونقلها عبر أراضيهم إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط، ولئن كنا نأسف حقا لعدم وجود المصادر اللازمة للحصول على معلومات وافية عن نشاط العرب في هذا الميدان فيما يتعلق بالعصور السابقة للاسلام، ففي وسعنا أن نتلافى هذا النقص بالرجوع إلى لغة العرب وآدابهم [1] ودراستهما دراسة مقارنة إلى جانب اللغات الهندية مثل ما فعل العلماء الافرنج بشأن دراسة علاقات الروم بالهند، وبما أن العرب كانوا في موقع وسط بين الروم والهند فقد ألقت بحوثهم أضواء على العلاقات العربية الهندية إلا أنها، بطبيعة الحال، أضواء جانبية فقط. أما موضوع العلاقات العربية الهندية بالذات فقد بقي مغموراً مجحوداً لا لشيء إلا لعدم اتساع علم اللغويين الأول والمعنيين بالمعرب والدخيل في العربية إلى الهند ولغاتها، نراهم — وكثير منهم ينتمون الى أصل فارسي — يقتصرون على إرجاع الكلمات إلى الفارسية، وفي بعض الأحيان يقفون حائرين أمام كلمات لا يجدون لها أصلا بالفارسية فيأتون بتعليلات من الخيال [2]. إن دلت على شيء فهو أن الكلمة عدت غريبة في نظرهم، وأخيراً لفتت دراسات الغربيين النظر إلى هذا الموضوع الشيق فأقبل عليه العلماء الهنود بجد واهتمام، وفعلا

---

(1) يقرر الاستاذ هيرن هذا الأصل بقوله :

"We too often find ourselves without the information necessary to follow the course of trade into the most remote regions; but when we meet with the mention of articles which are unquestionably peculiar to certain countries, we are warranted in concluding that a communication then existed with those countries, though we may be unable to define its nature and extent. A piece of sugar or a morsel of pepper in a neglected corner of a villagemin would be a certain proof of the trade with either Indies, even if we possessed no other evidence of the commerce of the Dutch and English with these countries. Heeren 139-40.

(2) راجع مثلا كلمة « السندرة » و « الشال » في مقالنا السابق عن « الكلمات الهندية المعربة » في عدد مايو سنة ١٩٥١ م من هذه المجلة، كذلك الكلام على « الفلج » و « القاق » في الجزء الثاني من هذا المقال.

أثمرت جهودهم ثمرة طيبة من حيث أنها مهدت الطريق أمام الباحثين في المستقبل إلي ميدان واسع بكر .

* * *

هناك ثلاثة طرق سارت عليها تجارة الهند الى موانىء البحر الأبيض المتوسط :

(ا) برا من الممرات على الحدود الشمالية الغربية للهند الى بلخ ، ثم على خط سير القوافل شمال صحراء كرمان الى المدائن الى أنطاكية والموانىء المجاورة لها .

(ب) بحراً من الساحل الغربي للهند الى الخليج الفارسى مصعداً بالفرات ثم براً الى أنطاكية والموانيء المجاورة لها .

(ج) بحراً من الساحل الغربي للهند الى ساحل عمان الى ساحل اليمن ومن هناك إما على طول ساحل البحر الأحمر أو على خط سير القوافل الى موانىء سوريا وفلسطين .

غنى عن القول أن الطريق البرى استخدم قبل أن يستخدم الطريقان البحريان ، وفعلا وجد علماء الآثار مايؤكد أن العلاقات بين أرض الأنهار الخمسة (البنجاب) وأرض الرافدين ترجع الى عشرات القرون قبل عهد التاريخ المنتظم[1] إلا أن التجارة عن هذا الطريق كانت عبارة عن انتقال البضائع من قبيلة الى أخرى ضد أحوال طبيعية صعبة وكانت أيضا متأرجحة لعدم استقرار الأحوال السياسية ، ولذلك كان التحول الى الطريق البحرى ايذانا بزيادة ملحوظة فى التبادل التجارى بين البلدين .

والدليل الموثوق به على جلب البضائع براً من الهند فيلة[2] على مسلة (Shalmanassar) (٨٥٨ — ٨٢٤ ق . م) ذكرت باسم غير معهود فى الآشورية هو (Baziati) عن السنسكرتيه (Vasita) وبما أن الفيلة ذكرت الى جانب « الابل من (Bactria) ذات السنامين » يتأكد لدينا أنها نقلت بالطريق البرى عبر الحدود الشمالية الغربية للهند[3] .

---

(١) Wilson : The Persian Gulf, p. 28.

(٢) الفارسية " pil " السنسكرتية " pīlu " إلا أن بعض العلماء يذهبون إلى أن هذه الكلمة ليست أصيلة فى السنسكرتية . انظر Hobson-Jobson, (Supplement, " Elephant ".

(٣) Kennedy, J. ; Early Commerce of Babylon with India. JRAS. 1898, p. 242-288

ولا بأس بأن نقف قليلا عند ذكر « الابل من Bactria » فى القرن التاسع ق.م فنلاحظ أن من أشهر وأعز أصناف الابل عند العرب «البختية» وهى على حد قولهم « الابل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج » (اللسان) والفالج : البعير ذو السنامين . . . يحمل من السند للفحلة (الصحاح) وقد وصف الفالج بهذه الصفة ابن حوقل سنة ٣٥٠ هـ[١] والمقدسى سنة ٣٧٥ هـ حيث يقول هو الآخر :

(من خصائص السند) « الفالج الذى تراه بالمشرق وفارس يولد البخاتى وهو أعظم من البخت له سنامان مليح لا يستعمل ولا يملكه الا الملوك ولا تكون البخت الا منه »[٢]

والفالج كلمة سندية محلية والجيم فيها علامة العجمة لا غير مع أن بعضهم لم يعد مهم التعليل بأن الفالج « يسمى بذلك لأن سنامه نصفان » (المخصص ٧/٦٨) وكذلك البختية « دخيل فى العربية أعجمى معرب » (اللسان ومثله فى المخصص ٧/١٣٥ عن صاحب العين) اذن فما هو أصل الكلمة ؟ لم ينصوا عليه بل ربما لم يهتدوا اليه حتى أن بعضهم اجترأ على القول بأن الكلمة عربية (انظر اللسان) . . . على كل حال ما من شك فى أن « البختية » لم تكن غير « الابل من Bactria »[٣] .

ومن الجدير بالملاحظة أيضا فى هذا الصدد أن أصحاب المعاجم قد فرقوا ، جرياً على عادتهم ، بين مادتى « بخت » و « بختر » الا أن مشية الجمال البختية طوال الاعناق ذات السنامين هى أشبه شىء بمشية الخيلاء وقد جرت العرب على هذا المنوال فى قولها « تفخترت » من مشى الفاخته (المخصص ٣/١٠٩) ومن الثابت أيضا أنها كانت تصف النساء « بالبخت » قال الشاعر :

وفيهن من بخت النساء سبحلة تكاد على غر السحاب تروق[٤]

(١) المسالك والممالك ص ١٣١ .
(٢) أحسن التقاسيم ص ٨٢ :
(٣) انظر Dozy : Supplement
(٤) سمط اللآلى ٣٥١

أما العلاقات التجارية البحرية بين المنطقة الممتدة من الخليج الفارسى إلى البحر الأحمر وبين الهند فمن المقطوع به أنها راسخة فى القدم إلا أن الأدلة فيما يتعلق بالفترة السابقة لسنة ٧٠٠ ق . م ليست بكثيرة ، من أهمها :

١ — ورد فى الكتابات التى ترجع الى ما قبل ٢٠٠٠ ق . م أن الاكاديين كانوا يستوردون الأخشاب من (Magan) (عمان) ، ويرجح أن تلك الأخشاب إنما كان أهل عمان بدورهم يجلبونها من الساحل الغربى للهند[١] .

٢ — كلمة (Sindhu) الواردة فى مكتبة (Assurbanipal) (٦٦٨ — ٦٢٦ ق . م) إنما يرجع أصلها إلى الهند وهى تعنى « القطن الهندى » ومنها العبرية (Sadīn) و العربية « سدين » [٢].

٣ — كلمة « Karpas » العبرية (« قرفس » بالعبرية) توافق السنسكرتية « Karpasa » .

٤ — فى القرن العاشر ق . م استعان سليمان ، جريا على سياسة أبيه داود ، بالفينقيين لتنشيط حركة الملاحة والتجارة بين ميناء (Ezion Geber) (العقبة) [٣] و Abhira=Ophir أعالى الساحل الغربى للهند [٤] وتعد الكلمات الآتية من آثار هذه الحركة التى كانت ولا شك أقدم بكثير من عهد سليمان ، ولم يكن منه إلا أن جعلها مباشرة بعد أن كانت تجرى على أيدى وسطاء كثيرين :

(١) العبرية « Shen Habbin » = « سن الفيل » (العاج) عن السنسكرتية « ibha-danta » .

(١) انظر Wilson : The Persian Gulf, p. 27 ولعل Magan هى « مزون » بالعربية [وقد انتقل هذا الاسم فيما بعد إلى شبه جزيرة سيناء حيث بقى بشكل « معان » فى المملكة الاردنية ، كذا فى تاريخ العرب لحتى ص ٣٦] .

(٢) H. J. Rawlinson : Intercourse Between India and the Western World. Cambridge, 1926, p. 2-3.

(٣) لقد أمكن تحديد الموقع بتل الخليفة غربى العقبة على أثر الأعمال التى قامت بها بعثة أمريكية هناك أثناء ٤٠ — ١٩٣٨ م .

(٤) اختلف كثيراً بشأن (Ophir) . بعضهم قرأوا الكلمة Suphir « سوبارة » بالهند أيضا أو « ظفار » باليمن أو « سفالة » الزنج ، إلا أن المرجح أنها كانت بالهند .

(٢) العبرية (almug) [1] عن السنسكرتية والتاملية (valgu) .

(٣) العبرية (Koph) القردة عن السنسكرتية (Kapi) [قارن المصرية القديمة (Kafu)] .

(٤) العبرية (thúki-im) عن التاملية (tokei-togai) وعنها الفارسية والعربية « طاووس » .

هذا بالاضافة إلى الذهب والفضة والأحجار الثمينة التي تتألف منها قائمة البضائع المستوردة من الهند على ذلك العهد [٢] .

ولايخفى أن هذه الأدلة ، قليلة كما هي ، قد تناولها بعض العلماء بالتجريح والرفض [٣] إلا أنهم في الوقت نفسه أكدوا أن عدم توفر الدليل لا يعنى وجود ما يمنع التجارة البحرية ، بل بالعكس امتاز الدراوزيون (Dravidians) سكان جنوب الهند منذ قديم الزمان بالاتجاه إلى الملاحة .

ومنذ القرن السادس ق . م ينقشع الظلام وتتوفر لدينا الأدلة القاطعة على ازدهار التجارة البحرية ، منها :

(١) العثور على قطع من الساج [المرهتية (Sag)] وغيره من الأخشاب الهندية في قصر نبخت نصر (Nebuchadnezzar) (٦٠٤ — ٥٦٢ ق . م) وفي معبد إله القمر الذى جدد بخت نصر بناءه بـ (Ur) .

(٢) انتشار عدد كبير من البضائع الهندية في اليونان حيث كانت ترد عن طريق بابل ولاتزال أسماءها اليونانية والعربية ترشدنا إلى أصلها فمثلا :

السنسكرتية (Chandan) = العربية (صندل) .

التاملية (Arisi) = العربية (الأرز) [٤] .

(١) نوع من الخشب الثمين ، الصندل الاحمر على الأرجح . راجع Cheyne, Ency. Biblica

(٢) Rawlinson, pp. 10—11.

(٣) في مقدمة هؤلاء الأستاذ J. Kennedy الذى مضت الاشارة اليه .

(٤) الرز والآرز والرُز لغات فيه (> الانجليزية "Rice") وقد اتجه بعض العلماء أخيرا إلى الاعتقاد بأن المركز الذى انتشر منه الأرز في العالم هو التركستان ولذلك قالوا إن أصل الكلمة هو "virinzi virinza" بالفارسية القديمة = "briinj" بالفارسية الجديدة =

التاملية (Karppu) = العربية (قرفة) .

التاملية (Inchiver) = العربية (زنجبيل)

التاملية (Pippali) = العربية (فلفل) .

السنسكرية والتاملية (Vaidurya [1]) = العربية (بلور) .

السنسكرتية (Kirmi) = العربية (قرمز) .

فهذه هي بعض الكلمات الهندية الأصل التي دخلت اللغة اليونانية عن طريق بابل في الفترة التي نحن بصددها [2] .

وقد بحث العلماء عن التطورات التي أدت إلى نمو التجارة البحرية بين بابل والهند في القرنين السابع والسادس ق . م فوجدوا أن تلك الظاهرة توافق تنكيل (Sennacherib) بالكلدانيين واحلال الفينيقيين محلهم في سنة ٦٩٤ ق.م لأن الكلدانيين الذين سكنوا « سيف البحر » [3] منذ القرن التاسع ق . م لم يكن لهم من التفوق في الملاحة ما كان لأقرانهم الفينيقيين الذين جلبهم الملك الآشوري من أعالي دجلة والفرات وعلى هذا يمكن القول بأن شجاعة الفينيقيين وخبرتهم بأعمال الملاحة والتجارة التي اكتسبوها في موطنهم الغربي هما اللتان تغلبتا على مخاوف البحر الهندي [4] . ومن ناحية أخرى نجد في المصادر الهندية الراجعة إلى هذا العهد ولا سيما المجموعة المسماة بـ « Baveru Jataka » قصصاً عن التجار الهنود (أغلبهم من الدراوريين

= "vrihi" بالسنسكرتية . انظر: Sir George Watt : The Commercial Products of India : London 1908, p. 824 etseq. :

وليعلم أن كلمة أخرى مماثلة « البهط : الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة » هندية أيضا كما جاء في المخصص ٣/٥ وأصلها " bhuta " .

(١) بالبراكرتية " Vailurya " . انظر " Beryl " Hobson-Jobson .

(٢) Rawlinso n p 14

(٣) " Sealand " الوارد ذكره في الكتابات المسمارية والممتد من مصب الفرات إلى Dilmun = البحرين ويظهر أن العرب كانوا يعنون بـ « السيف » هذا السيف الغربي للخليج الفارسي خاصة ، قال الأخنس بن شهاب :

لكيز لها البحران والسيف كله وان يأتها بأس من الهند كارب

[المفضلية ٤١/ ٩]

(٤) راجع مقال Kennedy السالف الذكر .

الذين مضى الالماع إليهم) قيل . إنهم أثاروا إعجاب أهل بابل بالغراب تارة وبالطاؤوس تارة أخرى .

ولا يفوتنا فى هذا المقام التنويه بأن تجارة الهند هذه كانت السبب الرئيسي فى رخاء بابل وعظمتها التى بلغت أوجها فى هذا العصر حتى أثارت حسد فرعون مصر (نخاو) (Necho) (٦١٢ — ٥٩٦ ق . م) فما كان منه إلا أن بذل الكثير من الاموال والأرواح فى سبيل إعادة بناء القناة الموصلة من النيل إلى البحر الأحمر ، تلك التى كان افتتحها لأول مرة (Sesostris) فى القرن العشرين ق . م

* * *

وقد كان لهذه العلاقات أيضاً أثر خالد فى أربعة من أهم نواحى الحضارة فى الهند :

(١) الخط البراهمى (Brahmi) ، الذى تفرعت منه الخطوط الهندية المختلفة ، إنما كان من أصل سامي قوى الشبه بالحروف الفينيقية إلى درجة تؤكد أنه دخل الهند عن طريق الساحل الغربى على أيدى التجار الفينيقيين وقد حدد الدكتور بوهلر (Dr. Bühler) تاريخ دخوله الهند بسنة ٨٠٠ ق.م ومع أن هذا التحديد لايزال موضع نقاش إلا أنه من البديهى أن الخط لابد وأن يكون قد مضى عليه قرون قبل أن يتطور فيتلاءم مع مقتضيات اللغات الهندية كما يبدو فى الكتابات التى ترجع عهدها إلى القرن الثالث ق . م وهى أقدم الكتابات التى عثر عليها فى الهند[1] .

(٢) نظام منازل القمر المعهود عند الهنود (Nakshatras) إنما هو مأخوذ من بابل .

(٣) يرجح الأستاذ كينيدى (Kennedy) أن الهنود إنما اقتبسوا نظام التعامل بالعملة الفضية المعروفة بـ « Purānas » مما كان متبعاً عند

(١) Cam. Hist. of India I. pp 140-142 وانظر أيضا دائرة المعارف البريطانية "Sanskrit" — كذلك الخط الخروشتى الذى انتشر فى المناطق الشمالية الغربية الهند كان من أصل سامى آرامى .

أهل بابل [1] ولا يخفى أن (Purāṇas) أقدم عملة عرفت بالهند وقد استمر التعامل بها إلى عهد قريب ، ويرى كاتب هذا المقال إنها هى المعنية بـ «القهرى» عند مسعر بن مهلهل [2] و«القنهرى» (تصحيف «الفهرى» أو « الفنهرى ») ، عند المقدسى [3] .

٤ — يتبين بعض العلماء علاقة ما بين الأوزان الهندية القديمة وبين مثيلاتها عند أهل بابل مثل « المن » إلا أن أمرها مشكوك فيه جداً [4] .

***

فى سنة ٥٣٨ ق . م : امتدت سيطرة الفرس على بابل وغرب آسيا كلها وامتازوا بالجمع بين مصر من جهة ووادى السند من جهة أخرى فى حوزتهم إلا ان هذه الميزة ، التى لا يمكن التقليل من أهميتها ، لم تستخدم ، كنتيجة للمنازعات السياسية ، لتسهيل التبادل بين المناطق الثلاث (البنجاب وبابل ومصر) التى كانت أهم مراكز التجارة الدولية ، ومن ثم يعتبر هذا العهد — عهد الاكمنيين (Achœmenians) الذى امتد إلى ظهور الاسكندر (القرن الرابع ق . م) — عهد ركود على الرغم مما هو معروف عن دارا الأكبر (٥٢١ — ٤٨٥ ق . م) — أنه جهز وحدة بحرية تحت قيادة (Scylax) اليونانى للسفر وتفقد الأحوال من نهر السند إلى مصر كما أنه أنشأ قناة من النيل إلى السويس وأرسل من هناك سفنا الى فارس .

لكن العلاقات التجارية بالهند كانت قد توطدت إلى حد أنها أبت ألا ان تتخذ لها مجرى آخر [5] ، فان الفرس لما لجأوا الى التنكيل بأهالى بابل

(١) راجع الجزء الثالث من مقاله الذى سبقت الاشارة اليه .

(٢) البلدان لياقوت « الصين » : « درهمهم (أهل كله) يزن ثلثى درهم ويعرف بالقهرى » .

(٣) أحسن التقاسيم ٤٨٢ — فى نسخة « القهرى » ويبدو ان المقدسى نفسه ينص على أن القنهريات غير « القاهريات » أو « القندهاريات » (كما عند ابن حوقل ٢٢٨) = كل درهم منها خمسة دراهم .

(٤) Rawlinson P 15

(٥) لعل تحول تجارة الهند عن طريق الخليج الفارسى إلى طريق البحر الأحمر كان قد بدا فى عهد نبختنصر ويعلل ونسنت Vincent تخريب ذلك الملك لمدينة صور بهذا السبب نفسه . انظر Wilson p. 33 .

وتخريب موانيهم وسد دجلة والفرات ما كان من الكلدانيين ، الذين قد عرفناهم من قبل ، إلا أن نقلوا أنفسهم ونشاطهم إلى (Gerrha) (على شاطىء الحسا) التي سرعان ما أصبحت مدينة تجارية معروفة ، وبعد قليل ظهر اليمنيون كمنافس قوى للكلدانيين فى هذا الميدان فاتخذوا من (Mouza) = موخا وقنا (Kane) وعدن مراكز لهم وما لبثوا أن جذبوا اليها معظم تجارة الهند وافريقيا الاستوائية أيضا بالاضافة إلى التجارة فى أنواع الطيب المحلية من جنوب جزيرة العرب وكلما تدفقت هذه التجارة على خط سير القوافل من اليمن إلى الشام — ذلك الخط الذى ربما سارت عليه بلقيس لزيارة سليمان — اشتهر قوم سبأ بالثروة والبسطة اللتين ضرب بهما المثل . وسنرى كيف أن فقدان هذه التجارة أدى إلى خراب العمران الذى أصبح هو الآخر مضرب المثل .

***

فى النصف الثانى من القرن الرابع ق.م. قلب الاسكندر الاوضاع ببسط سلطانه إلى حدود السند وسرعان ما أبدى اهتمامه باعادة النشاط التجارى بين ساحل السند والخليج الفارسى فأرسل بعثة استكشافية لهذا الغرض تحت قيادة (Nearchus) على غرار ما كان فعله دارا الأكبر من قبل إلا أن موته حال دون القيام بأى عمل آخر فى هذا الشأن . أما خلفاؤه الذين اقتسموا المملكة بينهم فقد شغلوا بالحروب الأهلية حتى أن السلوقيين (Seleucids) لم يكن يهمهم غير الحصول على الفيلة من الهند عن طريق إيران كما أن خصمهم فى مصر بطليموس الثانى كان معنيا بجلب ذلك الحيوان من الحبشة لأغراض حربية ولكن إلى جانب ذلك نلاحظ ان العلاقات بين ملوك الهند من جهة وملوك الشام ومصر من جهة أخرى كانت فى هذه الفترة أكثر توثقا من ذى قبل ، لا أدل على ذلك من وفود (Megasthenes) و (Dionysius) سفيرين لسلوكس وبطليموس على الترتيب لدى بلاط جندر كبت موريا (Chandragupta Maurya) ومما يذكر عن ملك الهند هذا أنه أقام عدداً من الموظفين للاتصال بالأجانب والسهر على راحتهم أثناء زياراتهم للهند ويستنتج من هذا كله أن التجارة بين الهند والخليج الفارسى لم تكن قد وقفت أو هبطت الى درجة كبيرة ، ثم ساعدت الأحوال السائدة بأعالي الخليج على تركيز هذه التجارة

فى أيدى أهل (Gerrha) الذين ربما كانت تتألف أغلبيتهم الآن من العرب وفى نفس الوقت كان نشاط سبأ فى ازدياد مستمر وقد شاركهم فى هذا النشاط النبطيون بأعالى البحر الأحمر، أولئك القوم الذين ما كانت عاصمتهم الرقيم (Petra) لتنال شهرتها فى التاريخ لولا أنها وقعت موقعاً هاما على خطى سير للقوافل من اليمن ومن العقبة (Aelana) أيضا .

***

لقد اتضح مما سبق أن مصير سبأ ورخاءها وحضارتها كانت مرتبطة ارتباطاً تاماً باستمرار تجارة الهند على الخط البرى المحاذى لساحل البحر الأحمر إلى أسواق الشام ، وفعلا نرى تجار سبأ حريصين حرصاً بالغاً على الاحتفاظ بهذا الخط إلى حد أن الروم واليونان كانوا يعتقدون طوال هذه المدة أن المنتجات الهندية التى كانت تنقل إليهم عن هذا الطريق كانت من منتجات اليمن المحلية [1] . وتجدر بالملاحظة فى هذا المقام أن الأخطار الشديدة التى كانت تحدق بالملاحة فى البحر الأحمر فوق عدن من عدم وجود موانىء صالحة وقلة الماء والقرصنة وما إليها كانت من أهم العوامل التى جعلت من الخط البرى الطريق المفضل قروناً عديدة ، إلا أن اليونانيين كانوا دائماً يبذلون محاولات جدية للتغلب على تلك الصعاب من قاعدتهم فى مصر مما جعل اليمنيين يرقبون تصرفاتهم بيقظة وحذر ، فمثلا لما عمد بطليموس الثانى (٢٨٥ — ٢٤٦ ق . م) ، الذى كانت سلطته تمتد إلى فينيقية وفلسطين ، إلى إعادة فتح القناة القديمة بين النيل والسويس (Arsinoe) أولا وإنشاء الطريقين الصحراويين من (Koplos) إلى (Berenike) ومن (Koplos) إلى (Myos Hormos) . ثانياً أحدث ذلك رد فعل قوى بين اليمنيين . على كل حال أقصى ما توصل إليه اليونان ، بعد هذه الجهود المضنية ، هو ابتياع البضائع الهندية من حين إلى آخر فى الموانىء اليمنية ، خاصة (Mouza) ، ثم نقلها إلى (Kopos) كما مر بدون أن يتسنى لهم الاستغناء عن وساطة سبأ ومن المعتقد أن النساء والسكلاب والثيران والأبقار والتوابل الهندية المحملة على الجمال ، تلك التى ازدان

(1) Hitti : Hist. of the Arabs P. 48

بهـا الموكب التاريخي لبطليموس الثانى سنة ٢٧١ — ٢٧٠ ق . م إنما وصلت إلى عاصمة مصر بعد إعادة شحنها في الموانىء اليمنية . نعم وقد برز فى هذه الآونة أيضاً اسم جزيرة سقوطرة [١] كسوق دولى هاجر إليها واستوطنها اليونانيون [٢] للمشاركة فى تجارة الهند والحبشة .

فخلاصة القول ان تجارة الهند مازالت تتحول من الخليج الفارسى إلى البحر الأحمر منذ بداية عهد الفرس الأكمنيين ، بل وقبل ذلك منذ أيام بخت نصر إلى أن أصبح الطريق الأخير هو الطريق الرئيسى فى القرن الثانى ق . م وفى هذه الفترة بالذات أى منذ انتقال الكلدانيين إلى (Gerrha) بدأ العرب سكان المناطق الساحلية الجنوبية الشرقية والجنوبية يمارسون هذه التجارة ويستولون عليها أكثر فأكثر حتى أصبحوا محتكرين لهـا يعضون على احتكارهم بالنواجذ ولم يستطع عملاؤهم اليونان ، مع شدة قلقهم ، إحداث أى تغيير جوهرى فى الوضع حتى القرن الثانى ق . م .

* * *

ولكن ماكاد القرن الثانى يقترب من النهاية حتى حدث ما كان فى الواقع بداية لنهاية أمر العرب وهو أن ملاحاً هندياً غرقت سفينته فوصل فى قارب النجاة إلى الساحل الغربى للبحر الأحمر حيث تولى الخفر نقله إلى الاسكندرية ، وبينما هو فى تلك المدينة وقد أخذه الحنين إلى الوطن إذ التقى بـ (Eudoxus of Cyzicus) الذى كان له باع فى علم الجغرافيا ، ولم يمض وقت طويل حتى تواعد الاثنان وحصلا على موافقة الملك (Euergetes II) ومساعداته للقيام برحلة إلى الهند وقد تم ذلك فعلا مابين ١٢٠ — ١١٠ ق . م [٣] فرجع الملاح الهندى إلى أهله بعد أن دل يودوكسس على الطريق إلى الأرض التى كان يسمع عنها اليونان أن بها « أشجاراً تنبت الصوف » و « أحجاراً تذوب

(١) السنسكرتية " Dripa Sukhatara " أى جزيرة السعادة .

(٢) يقول أبو زيد السيرافى ، سلسلة التواريخ ، باريس ١٨٤٥ ، ص ١٣٣ — ١٣٤ ، إن الاسكندر هو الذى اهتم باسكان اليونانيين تلك الجزيرة تحقيقاً لرغبة ارسطاطاليس فى الاستيلاء على منابت الصبر بها .

(٣) انظر : Rawlinson p. 96-99

فى الفم فتكون أحلى من التين ومن العسل » (القطن والسكر على حد تعبير (Herodotus,Megasthenes على الترتيب) .

ولم تكن نتائج هذه الرحلة ، التى كانت الأولى من نوعها ، لتضيع على الملاحين اليونان فقد أتبعها يودوكسس نفسه على الأقل برحلة أخرى وما من شك أن آخرين حذوا حذوه من حين لآخر لأننا نفاجأ قبل مضى فترة طويلة يسبق الملاح اليونانى ، المتمثل فى (Hippalus) ، على العرب إلى الاكتشاف عن طريقة استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية فى السفر إلى الهند أيام الصيف . من المؤكد أن العرب لم يكونوا يجهلون الرياح الموسمية ، كفى دليلا على ذلك أن الكلمة العربية « موسمية » هى التى انتقلت وتطورت إلى (monsoon) لكنهم ، لسبب ما ، لم يكونوا قادرين على استخدامها أبان هياج البحر فى فصل الصيف بالذات[1] ، مهما يكن من أمر فان ما امتاز به اليونان كان كشفاً عظيما أدى إلى انقلاب خطير فى طرق الملاحة والتجارة ويؤرخ هذا الكشف — كشف (Hippalus) — فى سنة ٤٥ م إلا أن بين أيدينا أدلة على تغلغل اليونان وكثرة ترددهم على المناطق التجارية بالهند قبل ذلك ، منها إيفاد بعثة من قبل الملك (Pandion) بأقصى جنوب الهند[2] إلى (Augustus) بمصر فى سنة ٢٠ ق . م ، كذلك شهادة استرابو (Strabo) الصريحة بأن ١٢٠ مركباً سارت إلى الهند فى سنة واحدة (٢٥ ق . م) من ميناء (Myos Hormos) ، ثم لا يخفى أن حملة (Aulius Galus) على اليمن فى عهد (Augustus) نفسه سنة ٢٤ ق . م لم تكن إلا حلقة فى سلسلة الخطوات لانتزاع تجارة الهند من أيدى العرب[3] وذلك بالتواطؤ مع النبطيين شركاء سبأ الذين سبقت الاشارة إليهم ، لكن الحملة فشلت فشلا ذريعاً وظل مركز العرب قوياً ، إنما كان ناقوس الخطر قد دق وكان الخراب يتسرب إلى اليمن رويداً رويدا .

(١) سيجد القارىء بحثاً قيما عن هذا الموضوع فى : George Fadlo Hourani
Arab Sea-faring in the Indian Ocean. Princeton. 1951. p 25

(٢) "Pandion" = Pandya هذا هو التفسير السائد وقد ذهب البعض إلى أن المراد به Porus (Kauploses I) بالمنطقة الشمالية الغربية انظر Rawlinson p. 108.

(٣) انظر Hitti p 10 .

وبمناسبة ذكر الملك (Pandion) لا بأس بأن نستطرد قليلا لنضرب مثلا للفائدة التي تعود على الأدب العربي من الدراسات المقارنة فنقول ان مملكة (Pandye) بأقصى جنوب الهند قد اشتهرت من قديم الزمان بمغاصات اللؤلؤ الواقعة في المياه الضيقة بين ساحل الهند وجزيرة سيلان وجاء عنها في الأساطير الهندوكية أن الاله كرشن (Krishna) جمع اللآلىء من أنحاء العالم وركزها في تلك المنطقة لتتزين بها ابنته ملكة (Pandye). لقد ذكر (Megasthenes) المغاصات والأسطورة المتعلقة بها [1] كما لم يغفل الاشادة بها أحد من الزائرين لتلك المنطقة في جميع العصور من بينهم سليمان التاجر [2] وماركوبولو [3]. الا أنه كان بهذه المنطقة ميناء هام ربما سار اسمه مع اللآلى التي كانت تصدر منه وهو (Kolkai) [4] وبما أن مياه البحر انحسرت وابتعد الساحل من موقع هذا الميناء أثناء العصور القديمة نفسها اختفت الإشارة اليه فيما عدا المصادر اليونانية الراجعة الى الفترة التي نحن بصددها، ثم مضت قرون فاجأنا على أثرها الشاعر العربي علقمة بقوله:

محال كأجواز الجراد ولؤلؤ من القلقي والكبيس الملوب [5]

كذلك قول ابن الرومي أيضاً:

يفتر ذاك السواد عن يقق من ثغرها كاللآلى القلقي [6]

« القلقي » ؟ = ا (Kolkai) لا غير. لكن أنظر ما جاء عنه في اللسان « القلقي ضرب من الحلي، قال ابن سيده: ولا أدري إلى أي شيء نسب إلا أن يكون منسوبا إلى القلق الذي هو الاضطراب كأنه يضطرب في سلكه

(1) Cam Hist of India ١ / ٤٢٣

(٢) سلسلة التواريخ ص ١٢٠

(٣) The Travels of Marco Polo Broadway Travellers. London. 1931 pp. 292-293.

(٤) على نهر Tamraparni باقليم Tinnevelly . انظر The Periplus of the Erythraean Sea (Schoff). 1912. p. 237.

(٥) العقد الثمين ق ١ / ٤

(٦) كتاب التشبيهات لابن أبي عون — تذكار كب — ص ٩٧

ولا يثبت ... » أ وفى بعض الأحيان ألجأت الحيرة النساخ إلى التحريف : « القلعى » بدل « القلتى » — إلا أن الأمر لم يزل مغلقاً .

* * *

لقد سبق أن رأينا ما كان لـ (Gerrha) من شأن كبير فى التجارة الدولية، يبين لنا (Eratosthanes) (٢٧٦ — ١٩٤ ق.م) كيف أن أهلها — ولا شك أن غالبيتهم كانت من العرب — كانوا يقوموذ بنقل أنواع الطيب والبضائع الأخرى المجلوبة من جنوبى جزيرة العرب والحبشة إلى بابل و (Seleucia) كانوا ينقلونها بالقوافل البرية وربما أيضاً بالسفن التى كانت تصعد بدجلة إلى (Seleucia) نفسها [1] ، وقد كان لهم نصيب من تجارة الهند أيضاً مع أن معظمها كانت قد تحولت إلى اليمن والبحر الأحمر . ومن الجدير بالملاحظة أن هؤلاء التجار الوسطاء على ساحل الخليج الفارسى استمروا فى أعمالهم ونشاطهم طوال قرون عديدة بدون أية محاولة للتدخل من قبل السلوقيين اللهم إلا ما كان من (Antiochus III) الذى أغار على (Gerrha) حوالى سنة ٢٠٥ ق . م لكنه سرعان ما رضى بالرجوع قانعاً بالغنائم والهدايا من البضائع التى كان الأهالى يتجرون بها ولا يخفى أن السلوكيين كانت لهم تجارة واسعة بالهند عن طريق البر (إيران) وهكذا ظل الحال أيام البارثيين (Parthians) الذين استولوا على بابل والمدائن ما بين ١٤٠ و ١٣٠ ق.م فهم أيضاً قصروا اهتمامهم على تجارة الهند (والصين أيضاً) عن طريق البر فقط [2] وقد كانت تكفى لتدر عليهم أرباحاً طائلة . على كل حال لم يحدث فى منطقة الخليج الفارسى مثل ما حدث فى منطقة البحر الأحمر من منافسة اليونان للعرب .

* * *

لم تكد دعائم الامبراطورية الرومانية تتوطد فى سوريا وفى مصر قبيل بدء التقويم المسيحى حتى نعمت البلاد بالاستقرار وتأمين السبل والقضاء

(١) Wilson p. 45

(٢) Hourani p. 14

على القرصنة مما أدى إلى شدة الاقبال على السلع الكماليات المستوردة من الهند والصين فى روما والاسكندرية والمدن الأخرى ، ولذلك يعتبر القرن الأول المسيحي أزهى عصور تجارة الهند بالغرب ، أما التطورات التى كانت قد حدثت فى سير هذه التجارة بالنسبة إلى العرب فنتبينها بوضوح فى مذكرات بحار يونانى مجهول كتبها حوالى سنة ٨٠ م باسم (The Periplus of the Erythraean Sea) — نتبين منها أن الملاحين الروم كانوا إذ ذاك يبحرون رأساً من قنا أو من (Ocelis) إلى (Cranganore=Muziris) بالجزء الأسفل من الساحل الغربى للهند وذلك فى الحقيقة يمثل تقدما كبيراً على ما جرت عليه العرب من السير بمحاذاة الساحل إلى « منطقة البوازيج »[1] أى كجرات (Gujerat) وربما انحدروا من هناك إلى ساحل المليبار أيضاً ... إلا أن الروم ، على الرغم من تفوقهم هذا ، كانوا لا يزالون بعيدين من القضاء على نفوذ العرب القديم فى الأسواق الهندية ، يذكر أن الروم لم يكونوا يستطيعون الحصول على القرفة (اللحاء) الا فى رأس (Guadrafui) لأنها كانت تحجب عنهم فى الأسواق الأصلية بينما كان ورق تلك الشجرة ، شجرة القرفة نفسها ، معروضا عليهم فى المليبار حتى اشتهر بينهم باسم (Malabathrum)[2] وهذا أطرف مثال للأواصر الوطيدة بين المصدرين من التجار الهندوس والوسطاء العرب ضد عملائهم الروم .

لكن لا يظن أن الاتفاق بين الشريكين القديمين كان كفيلا بمقاومة تغلغل الدخيل الجديد الذى اقتحم الميدان مسلحا بالتفوق فى طرق الملاحة فان المصدر نفسه أعنى (Periplus) يحدثنا أيضا عن الموالاة بين الروم وبين حمير ملوك ظفار الذين كانوا قد حلوا محل سبأ منذ حوالى ١١٥ ق . م ، وذلك شاهد على أن العرب وإن لم يكونوا قد تركوا الميدان إلا أنهم كانوا قد بدءوا يهادنون خصومهم وهل ذلك إلا كنتيجة للضعف والوهن ؟

---

(١) هكذا يسميها أبو الفداء : التقويم (باريس) ص ٣٥٨

(٢) Periplus ص ٤

ومما زاد الطين بلة ظهور منافس جديد للعرب فى تجارة الهند . لا يخفى أن الهندوس كانت لهم علاقات تجارية قديمة جداً بساحل الصومال والحبشة ، لا أدل على ذلك من أن المصادر الهندوسية تحتوى على أقدم الاشارات إلى « رجال القمر » و « جبال القمر » [1] ؛ ثم ان العرب ؛ وإن لم يرحبوا بالتجار الهندوس فى الموانىء اليمنية ؛ كانوا قد أمسكوا عن مزاحمتهم فى منطقة شرق أفريقيا [2] حتى أصبحت ملتقى للتجار الهنود والعرب واليونان والروم أيضا وقد ظلت على حالها هذه إلى أن بدأ الحبشيون يتطلعون فى الفترة التى نحن بصددها إلى نصيب أكبر لأنفسهم من تجارة الهند وسرعان ما راحوا ينشدون تحالفاً مع الروم ضد العرب لهذا الغرض [3] وهكذا أصبحوا عاملا جديداً كان له شأن يذكر فيما بعد .

على كل حال بلغ استهلاك البضائع الشرقية ، ولا سيما أنواع الطيب ، ذروته فى عهد نيرو (Nero) — ٥٤ — ٦٨ م — فقد ذكر بلينى (Pilny) أن المملكة الرومانية كانت تتكبد ما يقدر بمليون ومائة ألف جنيه سنوياً ثمناً لمشترياتها من جزيرة العرب والهند والصين وكان نصف هذا المبلغ تقريباً من نصيب الهند وحدها [4] وقد اضطر الملوك الذين جاءوا من بعد إلى فرض بعض التقشف صوناً للمركز المالى إلا أن حركة الاستيراد مازالت قوية حتى كان عهد طراجن (Trajan) — ٩٨—١١٧ م — الذى سعى لتضييق الخناق على العرب وذلك بإعادة فتح القناة القديمة بين النيل والبحر الأحمر (وكانت قد انسدت منذ عهد البطليموس الثانى) وتوصيلها إلى بابل مصر ثم بضم أقليم النبطيين ، الذين كانوا قد ساعدوا (Aulius Galus) ضد اليمنيين ، إلى مملكته وانشاء طريق رئيسى من العقبة إلى دمشق وأخيراً بانتزاعه جميع الأراضى الممتدة إلى(Charax)و(Apologus)بأعالى الخليج الفارسى من أيدى البارتيين . لا شك أن فكرة السيطرة على هذين الميناءين كانت فكرة سليمة

(١) المصدر نفسه ص ٨٧ نقلا عن Speke, Discovery of the Suorce of the Nile
(٢) المصدر نفسه ص ٣
(٣) Hitti ص ٥٩
(٤) Rawlinson ص ١٠٣

جريئة لأنهما كانا على اتصال بحرى شرقاً بالهند وقد اتفق لطراجن نفسه حينما كان واقفاً على رصيف Charax أن رأى سفينة تتأهب للاقلاع إلى الهند فأسف على أنه لم يكن فى وسعه التقدم إلى تلك البلاد لكبره وكانت تمتد أيضاً من الميناثين خطوط تجارية غرباً إلى موانىء الشام وعلى ذلك فقد أراد طراجن أن يتم له الجمع بين منطقتى الخليج الفارسى والبحر الأحمر تحت سيطرته وتلك ميزة لم تتيسر من قبل لغير دارا الأكبر والاسكندر، وكان يرجى أن تكون لمثل هذه الخطوة آثار بعيدة لولا أن البارتيين سرعان ما استردوا ما كانوا قد فقدوه فاقتصرت النتيجة على أن برز اسم مدينة (Plamyra) تدمر كخلف للرقيم التى خربها طراجن سنة ١٠٥ م وقد نال هذا المركز التجارى الجديد قسطاً وافراً من الإزدهار لأن الفريقين رأيا من مصلحتهما عدم التعرض له حتى بقى أهله يتجرون فى كلتا المملكتين المتخاصمتين وينقلون البضائع بينهما وذلك إلى سنة ٢٧٣ م ـ الوقت الذى رأى فيه الروم أن الفرصة قد سنحت للاستيلاء على تدمر كما كانت قد استولت على الرقيم من قبل.

يتجلى لنا فى جغرافية بطليموس (حوالى ١٥٠ — ١٦٠ م) مدى التقدم الذى كان قد أحرزه التجار الروم فى الاستيلاء على التجارة الشرقية وذلك طبعاً على حساب نفوذ العرب ومصالحهم فقد كانوا عرفوا خليج البنغالة بما فيه مصب نهر الكنك (Ganges) و «بلاد الذهب» (جنوبى بورما وملايو) كما أن واحداً منهم على الأقل يسمى الاسكندر كان قد زار طونكنج (Tong King)، كذلك وصل وفد منهم فى سنة ١٦٦ م إلى عاصمة الصين ليشكو من احتكار الايرانيين لتجارة الحرير ويعرض إنشاء علاقات مباشرة عن طريق الهند[1] ومن جهة أخرى تفيدنا المصادر الهندية لتاملية (Tamil) عن وجود جاليات للروم فى جنوب الهند وانخراطهم فى خدمة الأمراء الهنود[2] كما أن ظهور التجار الهنود فى أسواق

(١) انظر 1:87 ... the ... ص ١٧٣ — ١٧٨

(٢) ... ص ١٢١

الاسكندرية — الأمر الذى يشهد به Dio Chrysostom على عهد طراجن [1]
يعد دليلا على نمو العلاقات التجارية المباشرة بين الروم والهند .

وهكذا استمرت هذه الحركة قوية طيلة القرنين الثانى والثالث بينما أصبحت العرب غير ذات شأن إلى أن حدثت تطورات سياسية جديدة وساءت أحوال روما الاقتصادية وانخفضت قيمة عملتها التى كان يتعامل بها كل من العرب والهنود فكانت النتيجة أن ركدت التجارة وتضاءلت إلى أدنى حد بدليل أنه لم يعثر فى الهند على العملة الرومانية الراجعة إلى ما بعد ٢١١ م إلا القليل النادر [٢] .

* * *

لقد رأينا آنفا كيف أن العرب غُلِبت على تجارة الهند ولكنّ القضاء لم يمهل الروم طويلا ليجنوا من ثمرات نصرهم فسنرى كيف أن الفرس حلوا محلّ العرب والروم جميعاً أثناء القرون التالية ، نعم وقد اشتد أيضاً فى الوقت نفسه مركز الأحباش حتى أصبحوا المنازع الوحيد للفرس فى تجارة الهند :—

انتقل زمام الحكم من البارتيين إلى الساسانيين فى سنة ٢٢٥ م ومن أهم ما امتاز به الساسانيون اهتمامهم بتشجيع الملاحة عند الفرس — الناحية التى لم يلتفت إليها أسلافهم قط ، يتجلى هذا الاهتمام فيما قام به أول ملوك الأسرة الجديدة ، أردشير الأول (٢٢٥—٢٤١ م) من إنشاء الموانى وما إليها . وفى مطلع القرن الرابع نسمع عن حملة العرب سكان الساحل الغربى على الفرس بالساحل الآخر عبر الخليج الفارسى ثم عن انتقام سابور الثانى من العرب بعد ذلك بزمن قليل مما يدل على تقدم الملاحة واجتياز العنصرين دوراً من المزج والصهر فى بوتقة واحدة . وفى هذه الأثناء زالت روما وخلفتها قسطنطينية سنة ٣٣٠ م كما أن حمير استكملت سيادتها على الجزء الجنوبى من جزيرة العرب حتى أصبح التبع « ملك سبأ وحضرموت ويمنات وتهامة » لكن حمير كانت الآن مهددة تماما من قبل الحبشيين الذين كان يجرى فى عروقهم دم المهاجرين

---

(١) المصدر نفسه ص ١٤٠

(٢) المصدر نفسه ص ١٥١

من اليمن نفسها وفعلا بدأ ملوك أكسوم (Axum) يتحرشون بسكان الساحل الشرقى للبحر الأحمر منذ أواخر القرن الثالث حتى نجحوا فى النصف الأول من القرن الرابع فى إخضاع حمير لسيادتهم، ومع أن سيادتهم لم تدم إلا برهة قصيرة استأنفت حمير بعدها استقلالها إلا أن الحبشيين بقوا عاملا يعتد به فى كل ما يتعلق بالتجارة والسياسة فى البحر الأحمر.

إنما مررنا سريعاً بالقرن الثالث والرابع والخامس لقلة المصادر عنها غير أن الوقائع التى سردناها تعطينا فكرة عن التيارات الآخذة فى النمو والاشتداد وما إن نصل إلى القرن السادس حتى نرى نتائجها واضحة مستكملة وهى تتلخص فى استيلاء الحبشيين مرة أخرى على حمير سنة ٥٢٥ م، ومما يسترعى الانتباه أن ذا نواس لم يكن يملك أسطولا ولم يظهر أية مقاومة إلا بعد وصول المهاجمين إلى البر، ثم جاءت النهاية الكبرى للخراب الذى كان يتسرب إلى اليمن منذ قرون بشكل انشقاق سد مأرب ما بين ٥٤٢ — ٥٧٠ م[1] أما الفرس فكانت مكانتهم عالية ممتازة جداً، كانوا قد اكتسحوا الروم من الموانىء الهندية وكانوا كما يشهد به (Procopious) و (Cosmos) يتسلمون الحرير الوارد عن طريق البحر من «الصين» (Sinae) الساحلية فى سيلان بينما كانوا هم أنفسهم مسيطرين على الخطوط البرية الموصلة عبر وسط آسيا إلى (Seres) مصدر «السرق»[2] أى الصين الشمالية. فخلاصة القول أنه لم يكن أحد ينفذ من الحصار المضروب من قبل الفرس على الموانىء الهندية

---

(١) المهم أن انشقاق سد مأرب كان نتيجة لا سببا لخراب اليمن وتشتت سبأ. انظر Hitti ص ٦٥

(٢) ظل العالم الغربى يجهل حقبة طويلة أن (Sinae) التى كان الوصول اليها عن طريق البحر و (Seres) التى كان الوصول اليها عن طريق البر إنما كانتا تمثلان جزئين لبلد واحد، كما أن سكانهما كانوا من شعب واحد، وتمثل كلمة «السرق» بالعربية (ـــ بالانجلزية "Silk") الحرير الوارد عن طريق البر أى ايران (بالفارسية «سره») والاصل بالمنغولية (sirkek) والصينية ("ssu"). انظر (Periplus) ص ٢٦٦.

كذلك يقول ابن خرداذبه (ص ٧٠): «الذى يجىء من الصين ... السروج والسمور» — «السرج» هنا توازى ("serge") بالانجليزية (فى الأصل ثوب مصنوع من الحرير)؟

إلا الحبشيون الذين كثيراً ما ترددوا ببضائعهم ، ولا سيما العاج ، على سيلان والساحل الغربي للهند حتى في موانئ الفرس أنفسهم وكانت (Adulis) (حالياً Massawa) ، ميناء الحبشة الرئيسي (وقاعدة الهجوم على اليمن) . في هذا الوقت مركزاً تجارياً هاماً لأن الروم كانوا قد اضطروا إلى قصر نشاطهم على الاتصال بها والحصول على طلباتهم منها ولم يكونوا يستطيعون التجاوز عن باب المندب إلا قليلا ، وهل أدل على حرج موقف الروم وعجزهم من أنهم لو ماسمعوا عن استيلاء الحبشيين على اليمن بعثوا بعيد ٥٣١ م بسفارة من قبل الامبراطور (Justinian) إلى اكسوم يطلبون من الحبشيين أن يحاولوا شراء الحرير رأسا من الهنود وبيعه لهم (الروم) لكي تتوفر الأموال التي كان الروم مضطرين إلى دفعها لأعدائهم الفرس ، وفعلا حاول الحبشيون العمل بهذا الاقتراح إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك لما كان يتمتع به الفرس من النفوذ وحسن إدارة الأمور في أسواق سيلان والهند . ولم يقتصر نفوذ الفرس عند هذا الحد بل تعداه إلى إنشاء مراكز لهم في سقوطرة وفي (Adulis) نفسها وأخيراً نراهم يطردون الحبشيين من اليمن وينتزعونها لأنفسهم حوالي ٥٧٠ م .

هكذا تمت للفرس السيطرة على جميع المياه الواقعة بين سيلان من جهة وساحل شرق أفريقيا من جهة أخرى ، وكان من الطبيعي أن يصبح الخليج الفارسي الطريق الرئيسي لتجارة الهند في عهدهم ، كما كان البحر الأحمر إبان نبوغ الروم من قبل . ونجد هذه الأحوال منعكسة على الشعر الجاهلي العربي والروايات التي وصلتنا عن ذلك العهد : أفهل أدل على الاتصال الوثيق المستمر بين الهند والخليج الفارسي من أن الأبلة كانت تعرف « فرج الهند » ؟[1] كذلك يرجح أن « عدولية » في قول طرفة :

عدولية أو من سفين ابن يامن[2] يجور بها الملاح طوراً ويهتدي

(1) تاريخ الطبري (ليدن ١٢ / ٢٠٢١ ، انظر ايضاً ٢٠٢٣ حيث جاء « كان فرج الهند أعظم فروج فارس شانا واشدها شوكة وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر » .

(2) ورد ذكر ابن يامن في بيت لامرىء القيس أيضا :

أو المكرعات من نخيل ابن يامن دوين الصفا اللائي يلين المشقرا

المشقر : قصر بالبحرين (البلدان لياقوت) . يرجح الدكتور سليمان الندوي انه كان تاجرا عربيا يهوديا هناك (عرب كى جهاز رانى ص ٢٦) .

هى السفينة المنسوبة إلى (Adulis)[1] مما يدل على الاتصال بينهما وبين الخليج الفارسى .

بقى أن نتساءل : ماذا كان نصيب العرب من الملاحة و التجارة فى هذا العهد ؟ يبدو أنه لم يكن لهم صفة مستقلة ، إنما كان أهالى عمان وماحواليها قد اختلطوا اختلاطاً كبيراً بجيرانهم الفرس ، وكان من الطبيعى أن يشاركوهم أعمالهم مما أكسبهم دراية وخبرة . أولا نرى إلى أزد عمان وهم يحتقرون لكونهم « مزونيين » وملاحين كما أن كبراءهم ربما نسبوا فى معرض الهجو إلى أصل فارسى[2] . أما الصور الرائعة لمناظر البحر وأهواله وسير السفن فيه التى يزخر بها ديوان العرب ، فلا يصح أن تتخذ دليلا على مزاولة العرب للملاحة أو اهتمامهم بها ولاسيما إذا كان هناك ما يؤكد استهجانهم لها ، إنما كانت تلك الصور كليشهات نقلت إلى داخل الجزيرة من المناطق الساحلية[3] .

* * *

على ضوء ماسردناه آنفاً من الاوضاع السائدة فى القرن السادس نستطيع أن نفهم جيداً بعض الحوادث التى وقعت فى أوائل العهد الاسلامى ، فمثلا حملة أهل عمان البحرية على فارس وحتى سواحل السند و كجرات بدون سابق إذن من الخليفة الثانى عمر إنما تدل على المعرفة القديمة والتحمس الجديد لاثبات استقلالهم عن الفرس الذين كانوا متفوقين عليهم من قبل ، كذلك نرى كيف أن عمر الذى كان حذراً خائفاً من « حمل الدود على العود » اضطر إلى السماح بمهاجمة (Adulis) لاشعار الحبشيين بانتهاء سيطرتهم السابقة على المياه المجاورة ثم توسعت الفتوح الاسلامية حتى شملت مصر من جهة والسند من جهة أخرى فكانت النتيجة أن أصبح طريقا الخليج الفارسى

(١) انظر (Hourani) ص ٤٢ . أما اللغويون فنجد أقوالهم متناقضة مما ينم على نوع من التخبط : عن الأصمعى عدولى قرية بالبحرين ، وقيل موضع يسمى عدولاة ، وعن ابن السكابي : عدولى ليسو من ربيعة ولامضر ولا ممن يعرف من اليمن إنما هم أمة على حدة (كذا فى اللسان « عدل ») .

(٢) المهلب بن أبى صفرة مثلا .

(٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية « السفينة » .

والبحر الأحمر تحت سلطة واحدة وتلك غاية طالما تاقت الحكومات المختلفة الى تحقيقها فلم توفق إلى إزالة الحدود بين العراق وسوريا كما قد رأينا من قبل وتبع هذا التطور الجديد أن ارتفع التنافس والتسابق بين المنطقتين ورجع نشاط كل منهما إلى ما كانت تقتضيه طبيعة العمران والاستهلاك المحلى، وبما أن خط الخليج الفارسى كان أكثر استقامة وأقرب مسافة وأوثق اتصالا وأن التجار لم يلجأوا إلى البحر الأحمر إلا للضرورة، لذلك استمر هو الأول الطريق المفضل لتجارة الهند كما كان منذ عهد الساسانيين ومما زاد فى نشاط هذه الناحية زيادة ملموسة انتقال عاصمة الخلافة ومركز الحضارة إلى بغداد ولعل قول مستشار المنصور الذى يبسط فيه مزايا الموقع الجغرافى لتلك المدينة يقوم أوضح دليل على أهمية العلاقات التجارية التى نحن بصددها، قال دهقان بغداد للمنصور: « . . . تحمل اليك طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط فى دجله . . . . » [1] .

يصدق هذا القول ما أورده الرحالون والجغرافيون أمثال سليمان التاجر (٢٣٧ هـ) وابن خرداذبه (٢٣٢ هـ) والمسعودى (٣٣٢ هـ) والمقدسى (٣٧٥ هـ) بشأن ازدهار التجارة والعمران فى الابله وسيراف والبصرة، لقد كانت المراكب تقلع من هذه الموانى إلى مسقط ومن هناك رأساً إلى كولم ملى (Quilon =) بجنوب الهند حيث كانت تفترق الطرق فاما إلى ساحل الدكن (جنوب الهند) الشرقى واما إلى سرنديب (جزيرة سيلان) وكله (Kedah= بملايو) على الطريق إلى الصين ، هذا فضلا عن حركة التجارة المتصلة بالموانىء القائمة على الساحل الغربى للهند فوق كولم ملى ومن أشهرها الديبل على مصب نهر السند وكنبايت وبروص (Broach الحالية) بكجرات وتانه وصيمور (Chimur=) وسوباره (Chūrparaka=Sopāra) باقليم بومباى ولنقدر مدى توثق العلاقات بين المصدرين الهنود وزبائنهم بقول سليمان عن ملوك الكمكم (Konkon) أنهم « يعمرون ربما ملك أحدهم خمسين سنة وتزعم أهل مملكة بلهرا ("Vallabhrai" = Rashtrakutas) إنما يطول مدة

(١) البلدان لياقوت (ط أوربا) ١ / ٦٨١

ملكهم وأعمارهم في الملك لمحبتهم للعرب وليس في الملوك أشد حباً للعرب منه وكذلك أهل مملكته »[1] لم لا والرخاء الاقتصادى فى البلاد كان يتوقف على تصريف المنتجات فى أسواق العرب ؟

ومما يلاحظ فى هذا الصدد أن انتشار الاسلام إلى الجانب الشرقى للخليج الفارسى ساعد كثيراً على تكوين شعب واحد من الفرس والعرب سكان السواحل فى تلك المنطقة وقد كانوا اختلطوا وامتزجوا إلى حد كبير فى العصر السابق، ولذلك نراهم في العصر الاسلامى يشتركون فى أعمال الملاحة والتجارة اشتراكهم فى استعمال اللغة العربية كتابة وخطابة مما يجعل من العسير التمييز بين العنصرين ، إلا أن نظرة واحدة على أسماء النواخذة الوارد ذكرهم فى كتاب عجائب الهند لبزرك بن شهريار[2] تكفى للتدليل على وجود العنصر الفارسى بل وعلى غلبته أيضاً .

أما مقدار التجارة عن طريق البحر الأحمر فكان وفقاً لحاجة مصر لا غير وللسبب نفسه يرجح أنه زاد كلما ارتفع شأن مصر على إثر انحلال الدولة العباسية ؛ لا شك أن عمر كان قد جدد فتح القناة القديمة بين النيل والقلزم إلا أنه لم يكن يهدف من ورائه غير نقل الميرة إلى الجار ميناء المدينة .

وأخيراً يجب التنبيه على أن ظهور الاسلام وإن أدى إلى قيام دولة واحدة تشرف على طريقى الخليج الفارسى والبحر الأحمر إلا أنه فى الوقت نفسه سبب القطيعة بين الدولة الجديدة وبيزنطينة ، تلك القطيعة التى استمرت طوال القرون المتعاقبة بحيث لم تكن تسمح لتجار إحدى الدولتين بالاطمئنان إلى إنشاء صلات مستديمة مع الدولة الأخرى فكانت النتيجة أن انحصرت مهمة نقل البضائع بين دار الاسلام وبلاد المسيحية فى أيدى اليهود الذين يتحدث عنهم ابن خرداذبه بقوله :

« يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والاندلسية والصقلبية وأنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب الى المشرق

(١) سلسلة التواريخ ص ٢٧ .
(٢) Leide, 1883—86

براً وبحراً ، يجلبون من المغرب الخدم والجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ، ويركبون من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالفرما (Pelusium) ويحملون تجاراتهم على الظهر إلى القلزم . . . ثم يركبون البحر الشرقى من القلزم إلى الجار وجدة ، ثم يمضون إلي السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحى حتى يرجعوا الى القلزم ثم يحملونه إلى الفرما ، ثم يركبون في البحر الغربي فربما عدلوا بتجاراتهم إلى القسطنطينية فباعوها من الروم وربما صاروا بها إلى ملك فرنجة فيبيعونها هناك ، وإن شاءوا حملوا تجاراتهم من فرنجة في البحر الغربى فيخرجون بأنطاكية ويسيرون على الأرض ثلث مراحل إلى الجابية ثم يركبون في الفرات إلى بغداد ، ثم يركبون فى دجلة إلى الأبلة ومن الأبلة إلى عمان والسند والهند والصين كل ذلك متصل بعضه ببعض [1] » .

ثم يحدثنا ابن خرداذبه عن التجار الروس الذين كانوا يقومون بالعمل نفسه :

« هم جنس من الصقالبة فانهم يحملون جلود الخز وجلود الثعالب السود والسيوف من أقصى صقلبية إلى البحر الرومي فيعشرهم صاحب الروم وإن صاروا فى تنيس نهر الصقالبة مروا بخليج مدينة الخزر فيعشرهم صاحبها ثم يصيرون إلى بحر جرجان . . . وربما حملوا تجاراتهم من جرجان على الأبل إلى بغداد ويترجم عنهم الخدم الصقالبة ويدعون أنهم نصارى فيودون الجزية ، فأما مسلكهم فى البر فان الخارج منهم يخرج من الاندلس أو من فرنجة فيعبر الى السوس الأقصى فيصير إلى طنجة ثم إلى افريقية ثم إلى مصر ثم إلى الرملة ثم إلي دمشق ثم إلى الكوفة ثم إلى بغداد ثم إلى البصرة ثم إلى الأهواز ثم إلى فارس ثم الى كرمان ثم الى السند ثم الى الهند ثم الى الصين . . . [2]

(١) المسالك والممالك ١٥٣ — ١٥٤
(٢) المسالك والممالك ١٥٣ — ١٥٥

* * *

هانحن نورد فيما يلى قائمة بأسماء البضائع التى كانت تستورد من الهند فى هذا العصر وقد التزمنا أن نمد خطا تحت الكلمات التى تحققنا من أصلها الهندى ويمكن الرجوع بشأنها الى مقالنا السابق عن « الكلمات الهندية المعربة » فى عدد مايو سنة ١٩٥١ م من هذه المجلة واذا فاتتنا كلمة هناك عرضنا لأصلها بالهامش .

سأل الحجاج أيوب ابن القرية (من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث) عن الهند فأجاب بقوله : « بحرها در، وجبلها ياقوت ، وشجرها عطر »[١] وقد عرض لهذا الموضوع بالتفصيل أبو زيد السيرافى حيث قال :

« ... بحر الهند والصين الذى فى بطنه اللولو والعنبر، وفى جباله الجوهر ومعادن الذهب ، وفى أفواه دوابه العاج ، وفى منابته الأبنوس [٢] والبقم والخيزران وشجر العود والكافور والجوزبوا والقرنفل والصندل وسائر الافواه الطيبة الذكية ، وطيوره الفغاغى (يعنى الببغاوات والطواويس) وخرشات أرضه الزباد ، وظباء المسك وما لا يحصيه أحد لكثرة خيره»[٣].

والحقيقة أن الأحجار الثمينة والافاوية وأنواع الطيب تجىء على رأس قائمة المنتجات الهندية التى اشتهرت بين العرب والروم على السواء .

(ا) الأحجار الثمينة :

« الياقوت ألوانه كلها وأشباهه والماس[٤] ، والدر [٥] ، والبلور ، والسنباذج الذى يعالج به الجوهر [٦] » .

(١) الاخبار الطوال للدنيورى ص ٣٢٦ .

(٢) كلمة من الهند الصيلية صارت شرقا وغربا ، هى بالصينيه" wu-mon-tzi "وبلهجة Amoy : " o-ban.tzi " . أنظر Chan Ju kua بطار سبرج ١٩١١ م ص ٢١٦ .

(٣) سلسلة التواريخ ١٣٧ — ١٣٨

(٤) اصلها " Ind-mash " وقد وردت فى كتب عجائب الهند ص ١٢٨ « الادماس».

(٥) مضى الكلام على « القلق » .

(٦) من سرنديب ، انظر ابن خرداذبه ص ٧٠

(ب) الأفاوية وأنواع الطيب والبهار والتوابل والأبزار [١] : الكافور والمسك والصندل والعنبر والعود الهندى [٢] و المندلى [٣] و القمارى والصنفى [٤] والقامرونى [٥] والغار والألوة والجوزبوا والبسباسة والكبابه والقاقلة ، والهيل [٦] والسنبل والنردين و الرند [٧] والزباد وفأر

---

(١) بالسنسكرتية ، " Paohala " = كل ما يصلح الطعام (أنظر Williams : Sanskrit-Eng. Dict. ص ٥٦١) والكلمة بالأدوية « مسالة » مع أن بعضهم بدءوا يكتبونها « مصالح » وقالوا إنها جمع مصلحة أو بتخفيف « ما صلح (كذا فى آب حيات لازاد — المقدمة ؛ وأنظر أيضا " Mussalla " Holson-Jabson) .

(٢) « سمى عودا حتى صار اسما علما من قبل انه أشرف انواع العود » (المخصص ١١/١٩٨) .

(٣) نسبة الى مندك (Mandal) وهى تعنى « الاقليم » عامة والمشهور « كورومندك » بجنوب الهند الا انه قد ورد فى بعض المصادر ما يشير بوجود « مندك » (= اقليم) آخر بالقرب من قامرون بشرق الهند . أما ماذهب اليه (Ferrand) من ان النسبة الى (Mandri) مكان بعينه على الساحل الجنوبى للهند فاحتمال بعيد جداً . انظر حدود العالم ، تذكاركب ، ١٩٣٧ م ص ٢٤٠ . هذا وقد سجل الشاعر ضياء الدين نسبة المندلى الى الهند بقوله : —

« المندلى كريم سقيا له ولغرسه
لما اراد يرينا الهند نسبة جلسه
غدا على النار ملقى يجود فيها بنفسه » (حلبة الكميت ص ١٥٢)

وذكر ان الحسين بن برمك هو الذى حمل العود « المندلى » (كذا فى صبح الاعشى ٢ / ١٢٦ ؛ وفى النويرى ١٢ / ٢٩ « الهندى ») معه اثر عودته من الهند وعرضه على المنصور فاستحسنه وامر ان يكتب الى الهند بحمل الكثير منه فاشتهر بين الناس وعز من يومئذ واحتمل ما فيه من مرارة الرائحة وزعارتها لانها تقتل القمل وتمنع من تكونه فى الثياب .

(٤) نسبة الى قمار " khmer " = Cambodia وصنف "Champa" = South Cochin China

(٥) نسبة إلى قامرون " kamurupa " =Assam بشرق الهند وأنظر وصف هذا العود فى سلسلة التواريخ ص ١٣٠ .

(٦) « الهيل » أو « الهال » هى بالسنسكرتيه « ايل » وبالفارسية « هيل » وكان معدنه رأس هيلى / ايلى على الساحل الغربى بجنوب الهند وذكره الجغرافيون العرب وابن بطوطة (الرحلة ٤ / ٨١) .

(٧) النردين وهو السنبل الهندى (باليونانية " Nardos ") أصلها بالسنسكرتية " Nalada " (بالفارسية القديمة « ناردا ») . أنظر ادى شيرى « الرند »

المسك [1] والزنجبيل والقسط والفوفل [2] والفلفل والقرنفل والكركم (= الهرد) [3].

(ج) العقاقير ومفردات الأدوية :

هذا باب واسع يحتاج إلى البحث من قبل المتخصصين ، إنما نذكر على سبيل المثال :

الاطريفل[4] والهليلج[5] والبليلج[6] والبلاذر[7] .

ومن هذا القبيل السم [البيش] ودواء السم [الجدوار وبازهر] اللذين اشتهرت الهند بهما عند قدماء اليونان [1] والعرب .

و " Hobson-Jobson " Nard . والرند شجر طيب الرائحة أيضا ، قال الشاعر :—

أرى فى الهوى نارا لظبية أوقدت تشب وتذكى بدهن وقودها
تشب بعيدان اليلنجوج موهنا وبالرند أحيانا فذاك وقودها

(النجلاء ، فان فلوتن ، ص ٢٠٨)

ولعل أصل الكلمة " Karan/ Iwaran (kusa) " باللغة البنغالية . انظر watt ص ٤٦١ .
وربما فسرت الرند بـ « العود الذى يتبخر به » (اللسان) .

(١) دابة الزباد مثل السنور الصغير (بالانجليزية " civet-cat ") كانت تجلب من نواحى الهند (المخصص ١١ / ٢٠٠) ويقول ابن الفقيه (البلدان ص ١١) « ان الزباد اطيب رائحة من المسك والانثى تجلب مسكا وإذا مشى فى بيت نفحت منه رائحة المسك واذا لمسته بيدك عبقت بيدك » .
كذلك فأن المسك كان يجلب من الهند . انظر المصادر نفسها .

(٢) بالفارسية " pupal " [السنسكريتية " kubara "] قال المسعودى : « الفوفل وهو الذى قد غلب على اهل مكة وغيرهم من الحجاز واليمن فى هذا الوقت مضغه بدلا من الطين » (مروج الذهب ، باريس ، ٢ / ٨٤) .

(٣) سيجىء الكلام على الهرر فى باب الاصباغ .

(٤) الهندية "Tiriphal" .

(٥) الهندية "Harra" .

(٦) الهندية "Behira" .

(٧) الهندية "Bhilawa" [= Anacardiacae] جيد لفساد الذهن وجميع الأعراض الحادثة فى الدماغ من البرد والرطوبة ، وهو من جملة السموم أيضاً (ابن البيطار) وقد لقب صاحب فتوح البلدان بـ « البلاذرى » لأنه شرب من عصير هذا النبات فجن ومات .

(١) Cam. Hist. of India ١ / ٤٠٥

(د) الأخشاب :

قد رأينا أن سكان الخليج الفارسى اعتادوا استيراد الأخشاب من الهند و(الحبشة أيضاً)، منذ فجر التاريخ وها هى أسماء بعض الأنواع المشهورة منها : الساج والساسم[1] والقنا والوشيج والسراء والبان والخيزران .

(هـ) الألوان والأصباغ :

الأرجوان والقرمز والنيلج[2] والهرد[3] والبقم والصرف والورس[4] ...

(و) القطن ومنسوجاته :

لاشك أن الهند هى الموطن الأصلى لشجرة القطن إلا أن الشجرة الهندية الأصلية كانت طويلة العمر كما يبدو من أقوال القدماء، أما الشجرة التى تزرع سنوياً فالمظنون أنها نتجت على أيدى العرب فى العراق وسوريا والبلاد المجاورة، على كل حال اقترنت هذه الشجرة بالعرب إلى حد أنها هى والسكر والدين ربما اعتبرت المقومات الثلاثة لحضارتهم فى نظر الأوربيين[5] .

هذا وقد اشتهرت الهند منذ قديم الزمان بالجودة ودقة منسوجاتها التى كان الثوب منها يدخل فى حلقة خاتم، كما شهد بذلك سليمان التاجر (سلسلة التواريخ ص ٣٠) ويذكر ابن خردازبه (ص ٧٠) أن الثياب القطنية المخملة

(١) الهندية "Shisham" السنسكرتية "Sinsapa" ولعل «شيزى» هو الخشب من هذا النوع كان يستعمل لعمل القصاع والجفان خاصة (انظر اللسان «شيز») و«سسم» .

(٢) السنسكرتية "nili"

(٣) السنسكرتية "hari dra" = الخشب الأصفر ؛ الاوردوية "haldi" أنظر watt ص ٤٤٥ — وهو السكركم كانوا يأتون به من الهند (ابن البيطار) وفى الحديث ينزل عيسى ابن مريم فى ثوبين مهرورين (المخصص ١١/ ٢١١) .

(٤) البقم = "Vakwa" بلغة مالايو والصرف = "Shappu" بالتاملية — وتاءت كلمة «الورس» وانتقلت من العربية إلى اللغات الاوربية فى العصور الوسطى حتى أنه يقال إن Brazil من الورس، سميت تلك الخطة من العالم الجديد كذلك لوجود هذا النوع من الخشب فيها . أنظر Hobson Jobson "Sappan Wood" and "Brazil Wood" .

(٥) أنظر watt ص ٥٦٩

كانت تجيء من الهند كما أن « الشيت » و « الفوطة »[1] من الأسماء الهندية المعربة .

وبالاضافة إلى منسوجات القطن امتازت الهند أيضاً بصناعة الثياب من الحشيش[2] .

(ز) الفواكه .

النارجيل والموز والأترج[3] و الليمون و النارنج[4] والتمر الهندى .

(ح) الحيوانات والطيور :

الفيل [والعاج] وقرون الكركدن[5] والطاؤوس[6] والجاموس[7] .

---

(١) قال الازهرى : رأيت بالكوفة أزراً مخططة يشتريها الجمالون والخدم فيتزرون بها ، الواحدة فوطة ، قال الجواليق : فلا أدرى أعربى أم لا (أنظر المعرب) والاصل بالهندية "Pata" .

(٢) انظر ابن خرداذبه ص ٧٠

(٣) الترنج لغة فيه والاصل بالسنسكرتية " matulunga " .

(٤) بالسنسكرتية " Nagaranga " . قال المسعودى « شجر النارنج والاترج المدور جلب من أرض الهند بعد الثلاثماية فزرع بعمان ثم نقل إلى البصرة والعراق والشام حتى كثر فى دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغر الشامى وانطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الروائح الخمرة الطيبة واللون الحسن الذى يوجد فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصية البلد « مروج الذهب ٢ / ٤٣٨ — ٤٣٩ » .

(٥) « لا احسبه عربيا لانه مفارق لابنيتهم » (المخصص ٨ / ٥٨) الاصل بالسنسكرتية " Khadgadanta " أى ذو سن كالسيف .

(٦) قال المسعودى الطواويس بأرض الهند شأن عجيب والذى يحمل منها إلى أرض الاسلام وتخرج عن ارض الهند فتبيض وتفرخ تكون صغيرة الاجسام كدرة الالوان لا تعطى أنواراً للأبصار بادراكها وإنما تشبه بالهندية بالشبه اليسير . . » المروج ٢ / ٤٣٨ .

(٧) « يقال إن سبب اخراجها من معادنها هو أن الطريق الذى بين انطاكية والمصيصة كانت مسبعة فشكى ذلك الى الوليد بن عبد الملك فحمل فيها أربعة الف جاموس وجاموسة مما كان الحجاج بن يوسف بعث به لما فتح بلاد الزط من ارض الزط على يد محمد بن القاسم وجعل الى جاموس وجاموسة فى آجام كسكر لما بنى واسط فهربت السباع حتى لا بقا (كذا) منها شيء » عن الفن الثالث من مباهج الفكر ومناهج العبر تأليف الشيخ برهان الدين ابراهيم بن شرف الدين يحى اوراق ، دار الكتب المصرية ، طبيعه رقم ٣٢٤ ورقة ١٢١ .

(ط) المعادن :

الآنك و الاسرنج و الكلس والتنكار [1] بالاضافة إلى الذهب .

(ى) المصنوعات المختلفة :

السيوف والأرماح و الفانيذ [2] و الأنبجات [3] و الداذي والغضائر [4] والتوتياء [5] والنعال الكنباتية [6] .

وأخيراً بعض ما يعن لنا من ملاحظات بشأن « الكلاب السلوقية » .

يكثر عند العرب ذكر الكلاب « السلوقية » وهى على حد قولهم منسوبة إلى سلوق قرية باليمن إلا أنهم لا يستقرون على رأى بل يظهرون كأنهم يحومون حول (Seleucia) = سلقية التى يضيفونها بمدينة الروم (معجم البكرى) ومدينة اللان ومدينة بالشام (البلدان لياقوت واللسان) . لكن الجدير بالاهتمام تصريح القزوينى بأن « الكلاب يسفدها الذئاب [7] فتأتى

---

(١) من السنسكرنية انتقلت الكلمة إلى الفارسية واللغات الاخرى . انظر (watt) ص ١٧١ ، السنكري والسمكرى بالعامية = التنكارى (محيط المحيط) .

(٢) نوع من الحلوى كان يصدر من السند ومكران . أنظر ابن حوقل ٢٣٢ و المقدسى ٤٨١

(٣) هى المربيات (أو المربيات = المعمولات بالرب) جمع « أنبج » وهى فاكهة هندية تربى فأطلق عند الاطباء على ما سواه . كذا فى شفاء الغليل .

(٤) قال مسعر ابن مهلهل عن مدينة كولم بجنوب الهند : « وبها تعمل غضائر تباع فى بلداننا على أنه صينى وليس هو صينى لان طين الصين أصلب منه وأصبر على النار ... » البلدان لياقوت « الصين » .

(٥) أنظر قول صفوان : « ومن توتياء فى معادنه هندى » البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) ١ / ٢٨

(٦) أنظر المقدسى ٤٨١ ، نسبة إلى كنبايت (Cambay) وكانت النعال الكنباتية من الجودة والحسن بحيث انها كانت تعتبر هدية فاخرة من العشاق إلى عشيقاتهم . أنظر كتاب الموشى للوشاء (ليدن) ص ٩٤

(٧) من طرائف النساخ ان « الذئاب » تحولت إلى « الثعالب » حيث جاء فى صبح الاعشى ٢ / ٤٢ نقلا عن القر الشهابى ابن فضل الله ان السلوقية « مولدة بين الثعالب والكلاب » !

بالكلاب السلوقية » (الآثار ص ٢٩) وذلك يذكرنا بمشاهدة الاسكندر بأرض الهند وبصحبة الملك (Saubhūti) لكلاب لاترخى قبضتها على الأسد حتى ولو قطعت أرجلها ، قيل إنها نتاج الكلاب من النمور [١] ثم نذكر أيضا أن أهل بابل كانوا يستوردون الكلاب من الميناء الهندى المعروف (Barygaza) = بروص[٢] كما نعرف أن الموكب التاريخى للبطليموس Philadelphus كان حافلا بالكلاب الضوارى الهندية إلى جانب النساء الهنديات والتوابل الهندية ، وبعد هذا كله نعثر على قول ابن رسته الآتى فى معرض الكلام على ملوك الهند :

« وبعده ملك يقال له نجابه (؟) وهو شريف فيهم و بلهرا الملك يتزوج فيهم وهم السلوقيون ولا يتزوجون الا فيهم لشرفهم وهذه الكلاب السلوقية يقال أنها وقعت من بلادهم ولهم الصندل الأحمر فى بلادهم وغياضهم . . . الخ[٣] .

(١) Cam. Hist. of India ١ / ٤٠٧

(٢) أنظر Heeren ج ٢ ص ٣٠١

(٣) الاعلاق النفيسة ص ١٣٥

فى اللهجات العربية وأصول اختلافها

للدكتور عبد الحليم النجار

— ١ —

كجميع اللغات الأصيلة، التى توافرت لها عناصر الحيوية والنمو والانتشار، ووجدت بذلك السبيل إلى التأثر والتأثير بكل العوامل اللغوية المتيسرة، التى من شأنها أن تجرى عمل التبديل والتجديد فى خلايا اللغة بين حين وآخر، كما تتبدل خلايا الكائن الحى وتتجدد، اجتازت العربية أيضاً أدواراً من الحياة والنمو حمتها من الركود على صورة واحدة، والظهور بملامح جامدة كملامح التمثال الفنى الفاقد روح النمو وحرارة الحياة.

وكما يتباين أفراد الانسان بعضهم مع بعض فى الملامح، والمظاهر، والصفات، كذلك تتباين أنواع الأصل اللغوى الواحد فى ملامحها، ومظاهرها، وصفاتها، تبعاً لتباين بيئاتها، والفصائل الانسانية الناطقة بها، والملابسات المادية والمعنوية التى تكتنفها.

ومن هنا تفرعت العربية منذ القدم إلى ألسنة ولهجات، بعد أن تكاثرت شعوبها، واختلفت مواطن الناطقين بها، وتهيأ لها من أسباب البيئة، والجوار، وتنوع الحياة الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية، ما جعلها تتلون بطبيعة الوسط الذى تعيش فيه، وتتكيف حسب مقومات المحيط الذى يحيط بها.

من هذه اللهجات ما هو قديم عفى عليه القدم، وما هو وسيط نلحظ أثره ولا نرى مظهره؛ وما هو حديث متجدد نشهده ونلمسه. ومهمة الباحث اللغوى أن يفحص ويدقق فى تيار اللغة الدافق المتدافع، حتى يهتدى

إلى تقسيم جواهرها ، وتحليل عناصرها ، وتمييز فروعها المختلفة : ولهجاتها المتباينة بما يتلمسه لذلك من الأصول والضوابط : فيتأتى له بذلك كشف الغطاء عن طبيعة تكوينها ، وطابع شعوبها ، ومبلغ ما قطعته هذه اللغة وشعوبها من أشواط الحضارة والمعرفة ، واستشعرته من جوانب الشعور والفن ، وسمت اليه من مجد الأصالة وعراقة التاريخ .

— ٢ —

ولقد نشأت العربية فى جوار قريب من اللغات السامية الأخرى [ولهجاتها (١)] كالحبشية غربا جنوبياً (٢) ، والكنعانية والأرامية وفروعهما شمالا ، والأكادية بابليها وأشوريها شرقا : وأخذ هذا الجوار بعد تلك النشأة صوراً شتى من الاحتكاك القوى أو الضعيف بوساطة الهجرات التى صدرت عن قلب جزيرة العرب متجهة إلى الشمال فى غزوات الحروب ، أو الرحلات القاصدة إلى تبادل البضائع والمنافع ، كما بوساطة الحملات أو الهجرات القادمة من خارج الجزيرة اليها ، مثل ما حصل من الحبشة واليهود والأكاديين ، ونشأ من ذلك كله أن ورثت العربية كثيراً من خصائص اللغات السامية وظواهر استعمالها الأصلى والشعبى جميعاً .

وتمتاز العربية من اللغات السامية الأخرى ولهجاتها باحتفاظها — على صورة أكمل — بالمحصول الصوتى الأصلى الصامت للسامية الأولى ، وعلى الأخص بحروف الحلق ، والصفير ، والتفخيم ، كما تمتاز بدقة أدائها [وثروتها (٣)] للحروف الصائتة القديمة (٤) .

وفى العربية يظهر نظام تكوين الصيغ السامية الأولى فى أغنى مظاهره ، ويبدو مستوعباً — على وجه التقريب — لكل القوالب الممكنة . وبهذا

(١) هذه الزيادة من ملاحظة الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على رئيس فرع اللهجات بكلية الآداب .

(٢) هذا التحديد من الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين ، وكان الأصل : جنوباً أو غرباً جنوبياً .

(٣) هذه الزيادة من الدكتور فؤاد حسنين .

(٤) أنظر C. Brockelmann. Grundriss d. vergl. Gramm. d. Sem. Sprachen, I. 21

تتضاعف مثلا طاقة الفعل فى التعبير عن كثير من المعانى ومتعلقاتها من ناحية ، كما أن صيغ جموع [التكسير [1]] الكثيرة التنوع والتعقيد ، بل الزيادة عن الحاجة أيضا ، قد تبدو مضرة موجبة للخلط فى التعبير من ناحية أخرى[2].

— ٣ —

ولم يعن علماء العربية القدامى بالبحث عن أصل العربية الأول ، وعلاقة ذلك الأصل باللغات السامية الأخرى ، وإن أحسوا إحساساً صريحاً بأن لغات الجزيرة ولهجاتها ، قبيل الاسلام إلى العهد الذى نقلت منه روايات وآثار ، تختلف اختلافاً غير يسير عن أصولها الأولى ، وأنها ورثت خصائص شتى ، وعناصر مختلفة ، إما من لغات عربية متوغلة فى القدم عفت ودرست ، وإما من لغات مجاورة كان بينها وبين العربية احتكاك وصراع واختلاط ، كما أن هؤلاء العلماء أو المحققين منهم ، كانوا يؤمنون بأحكام التطور اللغوى ، ويدركون كثيرا من أسرار نشأة اللهجات وتعددها ، وعوامل احتفاظها بأصالتها ، أو خضوعها للمؤثرات اللغوية المختلفة .

نعم قد خلط كثير من علماء العربية فى تبيان أصل العربية ، وأنها جاءت الى العرب بتوقيف من الله وإيحاء منه إلى آدم ، لقوله سبحانه : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، لا بمعنى أنها [3] « جاءت جملة واحدة وفى زمان واحد ، بل وقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج الى علمه فى زمانه ، وانتشر من ذلك ما شاء الله ، ثم علم بعد آدم من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبياً نبياً [4] ما شاء الله أن يعلمه ، حتى انتهى الأمر

---

(١) هذه الزيادة من الدكتور فؤاد حسنين .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الجملة بين العلامتين من كتاب الصاحبي فى فقه اللغة للامام اللغوى أحمد بن فارس (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) ص ٦ طبع السلفية ١٣٢٨ هـ .

(٤) أنظر كيف يتفق هذا مع تقسيم ابن فارس نفسه لغة العرب إلى فصحى وفصيحة وذميمة ، وحديثه فى اختلاف لغات العرب ، وذكره أن القرآن نزل بأفصح اللغات وعدم إنكاره أن تكون لكل قوم لغة أى لهجة ، وذكره أن قحطان تذكر أنهم العرب العاربة ، وأن من سواهم العرب المتعربة ، وان إسماعيل عليه السلام بلسانهم نطق ومن لغتهم أخذ ، وإنما كانت لغة أبيه العبرية الخ .. أنظر : الصاحبي فى الأبواب المشار اليها .

إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فآتاه الله من ذلك ما لم يؤته أحداً قبله تماما على ما أحسنه من اللغة المتقدمة ، ثم قر الأمر قراراً ، فلا نعلم لغة من بعده حدثت » .

كذلك قال آخرون : إن العربية تنقسم إلى قسمين : عربية حمير ، وهي التي تكلموا بها من عهد هود ومن قبله وبقي بعضها إلى وقتنا هذا . والعربية المحضة التي نزل بها القرآن . وأول من أطلق لسانه بها اسماعيل ، فعلى هذا القول يكون توقيف اسماعيل على العربية المحضة يحتمل أمرين : إما أن يكون اصطلاحا بينه وبين جرهم النازلين عليه بمكة ، وإما أن يكون توقيفاً من الله تعالى وهو الصواب [1] .

إلى غير ذلك من الأقوال التي تنم على قصر في النظر التاريخي لتطور اللغات ، وتكتفي بالحكم على المشاهد المحسوس ، دون محاولة التطلع إلى فهم علله وأسبابه ، واستكناه مبادئه ومقدماته . وربما كان قد بلغ الذروة في الصدور عن هذا الرأي العالم اليمني اللغوي الجغرافي المشهور : الحسن ابن أحمد الهمداني ، المعروف بابن الحائك ، صاحب كتاب : الاكليل في معارف اليمن وعجائبه وعجائب أهله : وكتاب الممالك والمسالك في عجائب اليمن وجزيرة العرب وأسماء بلادها . والظاهر أن هذا الأخير هو الكتاب المعروف بعنوان : صفة جزيرة العرب [2] .

فقد تعرض الهمداني في كتابه : صفة جزيرة العرب ، إلى وصف لهجات الجزيرة في القرن الرابع الهجري ، ولكنه في وصفه للهجات اليمن انطلق في الحكم على تلك اللهجات على أساس يفهم منه أنه كان يقيس كل لهجة بمقاييس النحو العربي ، ويحكم على تلك اللهجات من حيث الفصاحة والغتمة من وجهة نظر واحدة هي مطابقتها أو مخالفتها للقواعد ، وهو ينظر بعد هذا هل هي معقدة صعبة الفهم على من خرج عن محيطها ؟

(١) انظر المزهر للسيوطي (بولاق) ج ١ ص ١٥

(٢) انظر ترجمته في كتاب إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ج ١ ص ٢٧٩ (طبع دار الكتب المصرية) والتعليق عليه للناشر . وكتاب صفة جزيرة العرب نشر في ليدن سنة ١٨٨٤

وهكذا نراه لا يفترض أن للهجتين : المهرية والشحرية أساساً من لغة أخرى تبتعد عن عربية الشمال إلى حد يتعذر معه التفاهم ، بل يصور سكان الشحر والأسعاء على أنهم قوم لا ينطقون نطقا فصيحا ، والمهريين على أنهم غتم يشاكلون العجم [١] .

أى أن الهمدانى ربما كان يرى أن العربية الفصيحة لغة أصلية احتفظت بمقوماتها الأولى فى بلاد الحجاز وقلب الجزيرة ، على حين فقدت كثيراً من أصالتها فى أطراف الجزيرة كبلاد اليمن . وربما كان ذلك فى نظره من أثر اختلاط اليمن بالحبش وغيرهم كالهنود والفرس [٢] .

وهذا قلب للأوضاع التى يطمئن إليها النظر العلمى ، من أن العربية الفصحى وليدة تطورات وتفاعلات طويلة العهد فى الجزيرة ، وأنها لا يمكن أن تكون لذاتها أصلا لغوياً أصيلا إذا لاحظنا أن الناطقين بها ، وهم العدنانيون أو الإسماعيليون ، كانوا طارئين على الجزيرة ، وأنهم أخذوا اللغة عن سكانها الأصليين وهم القحطانيون .

كذلك اضطرب العلماء العرب أيما اضطراب فى النظر إلى علاقة العربية باللغات السامية الأخرى . فعلى حين نرى كثيراً منهم يذكرون أن فى العربية كثيراً من العناصر الأجنبية ، ومنها اللغات السامية كالحبشية والسريانية والعبرانية وغيرها [٣] ، بل يرى كثير منهم أيضاً اشتمال القرآن على عناصر مختلفة من تلك اللغات وغيرها حتى ألف بعضهم رسائل خاصة فى الألفاظ الأعجمية التى وردت فى القرآن [٤] ، نراهم يجهلون كثيراً من الظواهر اللغوية

---

(١) أنظر كتاب : العربية ، بقلم المستشرق « يوهان فك » ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص ١٥٥

(٢) يرى الأستاذ الدكتور فؤاد أن الحبشة فى أصلها قبيلة يمنية لغتها يمنية فلا يصح ذكرها إلى جانب لغة الهنود والفرس .

(٣) أنظر كتب المعرب والدخيل وهى كثيرة فى العربية ، وعلى الأخص : المعرب للجواليقى ، وشفاء الغليل للخفاجى ، وانظر المزهر للسيوطى . النوع التاسع عشر معرفة المعرب الخ .

(٤) أنظر : الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، النوع الثامن والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة العرب .

التي يبدو أنها تسربت من اللغات السامية الأخرى : مثل إبدال تاء الضمير كافا مطلقاً ، أي سواء أكانت ضمير المتكلم أم ضمير المخاطب . وهي لغة حميرية وردت لها شواهد متفرقة في كتب التاريخ والأدب :

١ — فمن ذلك مارواه عبد الله بن العباس الرازي في كتابه تاريخ صنعاء ، حيث قالت أم وهب بن منبه قبل أن تلد ابنها : « رأيكُ بِنْحُلم كولدْكُ ابنا من طيب » أي رأيت في الحلم أني ولدت ابناً من ذهب [١] . فهنا وضعت الكاف موضع ضمير المتكلم في لفظين ، كما استعملت الكاف مصدرية في موضع أن [٢] ، واستعملت في التعريف : أن بدلا من أل ، وظاهر أن ذلك تفريع عن طمطمانية حمير أي التعريف بلفظ : أم بدلا من الألف واللام .

٢ — ذكر أبو زيد في النوادر ص ١٠٥ ، والبلاذري (نشر آلورد) ص ٤٨ ، أن رجلا من جيش يزيد بن معاوية قال في أثناء حصار مكة سنة ٧٢ — ٧٣ هـ يخاطب ابن الزبير :

يابن الزبير طالما عصيكا وطالما عنيتنا إليكا
لتحزنن بالذي أتيكا لنضربن بسيفنا قفيكا

أي طالما عصيت ، وطالما عنيتنا إليك ، لتحزنن بالذي أتيت الخ ، مع ملاحظة نصبه لفظ : « قفا » بالياء ، إما على توهم ذلك ، أو على التثنية والمراد جانبا قفاه ، كما أنه قد يكون أيضاً لهجة خاصة . وفي هذا المثال نرى الكاف بدلا من ضمير المخاطب لا المتكلم كما في الشاهد الأول .

٣ — روى ابن قتيبة [٣] ، وابن جني [٤] أن سحيما عبد بني الحسحاس الشاعر الحبشي المخضرم كان إذا أنشد شعره يقول : أحسنك أي أحسنت .

(١) أنظر : Landberg : Arabica V. 112 و Chaim Rabin. Ancient west-Arabian. p. 48.
(٢) ويمكن ان تكون كاف التشبيه أي كأني ولدت الخ .
(٣) انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٤١
(٤) انظر ما نقله صاحب خزانة الأدب عن ابن جني في سر الصناعة ، ج ٢ ص ٢٥٧

وأقصى مايصل اليه علم العرب فى تأويل ذلك أنه لكنة أجنبية ، وإن وجد أيضاً من كان أكثر اطلاعا وبصرا باختلاف اللهجات فرأى أنه تعبير حميرى الأصل .

وإذا نحن عرفنا أن هذه الظاهرة موجودة فى كل من اللغتين الحبشية والأكادية ؛ وإن يكن ذلك بالنسبة الى ضمير المتكلم فقط ، أدركنا أن ذلك إما أن يكون بقية باقية فى اللهجات الحميرية من أصلها الأول ، أو أنه من تأثير احتكاك الحميريين بالحبشة [١] .

وقريب من ذلك نظرة العرب الى إبدال الهمزة عيناً ، ومن ذلك عنعنة تميم . فقد أخذوها على أنها لهجة انفردت بها هذه القبيلة من بين العرب ، ولم يحاولوا البحث لهـا عن أصل سامى أو نحوه ، كما أنهم اقتصروا فى إبدال الهمزة عيناً على التنبه الى العنعنة التى حددوها بأنهـا إبدال الهمزة عيناً إذا وقعت بعدها النون ، ومنه سميت عنعنة بالجمع بين العين والنون ، وإن توسع بعضهم فزعم أنها جعل الهمزة المبدوء بها عيناً مطلقاً ، أى سواء أكان بعدها نون أم لا ، ومن الأخير قولهم فى : أسلم عسلم ، وفى : اذن عذن [٢] .

ولكن إبدال الهمزة عينا ظاهرة لغوية يغلب أنها كانت قديمة فى الأصل السامى ، كما أنها موجودة فى اللغة الحبشية . فقد ذكر « إنوليتّمان » فى بحث له فى اللهجات العربية [٣] أن أهل الحبشة الشمالية يقولون : حبع عوضا عن خبأ ، وهو يستظهر من ذلك أن العنعنة كانت ترد فى أول الكلمة وآخرها ، ثم أخذت تقل رويداً رويداً بعد ما طاردتها لهجات أخرى فلم تبق منها الا بقايا قليلة .

وفى الحق إن المتتبع للمعاجم اللغوية العربية بدقة وامعان ليرى أن الكلمات التى تتعاور عليها الهمزة والعين بمعنى متحد أو متقارب كثيرة كثرة تدل

(١) انظر : الصاحبى لابن فارس فى باب اللغات المذمومة ، والمزهر للسيوطى فى النوع الحادى عشر معرفة الردىء المذموم من اللغات .

(٢) انظر ملاحظة الاستاذ الدكتور فؤاد حسنين على الحبشة .

(٣) انظر مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول ، عدد مايو ١٩٤٨

على أن إبدال الهمزة عيناً كان أوسع مما أدركه علماء العربية من العنعنة المحدودة المجال ، وأن هذا الابدال كان يحصل فى أوائل الكلمات وأواسطها وأواخرها ، وأن ذلك يشهد بصحة ما يفيده كلام « ليتمان » من أن هذا الابدال عريق فى السامية بدليل أنه لا يزال موجودا فى الحبشية .

وقد يبدو لنا أن بعض الألسنة استثقلت نطق العين فاطرحتها من كلامها ، كما حصل ذلك فى كثير من اللغات السامية ، وعلى الأخص الأكادية ، ومن هنا لجأت إلى إبدال العين بالهمزة كما هو مشاهد فى الأجنبي الذى يتعلم العربية فى العصر الحديث ، إذ يبدل العين همزة لصعوبة العين على لسانه

ويحسن بنا فى هذا المقام أن نعرض قائمة مختصرة مما تفرق فى القواميس العربية ، لأمثال متنوعة من ابدال العين بالهمزة فى غير العنعنة المشهورة :

(١)

الأحد = العهد ، وأحد إليه عهد إليه .

أما والله = عما والله .

الأثكال والأثكول = العثكال والعثكول .

الأربون = العربون .

أربت معدته = عربت أى فسدت .

الأتم = العتم وهو زيتون البر .

أذج = عذج أى شرب .

أوقه = عوقه ، وتأوق تعوق .

الأكة = العكة وهى شدة الحر .

الأبية بالضم وتشديد الباء والياء = العبية ، أى الكبر والنخوة .

الأباب = العباب أى معظم السيل .

أبد = عبد أي غضب .

ثأث لفرس اللجام = عثك الفرس اللجام .

آداه = أعداه ، واستأدى عليه استعدى عليه .

آد يؤود = عاد يعود .

آض = عاد .

آل يؤول = عال يعول .

الآر = العار .

أنّ = عنّ أي ظهر .

الأهنة = الاحنة .

الأصّ بالفتح والتشديد = الأص أي الأصل ومثله : الأض .

ائتنف الشيء = اعتنف الشيء .

(ب)

دأم الحائط = دعمه

دأني = دعني .

قمأه = قمعه .

آتاه = أعطاه .

سئفت يده = سعفت أي تشققت والسأف محركة سعف النخل .

موت ذؤاف = ذعاف .

التأرض للشيء = التعرض له .

لقأته = التعقة .

رأنه = رعنه وهي لغة في لعله .

ذأته = ذعته أي خنقه .

الدئث = الدعث أي الحقد الذي لاينحل .

ازدأب الشيء = ازدعبه أي حمله .

المأص = المعص وهو المغص .

ابتأرت الخيل = ابتعرت ، أي ركضت للمبادرة .

(ج)

بدأ = بدع ، والبدىء البديع .

الفنأ = الفنع وهو الكثرة .

الطبء = الطبع .

الخبع = الخبء ، والخباع الخباء . وخبعت الشيء خبأته .

تشاءى ما بينهم = تشاعى أي بعد .

كسأه بالسيف = كسعه أي طرده .

تجمأ فى ثيابه = تجمع .

تزأزأ = تزعزع .

تجأجأ = تجعجع .

تصأصأ = تصعصع .

اندرأ يفعل = اندرع بمعنى اندفع .

ذرأ الأرض = زرعها .

التمأ لونه = التمع أي تغير .

* * *

وكثير غير ذلك من اختلاف علماء العرب فى رد الكلمات الى أصولها دون عناية بالبحث اللغوى التاريخى فى نشأة اللغات وعلاقتها بعضها مع بعض ، وتأثيرها وتأثرها فيما بينها . وهنا يمتاز العصر الحديث بالدراسة المقارنة للغات السامية ، وقد يرجى من ذلك جزيل العوائد على تقدم دراسة اللغة ونشأتها .

بيد أن بعض المحققين من علماء العرب من ناحية أخرى — كما ذكرنا — كانوا أبعد نظراً ، وأدق فهماً ، فأدركوا كثيراً من عوامل اختلاف اللهجات وأسرار نشأتها . ومن هؤلاء أبو نصر الفارابى اللغوى صاحب ديوان الأدب، الذى أدرك أن لغة أطراف الجزيرة أبعد عن الفصاحة والاصالة[1] ولذلك لم تجمع عنهم اللغة ، بل اقتصر العلماء فى جمعها على لغات القبائل التى كانت تقطن فى قلب الجزيرة منعزلة عن الاحتكاك بأمم أجنبية[2] . ومنهم أيضا على وجه العموم أصحاب الكتب المؤلفة فى نوادر اللغات ومفاريدها وأشعار القبائل ، مثل أبى زيد الأنصارى وأبى على القالى ، ومثل أبي عبيد القاسم بن سلام الذى تنسب اليه رسالة فيما ورد من الألفاظ فى القرآن الكريم بلغات القبائل العربية المختلفة[3] .

— ٤ —

أما علماء اللغات فى العصر الحديث فقد رأوا من الضرورى ، لتحديد الدراسات اللغوية وتمييز الفروق بينها . أن يحددوا الضوابط التى تميز بين اختلاف اللغات فيما بينها ، والتى تميز اختلاف لهجات اللغة الواحدة بعضها مع بعض ، فأرجعوا اختلاف اللغات فيما بينها إلى الاختلاف الأساسى فى طبائع الأصوات(Phonetics) ، وفى أبنية الكلمات وموادها :(Morphology)

---

(١) ينبغى هنا توجيه النظر إلى تحديد معنى الفصاحة اللغوية التى اضطرب فيها كثير من المؤلفين القدامى والمحدثين ولا سيما مؤلفى مذكرات فقه اللغة ، مثل الاستاذ ابراهيم الابيارى المدرس فى كلية اللغة العربية فقد أشكل عليهم الأمر فى تفسير الفصاحة اللغوية وخلطوها بالفصاحة البلاغية . ومرجع هذه الاخيرة هو ماذكر فى كتب البلاغة من تفسيرها وتقسيمها إلى فصاحة المفرد والكلام والمتكلم ، وإرجاع ذلك كله إلى خلوص الكلمة أو الكلام من التنافر والغرابة ومخالفة القياس العربى الخ . اما مرجع الفصاحة اللغوية فهو خلوص اللغة من الدخيل وعدم تأثرها او قلته بالمؤثرات الاجنبية بقطع النظر عن الغرابة او التنافر أو مخالفة القياس الخ .

(٢) انظر المزهر للسيوطى (بولاق) ج ١ ص ١٠٤

(٣) طبعت الرسالة المذكورة على هامش كتاب التيسير فى علوم التفسير لعبد العزيز الدميرى ص ١٠٩ فما بعدها . وانظر عدا ذلك الفهرست لابن النديم فى المقالة الثانية وما ذكره من تراجم النحويين واللغويين وأسماء كتبهم .

وفى التركيب الجملى العام (Syntax) ؛ على حين أرجعوا اختلاف اللهجات بعضها مع بعض إلى الاختلاف الصوتى فى الكثير الغالب ، والاختلاف فى بقية العناصر الأخرى فى القليل النادر ، مع ضرورة احتفاظ جميع لهجات اللغة الواحدة بمقدار مشترك من ذلك كله يحول دون تباعد هذه اللهجات عن اللغة الأصلية ، أو تباعدها بعضها مع بعض إلى حد يخرجها عن فصيلتها اللغوية .

بيد أن المتخصصين فى علم اللغة العربية من المحدثين نراهم عند محاولة تطبيق ذلك المنهج على العربية — ولاسيا العربية القديمة — لم يكادوا يخرجون به عن دائرة البحوث الفردية ، ولم ينتقلوا إلا قليلا نحو الملاحظات الكلية ، والمبادىء العامة الأساسية [1]. وعذرهم فى ذلك واضح لأسباب عدة ، منها :

(ا) ان النهضة العربية بعد الاسلام فتحت أبواب الجزيرة العربية على مصراعيها ، فنزح العرب الى أوطان غير أوطانهم أخضعت لهجاتهم لكثير من المؤثرات التى لم يكن لهم بها عهد ، كما جعلت أوطانهم الأصلية حمى مباحا ومرعى خصيبا لغيرهم من الأمم التى دخلت فى الاسلام أو احتكت به ، فكان ذلك سبباً فى خروج العربية من نطاقها الضيق المحدود الذى حفظ لها مقوماتها زمنا طويلا ، وتحولها الى لهجات جديدة تخالف اللهجات الأولى فى كثير من الخصائص والألوان ، مع ملاحظة قوة العربية وشدة حيويتها حيث لم يؤد ذلك بها الى التفتت والانحلال .

(ب) أن العلوم الاسلامية قامت على أساس القرآن ، وكذلك علوم العربية انما كان محورها هو حفظ كلام الله من تسرب اللحن والخطأ اليه ،

(1) أكثر الكتب والبحوث التى عالج بها المستشرقون والعرب اللهجات العربية فى العصر الحديث متسم بذلك الطابع . ومن ذلك بحوث نولدكه وفلهاوزن وفلايشر ويوهان فك وغيرهم . نعم حاول بروكلمان فى كتابه فى مقارنة النحو السامى بناء منهج لدراسة اللهجات فى اللغات السامية ، ولكن ذلك كما يدل العنوان يتجه الى المبادىء النحوية والصرفية بصفة أساسية ، كما أنه يلقى أكثر الضغط على اللهجات الحديثة فقط .

والاستعانة على ذلك بكل ما يجرى معه فى نسق من آداب العرب وآثارها ، مع اطراح ما عدا ذلك مما لا يتفق مع لغة القرآن وأساليبه [١] .

وقد شهد العالم العربى معارك عنيفة فى ذلك السبيل . فسرعان ما نشأ بعد الاسلام بقليل مذهب لغوى جعل هدفه تنقية اللغة العربية وتطهيرها لا من الدخيل فحسب ، بل كذلك من كل ما لا ينسجم مع أساليب التعبير فى اللغة العربية الفصحى ، أى لغة قريش ، أو على أوسع الفروض اللغة التى كانت سائدة فى الاستعمال الفصيح العام ، سواء أكانت كلها قرشية ، أم كان بعضها راجعاً إلى لهجات عربية أخرى . ومن حملة لواء هذا المذهب أكثر علماء العربية ، ابتداء من أبى الأسود الدؤلى — إذا صحت الروايات — حتى أواخر العصر الاسلامى الوسيط [٢] .

بل قد نستطيع أن نذهب الى أبعد من ذلك فنزعم أن الخلاف بين المدرستين النحويتين العربيتين : البصرية والكوفية ، إنما كان فى حقيقة الأمر خلافاً بين تلك اللغة العامة السائدة فى الاستعمال الفصيح المشهور بوجه عام ، وإن كان النصيب الأغلب فى ذلك للهجة قريش ، وبين العربية ، أى اللغة العربية أنى حلت ، وحيث ارتحلت ، وأياً كانت لهجة العربى الذى نطق بها وثبتت عنه الرواية والنقل .

فان البصريين وإن بنوا مذهبهم على تفكير علمى بحت ، يقوم على القاعدة العامة ، والقياس المطرد ، والكثير الغالب فى الاستعمال ، مع مراعاة جانب الحكمة والمعدلة فى كل الأحكام والظواهر النحوية [٣] . إلا أنهم كانوا ضيقى العطن إزاء اللغات والنوادر وإن صحت عربيتها ، وثبتت روايتها ، حتى إنهم أجازوا للعربى أن يقول ما شاء ، ويلقى الكلام على عواهنه ،

(١) انظر كلمة الفارابى السالفة الذكر فى المزهر للسيوطى ج ١ ص ١٠٤ (بولاق)

(٢) بنى يوهان فك كتابه : العربية (ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار) على بحث هذا المذهب وتتبع اتجاهاته .

(٣) انظر مقدمة كتاب الانصاف فى مسائل الخلاف ، التى كتبها G. Weil : ص ٧ فما بعدها .

على حين منعوا غير العربي أن يستعمل فى التعبير إلا ما قضت به القاعدة العامة ، والقياس المطرد ، والاستعمال الغالب :

بل إنهم كانوا يغلطون العرب أنفسهم إذا شذوا عن قواعدهم ، ويتمحلون لهم وجوه الضرورات والمعاذير . بل كذلك فى القرآن نفسه كانوا إذا وجدوا ما لا يتفق مع أسسهم وقواعدهم يلجأون إلى تلحين القراء. كما لحنوا أحد قراء السبعة المشهورين وهو نافع بن أبى نعيم فى قراءته « معائش » بالهمز بدلا من الياء وغيره [1] .

ولعل الكوفيين من هذه الوجهة ، كانوا أقرب إلى الانصاف العلمى التاريخى ، إذ كانوا ترزن أن العرب أولى وأحق بلغتهم ، فلهم أن يسلكوا فى التعبير ما تهيأ لهم من وسائل ، وأن يكيفوا لهجاتهم طبقاً لما تقضى به نواميس الاختلاف القبلى وما يتبعه من عوامل مادية ومعنوية تختلف بسببها ألسنتهم ، وعلى اللغويين أن يسجلوا ذلك ويجمعوه إذا حرصوا على التعرف إلى العربية المطلقة ، كما على النحويين أن يتتبعوا ذلك كله ويحصوه ، ويضبطوه بضوابطهم ومقاييسهم .

ولكن كلا من هؤلاء وهؤلاء — أى اللغويين والنحويين — تقيدوا بالاستعمال القرآنى ، وحرصوا على التزام جادته . وكم ذا كنا نقف على أسس لا غناء عنها فى دراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة ونشأتها لو أن الأقدمين كانت عندهم حاسة علمية تاريخية ، أو لو لم يحل حائل دون السير على هدى تلك الحاسة ، فعنوا بجمع ألسنة القبائل جميعاً .

وتلك المدرسة الكوفية ، الحرة المذهب ، الواسعة الصدر ، لم يقدر لها الاستمرار والازدهار كما قدر ذلك المدرسة البصرية التى سبقتها فى النشأة ، ثم قضت عليها أخيراً . بل كذلك أكثر آثار الكوفيين وكتبهم لم يقدر لها البقاء فى الغالب . وكأن الزمن ، والاحن ، والتعصب المذهبى

(١) انظر هذا المثال وغيره فى كتاب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ١٧

قد تضافرت كلها على وأد ذلك المذهب وآثاره إلا ما تفرق في بطون الكتب، وكان الاعتماد في نقل القسم الأكبر منه على خصومه أصحاب المذهب البصري أنفسهم .

(ج) ان القليل من اللهجات الذى جمعه علماء العربية القدامي لم يجمع بطريقة منهجية منظمة ، ولم يدون بالدقة اللازمة في نسبة اللهجات إلى قبائلها ، حتى إننا — كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الخاص بالعنعنة — نرى المعاجم العربية تسوق الحشد الكثير من الألفاظ والمواد المختلفة ، وتذكر لها تفسيرات يبدو بصراحة ووضوح أن جانباً كبيراً منها لم يتكاثر إلا بسبب اختلاف اللهجات ، وتعدد مناحيها في التعبير الصوتي أو غيره ، ومع ذلك لا نجد إلا في القليل النادر من ينبه إلى ذلك .

— ٥ —

بيد أن هناك محاولات متواضعة قد اتجهت في عصر مبكر من عصور العلم العربي إلى دراسة اللهجات بطريقة مباشرة أحياناً ، وغير مباشرة أحياناً أخرى . وذلك بتحديد مظاهر اختلاف اللهجات ، ووضع منهج عام لذلك الاختلاف .

ولم تؤت تلك المحاولات ثماراً ناضجة في هذا السبيل ، ولا سيا في ذلك العصر القديم ، لما توافر من أسباب الانصراف التى أشرنا إليها عن متابعة ذلك . ولكن بعض الباحثين المحدثين اتجه إلى الانتفاع بذلك المنهج ، والبناء على أساسه ، وأغلب الظن أننا في أشد الحاجة إلى إحيائه ، واستخدام مثله وطرائقه ، والتوسع في ذلك توسعاً كبيراً ، فقد نصل على ضوئه إلى حل كثير من المعضلات التى تكتنف دراسة اللهجات ، والكشف عن كثير من مخبآت الكنوز الأدبية ، والمعاجم اللغوية العربية .

وقد صدرت تلك المحاولات عن دائرتين مختلفتين نوعا من دوائر العلم العربي : دائرة اللغويين ، ودائرة القراء .

(ا) من أقدم من يمثل دائرة اللغويين الامام اللغوى أحمد بن فارس، الذى عقد فى كتابه : الصاحبي فى فقه اللغة . فصولا مختلفة فى الكلام على لغة العرب ، وفي القول فى اختلاف لغة العرب ، وفى القول فى أفصح العرب ، وفى اللغات المذمومة الخ .

وأخص بالذكر من ذلك الفصل الذى عقده للقول فى اختلاف اللغات ، ومحاولته فيه ضبط وجوه الاختلاف بما يلي :

١ — الاختلاف فى الحركات : نَستعين ونِستعين .

٢ — الاختلاف فى الحركة والسكون : معَكم بفتح العين ومعْكم بسكونها .

٣ — الاختلاف فى إبدال الحروف : أولئك وأولالك .

٤ — الاختلاف في الهمز والتليين : مستهزؤن ومستهزون .

٥ — الاختلاف فى التقديم والتأخير : صاعقة وصاقعة .

٦ — الاختلاف فى الحذف والاثبات : استحييت واستحيت .

٧ — الاختلاف فى الحرف الصحيح يبدل حرفاً معتلا : أمّا زيد وأيما زيد .

٨ — الاختلاف فى الامالة والتفخيم : فى مثل قضى ورمى .

٩ — الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله : فمنهم من يكسر الأول ، ومنهم من يضمه : اشتروا الضلالة ، بكسر الواو أو ضمها .

١٠ — الاختلاف فى التذكير والتأنيث : هذه البقر وهذا البقر ، هذه النخيل وهذا النخيل .

١١ — الاختلاف فى الادغام : مهتدون ومهدّون .

١٢ — الاختلاف فى الاعراب : ما زيد قائماً ، ما زيد قائمٌ ، ان هذين ، ان هذان .

١٣ — الاختلاف فى صورة الجمع : أسرى وأسارى .

١٤ — الاختلاف فى التحقيق والاختلاس : يأمرُكم بضم الراء ويأمرْكم باختلاس الضم قريبا إلى السكون ، وكذلك : عنى له .

١٥ — الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث بالهاء أو التاء : هذه أمة ، هذه أمت .

١٦ — الاختلاف في الزيادة : أنظر وأنظور .

١٧ — اختلاف التضاد : وثب بمعنى قفز وبمعنى جلس .

وهنالك من ينحو مناحي أخرى ، ويتوسع في زيادة جوانب كثيرة لضبط وجوه الاختلاف ، وليس هنا مجال استقصاء ذلك .

*
* *

(ب) وإلى جانب ذلك وجدت طريقة القراء في تحديد مظاهر اختلاف القراءات ، وهي تلك المظاهر التي اصطلحوا على تسميتها بالأصول ، أي أصول القراءات وأسباب اختلافها ، ويقابل ذلك في اصطلاحهم : الفرش ، وهو عرض سور القرآن واحدة بعد أخرى ، وتطبيق ما تشتمل عليه كل آية منها من اختلاف في القراءة على تلك الأصول . وهي طريقة متداولة معروفة عند علماء القراءات . وقد وفى الكلام عليها ابن الجزري [1] وألم بها السيوطي [2] ، وغيرهما من المؤلفين في هذا العلم . ولما كان كثير من اختلاف القراءات — إن لم يكن أكثره — راجعاً الى اختلاف اللهجات ، كان في هذه الطريقة من الصلاحية لدراسة اللهجات على ضوئها ما يسمح باتخاذها أساساً لذلك .

ولعل أول من تنبه الى استخدام هذه الطريقة بتوسع في دراسة اللهجات العربية ، مع الاضافة الى الطريقة اللغوية التي أشرنا اليها من قبل ، هو الشاعر العالم الموهوب ، المغفور له : حفني ناصف (١٨٥٦ — ١٩١٨) الذي كان كما يبدو من مؤلفاته [3] على قدم راسخ ، وعرق عريق في الدراية بعلوم القراءات وأسبابها من الأصوات وعلوم النحو واللغة والبلاغة . فقد اقتبس

(١) أنظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ١ ص ٢٦ فما بعدها .

(٢) ألم بها السيوطي في أنواع متفرقة من كتابه : الاتقان في علوم القرآن ج ١

(٣) من أهم مؤلفاته : مميزات لغة العرب ، وهو بحث ألقاه في مدينة فينا ، بولاق سنة ١٣٠٤ و : تاريخ الأدب وحياة اللغة العربية ، محاضرات بالجامعة المصرية في سنتي ١٩٠٩ — ١٩١٠

كثيراً من أصول القراءات فى تمييز اللهجات العربية ، وولد على أساسها بعض مالم يكن معروفاً أصلاً من اللهجات .

على أنه ربما كان قد سبقه الى ذلك — وإن يكن فى قالب غير منهجى — العالم اللغوى الضليع : أحمد فارس الشدياق (١٨٠١—١٨٨٧) الذى عنى بتطبيق كثير من المبادىء المقررة فى منهجى اللغويين والقراء — وإن لم يصرح بذلك — فى كثير من مؤلفاته ، وأتى بمادة غزيرة من اللهجات القديمة والحديثة المختلفة [1] .

وعلى هذين اللغويين المذكورين بنى كثير من المؤلفين فى العصر الحديث بحوثهم فى دراسة اللهجات ، وفقه اللغة العربية دون تنمية هامة للطريقة التى اقتبساها . ولعل النهضة العلمية الملموسة اليوم فى معاهد التعليم ، وتخصيص معهد لدراسة اللغات الشرقية ، واللهجات بوجه خاص فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ؛ يبشر بدفع هذه الدراسة خطوات موفقة الى الأمام .

* * *

أما تلك الطريقة التى رسمها القراء لبيان أصول اختلاف القراءات فقد ذكرت وجوه عدة فى تصوير نقاطها . وقد صدر علماء القراءات فى ذلك عن محاولة التوفيق بين هذه النقاط التى يرجع اليها الاختلاف وبين الحديث النبوي المتواتر : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه » ؛ فتراهم يقفون عند سبعة وجوه — فى الغالب — يحاولون بها حصر أسباب الاختلاف جميعاً ؛ وإن ذهبوا فى هذه الوجوه وبيانها مذاهب شتى .

ولم يكن غرضهم من الحصر فى الوجوه السبعة بيان أن الحديث يقصد إلى ذلك ، بل مجرد الاستئناس بالحديث : والتبرك بما ذكر فيه من عدد .

(١) أنظر : C. Brockelmann, Gesch. d. ar. Lit. B 2. 505 Suppl. 2. 867

ومن أهم مؤلفات الشدياق :

سر الليال فى القلب والابدال ، الجاسوس على القاموس ، الساق على الساق ، الواسطة فى أحوال مالطة ، وفى الكتاب الأخير تحليل قيم مختصر للهجة العربية الحديثة فى جزيرة مالطة .

على أن بعض العلماء ظن خطأ أن ذلك هو مقصد الحديث . وقد أبطل ذلك علماء القراءات [1] . ونكتفي هنا بعرض صورة واحدة من الوجوه التي صورت بها نقاط الاختلاف المذكور . فمن ذلك ما ذكره الامام أبو الفضل الرازي إذ يقول [2] :

ان الكلام لا يخرج اختلافه عن سبعة أوجه :

الأول : اختلاف الأسماء من الافراد والتثنية الجمع والتذكير والتأنيث والمبالغة وغيرها .

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال وما يسند اليه من نحو الماضي والمضارع والأمر ، والاسناد إلي المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به .

الثالث : وجوه الاعراب .

الرابع : الزيادة والنقص .

الخامس : التقديم والتأخير .

السادس : القلب والابدال في كلمة بأخرى وفي حرف بآخر .

السابع : اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتسهيل وإدغام وإظهار ونحو ذلك .

وهناك وجوه أخرى — كما ذكرنا — لا داعي إلى الاطالة بها . وهذه الوجوه وإن قصرت بادىء ذي بدء على القراءات القرآنية ، فهي تصلح أساساً للاقتباس في دراسة اللهجات وفروقها ، وقد يحسن هنا أن نختار منها نقطة لبيان ما تحدثه من الأثر في اختلاف اللهجات .

(1) أنظر ابن الجزري في كتاب النشر ص ٢٣ فما بعدها

(2) أنظر ابن الجزري ج ١ ص ٢٧

الإدغام

هذا الأصل بعيد الأثر في اختلاف اللهجات القديمة والحديثة ، وتطور اللهجات الحديثة بوجه خاص .

وربما استطعنا أن نلمح فيه سبباً وجيهاً لظاهرة هامة في لهجاتنا الحديثة ، تقف أمامها حائرين دون أن نجد السبيل إلى ربطها بالعربية القديمة ، وطريقة تفرعها عنها .

تلك هي ظاهرة تلاشي الاعراب السائدة في اللهجات الحديثة ، مع ما يكاد يشبه الاجماع بين علماء اللغات على أن الأعراب كان من أهم الظواهر العربية الشديدة اللصوق باللغة ، والتي تعد جزءاً من ماهيتها ، ووسيلة أساسية في التمييز بين مختلف المعاني والأغراض .

والادغام — وخاصة الادغام الكبير المعروف عند القراء واللغويين — هو تسكين أول الحرفين المتماثلين أو المتجانسين أو المتقاربين ، ونطقه مثل الحرف الثاني ، أي إهمال إعرابه وحذفه .

وهذا الادغام منتشر انتشاراً كبيراً في العربية ، وفي القرآن الكريم نفسه ، وحسبنا أن نستعرض صوره ومواضعه في القرآن لنطمئن إلى صحة ما ذكرنا :

١ — يقع إدغام المتماثلين في سبعة عشر حرفاً ، هي : الباء والتاء والثاء والحاء والراء والسين والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والواو والهاء والياء .

أمثلة

الكتاب بالحق ، الموت تحبسونهما ، حيث ثقفتموهم ، النكاح حتى ، شهر رمضان ، الناس سكارى ، يشفع عنده ، يبتغ غير الاسلام ، اختلف فيه ، أفاق قال ، إنك كنت ، لا قبل لهم ، الرحيم مالك يوم الدين ، فهو وليهم ، فيه هدى ، يأتي يوم .

وهو كثير أيضاً فى الأدب والشعر العربى ، ومنه قول عدى بن زيد :

وتذكر رب الخورنق اذ فكـ ـر يوما وللهدى تفكير

وقال غيره :

عشية تمنى أن تكون حمامة بمكة يؤويك الستار المحرم

٢ — ويقع إدغام المتجانسين والمتقاربين فى ستة عشر حرفاً جمعها بعض من حاول تسهيل حفظها فى : « رض سنشد حجتك بذل قثم » .

فالباء تدغم فى الميم نحو : يعذب من يشاء .

والتاء فى عشرة مواضع :

الثاء : بالبينات ثم [illegible]

الجيم : الصالحات جنات .

الذال : السيئات ذلك .

الزاى : الجنة زمراً .

السين : الصالحات سندخلهم .

الشين : بأربعة شهداء .

الصاد : والملائكة صفاً .

الضاد : والعاديات ضبحا .

الطـاء : أقم الصلاة طرفى النهار .

الظـاء : الملائكة ظالمى أنفسهم .

والثاء فى خمسة مواضع :

فى التاء : حيث تؤمرون .

الذال : الحرث ذلك .

السين : وورث سليمان .

الشين : حيث شئتما .

الضاد : حديث ضيف ابراهيم .

والجيم فى موضعين :

في الشين : أخرج شطأه .

التاء : ذى المعارج تعرج .

وهكذا الى آخر الحروف المذكورة . وهذا برهان ظاهر على أن العربية الفصيحة ، بل الفصحى أيضاً ، كانت تهمل الاعراب فى كثير من المواضع بل فى أكثر من الكثير . أفلا يصح اتخاذ ذلك أساساً سليما لتفسير انتشار هذه الظاهرة فى اللهجات الحديثة ؟ .

وفى غير الادغام من وجوه الاختلاف الأخرى تفسير وكشف عن كثير من الأسرار فى تطور اللهجات ، ولذلك مقام آخر .

التشيع في الشعر المصرى

في عصر الأيوبيين والمماليك

للدكتور محمد كامل حسين

(١) لمحة عن التشيع في مصر الى سقوط الدولة الفاطمية :

في بحث لنا تتبعنا فكرة التشيع في مصر الإسلامية حتى دخل الفاطميون مصر سنة ٣٥٧ هـ [١] ، وتتلخص هذه الفكرة في أن أكثر مسلمى مصر في هذا العهد كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ، وأن قليلا منهم كانوا يدينون بالتشيع ، ولكن هؤلاء الشيعة من المصريين لم يشتركوا اشتراكا إيجابياً في حركات فرق الشيعة التي ظهرت في الأقطار الاسلامية الأخرى ، إذ لم يذكر مؤرخو مصر شيئاً عن صدى حركات الشيعة في مصر سوى حركة محمد النفس الزكية سنة ١٤٤ هـ ، ولكن هذه الحركة سرعان ما خمد أوارها ، ولم تظهر لها في مصر نتائج سياسية أو مذهبية . ولم يكن للمصريين في هذا العصر رأى شيعي خاص بهم ، ولم تظهر لهم فلسفة شيعية مثل هذه الفلسفات التي نراها عند فرق الشيعة في العراق وفارس والشام ، إنما كان التشيع في مصر يكاد ينحصر في حب أهل البيت ، وهذا رأى كثير من المسلمين غير المتطرفين ، فعلماء أهل السنة في مصر وفي غير مصر كانوا يحبون أهل البيت ، وعندنا الشافعي والنسائي المحدث وغيرهما دليل على ذلك ، بل من العلماء من كان يفضل على بن أبي طالب على الشيخين ، وفي مصر

(١) M. Kamil Hussein : Shi'ism in Egypt befor ethe Fatimids (I. R. A. Miscellany Vol. I. p. 73. 1948.

وكتاب في أدب مصر الفاطمية ص ٨ مقدمة (طبع دار الفكر العربى) .

كان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم رئيس المدرسة المالكية وابن الحداد القاضي وغيرهما كانوا يفضلون علياً على أبي بكر وعمر [١] .

ومع ذلك لم ينحرف هؤلاء الأعلام عن مذهب أهل السنة والجماعة .

وهكذا عاش المصريون بعيدين عن التيارات والمعتقدات الشيعية التي كثرت في غير مصر من البلدان، حتى ظهر عبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب سنة ٢٩٦ هـ ، وكانت دعوته دخلت مصر من قبل على أيدى بعض دعاته من أمثال فيروز وأبي على وأبي جعفر بن نصر وغيرهم [٢] ، واعتنق بعض المصريين هذه الدعوة سراً وكاتبوا المهدى لفتح مصر ، فأرسل المهدى هذه الحملات المتعددة التي ذكرها المؤرخون ، وكان قواد هذه الحملات يكاتبون إخوانهم من المصريين لتأييدهم والعمل على نجاح حملاتهم ، وحفظ عريب بن سعد مقطوعة شعرية من قول أبي القاسم بن المهدى (القائم بأمر الله الخليفة الفاطمي الثاني) يخاطب بها جماعة من المصريين الذين استجابوا لدعوة الفاطميين [٣] ، ومع ذلك لم يذكر المؤرخون شيئاً عن تحرك المصريين لتأييد حملات الفاطميين ، ولم نعرف أن عقائد الفاطميين انتشرت في مصر انتشاراً كان له أثر في الحياة الفكرية ، فقد ظل أكثر المصريين على مذهب أهل السنة والجماعة يختلفون فيما بينهم بين آراء مالك والشافعي ، وقل أن نجد بينهم من كان على مذهب أبي حنيفة أو من يقول بمقالات المعتزلة أو الشيعة .

ولما فتح جوهر الكاتب أحد قواد المعز لدين الله الفاطمي مصر سنة ٣٥٨ هـ كتب أماناً للمصريين ، ونص على أن يترك للمصريين حريتهم في اختيار العقيدة التي يرضونها لأنفسهم ، وأن لا يحملهم كرهاً على تغيير مذهبهم أو دينهم الذي دانوا الله به [٤] ، ولكن الفاطميين لم يحترموا هذا الأمان

(١) ابن حجر العسقلاني : رفع الإصر عن قضاة مصر ص ٩٩
(٢) ابن زولاق : سيرة سيبويه المصرى ص ٤٠ وجعفر بن منصور : الفترات والقرانات (نسخة خطية بمكتبتي) .
(٣) عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ص ٤٢ (طبع المطبعة الحسينية بمصر) .
(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٤٨ — ١٥٣ (طبع دار الفكر العربى) .

فقد قامت دولتهم على أساس عقيدتهم المذهبية فكان من الطبيعى أن يعملوا على صبغ البلاد التى تخضع لحكمهم بهذه الصبغة المذهبية التى تمايزوا بها ، فلا غرابة أن رأينا دعاتهم ينشطون فى كل البلاد وفى كل المجتمعات يكالبون أصحاب المذاهب الأخرى ويعقدون مجالس الحكمة التأويلية ويأخذون العهد على كل مستجيب ، واتخذوا للدعوة لمذهبهم وسائل وتدابير مختلفة : فاستجاب كثير من المصريين إلى دعوتهم وعقيدتهم وظل بعض المصريين على عقيدته ومذهبه ، ولكن عقائد الفاطميين شغلت أذهان المصريين طوال الحكم الفاطمى حتى تأثر بها المصريون جميعاً سواء من دخل منهم فى الدعوة أو من ظل مستمسكا بمذهب أهل السنة والجماعة ، حتى خيل إلى كثير من الباحثين أن المصريين جميعاً أصبحوا يتمذهبون بعقيدة الفاطميين ويتبعون التقاليد الفاطمية ، أى أن مصر قد طبعت بطابع العقائد الفاطمية طوال السنين التى خضعت فيها لحكم الفاطميين .

وبالرغم من أن نفوذ العقائد الفاطمية كان متغلغلا فى مصر فان هناك عدة عوامل عملت على إضعاف هذه العقيدة فى نفوس المصريين ، ولعلنا لا نغالى إذا قلنا إن هذا الضعف بدأ فى عهد الحاكم بأمر الله (المتوفى حوالى سنة ٤١١ هـ) ولا سيما بعد أن وفد على مصر دعاة تأليه الحاكم أمثال الدرزى وحمزة والأخرم الفرغانى [1] ، ونحن نعلم أن المصريين ثاروا على هؤلاء الدعاة ، وقتلوا الأخرم سنة ٤٠٨ هـ ، وأن الدرزى وحمزة هربا ، وأن الحاكم انتقم من المصريين فحرق الفسطاط وقتل عدداً كبيراً من المصريين ، وكانت خاتمة حياة الحاكم نهاية لهذه الدعوة الالحادية الجريئة فى مصر ، ولكن كان من نتائجها أن بدأ الناس يشكون فى عقيدة الفاطميين وفى كل ما قاله الدعاة عن الامامة والأئمة ، وظهرت هذه النتيجة بشكل لافت فى عهد المستنصر بالله (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ) ولا سيما فى تلك السنوات من حكمه التى ضعفت فيها الحياة الاقتصادية وبلغت درجة من الانحطاط جعلت الناس

(١) راجع الرسالة الواعظة لأحمد حميد الدين الكرمانى نشر محمد كامل حسين (بمجلة كلية الآداب عدد مايو سنة ١٩٥٢) .

لا يرعون للامام حرمة ولا للعقيدة وزنا ، فضعفت ثقة المصريين فى عقيدة الامام المعصوم وأنه الواسطة بين الله والخلق ، وفي عقيدة النص على ولاية العهد ، وهى العقيدة التى كانت أساس مذهب الاسماعيلية وسببا فى انقسام الشيعة الامامية إلى إسماعيلية وموسوية ، فتهاون المصريون بهذه العقيدة مما سهل الأمر للافضل بن بدر الجمالى فى تحويل الامامة بعد المستنصر إلى المستعلي وحرم منها صاحب النص نزار بن المستنصر ، فانقسمت الدعوة إلى فرعين رئيسيين هما : الاسماعيلية النزارية . التى عرفت بالاسماعيلية الشرقية أحيانا ، وبالاسماعيلية الحشيشية أحيانا أخرى ويعرفون الآن بالخوجه أو الأغاخانية ، وإمامهم الآن هو أغا خان المعروف . والفرع الآخر هو الاسماعيلية المستعلية أو الاسماعيلية الغربية وهى التى ظلت فى مصر واليمن ؛ فكان هذا الانفصال من عوامل ضعف العقيدة وزعزعتها من نفوس المصريين . أضف إلى ذلك أنه لما قتل الآمر بأحكام الله سنة ٥٢٤ ﻫ ولم يكن له ولد ، ذهب الصليحيون أصحاب الدعوة فى اليمن إلى أن الآمر لما قتل كانت إحدى جهاته حاملا ، وأنها أنجبت ولداً له هو الطيب بن الآمر ، وأن الامامة للطيب هذا ، وأنه دخل الستر وجعل الملكة الحرة الصليحية حجته وصاحبة الستر عليه ، فوجد بذلك فرع جديد للاسماعيلية وعرفت هذه الدعوة بالدعوة الطيبية ولا تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم وأتباع هذه الدعوة يعرفون الآن بالبهرة ، وداعيهم المطلق هو طاهر سيف الدين ، وإمامهم من نسل الطيب بن الآمر لا يزال فى دور الستر . أما فى مصر فلم يعترف المصريون بشيء اسمه الطيب بن الآمر ، وأقيم عبد المجيد بن محمد بن المستنصر المعروف بالحافظ لدين الله كفيلا للامام المنتظر فى أول الأمر ثم اعترف بامامته بعد ذلك . فكان الاعتراف بامامته خارجا عن أسس الامامة عند الاسماعيلية ، إذ الامامة عندهم لا تكون إلا فى الأعقاب[1] وأن الامام ينص على حجته وولى عهده من أبنائه ، ولا تنتقل الامامة من أخ إلى أخ بل لا بد أن تكون من أب إلى ابن ، والحافظ لم يكن ابنا لامام فليس له حق فى الامامة ، ومع ذلك اعترف به المصريون إماماً لهم تهاونا منهم بالعقيدة

(١) المجالس المؤيدية ج١ ص٥ (نسخة خطية بمكتبتى) والمجالس والمسايرات ، ورقة ٧٩ نسخة خطية بمكتبتى) .

الاسماعيلية مما أدى إلى زيادة استخفافهم بالفاطميين وعقائدهم ، وإلى زعزعتها من نفوس كثير ممن استجابوا لها من المصريين .

وبلغ التهاون حداً بعيداً حين نرى الوزير الفاطمى أبا الحسن بن السلار المنعوت بالملك العادل سيف الدين الذى تولى الوزارة للظافر سنة ٥٤٤ ﻫ يتظاهر بالتدين على مذهب الشافعى ؛ ولما وصل الحافظ أبو طاهر أحمد السلفى الى الاسكندرية واتخذها دار مقامه احتفى به العادل ابن السلار وعمر له هناك مدرسة فوض تدريسها إليه ، ولم يكن للشافعيين بالاسكندرية سواها[1] وهو عمل لا يقدم عليه الوزير إلا إذا كان على ثقة تامة أن أتباع العقيدة الفاطمية لا يستطيعون مقاومته ، وذلك لضعفهم واتزعزع العقيدة من نفوس أكثر المصريين ، وهناك قصة عمارة اليمنى مع سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء صهر الملك الصالح طلائع بن رزيك ، وهى إن دلت على شىء فانما تدل على أن الشك فى العقيدة الفاطمية دب فى نفس سيف الدين [2]. وقصة أخرى ذكرها عمارة أيضاً ترينا كيف كان الداعى ابن عبد القوى والوزير شاور وابنه الكامل يفكرون فى تسيير الدعوة لولدى صاحب عدن ونقل مركز الدعوة الى عدن ، فاستشاروا عمارة فى ذلك فقال : «إن أهل اليمن إنما يبعثون لكم الهدايا والتحف والنجاوى ويتولونكم لأجل الدعوة ؛ فاذا تبرعتم بها فقد هونتم حرمتها » [3] فهذه كلها أدلة نسوقها على ماذهب إليه عن مدى ضعف العقيدة فى نفوس أكثر المصريين فى أواخر أيام الفاطميين ، حتى فى نفوس بعض الدعاة وكبار رجال الدولة .

(٢) التشيع بعد الفاطميين :

ومع هذا الضعف الذى حل بمذهب الفاطميين فى مصر ، فقد كان مظهر التشيع واضحا بين بعض المصريين ؛ وليس أدل على ذلك من تلك الصورة

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٠ (طبع المطبعة الميمنية) .
(٢) عمارة اليمنى : النكت العصرية ص ١٢٦ (طبع سالون) .
(٣) نفس المرجع السابق ص ٩٢

البقوية التى رسمها القاضى الفاضل فى إحدى رسائله ، يصور فيها مدى تظاهر المصريين بالتشيع وبالتقاليد الفاطمية فقد قال :

إن كلمة السنة بها وإن كانت مجموعة فانها مقموعة ، وأحكام الشريعة وإن كانت مسماه فأنها متحاماة ، وتلك البدع بها على ما يعلم ، وتلك الضلالات فيها على ما يخفى فيه بفراق الاسلام ويحكم ، وذلك المذهب قد خالط من أهله اللحم والدم ، وتلك الأنصاب قد نصبت آلهة تعبد من دون الله وتعظم وتفخم ، فتعالى الله عن شبه العباد ، وويل لمن غره تقلب الذين كفروا فى البلاد . . . ووصلنا البلاد ، وبها أجناد عددهم كثير وسوادهم كبير ، وأموالهم واسعة ، وكلمتهم جامعة ، وهم على حرب الاسلام أقدر منهم على حرب الكفر ، والحيلة فى الشر فيهم أنفذ من العزيمة فى الجهر ، وبها راجل من السودان يزيد على مائة ألف كلهم أغنام أعجام ، إن هم إلا كالأنعام لا يعرفون رباً إلا ساكن قصره ، ولا قبلة إلا ما يتوجهون إليه من ركنه وامتثال أمره ، وبها عسكر من الأرمن باقون على النصرانية ، موضوعة عنهم الجزية ، كانت لهم شوكة وشكة وحمة وحمية ، ولهم حواش لقصورهم من بين داع تتلطف فى الضلال مداخله ، وتصيب القلوب مخاتله ، ومن بين كتاب تفعل أقلامهم أفعال الأسل ، وخدام يجمعون إلى سواد الوجوه سواد النحل ، ودولة قد كبر نملها الصغير ، ولم يعرف فيها غير الكبير ، ومهابة تمنع ما يكنه الضمير ، فكيف بخطوات التدبير ، هذا إلى استباحة للمحارم ظاهرة ، وتعطيل للفرائض على عادة جارية جائرة ، وتحريف للشريعة بالتأويل ، وعدول إلى غير مراد الله بالتنزيل ، وكفر سمي بغير اسمه ، وشرع يتستر به ويحكم بغير حكمه ، فما زلنا نسحتهم سحت المبارد للشفار ، ونتحيفهم تحيف الليل والنهار ، بعجائب تدبير لا تحتملها المساطير ، وغرائب تقدير لا تحملها الأساطير ولطيف توصل ، ما كان من صلة البشر ولا قدرتهم لولا إعانة المقادير [1] . . .

(1) أبو شامه : الروضتين ج ١ ص ٢٤١

هذه صورة لحالة الدعوة الفاطمية فى مصر حين قام صلاح الدين الأيوبى بمحوها من البلاد . رسم هذه الصورة رجل عاش فى بلاط الفاطميين فى أواخر أيامهم ؛ فقد كان كاتباً من كتابهم . مطلعاً على أسرارهم . ثم انقلب عليهم واستوزر لصلاح الدين فكان عضده الأيمن فى القضاء على الفاطميين ، ولسنا فى مجال الحديث عن القاضى الفاضل ، وإنما الذى يهمنا فى وصفه أن العقيدة الاسماعيلية قد خالطت من المصريين اللحم والدم ، وأنه دبر تدابير مختلفة للقضاء على الفاطميين وكان نجاحه من المقادير ، والذى يقرأ هذه الرسالة للقاضى الفاضل يروعه وصف القاضى الفاضل بتغلغل العقيدة الفاطمية فى المصريين ، بينما نذهب نحن إلى أن العقيدة ضعفت عند المصريين ، فالقاضى الفاضل قد وصف القصر والحاشية من كبار رجال الدولة من دعاة وكتاب ، وهؤلاء بحكم صلتهم بالامام الفاطمى كانوا على نحو ما ذكره القاضى الفاضل ، ثم إن القاضى الفاضل قد بالغ فى تصويره هذا ليضفى على ما قام به صلاح الدين الأيوبى من تقويض أركان الدولة الفاطمية قيمة وخطراً ، ولم يتحدث القاضى الفاضل عن الشعب نفسه ، فالشعب المصرى كان موزع الهوى بين هذه التقاليد الفاطمية التى ورثها عن قرنين من الزمان ، وبين ما طرأ على هذه العقيدة الفاطمية من ضعف ، لهذا تحول عدد من شيعة مصر إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، وبقى عدد آخر على تشيعه وتأثره بالفاطميين ، ولا سبيل لصلاح الدين الأيوبى ولا لغير صلاح الدين إلى انتزاع عقيدة من العقائد بحد السيف أو بالتدابير التى أشار إليها القاضى الفاضل فى رسالته السابقة ، فليس من السهل اليسير أن يقتلع دين من الأديان بمجرد تغيير النظام السياسى فى بلد من البلاد ، إنما يحتاج التغيير إلى سنوات عديدة وإلى تدابير ليست هى من تدابير القوة والبطش فحسب ، وإذا نظرنا إلى الذين استجابوا لصلاح الدين وناصروه فسنجد أن جلهم بين هؤلاء الذين لم يعتنقوا المذهب الاسماعيلى ولم يتحولوا عن عقيدتهم ؛ عقيدة أهل السنة والجماعة ، وثبتوا أمام دعاة الاسماعيلية وسلطان أئمتهم ، وبين هؤلاء الذين استجابوا إلى مذهب الاسماعيلية ولكن ضعفت عقيدتهم من نفوسهم لما رأوا أن القائمين على هذه العقيدة انحرفوا عنها

ولم يعملوا بأصولها ولا بفروعها . فتحول هؤلاء عن اسماعيليتهم وهم مطمئنون بعد أن دب الشك فى نفوسهم ، وفريق ثالث من الذين ساعدوا صلاح الدين فى قطع الخطبة للفاطميين وتحويلها إلى العباسيين هم هؤلاء الذين يعرفون بأنهم يأكلون على كل الموائد ، ولا يعملون إلا لأنفسهم ، ويحاولون الافادة من كل تغيير ، فهم أتباع كل جديد لا لشيء سوى الافادة من النظم الجديدة ، فكثير من رجال الدولة الفاطمية أصبحوا من ألد أعدائها فى عصر الأيوبيين ، ومن هؤلاء القاضي الفاضل نفسه والقاضي ابن سناء الملك ، والقاضي ابن الزبير وابنا القاضي الجليس ابن الحباب وغيرهم . أما الشعب ولا سيا طبقة الجهال فقد ظلوا على اسماعيليتهم .

وهكذا انقسم المصريون بين مؤيد لصلاح الدين وحركته فى إبادة التشيع من مصر ، وبين مستمسك بتشيعه يندب أيام الفاطميين ويبكى على أئمته ، وقد حاول هؤلاء مراراً أن يعيدوا الخلافة الفاطمية ، فكان يظهر من حين لآخر من كان يدعو فى البلاد إلى الفاطميين فيلتف الناس حوله ، وتخف جنود الأيوبيين للقضاء على حركته ، فمن ذلك ما كان فى سنة ٥٦٩ ه إذ قام بعض رجال الدولة الفاطمية برياسة هبة الله بن كامل قاضى القضاة وداعى الدعاة بحركة لإعادة ملك الفاطميين فى مصر ، وأسهم فى هذه الحركة عمارة اليمنى بالرغم من تسننه ، والداعى عبد الجبار بن اسماعيل بن عبد القوى وغيرهما وامتدت هذه الثورة إلى حد أنهم كاتبوا الصليبيين وشيخ الجبل « راشد الدين سنان » زعيم الاسماعيلية النزارية فى الشام ، ولكن هذه الحركة فشلت وقبض على رؤسائها وقتلوا صلباً ، كذلك نقول عن حركة الداعى قديد القفاص بالاسكندرية وهى الحركة التى وصفها القاضي الفاضل فى إحدى رسائله بقوله : « وما يطرف به المولى أن ثغر الاسكندرية على عموم مذهب السنة فيه ، أطلع البحث أن فيه داعية خبيثاً أمره ، محتقراً شخصه ، عظيما كفره يسمى قديد القفاص ، وأن المذكور مع خموله فى الديار المصرية قد فشت فى الشام دعوته ، وطبقت عقول أهل مصر فتنته ، وأن أرباب المعايش فيه يحملون إليه جزءاً من كسبهم ، والنسوان يبعثن إليه شطراً

وافيا من أموالهن . ووجدت في منزله بالاسكندرية عند القبض له والهجوم عليه كتباً مجردة فيها خلع العذار وصريح الكفر الذى ما عنه اعتذار ، ورقاع يخاطب بها فيها ما تقشعر منه الجلود ، وبالجملة فقد الاسلام أمره ، وحاق به مكره وصرعه كفره »[1] .

ونذكر ثورة كنز الدولة بن المتوج أمير أسوان الذى جمع حوله عددا كبيراً من السودان وحاول أن يعيد الأمر للفاطميين فتقدم بجنوده حتى بلغ مدينة قوص ، فسار إليه الملك العادل أخو صلاح الدين — في جيش كثيف سنة ٥٧٠ هـ فهزم كنز الدولة وهرب رجاله إلى بلاد النوبة[2] فطاردهم العادل وشتت شملهم ، فاستقروا في السودان ولم يعودوا إلى أقليم أسوان إلا بعد سنة ٧٩٠ هـ[3] . وكان ابن المتوج مقصد الشعراء في عصره ؛ اتصل به عدد كبير نذكر منهم أحمد بن محمد الأسوانى الفقيه البولاقى[4] ؛ وعبد الله بن أحمد بن سلامه الفقيه[5] ، وسهل الأسوانى[6] ، وعبد الله بن محمد بن زريق[7] وغيرهم من الشعراء ذكرهم الادفوى في كتابه الطالع السعيد ومع ذلك لم تصلنا أشعارهم التى أنشدوها في ثورته ضد الأيوبيين التى أراد بها إعادة الدولة الفاطمية ، ولكن وصلتنا رسالة بقلم القاضى الفاضل في ذكر انتصار جيوش الأيوبيين وفتح بعض بلاد النوبة أرسلها إلى الخليفة المستضىء العباسى عن صلاح الدين ونجد هذه الرسالة في صبح الأعشى[8] فليرجع إليها الباحثون.

ويروى ابن الأثير أن جماعة من الشيعة في مصر ثاروا سنة ٥٨٤ هـ بالقاهرة ونادوا ليلا بشعار الشيعة : يا آل على . يا آل على . وسلكوا الدروب

(١) الروضتين ج ١ ص ٢٢٠

(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٠ وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٤

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) الأدفوى : الطالع السعيد ص ٦٦

(٥) نفس المرجع ص ١٤٤

(٦) نفس المرجع ص ١٣٤

(٧) نفس المرجع ص ١٤٦

(٨) صبح الاعشى ج ٦ ص ٥٠٦

ينادون الناس، ظناً منهم أن أهل البلد يلبون دعوتهم ويخرجون معهم لاعادة الدولة العلوية، وإخراج من كان محبوساً فى القصر من أسرة الفاطميين، ولكن لم يلتفت أحد من المصريين إليهم ولا أعارهم سمعه، فلما رأوا ذلك تفرقوا، ثم أخذوا، وكتب بذلك إلى صلاح الدين فاهمه أمرهم وأزعجه [١].

وفى أواخر القرن السابع فى سنة ٦٩٧ ظهر شخص فى الصعيد ادعى أنه داود بن العاضد الفاطمى، ودعى لنفسه فاستجاب له عدد كبير من أهل الصعيد ومدحه بعض الشعراء على نحو ما سنذكر بعد، ولكن حركته فشلت.

نتبين من ذلك أن الأيوبيين لم يستطيعوا أن ينتزعوا العقيدة الفاطمية الاسماعيلية من نفوس جميع المصريين دفعة واحدة، وأن التشيع ظل فى مصر بعد زوال الدولة الفاطمية وكان بعض المصريين يحنون إلى عهد الفاطميين، ويذهب صاحب الطالع السعيد إلى أن بلادا بأكملها فى مصر كانت تدين بالتشيع حتى القرن الثامن من قرون الهجرة، ففى حديثه عن أدفو قال: كان التشيع بها فاشيا، وأهلها طائفتان الاسماعيلية والامامية، ثم ضعف حتى لا يكاد يتميز به إلا أشخاص قليلة [٢].

ويقول عن اسفون: بلدة معروفة بالتشيع البشع، لكنه خف بها وقل [٣]، وعن إسنا قال: وكان التشيع بها فاشياً، والرفض بها ماشياً فجف حتى خف [٤]، وفى حديثه عن بهاء الدين القفطى هبة الله بن عبد الله ابن سيد الكل حاكم إسنا ومدرس مدرستها المتوفى سنة ٦٩٧ هـ قال: إنه فتح إسنا، فانه كان بها التشيع، فما زال يجتهد فى إخماده وإقامة الأدلة على بطلانه وصنف فى ذلك كتابا سماه «النصائح المفترضة فى فضائح الرفضة» وهموا بقتله فحماه الله منهم [٥]. وفى حديثه عن ابن دقيق العسيد المتوفى سنة ٦٦٧ هـ

---

(١) ابن الأثير الكامل: حوادث سنة ٥٨٤ هـ.
(٢) الأدفوى: الطالع السعيد ص ١٦
(٣) الادفوى: الطالع السعيد ص ١٧
(٤) نفس المصدر السابق ص ١٧
(٥) نفس المصدر ص ٣٩٧

قال : أتى إلى الصعيد فى طالع لأهله سعيد ، فتمت عليهم ، بركاته وعمتهم غلومه ودعواته ، وكان مذهب الشيعة فاشياً فى ذلك الاقليم ، فأجرى مذهب السنة على أسلوب حكيم ، وزال الرفض وانجاب ، وثبت الحق حتى لم يبق فيه شك ولا ارتياب [1] .

وحفظ أسماء عدد من العلماء والأدباء من رجال القرنين السابع والثامن من قرون الهجرة كانوا يدينون بالتشيع نذكر منهم عبد القادر بن مهذب الادفوى — ابن عم صاحب الطالع السعيد — وقيل انه رحل إلى قوص للاشتغال بالفقه فحفظ أكثر التنبيه ، وكان اسماعيلى المذهب مشتغلا بكتاب الدعائم تصنيف القاضى النعمان بن محمد متفقهاً فيه ، وكان فيلسوفاً يقرأ الفلسفة ويحفظ من كتاب زجز النفس وكتاب اثولوجيا وكتاب التفاحة المنسوب إلى أرسطو كثيراً وتوفى سنة ٧٢٥ ﻫ [2] . وكان عبد الملك بن الأعز بن عمران الذى أخذ النحو و الأدب عن الشمسى الرومى متهما بالتشيع مشهوراً به وتوفى سنة ٧٠٧ ﻫ [3] . وأن الشاعر المحدث محمد بن محمد بن عيسى الشيبانى النصيبينى كان متشيعاً [4] . أما القاضى جلال الدين الحسن بن منصور المعروف بابن شواق المتوفى سنة ٧٠٦ ﻫ فقد كان يتشيع ويدرس مذهب الشيعة ثم قبض عليه ، ورحل إلى القاهرة بعد أن صودرت أمواله [5] . ويذكر ابن حجر أن على بن المظفر بن ابراهيم الوادعى الكندى المتوفى سنة ٧١٦ ﻫ وكان كاتبا فى ديوان الانشاء كان يتشيع [6] .

ويطول بنا الأمر لو حصرنا فى هذا البحث القصير من كان يعرف بالتشيع من علماء وأدباء مصر فى عصر الأيوبيين والماليك : وهذا يدل على أن العقيدة الشيعية لم تقتلع من نفوس المصريين جميعاً ، بل ظلت عقيدة بعض

(١) نفس المصدر ص ٢٢٩
(٢) نفس المصدر ص ١٧٦
(٣) نفس المصدر ص ١٨١
(٤) نفس المصدر ص ٣٥٤
(٥) الادفوى : الطالع السعيد ص ١٧٦
(٦) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٣٠

المصريين بالرغم مما أصاب الشيعة فى مصر فى ذلك العصر من أنوان الاضطهاد وبالرغم مما قام به علماء جمهور أهل السنة والجماعة من جهود متواصلة فى تعليم المصريين علومهم وآرائهم بفضل تلك المدارس المذهبية السنية التى انتشرت فى مصر انتشاراً عظيما ، فكانت هذه المدارس هى السبب الأول فى تحول الشيعة فى مصر إلى رأى الجماعة والسنة وسنبين ذلك فى بحث مستقل إن شاء الله .

(٣) شعر المتشيعين :

كان بين بقايا الشيعة فى مصر عدد كبير من الشعراء ، حفظت بعض قصائدهم التى يظهر فيها أثر العقيدة الشيعية التى دانوا بها . نذكر من هؤلاء الشعراء أبا العباس شهاب الدين احمد بن عبد الملك العزازى [٦٣٤—٧١٠ ه] التاجر بقيسارية جهاركس بالقاهرة [١] . كان أديبا بارعاً ولاسيما فى نظم الموشحات وكان يتشيع ويظهر تشيعه فى شعره فمن ذلك قوله :

إذا أنا لم أبت دانى الأماقى	عليه ودانى الكمد القصى
وأمسي فيه ذا وسن ضنين	وأصبح فيه ذا شجن شجي
فلا سارت بقافية ركابى	ولا عادت بناجحة مطى
وإلا لا اعتقدت ولا على	ولا أضمرت حب بنى على
أناس أدركوا أمد المعالى	ونالوا رتبة الشرف العلى
هم سحب الندى يوم العطايا	ويوم الفخر أقمار الندى
إذا كررت ذكرهم كأنى	فتقت لطايم المسك الزكى
أبوهم ذو الجلالة من قريش	وذو النسب الصحيح من النبي
وناصر دينه سراً وجهراً	خلافاً للفريق الجاهلى
وقاهر كل كفار عنيد	وقاتل كل جبار عتى
وضارب يوم صفين وبدر	أعالى هامة البطل الكمى
وكاشف كل مشكلة ولبس	وغامضة بلا حصر وعى

(١) أبو المحاسن : المنهل الصافى ج ١ ص ٣٤٠ (طبع دار الكتب المصرية) .

ألباغى عليهم يوم فخر كأصلهم وفرعهم الزكي
ألساعى بهم نحو المنايا كقدرهم ومجدهم العلى
أتقدر ظلمة الليل الدياجي تغطى آية الصبح الجلى
ترى بعد الحسين يسوغ ماء ويحلو مورد العيش الهنى
وأية عيشة تحلو وتصفو وقد جار العدو على الولى
لقد ظلموا وما حازوا حقوقاً لفاطمة البتول ولا الوصى
بكم يا آل يس وطه تحط خطية الجانى المسى
ويحظى بالشفاعة كل عاص ويسعد كل مجترم شقى
سلام الله والرضوان منه عليكم فى الغدو وفى العشى[1]

فهذه المعانى التى وردت فى هذه المقطوعة لا يمكن أن تصدر إلا من شاعر يعتنق التشيع له دينا ، فولايته لآل البيت ، وإسباغ الفضائل عليهم ، وشفاعته بهم ، وحزنه على الحسين بن على وعلى من قتل من العلويين ، كل هذه معانى شيعية خالصة لا ينشدها إلا شاعر شيعى ، ولكن العزازى فى هذه القصيدة وفى غيرها من قصائده الشيعية فى ديوانه لم يلم بالمعانى الفلسفية الشيعية التى كنا نراها عند شعراء الفاطميين ، بل اكتفى بإيراد المعاني الشيعية العامة التى يقول بها كل فرق الشيعة غير المتطرفة على اختلاف مذاهبهم ، ولذلك صار من الصعب علينا أن نتعرف الفرقة الشيعية التى كان ينتمى إليها العزازى .

وكذلك نقول عن الشاعر ابن شواق الاسنائى جلال الدين الحسن ابن منصور الذى وصفه الادفوى بقوله : رأيته وصحبته مدة ، وكان رئيس الذات والصفات ، حسن الأخلاق ، كريما فى نهاية الكرم ، حليما له فى الحلم علم ، وقد ذكرنا كيف صودرت أمواله لتشيعه وأنه رحل الى القاهرة فاجتمع بالصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين فأعجب هذا به وعرض عليه العمل فى ديوان الانشاء فرفض ، كان هذا الرجل يتشيع وكان تشيعه على النحو الذى كان عليه شيعة مصر قبل عصر الفاطميين أى حب الصحابة وتعظيمهم والاعتراف بفضلهم إلا أنه كان يقدم على بن أبى طالب عليهم[2] ،

(1) ديوان العزازى نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٧٩ : أدب .
(2) الطالع السعيد ص ١٠٨ وما بعدها .

ومع ذلك كان هذا المتشيع شاعرا وقد وصلتنا قصيدة له يمدح بها أهل البيت ويصفهم بصفات هي أقرب مايكون الى الصفات التي يذكرها علماء الشيعة الاسماعيلية عن الأئمة ، فهو يقول :

كيف لا يحلو غرامى وافتضاحى	وأنا بين غبوق واصطباح
مع رشيق القد معسول اللمـا	أسمر فاق على سمر الرماح
جوهرى الثغر ينحو عجباً	رفع المرضى لتعليل الصحاح
نصب الهجر على تمييزه	وابتدا بالصد جدّاً فى مزاح
فلهذا صـار أمرى خبرا	شاع فى الآفاق بالقول الصراح
يا أهيل الحى من نجد إعمى	تجبروا قلب أسير من جراح
لم خفضتم حال صب جازم	ماله نحو حمـاكم من براح
ليس يصغى قول واش سمعه	فعلى ماذا سمعتم قول لاح
وعوتم اسمه من وصلكم	وهو فى رسم هواكم غير ماح
فلئن أفرطتموا فى هجره	ورأيتم بعده عين الصلاح
فهو راج لأولى آل العبا	معدن الاحسان طراً والسماح
قلدوا أمرا عظيما شأنه	فهو فى أعناقهم مثل الوشاح
أمنـاء الله فى السر الذى	عجزت عن حمله أهل الصلاح
هم مصابيح الدجا عند السرى	وهم أسد الشرى عند الكفاح
تشرق الأنوار فى ساحاتهم	ضوءها يربو على ضوء الصباح
أهل بيت الله إذ طهره	فجميع الرجس عنهم فى انتزاح
آل طه لو شرحنا فضلهم	رجعت منا صدور فى انشراح
أنتم أعلى وأغلى قيمـة	من قريضى وثنائى وامتداحى
جدكم أشرف من داس الحصا	فى مقـام وغدو ورواح
وأبوكم بعـــده خير الورى	فارس الفرسان فى يوم الكفاح
وارث الهـادى النبى المصطفى	ما على من قال حقاً من جناح
لو يقاس النـاس جمعاً بكم	لرجحتم جمعهم كل رجاح
يا بنى الزهراء يرجو حسن	بكم الخلد مع الحور الصباح

قد أتاكم بديع نظمــه . كجمان الدر فى جيد الرداح
فاسمعوا يا خير آل ذكركم . ينعش الأرواح مع مر الرياح
وعليكم صـــلوات الله ما . غشيت شمس الضحى كل الضواحى
وسرى ركب وغنى طائر . ألف النوح بتكرار النواح[1]

فالشاعر فى هذه القصيدة ألم ببعض عقائد الشيعة ، فالأئمة قد قلدوا أمرا عظيما شأنه ، وهى مرتبة الامامة ، وأن الأئمة « أمنـاء الله فى السر » أى فى التعاليم الباطنية التى ائتمنوا عليها والتى عجز عنها غيرهم ، وضمن فى شعره الآية القرآنية « إنمـا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا[2] » ، وهى الآية التى ذهب الشيعة على أنها أنزلت فى أهل البيت من نسل فاطمة بنت الرسول . ثم ذكر أن عليا وصى النبى ووريثه، وهى العقيدة التى يتمايز بها الشيعة بل هى أساس التشيع ، فهذه كلها معتقدات شيعية بها بعض التأثر بالمعتقدات الشيعية الاسماعيلية ، ممـا يدل على أن الشاعر قرأ كثيرا عن الشيعة وعقائدهم ، ودان بهذه العقائد ، وتوفى هذا الشاعر سنة ٧٠٦ هـ .

والشاعر الفقيه الشافعى محمد بن على بن منجى المتوفى سنة ٦٧٣ هـ لم يعرف عنه أنه تشيع ، بل اتجه فى أواخر أيامه إلى التصوف وبنى بأدفو رباطا ووقف عليه وقفاً [3] ، كان متأثراً بآراء الشيعة ، ولا سيما فى عقيدتهم ، أن بولاية أهل البيت ينال العفو فى الآخرة ، فى قصيدته التى أولها :

حادياها خليـاها وسراها . للحمى إن شئتما أن تسعداها

ختمها بقوله :

ولئن جرتم عليه فى الهوى . وعدلتم نحو عـذال عداها
فهو يرجو العفو يوم العرض عن . ما جناه بولاء آل طه[4]

ولم تصلنا من أشعار هذا الفقيه الصوفى شيئا فى التشيع سوى هذا البيت الأخير وإنمـا أوردناه لندلل على أن أثر الشيعة كان قويا فى نفوس بعض المصريين .

(1) الطالع السعيد ص ١١٠ — ١١١
(2) سورة الاحزاب آية ٣٣
(3) الطالع السعيد ص ٣٠٠
(4) نفس المصدر ص ١٣

وقد ذكرنا أنه فى سنة ٦٩٧ هـ ظهرت حركة داود بن سليمان (ويقال ابن شعبان) بن العاضد، التى دعا فيها لنفسه، وأن الناس اجتمعوا حوله. ومدحه الشعراء بمقطوعات تظهر فيها أثر عقائد الفاطميين. من ذلك قول الشاعر ابرهيم بن محمد بن على بن نوفل الادفوى المتوفى سنة ٧٣٥ هـ فى مدح داود هذا:

ظهر النور عند رفع الحجاب — فاستنار الوجود من كل باب
وأتانا البشير يخبر عنهم — ناطقا عنهم بفصل الخطاب[١]

فالشاعر فى هذين البيتين مدح داود بهذه الصفات التى أسبغها شعراء العصر الفاطمى على الأئمة، متخذا المصطلحات الفاطمية الخالصة، «فظهور النور عند رفع الحجاب» هو ظهور الامام بعد استتاره، وفى البيت الثانى يشير إلى أن داعية الامام — الذى عبر عنه بالبشير — جاءهم بفصل الخطاب، وقد رأينا أن وظيفة الحجة فى الدعوة الاسماعيلية هى فصل الخطاب[٢]. فالشاعر كان يتحدث إذن كما كان يتحدث شعراء الفاطميين بالرغم من مرور قرن ونصف تقريبا على زوال الدولة الفاطمية من مصر.

وعندما انتشرت دعوة داود هذا فى بلدته أسفون أنشد الشاعر الماجن الهجاء قطنبة الأسفونى — الحسين بن محمد بن هبة الله — مقطوعة شعبية فى هجاء هذه الدعوة وهجاء دعاتها فقال:

حديث جرى يا مالك الرق واشتهر — بأسفون مأوى كل من ضل أو كفر
لهم منهم داع كتيس معمم — وحسبك من تيس تولى على بقر
ومن نحسهم لا أكثر الله منهم — يسبوا أبا بكر ولم يشتهوا عمر
فخذ مالهم لا تختش من مآلهم — فان مآل الكافرين إلى سقر[٣]

فمن هذه المقطوعة الشعبية التى أنشدها قطنبة نستطيع أن نعرف أن الدعوة انتشرت بقوة فى بلدة أسفون، وكان لها دعاة يأخذون العهود

(١) نفس المصدر ص ٣١

(٢) راجع ما كتبناه عن ذلك فى كتاب أدب مصر الفاطمية ص ٢١، وكتاب راحة العقل للكرمانى: المشرع السادس من السور الرابع (نشر الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد مصطفى حلمى، ص ١٣٦ وما بعدها).

(٣) الطالع السعيد ص ١١٧

والمواثيق ، وأنهم كانوا يسبون الصحابة على نحو ما كان يفعل الفاطميون . ويخيل إلىّ أن داود بن سليمان هذا ما هو إلا دعى وأنه أحد دعاة الاسماعيلية النزارية (الاسماعيلية الشرقية) فان من عقائد هذه الدعوة أن يتحمل الامام فرائض الدين عن المستجيبين وبذلك دعى داود هذا [1] ، ولذلك لم تجد الدعوة قبولا عند أكثر المسلمين ، وهجاه الشاعر علاء الدين الأسفونى على بن احمد بن الحسين المتوفى سنة ٧٣١ هـ فقال :

ارجع ستلقى بعدها أهوالا ... لا عشت تبلغ عندنا آمالا
يا من تجمع فيه كل نقيصة ... فلأضربن بسيرك الأمثالا
وزعمت أنك للتكلف حامل ... وكذا الحمار يحمل الأثقالا [2]

فلا غرابة إذن أن نرى هذه الدعوة التى هى أقرب إلى دعوة القرامطة القديمة قد فشلت فى مصر سريعا ، وأن تنفر من داود ومن الذين استجابوا له قلوب سواد المصريين ، ولذلك لم نعد نسمع عن محاولات أخرى فى مصر لإعادة الدعوة الفاطمية بعد محاولة داود هذا .

ومن الطرائف التى حدثت فى النزاع بين أهل السنة والشيعة فى هذا العصر ما سجله الشعر فيما كان يحدث فى عاشوراء ، ففى هذا اليوم من كل عام كان الشيعة يقيمون مأتم الحسين بن على جريا على السنة التى كان يتبعها الشيعة فى جميع البقاع الاسلامية ، وتقليدا لما كان متبعاً فى مصر الفاطمية ، وكان الشعراء ينشدون أشعارهم فى هذه المناسبة مثل ما أنشده العزازى فى قصيدته التى ذكرناها من قبل ، ومثل قول الشاعر شهاب الدين أبى العباس أحمد بن صالح وقد وقع مطر غزير فى ذلك اليوم :

يوم عاشوراء جادت بالحيا ... سحب تهطل بالدمع الهمول
عجبا ! حتى السموات بكت ... رزء مولاى الحسين بن البتول [3]

---

(١) نفس المصدر ص ١٩٧

(٢) الطالع ص ١٩٧

(٣) الصفدى : الوافى بالوفيات الجزء الثانى من المجلد الثالث لوحة ٣٠٩ (نسخة فتوغرافية بدار الكتب المصرية) .

ولكن أهل السنة أرادوا أن يكيدوا للشيعة فكانوا يخرجون فى هذا اليوم وقد كحلت أعينهم وخضبت أيديهم . وفى ذلك يقول الشاعر المصرى أبو الحسين الجزار :

ويعود عاشوراء يذكرنى رزء الحسين ، فليت لم يعد
يا ليت عيناً فيه قد كحلت لشماتة لم تخل من رمد
ويداً به لمسرة خضبت مقطوعة من زندها بيدى
أما وقد قتل الحسين به فأبو الحسين أحق بالكمد[1]

وأبو الحسين الجزار نفسه هو الذى داعب الشريف شهاب الدين ناظر الأهراء ، فكتب إلى الشريف ليلة عاشوراء عند ما أخر عنه ما كان من جاريه :

قل لشهاب الدين ذى الفضل الندى والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرد العلى الصمد إن لم يبادر لنجاز موعدى
لأحضرن للهناء فى غد مكحل العينين مخضوب اليد[2]

فالشاعر بمداعبته هذه أعطانا صورة لما كان يجرى فى ذلك العصر بين المتعصبين من أصحاب المذهبين : المذهب السنى الذين كانوا يخرجون ليلة عاشوراء للهناء ، والمذهب الشيعى الذين كانو يخرجون للعزاء ، ويخيل إلى أن عادة المصريين الآن ولا سيما فى الأرياف بصنع أطباق الحلوى المعروفة باسم عاشوراء ، هى أثر من تراث هذا النزاع بين المذهبين فى عصر الأيوبيين والمماليك .

(٤) أثر الفاطميين فى شعر أهل السنة :

وإذا تركنا هؤلاء الشيعة الذين أظهروا تشيعهم فى أشعارهم ، وصوروا لنا لوناً من ألوان الفن المتأثر بهذا المذهب الدينى ، فإننا نواجه ناحية هامة عند شعراء هذا العصر الذى نتحدث عنه ، تلك الناحية هى تأثر الشعراء

(١) ابن شاكر : فوات الوفيات ج ١ ص ١٤٨
(٢) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٨٥

بالآراء والصور التى تركها شعراء المدح فى عصر الفاطميين ، فنحن نعلم أن الفاطميين جعلوا للأئمة صفات خاصة أخذت من صميم عقيدتهم ومذهبهم [1] ، واستخدم جميع الشعراء الذين اتصلوا بالأئمة سبيل المدح بذكر هذه الصفات [2] ، واستمر هذا الضرب من المديح طوال عصر الفاطميين فى مصر ، وبالرغم من أن الدولة الفاطمية دالت على يد الأيوبيين ، وأن الدعوة الفاطمية اضمحل أمرها فلم يعد الدعاة يقومون بنشاطهم ، فان الشعراء استمروا فى مديحهم فى نفس التيار الذى رأيناه عند الفاطميين ، بل خلعوا على سلاطين الأيوبيين نفس الصفات التى خلعها الفاطميون على أئمتهم ، بل غلا بعضهم فى المدح فنسب إلى السلاطين والخلفاء العباسيين ما لم ينسبه الفاطميون إلى أنفسهم ، فابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨ هـ مدح صلاح الدين بقوله :

أعدت إلى مصر سياسة يوسف	وجددت فيها من سميك موسما
وأحييت فيها الدين بعد مماته	فأنت ابن يعقوب وأنت ابن مريما
بقيت إلى أن تملك الأرض كلها	ودمت إلى أن يرجع الكفر مسلما [3]

فاذا كنا نقبل أن تكون المقارنة بين صلاح الدين ونبى الله يوسف لتشابههما فى الاسم ، فاننا لا نقبل أن يكون صلاح الدين هو « ابن يعقوب » أو هو عيسى بن مريم لأنه أحيي الدين بعد مماته ، إلا إذا كنا نتمذهب بالعقيدة الفاطمية التى تؤول الآيات القرآنية التى وردت فى المسيح بأن إحياء الموتى هو نشر الدين وإحياء النفوس حياة صحيحة بالعبادة العلمية [4] ، أو نقول كما قال الفاطميون بالدور وانتقال النبوة والأئمة بالتسلسل

(١) راجع ما كتبته عن ذلك فى مقدمة ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة (نشر دار الكاتب المصرى) .

(٢) فى أدب مصر الفاطمية ص ١٤١ وما بعدها .

(٣) ديوان ابن سناء الملك (مخطوط رقم ٢٣٣٣١ بمكتبة جامعة فؤاد) .

(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧ (نسخة خطية بمكتبتى) .

والتعاقب ، وأن الخلف يرث دور السلف تماما ويحدث فى أيامه ما حدث فى أيام من سبقه ، فإذا بمحمد هو عيسى وهو موسى وهو نوح .. الخ [1].

فقول ابن سناء الملك « فأنت ابن يعقوب وأنت ابن مريما » هو أثر من آثار العقائد الفاطمية .

وفى قصيدة أخرى مدح هذا الشاعر صلاح الدين بقوله .

نُصرت بأفلاك السماء فشهبها خميس به يردى الخميس العرمرما
رقيت إلى أن لم تجد لك مرتقى وأقدمت حتى لم تجد متقدما »
فما يبرم المقدار ما كنت ناقضا وما ينقض المقدار ما كنت مبرما [2]

ففى البيت الأول يتحدث عن « أفلاك السماء » التى نصرت السلطان ، وأفلاك السماء فى التأويل الفاطمى يعنى الملائكة ، وهم العقول فى الاصطلاحات الفلسفية والاسماعيلية أيضاً [3]، وفى البيت الثانى دفع الشاعر شدة المبالغة والغلو في المديح إلى أن جعل صلاح الدين فى مرتبة ليس فوقها مرتبة ، وهذا المعنى كثير جداً فى شعر العصر الفاطمى لأن الامام مثل للمبدع الأول الذى ليست فوقه مرتبة [4] ، والبيت الثالث نفس معنى بيت ابن هانىء الأندلسى فى مدح المعز لدين الله الفاطمى :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

ثم اقرأ لابن سناء الملك أيضا قوله فى مدح على الشهيد نور الدين زنكي :

مولى الأنام (على) هكذا نقلت لنا الرواة حديثا غير مختلق [5]

فالشاعر هنا نقل الحديث النبوى « من كنت مولاه فعلى مولاه » الذى قيل فى على بن أبى طالب الى على الشهيد نور الدين ، وتبع سنة شعراء الفاطميين الذين مدحوا الأئمة بأنهم موالى الأنام .

(١) راجع ديوان المؤيد فى الدين ص ١٣٥ وما بعدها .
(٢) ديوان ابن سناء الملك .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢١٧
(٤) نفس المرجع ج ١ ص ١٠٩
(٥) ديوان ابن سناء الملك .

ومرة أخرى يمدح صلاح الدين بقوله :

قد ملكت البلاد شرقا وغربا ... وحويت الآفاق سهلا وحزنا
واغتدى الوصف عن علاك حسيرا ... أى لفظ يقال أو أى معنى
ورأينا ربنا قال : أطيعوه ... سمعنا لربنا وأطعنا[1]

وشعراء الفاطميون كانوا يضمنون في أشعارهم الآية القرآنية : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . وقال الدعاة إن هذه الآية أنزلت فى على بن أبى طالب . فأخذ ابن سناء الملك هذا المعنى وأودعه شعره . ولم يجعلها فى الأئمة من أهل بيت على بن أبى طالب إنما جعلها فى صلاح الدين .

ولم يكتف ابن سناء الملك بأن يتأثر بهذه العقائد الفاطمية ويتبع تيار الشعر الفاطمى فى مدحه لصلاح الدين الأيوبى أو نور الدين زنكى ، بل نراه فى مدائحه للقاضى الفاضل يأتى بالمعانى التى كانت تقال للأئمة الفاطميين ولها من عقائدهم سند ، أما أن تقال للقاضى الفاضل فهذا هو الأثر القوى على شعر ابن سناء الملك ، فنحن نعلم أن الفاطميين وصفوا الأئمة بأنهم رحمة للعالمين[2] ، فجاء ابن سناء الملك وقال للقاضى الفاضل :

عبد الرحيم على البرية رحمة ... أمنت بصحبتها حلول عقابها[3]

وقال الفاطميون إن قصر الامام هو فى العبادة العلمية (التأويل الباطن) هو الكعبة وأن الحج الباطن هو زيارة الإمام[4] . فقال ابن سناء الملك للقاضى الفاضل :

ياكعبة طاف الملوك بها ... بل قبلة حج الأنام لها[5]

وهكذا نستطيع بسهولة أن نتتبع أثر العقائد الفاطمية فى شعر ابن سناء الملك وهو من شعراء الدولة الأيوبية ومن كبار رجالاتها .

(١) نفس المرجع .
(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٠٢
(٣) ديوان ابن سناء الملك .
(٤) القاضى النعمان : تأويل دعائم الاسلام ج ٢ ورقة ٦١ (ا) نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد .
(٥) ديوان ابن سناء الملك .

وهاهو الشاعر الدمشقي ابن الساعاتي الذي وفد على مصر واتخذها دار إقامته ، نراه قد تأثر بما كان في مصر والشام من عقائد الفاطميين ، ونهج نهج شعراء المدح في العصر الفاطمي ، فنراه يمدح الخليفة العباسي الناصر لدين الله بما كان يمدح به الأئمة فهو يقول مثلا :

فروع إلى العباس تنمى أصولها ... وما خير فرع أسلمته أصول

هو النسب الزاكي أناف بفضله ... «وصى» حوى سبق العلا ورسول

ترى اليوم طلقا حين يذكر «جعفر» ... ويسمى إليه حمزة وعقيل

له شرف البيت العتيق وزمزم ... وما ساقه حاد إليه عجول

وفضل الذبيحين الذي ما لفضله ... نظير ، وهل للنيرين عديل

علاه على السبع الشداد محله ... ومجد قديم لا يرام أثيل

ففي كل يوم للملائكة العلى ... طواف على أبياتكم ونزول[1]

فهو يمدح الخليفة العباسي بأنه ينتسب إلى الرسول والوصي علي ابن أبي طالب وجعفر بن أبي طالب وعقيل بن أبي طالب وحمزة ابن عبد المطلب ، وهذا مدح شيعي خالص ، لا يمدح به إلا الأئمة من نسل علي بن أبي طالب . وفي البيت الرابع معنى من المعاني الفاطمية التي تؤول شعائر الحج على أنهم الأئمة وقد شرفهم الله تعالى بذلك[2] . وفي البيت السادس يضمن عقيدة باطنية خالصة بأن جعل الخليفة العباسي فوق السبع الشداد أي في منزلة المبدع الأول (العقل الأول أو القلم) وقد ذكرنا أن هذا المعنى لا يمدح به إلا إمام اسماعيلي على نحو ما أوردناه في نظريتنا التي أطلقنا عليها (نظرية المثل والممثول) لأن الإمام في العالم الجسماني مثل العقل الأول الروحاني . ولكن ابن الساعاتي أتى بهذا المعنى غلواً منه ومبالغة وتأثراً بما كان في العصر الفاطمي . وفي البيت الأخير جعل الملائكة يطوفون ببيوت العباسيين ، وهو معنى لم ينشد إلا في بلاط الخليفة الفاطمي ، فان الفاطميين أولوا الملائكة

(١) ديوان ابن الساعاتي ج ١ ص ٥٣ (طبع دمشق) .

(٢) القاضي النعمان : تأويل دعائم الاسلام ج ٢ ورقة ١٠١ (فتوغرافية) وكتاب المجالس المستنصرية ص ٧٥ — ٧٨ (نشر محمد كامل حسين) .

وطوافهم ببيت الإمام على الدعاة والحجج الذين يزورون الإمام ويتجهون إليه لأنه قبلة نفوسهم . وهكذا نرى شاعراً آخر من شعراء الأيوبيين يتأثر بالشعراء الفاطميين .

أما الشاعر ابن النبيه المصرى المتوفى سنة ٦١٩ هـ فقد كان أجرأ شعراء مصر في الأخذ من عقائد الفاطميين ، وكان أشدهم مبالغة فى مدحه للخليفة الناصر العباسى حتى إن القدماء أنفسهم عابوا عليه هذه المبالغة واتهموه فى دينه ، ولابن النبيه عذره ، فقد وجد فى عصر كانت عقائد الفاطميين لا تزال ماثلة فى أذهان الناس ، وكان شعر شعراء الفاطميين لا يزال يروى بين الناس ، فسار ابن النبيه فى تيار هؤلاء الشعراء وخيل له أنه يمدح إمام الفاطميين لا الإمام العباسى عدو الفاطميين ، بالرغم من أن الإمام الناصر العباسى نفسه كان متشيعاً .

فانظر إلى ابن النبيه فى إحدى قصائده فى مدح الخليفة الناصر يقول :

بغداد مكتنا ، وأحمد « أحمد »	حجوا إلى تلك المنازل واسجدوا
يا مذنبين ، بها ضعوا أوزاركم	وتطهروا بترابها وتهجدوا
فهناك من جسد النبوة بضعة	بالوحى جبريل لها يتردد
« باب النجاة » « مدينة العلم » التى	ما زال كوكب هديها يتوقد
ما بين سدرته وسدة دسته	نبأ يقر له الكفور الملحد
هذا هو السر الذى بهر الورى	من ظهر آدم والملائك سجد
هذا « الصراط المستقيم » حقيقة	من زل عنه فى الجحيم يقيد
هذا الذى يسقى العطاش بكفه	والحوض ممتنع الحمى لا يورد
« القائم المهدى » أنت بقيت للاســ	ـلام تمهد تارة وتشيد
بعداً « لمنتظر » سواه ، وقد بدت	منه البراهين التى لا تجحد
إن كان فوق الطور ناجى ربه	موسى ، فبالمعراج أنتم أزيد
أو كان يوسف عبر الرؤيا ، فكم	للغيب منكم مصدر أو مورد
الله أنزل وحيه لمحمد	وإليكم وصى بذاك محمد
الدهر فى يده فجور مرسل	سبط وبأس مكفهر أجعد

يا من لمبغضه الجحيم قرارة ولمن يواليه النعيم السرمد
لولا التقية كنت أول معشر غالوا فقالوا : أنت رب يعبد[1]

هذا ما أنشده ابن النبيه فى الخليفة العباسى، وواضح كل الوضوح مدى غلو هذا الشاعر فى مدحه ، هذا الغلو الذى لا أكاد أجد له مثيلا بين شعراء الفاطميين أنفسهم على ما وصفوا به أئمتهم من صفات ، وأسبغوا عليهم من نعوت ، ولكن شعراء الفاطميين أتوا بهذه الصفات والنعوت من العقيدة الفاطمية نفسها، ومن التأويلات الباطنية التى تمايز بها الفاطميون ولم يقرهم عليها فرقة من فرق المسلمين ، أما ابن النبيه وهو شاعر سنى فى دولة أطاحت بالدولة الشيعية وحاولت أن تمحو من البلاد العقيدة الشيعية ، وكان يمدح الخليفة العباسى ، ثم يغلو هذا الغلو فى المدح ، فهذا هو الشىء الذى لم نكن نتوقعه فى شعر المدح فى مصر فى عصر الأيوبيين . والذين لهم إلمام بالعقائد الفاطمية يستطيعون فى سهولة ويسر أن يدركوا تأثر هذا الشاعر بالفاطميين ، فالشطر الأول من البيت الأول هو نفسه رأى الفاطميين فى عقيدة الأدوار التى تحدثنا عنها من قبل ، والحج فى الشطر الثانى من البيت الأول وكل البيت الثانى هو نفسه رأى الفاطميين فى الحج الباطنى .

وعجيب أن يذهب الشاعر إلى أن الخليفة العباسى الناصر بضعة من جسد الرسول، لأنه ليس من نسل الرسول ، والحديث النبوى يقول : «فاطمة بضعة منى » ولكن مبالغة الشاعر وغلوه فى المدح جعل الخليفة الناصر من أبناء فاطمة — مثله فى ذلك مثل أئمة الشيعة — .

ومثل ذلك قوله فى قصيدة أخرى :

أهل بيت قد أذهب الله عنهم كل رجس وطهروا تطهيراً

وكذلك قوله « مدينة العلم » التى جعلها النبى لنفسه دون سواه فقال « أنا مدينة العلم وعلى بابها » وشعراء الشيعة لم يذهبوا الى أن علياً أو أحد

(١) ديوان ابن النبيه ص ٣ (طبع المطبعة العامية بمصر سنة ١٣١٠ هـ) .

أبنائه « مدينة العلم » ولكن هذا الشاعر السنى أبى إلا أن يجعل الخليفة الناصر فى مقام النبى نفسه .

أما قوله : « باب النجاة » فهو من أقوال شعراء الفاطميين وكذلك قوله بعد ذلك إن الناصر هو « الصراط المستقيم » فهذا تأويل باطنى خالص لا يقول به إلا شاعر اسماعيلى فى مدح إمام اسماعيلى [1] ، أما فى قوله : هذا هو السر الذى بهر الورى . . . البيت ، فهو نفس ما قاله الفاطميون عن مرتبة الاستيداع » (النبوة) ومرتبة الاستقرار (الامامة) وتنقلهما منذ خلق آدم هذا الدور [2] . وهى نفس النظرية التى اعتنقها الصوفية فى هذا العصر وهى نظرية « النور المحمدى » . ويظهر تأثر ابن النبيه بالمصطلحات والعقائد الفاطمية تأثراً واضحاً فى وصفه للخليفة العباسى بأنه « القائم المهدى » فقوله هذا أخذ أخذاً من أقوال الفاطميين وهو اصطلاح من مصطلحاتهم الخاصة الذى تمايزوا به عن الفرق الأخرى فى وصف « المهدى المنتظر » الذى هو عند الفاطميين آخر دور آدم الحالى « وخاتم السبع المثانى » ، وهو عند الفاطميين الناطق السابع وآخر النطقاء ، فاذا كان الفاطميون قد انحرفوا عن الدين القويم بأن جعلوا نبياً بعد محمد (ص) فان أسفنا أشد حين نجد شاعراً يتمذهب بمذهب أهل السنة والجماعة يصف خليفة عباسياً بهذه الصفة الفاطمية . وإذا كان أهل السنة يرون أن النبي (ص) قبض ولم يوص لأحد بعده ، خلافاً لقول الشيعة الذين ذهبوا إلى أن النبى أوصى لعلى يوم « غدير خم » فان الشاعر هنا جعل وصية محمد للعباسيين وهو قول لم نسمع به إلا من شعراء مصر فى عصر الأيوبيين .

ومن الصفات التى خلعها الفاطميون على على بن أبى طالب أنه « قسيم الجنة والنار » أى أنه يقسم الناس بين الجنة والنار ، فمبغضه فى النار ووليه فى الجنة .

---

(١) ديوان المؤيد فى الدين ص ٨٧ والمجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧

(٢) ديوان المؤيد ص ٨٠ وما بعدها

وفى ذلك قال المؤيد فى الدين يمدح الامام المستنصر الفاطمي :

مولانا الامام أبى تميم ... هدت إلى الصراط المستقيم
قسيم النار مولانا معد ... وجنات العلى وابن القسيم

فجاء ابن النبيه وجعل هذه الصفة للعباسيين ، ويختم ابن النبيه هذه القصيدة بقوله لولا تقاه لبلغ به غلوه إلى تأليه الخليفة العباسى ، بينما لم يذهب إلى تأليه الأئمة الفاطميين سوى الغلاة الذين طردوا من حظيرة الدعوة الفاطمية ومن هؤلاء دعاة الحاكم ولم يذهب شاعر من شعراء الفاطميين إلى القول بهذه الدعوى فنرى المؤيد فى الدين مثلا يقول لامامه :

لست دون المسيح سماه ربا ... أهل شرك ولا نسميك ربا

وفى قصيدة أخرى لابن النبيه فى مدح الخليفة العباسى الناصر لدين الله أيضاً يقول :

خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما ... وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكأس تستحلى أوائله ... لكنه ربما مجت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا ... عظيم ذنبك إن الله غافره
فليس يخذل فى يوم الحساب فتى ... و«الناصر» ابن رسول الله ناصره
تجسد الحق فى أثناء بردته ... وتوجت باسمه العالى منابره
له على ستر سر الغيب مطلع ... فما موارده إلا مصادره
يقضى بتفضيله سادات عترته ... لو كان «صادقه» حيا «وباقره»
كل الصلاة خداج لا تمام لها ... إذا تقضت ولم يذكره ذاكره
كل الكلام قصير عن مناقبه ... إلا إذا نظم القرآن شاعره
رأيت ملكا كبيرا فوق سدته ... جبريل داعيه أو ميكال زائره[1]

فابن النبيه فى هذه الأبيات يري أن الخليفة الناصر من نسل رسول الله ، وهو نفس الرأى الذى قاله من قبل فى قصيدته السابقة :

فهناك من جسد النبوة بضعة ... بالوحى جبريل لها يتردد

(١) ديوان ابن النبيه ص ٧

.. فإذا كانت هذه هى نظرة ابن النبيه إلى الخليفة العباسى فلا غرو أن نراه يصف هذا الخليفة بالصفات التى قالها الشيعة عن أئمتهم ، فهو إذن الشفيع يوم القيامة ، ويكرر هذا المعنى فى قصيدة أخرى فيقول :

بولائى أمنت من سيئاتى   يوم ألقى كتابى المنشورا

بل يذهب فى الغلو إلى مدى أبعد مما ذهب إليه شعراء العصر الفاطمى إذ نسب إلى الخليفة العباسى معرفة الغيب ، وكرر هذا المعنى فذكره فى هذه القصيدة وفى القصيدة السابقة ، فبينما طعن علماء أهل السنة أئمة الفاطميين بأنهم يدعون معرفة الغيب وتبرأ الفاطميون من هذه المقالة وممن قال بها [(1)]، نرى ابن النبيه يلصقها بالخليفة العباسى ، ويذهب ابن النبيه إلى أن أئمة الشيعة ، وبخاصة جعفر الصادق ، ومحمد الباقر بن على زين العابدين ، لو كانوا أحياء لقدموا الناصر العباسى عليهم ، ونلاحظ أنه خص جعفر الصادق والباقر دون غيرهما أولا للضرورة الشعرية فى القافية الرائية ، وثانياً لأن جل علوم الشيعة إنما رويت عن طريقهما . ثم يعود ابن النبيه إلى عقيدة الفاطميين التى تذهب إلى أن الصلاة لا تقبل ما لم يصل على الأئمة ، فالشاعر هنا أخذ هذه العقيدة ونظمها مستعملا ألفاظ الفقهاء فزعم أن الصلاة خداج إن لم يكن بها الصلاة على الناصر ، فاذا كان الشيعة يقولون ذلك بناء على عقائدهم فنحن لا ندرى على أى أساس قال ابن النبيه ذلك إلا إذا اعتبر الخليفة العباسى من أئمة الشيعة ، وكررا بن النبيه هذا المعنى فى قصائد أخرى فمن ذلك قوله :

أنت يا بن النبى خابت صلاة   لم تكن فى خلالها مذكورا

ونحن نعلم أن الشيعة ذهبوا إلى أن فى القرآن الكريم عدداً من الآيات أنزلت فى أهل البيت [(2)] ، وعدوا ذلك من فضائل أئمتهم ومن مناقبهم ، وها هو ابن النبيه يمدح الناصر بهذا المعنى الشيعى ، وختم الشاعر هذه القصيدة بأن الناصر ملك كبير وأن جبريل داعيته وأن ميكائيل زائره ، وهذه

(1) النعمان بن محمد : المجالس والمسايرات ورقة ٨٩ (نسخة خطية بمكتبتى) .

(2) فى أدب مصر الفاطمية ص ٦ والمجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٩ ، وبحار الأنوار ج ٧ ص ٣ والمجالس المستنصرية فى مواضع متفرقة . ديوان المؤيد فى الدين ج ٧٤ وما بعدها .

من المعانى الباطنية الاسماعيلية التى لم يقل بها سوى الاسماعيلية وذلك أن تأويل الملائكة على الدعاة والحجج ، وفي ذلك يقول المؤيد فى الدين داعى الفاطميين :

أنا آدمى فى الرواء حقيقتى   ملك تبين ذاك للمسترشد

فأخذ ابن النبيه هذه العقيدة الباطنية ونظمها فى شعره وجعلها فى الخليفة الناصر العباسى . من هذه الأمثلة التى أوردناها من شعر ابن النبيه ، ومن أشعاره الأخرى التى يجمعها ديوانه نستطيع أن نلمس مدى تأثر هذا الشاعر بالتعاليم الشيعية عامة والفاطمية منها على وجه الخصوص .

ولم يكن ابن النبيه هو الشاعر الوحيد الذى نرى فى شعره أثر هذه التعاليم فها هو زميله ابن مطروح المتوفى سنة ٦٤٩ هـ يتأثر بما تأثر به ابن سناء الملك وابن الساعاتى وابن النبيه وغيرهم من شعراء ذلك العصر من تعاليم شيعية ومن تراث الفاطميين ، ففى مديحه للخليفة المستنصر بالله العباسى خلع عليه صفات الامام الفاطمى فهو يقول :

الله أكبر أى طرف يطمح   أم أى ذى لسن يقول فيفصح
حرم الخلافة والإمام إمامنا   فمن العجائب أن لفظاً يجنح
عظم المقام عن المقال فحسبنا   أنا نقدس عنـده ونسبح
شرفاً بنى العباس ما أبقيتم   فخراً لمفتخر به يستنجح
فمن معشر جبريل من خدامهم   وبمثـل ذا يتمدح المتمدح
لما سموا سمحوا فحدث صادقاً   عن أنفس تسمو وأيد تسمح
فوق السماء خيامهم مضروبة   فلخيلهم مسرى هناك ومسرح
حيث النجوم تعد من حصبائها   والبرق منهـا بالسنابك يقدح
أخليفة الله الرضى ، هل لى إلى   بحبوحة الفردوس باب يفتح
حتى أطوف بذلك الحرم الذى   ما فاز إلا من به يتمسح
وأجيل فى ملكوت قدسك ناظراً   ما زال يغبق بالنسيم ويصبح
وأقبل الأرض المقدسة التى   أرج السعادة من ثراها ينفح
هذا الذى نزل الكتاب بمدحه   فبأى شىء بعـد ذلك يمدح

هذا نذير النفخة الأخرى الذى	من لا يدين بحبــه لا يفلح
إن الخلافة لم تكن إلا لكم	من آدم وهلم جرا تصلح[1]

فابن مطروح فى هذه الأبيات التى يمدح فيها الخليفة العباسى لا يجارى شعراء العباسيين فى مدائحهم ، إنما هو يجارى شعراء الشيعة فى مدح أئمتهم ، وينهج نهج شعراء الفاطميين خاصة الذين أسبغوا على الأئمة لوناً من التقديس ، ورفعوا مرتبة الأئمة فوق السموات العلى ، وجعلوا بيد الأئمة دخول الجنة أو النار ، وذهبوا إلى أن بالقرآن الكريم آيات وردت فى الأئمة دون غيرهم وأن من لايدين بحب الامام ويتولاه فهو بعيد عن زمرة المؤمنين ، وأن الامام هو نذير النفخة الكبرى ، وأن الامامة تنقلت من آدم إلى أن استقرت فى إمام العصر . فهذه كلها من المعانى الشيعية التى لم يمدح بها إلا أئمة الشيعة ، ولم نسمع أن شاعراً من شعراء الأمويين أو العباسيين مدح خلفاء الأمويين والعباسيين بمثل هذه المعانى إلا فى هذا العصر المتأثر بالتقاليد الشيعية الفاطمية .

فاذا اغتفرنا لابن مطروح أن يصف الخليفة العباسى بمثل هذه المعانى الشيعية لأن المستنصر بالله كان إمام المسلمين وخليفة رب العالمين ، ويمت إلى النبى (ص) بصلة القرابة القريبة ، فغلا الشاعر فى مدحه غلو الشيعة فى مدح أئمتهم .

فما عذر ابن مطروح فى مدائحه للملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل الأيوبى الذى لايمت إلى الخلافة بصلة ولا ينتسب الى النبى صلوات الله عليه بسبب ؟ فى قول ابن مطروح فى الملك الكامل :

« قدست » من ملك عظيم الشان	متتابع الحسنات والاحسان
تتزاحم التيجان فى أبوابه	عند السلام ، ولابسوا التيجان
حتى إذا بصرت به أبصارهم	خروا لهيبته الى الأذقان
أفد المواكب كالكواكب والتحق	« بشريف ذاك العالم الروحانى »
ألقى مقاليد الممالك عنوة	لك حسن تدبير وثبت جنان

[1] ديوان ابن مطروح (طبع الجوائب سنة ١٢٩٨ هـ) .

وتشوف الأملاك لاسمك كلما ذكروا سميك عند كل أذان
أما وقد علقت يدى « بمحمد » وظفرت منه « ببيعة الرضوان »
أنا فيك « حسان » وأنت « محمد » « بمحمد » عطفا على « حسان »[1]

فما معنى تقديس هذا الملك ؟ وما الذي صبغ عليه هذه القدسية ، ومن الذي جعل للملك الكامل الأيوبى شرف الانتساب إلى العالم الروحانى ؟ وما هذه البيعة التى وصفتها بأنها « بيعة الرضوان » هذه كلها مسائل نرجعها جميعها إلى مبالغة الشاعر فى مدحه وهى المبالغة التى ورثها شعراء عصره عن شعراء الفاطميين ، وإذا كان ابن مطروح هنا قد أساء فى مبالغته لأنه مدح الملك الأيوبى بصفات دينية ليس بينه وبينها سبب ، لكنه سار على سنة شعراء الفاطميين وجرى فى تيارهم متأثرا بهم . ومثل هذا قوله فى مدح الملك الأشرف مظفر الدين أبى الفتح موسى :

الأشرف الملك الكريم المجتبى موسى وثم بالرحيم المحسن
يا أيها الملك الذى من فاته نظر اليك فما أراه بمؤمن
والسبعة الأفلاك ما حركانها إلا مخافة أن تقول لها اسكنى[2]

فالشاعر هنا جعل النظر الى الملك الأشرف لوناً من ألوان العبادة ! ؟ وأن الأفلاك تسير بأمره ! ! وهى صفات خلعها عليه الشاعر مبالغة وغلوا ، بينما هي صفات شيعية هي من صميم عقائد الشيعة فى الامامة ، فاذا قيلت هذه الصفات فى الملك الأشرف أو فى غيره من ملوك الأيوبيين أو سلاطين المماليك فهى السخف بعينه لأنها لاتقوم على أساس مذهبى أوعقيدة دينية ولكنها المبالغة والتقليد لما كان يجرى فى العصر الفاطمى فى مصر، فبالرغم من أن الأيوبيين فى مصر عملوا على محو التشيع، ونجحوا سياسيا فى تقويض أركان دولة الفواطم فانهم لم يستطيعوا أن ينتزعوا من عقول المصريين هذه الآراء الشيعية أو أن يمحوها محواً تاما ، فقد رأينا من تلك الأمثلة التى أوردناها من الشعر كيف كان تأثير

(1) ديوان ابن مطروح ص ١٧٥ — ١٧٦
(2) ديوان ابن مطروح ص ١٧٧

عقيدة الشيعة عظيما فى هؤلاء الشعراء حتى خيل الينا أننا أمام شعراء من الشيعة يمدحون أئمة الشيعة .

على أننا نستطيع أن نقول إنه بالرغم من ذلك كله فان التشيع ضعف فى مصر شيئاً فشيئاً ، حتى كاد يمحى منها وأصبحت مصر فى القرن العاشر الهجرى وما بعده تدين بمذهب أهل السنة والجماعة ، ولم يكن ذلك عن طريق السيف والارهاب فحسب بل كان هنالك سبب أقوى من الارهاب والسيف ، وهو نشر العلم فى مصر .

انتشر المذهب الفاطمى بمصر على يد عدد من الدعاة ، واهتم الفاطميون بالدعاة اهتماما عظيما فوضعوا للدعاية أسساً وللدعاة شروطا [1] فانبث الدعاة بين الناس يكالبون أصحاب الفرق الأخرى ويحتجون عليهم ويبطلون آراءهم ، وأوهموا الناس أن الحق فيما يقوله الدعاة عن الأئمة ، وما زالوا بالناس حتى أقبل على دعوتهم عدد كبير اعتنقوا المذهب رغبة أو رهبة ، فشغلت عقائد الفاطميين أذهان الناس طوال العصر الفاطمى ، وجاء عصر الدولة الأيوبية فأراد القائمون عليها أن يغيروا عقائد الشيعة فى مصر ، ورأوا أن الفاطميين نشروا مذهبهم عن طريق العلم ، فحاربوا التشيع بنفس السلاح الذى استخدمه الفاطميون ، وهو الدعوة الى أهل السنة والجماعة عن طريق فتح المدارس السنية أولا ، وتشجيع حركة التصوف ثانيا ، وتشجيع المدائح النبوية ثالثا .

(١) أدب مصر الفاطمية ص ١٩

الفلسفة في الأندلس

الدور الأول — دور النشأة

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

١ — أول مَنْ اعتنى بالكتابة عن تاريخ الفلسفة فى الأندلس هو « رينان » الذى طبع رسالته عن ابن رشد والرشدية لأول مرة سنة ١٨٥٢ ، فوضع بذلك الخطوط الرئيسية فى نشأة الفلسفة وظهورها ثم زوالها من الأندلس ، راجعاً فى ذلك إلى مختلف المظان التاريخية . ولا تزال هذه الخطوط الرئيسية سليمة ، ولم تؤد المباحث الجديدة التى قام بها المستشرقون إلى إضافة جديد ذى بال .

وهو يجعل بداية الحركة الفلسفية منذ الحكم الثانى فقال[١] : ما كادت الفلسفة العربية فى الأندلس تبلغ قرنين من الزمان حتى وقفت فجأة بسبب التعصب الدينى ، والانقلابات السياسية ، والغزوات الخارجية ، ويعزى إلى الحكم الثانى (٣٥٠ — ٣٦٦) فضل إدخال هذه السلسلة المشرقة من الدراسات التى أثرت فى أوربا المسيحية ، وتبوأت منزلة عظيمة فى تاريخ الحضارة . ويقول المؤرخون المسلمون إن الأندلس أصبحت تحت حكمه سوقاً عظيمة يفد إليها الآثار الأدبية من كل قطر . قال ابن أبى أصيبعة عند الكلام عن ابن باجة : « فان هذه الكتب الفلسفية كانت متداولة بالأندلس من زمان الحكم مستجلبها ومستجلب غرائب ما صنف بالمشرق[٢] » .

(١) Renan : Averroes et L'Averroisme, Paris 9ème édition. P. 2—7.

(٢) طبقات الأطباء ج ٢ ص ٦٢ — ٦٣

وكانت الكتب التي تؤلف في فارس والشام تعرف بالأندلس قبل أن تعرف في المشرق ، فقد أرسل الحكم ألف دينار من الذهب إلى أبي الفرج الأصفهاني ليقتني منه أول نسخة من كتاب الأغاني . وقد قرىء هذا الكتاب بالفعل في الأندلس قبل أن يقرأ في العراق[1] .

وكان يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار ، ويرسل إليهم الأموال لشرائها . وجمع في قصره الحذاق في صناعة النسخ ، والمهرة في الضبط ، والإجادة في التجليد فأوعى من ذلك كله ، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده .

قال أبو محمد بن حزم إن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، وفي كل فهرسة عشرون ورقة ، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير .

وكان العرب بالأندلس ، حتى قبل الحكم ، قد اتجهوا إلى دراسة العلوم وتذوقها ، إما بسبب لطافة الجو ، وإما للصلة المستمرة باليهود والنصارى . وكل ذلك مع ما بذله الحكم أدى إلى حركة أدبية من أزهر الحركات في العصر الوسيط .

ثم يحدثنا رينان عن حرية البحث في التفكير ، وعن الحرية الدينية ، وعن مساجد قرطبة وكيف كانت مراكز للتعليم ، ثم عن التعصب الديني بعد الحكم ، وعن المنصور بن أبي عامر حاجب هشام بن الحكم وكيف كان يؤيد الفقهاء ضد العلماء والفلاسفة ، وعن حرق الكتب وغير ذلك .

٢ — وما ذهب إليه رينان في جملته صحيح ، نعني ظهور الفلسفة في زمن الحكم الثاني ، أي في القرن الرابع الهجري .

أما في الشرق فقد كان لظهور الفلسفة قبل ذلك أسباب أخرى : أولها أن السريان كانوا قد نقلوا الفلسفة اليونانية إلى السريانية فبقيت محفوظة في مدن الشام . فلما خضعت الشام للاسلام وانتهى عهد الفتح والتوسع ،

(١) انظر نفح الطيب للمقري ، تحقيق محي الدين ، ج ١ ص ٣٦١ — ٣٦٢

واستقرت الدولة الأموية . لم يجد العرب جهداً فى نقل الفلسفة اليونانية .
. ثم بدأ سريان بتشجيع الخلفاء والأمراء . بدأت حركة الترجمة منذ عهد
خالد بن الوليد . ويقال إنه ترجم كتابا فى الكيمياء . أو ألفه ، ثم قويت
فى عهد المنصور العباسى بسبب اصطناعه الأطباء من السريان ، ثم اشتدت
فى عصر المأمون بسبب إنشاء بيت الحكمة .

واتجه المسلمون أولا نحو نقل هذه العلوم وهى الفلك والهندسة والطب .
ثم تبع ذلك نقل الفلسفة المحضة ممثلة فى كتب أرسطو ومنطقه بوجه خاص .

وكانت الحال مختلفة فى الأندلس ، فلم يكن بها علم أو طب أو فلسفة
قبل غزو العرب لها[1] .

بل العرب هم الذين نقلوا إليها الحضارة الإسلامية بعد أن امتزجت
بالفلسفة اليونانية .

وكان علماء المغرب يرحلون إلى الشرق فى طلب العلوم ويعودون
بها إلى الأندلس[2] .

وأول[3] من يذكره ابن أبى أصيبعة من العلماء الذين رحلوا إلى المشرق

---

(١) يقول صاعد فى طبقات الأمم « وكانت الأندلس قبل ذلك فى الزمان القديم خالية من العلم ، لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به ، إلا أنه يوجد فيها طلسمات قديمة فى مواضع مختلفة وقد الاجماع على أنها من عمل ملوك رومية ، إذ كانت المملكة منتظمة بملكهم . ولم تزل كذلك عاطلة من الحكمة إلى أن افتتحها المسلمون سنة اثنين وتسعين ، فتمادت على ذلك أيضاً ، لا يعنى أهلها بشىء من العلوم إلا بعلوم الشريعة وعلم اللغة ، إلى أن توطد الملك لبنى أمية بعد عهد أهلها بالفتنة فتحرك ذوو الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لاثارة الحقائق . [ص ٧١] .

(٢) يقول صاعد « لما كان فى وسط المائة الثالثة فى تاريخ الهجرة وذلك فى أيام الأمير الخامس من ملوك بنى أمية وهو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، تحرك أفراد من الناس إلى طلب العلوم ، ولم يزالوا يظهرون ظهوراً غير شائع إلى قريب وسط المائة الرابعة [ص ٧٣]

(٣) يذكر صاعد علماء أسبق مما ذكرهم ابن أبى أصيبعة ، وفى ذلك يقول « فمن اشتهر من العلماء ما بين وسطى هاتين المائتين ، أى المائة الثالثة والرابعة ، فاعتنى بعلم الحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم بن أحمد بن أبى عبيدة البلنسى المعروف بصاحب القبلة . وكان عالماً بحركات الكواكب وحكامها ، وكان مع ذلك صاحب فقه وحديث . ودخل إلى المشرق . . . وتوفى فى سنة خمس وتسعين ومائتين [ص ٧٤]

وعادوا بالعلم هو يحيى بن يحيى المعروف بابن السمنية ، عاش فى قرطبة وتوفى بها سنة ٣١٥ هجرية ، وكان بصيراً فى الحساب والنجوم والطب .

وبذلك نجد أن علم الحساب ، وكذلك علم الطب هو الذى دفع أهل الأندلس ، مسلمين أو يهود أو مسيحيين إلى الرحلة نحو المشرق لتعلمه ، وجمعوا بين الطب وبين الهندسة والنجوم .

وفى بعض الأحيان نجد علماء يفدون من المشرق ويستوطنون الأندلس ، مثل أحمد الحرانى الذى ورد من المشرق . كان فى أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن [توفى ٢٧٣] وكانت عنده مجربات حسان بالطب فاشتهر بقرطبة وحاز الذكر فيها . قال ابن جلجل رأيت حكاية عند أبى الإصبغ الرازى بخط أمير المؤمنين المستنصر وهى أن هذا الحرانى أدخل الأندلس معجوناً كان يبيع الشربة منه بخمسين ديناراً لأوجاع الجوف فكسب به مالاً . فاجتمع خمسة من الأطباء مثل حمدين وجواد وغيرهما وجمعوا خمسين ديناراً واشتروا منه شربة من ذلك الدواء ، وانفرد كل واحد منهم بجزء يشمه ويذوقه ويكتب ما تأدى إليه منه بحسه . ثم اجتمعوا واتفقوا على ما حدسوه وكتبوا ذلك ثم نهضوا إلى الحرانى وقالوا له : قد نفعك الله بهذا الدواء الذى انفردت به ، ونحن أطباء اشترينا منك شربة وفعلنا كذا وكذا وتأدى إلينا كذا وكذا ، فان يكن ما تأدى إلينا حقاً فقد أصبنا وإلا فأشركنا فى علمه فقد انتفعت . فاستعرض كتابهم فقال ما أعديتم من أدويته دواء ، لكن لم تصيبوا تعديل أوزانه . وهو الدواء المعروف بالمغيث الكبير فأشركهم فى علمه وعرف من حينئذ بالأندلسى (ابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٤٣) .

وقد ترجم ابن أبى أصيبعة لحمدين وجواد ، أما الأول فهو حمدين ابن أبان ، كان فى أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط وكان طبيباً حاذقاً مجرباً وله بقرطبة أصول ومكاسب .

أما جواد فهو طبيب نصرانى كان فى أيام الأمير محمد أيضاً وله اللعوق المنسوب إلى جواد ، وله دواء الراهب . والشرابات والسفوفات المنسوبة إليه وإلى حمدين كلها شجارية (ص ٤١) .

يستفاد من ذلك أن هؤلاء الأطباء كانوا مجربين واشتهروا لحاجة الناس إليهم ، ولم يكونوا علماء يعرفون الأصول . ولم يكن لهم أثر فيمن جاء بعدهم .

وممن درس الطب علماً : أحمد وعمر إبنا يونس بن أحمد الحراني « رحلا إلى المشرق في دولة الناصر سنة ٣٣٠ ، وأقاما هناك عشرة أعوام ، ودخلا بغداد ، وقرءا فيها على ثابت بن قرة كتب جالينوس وانصرفا إلى الأندلس في دولة المستنصر بالله سنة ٣٥١ ، وأسكنهما مدينة الزهراء (ص ٤٢) » .

وظهر في دولة عبد الرحمن الناصر عدة أطباء مثل إسحاق الطبيب ، ظهر قبل ذلك في أيام الأمير عبد الله الأموي ، ويحيي بن إسحاق وألف في الطب ، وسليمان أبو بكر بن تاج الذي عالج الناصر من رمد أصيب به .

٣ — ومن الذين مهدوا لظهور الفلسفة عن طريق علم الهندسة والنجوم ، وكان له تلاميذ كثيرون المجريطي أبو القاسم مسلمة بن أحمد ، من أهل قرطبة ، وكان في زمان الحكم . . . كان إمام الرياضيين بالأندلس في وقته وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم . وكانت له عناية بأرصاد الكواكب وشغف بتفهم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي . . وتوفي سنة ٣٩٨ ، وقد أنجب تلاميذ جلة لم ينجب عالم بالأندلس مثلهم ، فمن أشهرهم ابن السمح وابن الصفار والزهراوي والكرماني وابن خلدون (ص ٣٩) .

فابن السمح توفي في غرناطة سنة ٤٢٦ وكان محققاً لعلم العدد والهندسة متقدما في علم الهيئة وحركات النجوم ، وكانت له مع ذلك عناية بالطب .

وكان ابن الصفار متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم ، وقعد في قرطبة لتعليم ذلك ، وله زيج مختصر على مذهب السند هند ، وكتاب في العمل بالأسطرلاب موجز حسن العبارة قريب المأخذ .

وكان ابن خلدون (أبو مسلم عمر بن أحمد) من أشراف إشبيليه ، وكان متصرفاً في علوم الفلسفة مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبها بالفلاسفة ، توفي سنة ٤٤٩

وأشهر تلامذة المجريطي هو الكرماني أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن ابن أحمد بن علي ، من أهل قرطبة ، أحد الراسخين في علم العدد والهندسة .

رحل إلى ديار المشرق وانتهى منها إلى حران ، وعنى هناك بطلب الهندسة والطب ، ثم رجع إلى الأندلس ، واستوطن مدينة سرقسطة ، وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا ، ولا نعلم أحداً أدخلها الأندلس قبله . توفي ٤٥٨ وله تسعون سنة .

فهذه هي مدرسة أبي القاسم مسلمة المجريطي ، الذي نشأ في زمان الحكم أي في القرن الرابع ، واهتم تلاميذه بالعلوم الرياضية والفلكية فقويت على أيديهم علوم الحساب والهندسة والفلك . وكان من أثر ذلك أن اتصلت دراساتهم بالفلسفة أيضاً ، وبخاصة عندما أدخل الكرماني رسائل إخوان الصفا إلى الأندلس ، وهذه الرسائل تعد دائرة معارف فلسفية .

ويؤخذ من استعراض هذه الأسماء التي ذكرناها ، أن الحركة الفلسفية نشأت في أحضان الطب من جهة ، وفي أحضان الرياضة والفلك من جهة أخرى . وأنها نشأت ضعيفة جداً في أواخر القرن الثالث ، ثم اشتدت في منتصف القرن الرابع في زمان الحكم الذي اعتلى العرش سنة ٣٥٠ هجرية وابتنى مدينة الزهراء ، وكان جماعاً للكتب مشجعاً للعلماء ، كما ذكرنا من قبل رواية عن المقري[1] .

(١) ويؤيد ما نذهب إليه رأى ابن طفيل في مقدمته لحي بن يقظان حيث يقول عن الفلسفة في الأندلس إن أحداً لم يكتب فيها « شيئاً فيه كفاية وذلك أن من بالأندلس من أهل الفطرة الفائقة قبل شيوع علم المنطق والفلسفة فيها قطعوا أعمارهم بعلوم التعاليم وبلغوا فيها مبلغاً رفيعاً ولم يقدروا على أكثر من ذلك . ثم خلف من بعدهم خلف زادوا عليهم بشيء من علم المنطق فنظروا فيه ولم يفض بهم إلى حقيقة الكمال . ثم خلف من بعدهم خلف آخر أحذق منهم نظراً واقرب إلى الحقيقة . ولم يكن فيهم أثقب ذهناً ولا أصح نظراً ولا أصدق روية من أبي بكر بن الصائغ » حي بن يقظان — طبعة المعارف ١٩٥٢ ص ٦١ ، ٦٢

ويستفاد من هذا النص أن أهل الأندلس بدءوا بالعلم الرياضي ، ثم بالمنطق ، ثم بالفلسفة فكان ابن باجة أول الفلاسفة .

٤ — وقد لمع فى الأندلس بيت توارث صناعة الطب أباً عن جد ، هذا هو بيت ابن زهر : يجب أن نفرد له كلمة خاصة .

وأولهم أبو مروان عبد الملك بن زهر ، أبوه الفقيه محمد بن مروان بن زهر الإيادى الإشبيلي ، كان فاضلا في صناعة الطب مشهوراً بالحذق . رحل إلي المشرق ودخل القيروان ومصر ، وتطبب هناك زمناً طويلا ثم رجع إلي الأندلس ، وقصد مدينة دانية ، واشتهر فيها بالتقدم فى صناعة الطب وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس . قيل وله فى الطب آراء شاذة منها منعه من الحمام ، واعتقاده فيه أنه يعفن الأجسام ويفسد تركيب الأمزجة .

ثم ابنه أبو العلاء ، وكان فى دولة المرابطين ، وله علاجات مختارة تدل على قوته فى صناعة الطب واطلاعه على دقائقها ، وكانت له نوادر فى مداواته المرضى ومعرفته لأحوالهم وما يجدونه من الآلام من غير أن يستخبرهم بل ينظر إلى قواريرهم أو عند ما يجس نبضهم . وكان معتداً بنفسه وعلمه ، حتى ذكر ابن أبى أصيبعة أنه فى زمانه وصل كتاب القانون لابن سينا . . . وذكر أن رجلا من التجار جلب من العراق إلى الأندلس نسخة من هـذا الكتاب قد بولغ فى تحسينها ، فأتحف بهـا لأبى العلاء بن زهر تقرباً إليه ولم يكن هذا الكتاب وقع إليه قبل ذلك ، فلما تأمله ذمه واطرحه ولم يدخله خزانة كتبه ، وجعل يقطع من طرره مايكتب فيه نسخ الأدوية لمن يستفيثه من المرضى . . . » ص ٦٥

ثم ابنه أبو مروان بن أبى العلاء بن زهر ، لحق بأبيه فى صناعة الطب ، وكان جيد الاستقصاء فى الأدوية المفردة والمركبة حسن المعالجة . وفى زمانه دخل المهدى ابن تومرت الأندلس ومعه عبد المؤمن الذى استقل بالمملكة وأصبح يعرف بأمير المؤمنين ، وقرب أهل العلم واختص أبا مروان بن زهر لنفسه . يروى أن الخليفة عبد المؤمن احتاج إلى شرب دواء مسهل وكان يكره شرب الأدوية المسهلة ، فتلطف له ابن زهر فى ذلك ، وأتى إلى كرمة فى بستانه ، فجعل المـاء الذى يسقيها به ماء قد أكسبه قوة أدوية مسهلة بنقعها فيه أو بغليانها معه . ولمـا تشربت الكرمة قوة الأدوية المسهلة التى أرادها

وطلع فيها العنب وله تلك القوة ، أحمى الخليفة ثم أتاه بعنقود منهـا وأشار عليه أن يأكل منه ، وكان حسن الاعتقاد فى ابن زهر ، فلما أكل منه وهو ينظر إليه قال له يكفيك هذا يا أمير المؤمنين فانك قد أكلت عشر حبات من العنب ، وهى تكفيك عشر مجالس .

وله كتب كثيرة منها كتاب التيسير ألفه للقاضى أبى الوليد بن رشد . وقد ذكر ابن رشد فى مقدمة كتاب الكليات فى الطب ، أنه ألف الكليات ، أما الأمور الجزئية « فأوفق الكنانيش له الكتاب الملقب بالتيسير الذي ألفه فى زماننا هذا أبو مروان بن زهر : وهذا الكتاب سألته أنا إياه وانتسختيه فكان ذلك سبيلا إلى خروجه . . . »

ثم ابنه أبو بكر بن زهر ، ويسمى الحفيد ، ولد باشبيلية ونشأ بها وأخذ صناعة الطب عن أبيه ، خدم دولة الموحدين وهم بنو عبد المؤمن ، فخدم عبد المؤمن ، وابنه يعقوب يوسف ، وابنه الملقب بالمنصور .

قال صاحب نفح الطيب ، « جرت مناظرة بين يدى ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه أبى الوليد بن رشد والرئيس أبى بكر بن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر فى تفضيل قرطبة : ما أدرى ما تقول ، غير أنه إذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية » ج ١ ص ١٤٧

وتدل هذه الرواية على اشتهار قرطبة بالعلم والكتب ، وإشبيلية بالغناء ، كما تدل على استعلاء ابن رشد على ابن زهر ، فى العلم والفلسفة . ولم تكن منزلة ابن زهر كمنزلة ابن رشد . بل المأثور أنه كان حرباً على الفلسفة ، حين نهى المنصور عن الاشتغال بها ، وذلك بعد الفتنة التى دفع إليها الفقهاء نحو الفلاسفة .

وكانت أداة المنصور فى تنفيذ هذا الأمر ابن زهر . وهذه رواية القاضى أبى مروان الباجى نقلا عن ابن أبى أصيبعة ص ٦٩ « كان المنصور قد قصد أن لا يترك شيئا فى كتب المنطق والحكمة باقياً فى بلاده ، وأباد كثيراً منها باحراقها بالنار ، وشدد فى أن لا يبقى أحد يشتغل بشىء منهـا

وأنه متى وجد أحد ينظر فى هذا العلم أو وجد عنده شىء من الكتب المصنفة فيه فانه يلحقه ضرر عظيم ، ولما شرع فى ذلك جعل أمره مفوضاً إلى الحفيد أبي بكر بن زهر وأنه الذى ينظر فيه » .

وسوف نعود إلى الكلام عن أسباب الحرب على الفلسفة فيما بعد تفصيلا .

وقد عرضنا لهذا البيت بوجه خاص لما كان له من شهرة فى الطب ، وأثر فى صلاته بالفلاسفة من جهة أخرى ، وذلك لما كان بين الطب والفلسفة من أواصر .

٥ — ونحب أن نتحدث أيضاً فى عصر نشأة الفلسفة بالأندلس عن شخصية غامضة ، كشف الستار عنها آسين بلاسيوس[1] . وترجع أهميته إلى أنه تأثر خطى الفلسفة المنسوبة إلى أنبادقليس ، وكذلك الأفلاطونية الحديثة ، وإلى أنه أثر بطريقته فى محيي الدين بن عربي المتصوف ، كما تفذ تأثيره إلى فلاسفة اليهود مثل ابن جبرول وإلى أوربا اللاتينية .

ولد سنة ٢٦٩ هجرية فى قرطبة ، وكان أبوه عبد الله من المعتزلة ولكنه أخفى عقيدته خوفاً من الاضطهاد ، وكذلك ابنه محمد بن عبد الله بن مسرة ، الذى رحل إلى الشرق وعاش زمنا فى البصرة ، وانتقل منها إلى القيروان ، ثم عاد إلى قرطبة ، وعاش عيشة النساك فى الظاهر ليرضى الفقهاء والجمهور ، وأخذ يبث في تلاميذه من الخاصة تعاليمه التى يؤمن بها وأهمها أنه كان يفسر القرآن مع كثير من التأويل واستعمال الرمز ، وألف كتباً لا نعرف الآن إلا اسم كتابين منها وهما : كتاب التبصرة ، وهو فى التفسير ، وكتاب الحروف .

ويبدو أن الفقهاء من أهل السنة رأوا فى كتبه . وفى سيرة أتباعه ، ما يخالف الدين ، فأحرقوا كتبه ، واستتابوا أصحابه ، وألفوا فى الرد على آرائه . روى النباهى في تاريخ قضاة الأندلس عند الكلام على ابن زرب قال : « واعتنى القاضى ابن زرب بطلب أصحاب ابن مسرة ، والكشف عنهم ،

(1) انظر Asin Palacios, Abenmasarra su escuela Madrid 1914
Quadri : La Philosophie Arabe, Paris 1917, P 63—65
وتراث الاسلام الجزء الأول ص ٢٨٤ — ٢٨٨

واستتابة من علم أنه يعتقد مذهبهم ، وأظهر للناس كتابا حسنا وضعه فى الرد على ابن مسرة ، قرىء عليه وأخذ عنه . وكان سنة ٣٥٠ استتاب جملة جيء بهم إليه من أتباع ابن مسرة ، ثم خرج إلى جانب المسجد الشرقى وقعد هناك فأحرق بين يده ما وجد عندهم من كتبه وأوضاعه » [١] .

وكتب النباهى أيضاً فى باب الشهادة على الخطوط مانصه : « من وجد بخطه شىء من المذاهب الفلسفية المخالفة للشريعة ، أو ما بمنزلتها فى هذا المعنى، حكمها أن ينظر فى المكتوب ، فإن كان فيه تصريح أن قائله يقول به ويرتضيه إلى قوله . . . وقد تقدم فى اسم محمد بن يبقى بن زرب ما كان من عمله سنة ٣٥٠ فى جملة من أتباع ابن مسرة الجبلى ، وأنه استتابهم ، وأحرق ما وجد من كتبهم . وأوضاعهم عندهم » [٢]

وقد ذهب المحدثون إلى تأثر ابن مسرة بالفلسفة المنسوبة إلى أنبادقليس ، ونحن نجد هذا المذهب المنتحل مبسوطا في الملل للشهرستانى ، وقد اعتمدوا فى هذا التأثر على ماذكره القفطى فى أخبار الحكماء عند الكلام على أنبادقليس، قال : « ومن المشتهرين فى الملة الاسلامية بالانتماء إلى مذهبه محمد بن عبد الله الجبلى الباطنى من أهل قرطبة ، كان كلفا بفلسفته ملازما لدراستها ، وهو محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبى أبو عبد الله سمع من أبيه ومن ابن وضاح والخشنى وخرج إلى المشرق فارا لما اتهم بالزندقة لإكثاره من النظر فى فلسفة أنبادقليس ولهجه بها . وتردد فى المشرق مدة ، واشتغل بملاحاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة ، ثم عاد إلى الأندلس وأظهر النسك والورع ، واغتر الناس بظاهره واختلفوا إليه وسمعوا منه ثم ظهروا على معتقده وقبح مذهبه فانقبض عنه بعض ولازمه بعض ودانوا بنحلته . وكان له لسان خلوب يتوصل به إلى مراده . وكان مولده ليلة الثلاثاء لسبع مضين من شعبان سنة تسع وستين ومائتين ، وتوفى يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة تسع وستين وثلثمائة وهو ابن خمسين سنة وثلاثة أشهر » [٣] .

---

(١) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ص ٧٨
(٢) المرجع السابق ص ٢٠١
(٣) القفطى ص١٣

واختصر ابن أبي أصيبعة ترجمته وأوردها عند الحديث عن أنبادقليس، ونسبها إلى مصدرها وهو القاضي صاعد في طبقات الأمم قال: « وكان محمد ابن عبد الله بن مسرة الجبلي الباطني من أهل قرطبة كلفاً بفلسفته دؤوبا على دراستها ».

واتفقت كلمة المؤرخين للفلاسفة على أن الباطنية أخذت عن أنبادقليس قال صاعد، ثم ابن أبي أصيبعة: « وطائفة من الباطنية تنتمي إلى حكمته وتزعم أن له رموزاً قلما يوقف عليها ». وقال القفطي: « ومن الفرقة الباطنية من يقول برأيه وينتمي بذلك إلى مذهبه. وزعموا أن له [يريد أنبادقليس] رموزاً قلما يوقف عليها، وهي في غالب الظن إيهامات منهم، فاننا ما رأينا شيئاً منها، والكتاب الذي رأيته ليس فيه شيء مما يزعموه ». أما الكتاب الذي يشير إليه القفطي فقد قال عنه إنه رآه في كتب الشيخ أبي الفتح نصر ابن ابراهيم المقدسي التي وقفها على البيت المقدس الشريف، ولأرسطوطاليس عليه كلام وردود.

وقد حل الشهرزوري في تواريخ الحكماء هذه الرموز وقال في تسويغها « إن الأظهر أن هذا الكلام المنقول عن هؤلاء وغيرهم من القدماء كان رمزاً عن أمور وأحوال وأسرار لهم وإلا فتنقل عنهم أشياء لا يقولها من له أدنى تمييز فضلا عن الحكماء الفاضلين » مخطوط لوحة ٩ بمكتبة جامعة فؤاد

أوسع مصدر يذكر فلسفة أنبادقليس هذه هو الشهرستاني، قال: « إن الباري لم تزل هويته فقط لم يكن معه شيء، فأبدع الشيء البسيط المعقول وهو العنصر الأول ثم كثر الأشياء المبسوطة من ذلك النوع البسيط الواحد الأول، ثم كون المركبات من المبسوطات ». ومن فلسفته قوله: « إن الباري تعالى أبدع الصور لا بنوع إرادة مستأنفة بل بنوع أنه علة فقط . . . . فالمعلول الأول هو العنصر، والمعلول الثاني بتوسطه العقل، والثالث بتوسطهما النفس وهذه بسائط ومبسوطات وبعدها مركبات ». وقال أيضا: « العنصر

---

(١) ابن أبي أصيبعة: ج ١ ص ٣٦، ٣٧، وصاعد: ص ٢٤ (مع التنبيه إلى خطأ صاعد وابن أبي أصيبعة في كتابة اسمه حيث يقولان « ابن سرة »).

الأول بسيط من نحو ذات العقل الذي دونه وليس هو دونه بسيطاً مطلقاً أي واحداً بحتاً من نحو ذات العلة فلا يقول إلا وهو مركب تركيباً عقلياً أو حسياً فالعنصر في ذاته مركب من المحبة والغلبة ، وعنهما أبدعت الجواهر البسيطة الروحانية والجواهر المركبة الجسمانية . . . . » وقال أيضا : « ولكلام أنبادقليس مساق آخر قال : إن النفس النامية قشر النفس المنطقية ، والمنطقية قشر العقلية ، وكل ما هو أسفل قشر لما هو أعلى ، والأعلى لبه . وربما يعبر عن القشر واللب بالجسد والروح ، فيجعل النفس النامية جسدا للنفس الحيوانية ، وهذه روحا له وعلى ذلك ينتهى إلى العقل » . وذكر كيفية تدرج الخلق ، فقال : « لما صور العنصر الأول في العقل ما عنده من الصور المعقولة الروحانية ، وصور العقل في النفس ما استفاد من العنصر ، صورت النفس الكلية في الطبيعة الكلية ما استفادت من العقل فحصلت قشور في الطبيعة لا تشبهها ، ولا هي شبيهة بالعقل الروحاني اللطيف ، فلما نظر العقل إليها وأبصر الأرواح واللبوب في الأجساد والقشور ساح عليها من الصور الحسنة الشريفة البهية . . . . » ثم قال : « وخاصية النفس الكلية المحبة لأنها لما نظرت إلى العقل وحسنه وبهائه أحبته حب وامق عاشق لمعشوقه فطلبت الاتحاد به وتحركت نحوه . . . . »

ويتضح من هذه المقتطفات التي نقلناها اختلاط مذهب أنبادقليس بالأفلاطونية الحديثة ، وأن هناك وحدة وجود الله باطنها والأشياء ظاهرها ، او برمزهم عن الباطن والظاهر « اللباب والقشر » ، وأن حياة النفس في زهدها وابتعادها عن المادة واتحادها بجوهرها .

ويلخص صاعد الأندلسي فلسفته على نحو آخر ، ويذهب إلى أنه « أول من ذهب إلى الجمع بين معاني صفات الله تعالى ، وأنها كلها تؤدى إلى شيء واحد ، وأنه وإن وصف بالعلم والجود والقدرة فليس هو ذا معان متميزة تختص بهذه الأسماء المختلفة ، بل هو الواحد بالحقيقة الذي لا يتكثر بوجه ما أصلا بخلاف سائر الموجودات . . . . وإلى هذا المذهب في الصفات ذهب أبو الهذيل العلاف » (١)

---

(١) صاعد : ٢٤ .

ومن هذا كله يتضح تأثير هذه الآراء فى فلاسفة الأندلس ومتصوفيهم، فقد شغلت مسألة الواحد والكثير ابن باجة، وكان له طريق صوفى إلى معرفة الله، بينه فى رسالة الاتصال. كما تأثر به ابن عربى فى مذهب وحدة الوجود.

٦ — جملة القول اجتازت الفلسفة دور النشأة، ويمتاز هذا الدور بعدة أمور:

أولها: أن الأندلس كانت عاطلة تماماً من العلوم.

وثانيها: أن العلماء رحلوا إلى المشرق وطلبوا العلوم المختلفة فى مدارسها وعادوا بها إلى الأندلس.

وثالثها: أن علماء هذا الدور لم تكن لهم شهرة، أو على حد تعبير صاعد «ولم يزالوا يظهرون ظهوراً غير شائع إلى قريب وسط المائة الرابعة»[1].

ورابعها: أن هؤلاء العلماء لم يؤلفوا كتباً إلا فى النادر، ولم تشتهر هذه الكتب لضعفها، ولأنها كانت تهدف إلى سد الحاجة العملية.

وخامسها: أن العناية بعلوم الحساب والفلك والهندسة والطب كانت أسبق من العناية بالفلسفة المحضة. ولو أنا نقرأ لبعض المتقدمين فى هذا الدور أنهم اشتغلوا بالمنطق والفلسفة فى بعض الأحيان.

وسادسها: أن علماء الأندلس كانوا يجهلون اللغة اليونانية وهى لغة الفلسفة التى ينقلون منها، على عكس الشرقيين الذين كان منهم كثيرون يعرفون اليونانية أو السريانية[2].

---

(١) قال صاعد: ص ٨٨ «وأما صناعة الطب فلم يكن بالأندلس من استوعبها، ولا لحق بأحد المتقدمين فيها. وإنما كان غرض أكثرهم من علم الطب قراءة الكنانيش المؤلفة فى فروعه فقط دون الكتب المصنفة فى أصوله مثل كتاب أبقراط وجالينوس، وليستعجلوا بذلك ثمرة الصناعة ويستفيدوا به خدمة الملوك فى أقرب مدة».

(٢) ذكر ابن أبى أصيبعة عند ترجمة ابن جلجل ج ٢ ص ٤٧ أن اصطفن ترجم كتاب ديسقوريدس، وترك فيه أسماء باليونانية لم يستطع إيجاد مقابل عربى لها. وورد الكتاب إلى الأندلس، وانتفع به الأطباء. وفى سنة ٣٣٧ هادى أرمانيوس ملك قسطنطينية هدايا لها قدر عظيم «فكان من جملة هديته كتاب ديسقوريدس =

وليس من الغريب أن تشتمل الفلسفة على سائر العلوم ، فقد كانت هذه هى السنة التى أصبحت متبعة فى العصر الوسيط ، أو فى الفلسفة المدرسية ، سواء فى الشرق أو فى أوربا اللاتينية . ومن المعروف أن الفنون الأربعة المتفرعة عن الحكمة أو الفلسفة هى « الحساب والهندسة والموسيقى والفلك » . ومن قديم قسم أرسطو العلوم ثلاثة أقسام : الطبيعيات ، والرياضيات ، وما بعد الطبيعية . فلما نقلت الفلسفة إلى العرب ، جروا على سنة الجمع بين سائر العلوم ، فكان الكندى عالما بالحساب والهندسة والفلك والموسيقى والطب والمنطق وما وراء الطبيعة . وكذلك كان الفارابى ، وابن سينا من بعده .

فلا غرابة أن نجد اهتمام علماء الأندلس فى أول الأمر بالرياضيات والطب ، ثم ظهرت عناية المتأخرين بالفلسفة المحضة واشتغلوا بها ، فنبغ عندهم ثلاثة : ابن باجة ، وابن طفيل ، وابن رشد .

= مصور الحشائش بالتصوير الرومى العجيب . وكان الكتاب مكتوبا بالاغريقى الذى هو اليونانى . . . وكتب أرمانيوس فى كتابه إلى الناصر أن كتاب ديسقوريدس لا تجتنى فائدته إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليونانى ويعرف أشخاص تلك الأدوية ، فإن كان فى بلدك من يحسن ذلك فزت أيها الملك بفائدة الكتاب . . . ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الأندلس من يقرأ اللسان الاغريقى الذى هو اليونانى القديم ، فبقى كتاب ديسقوريدس فى خزانة عبد الرحمن الناصر باللسان الاغريقى ولم يترجم إلى اللسان العربى » .

من اللهجات اليمنية الحديثة

المجموعة الثانية[1]

للدكتور خليل يحيى نامى

(١) نصوص من مدينة تعز وقرية تربة ذبحان :

nezelt 'issūḳ 'agīb 'aṣṣabūḥ hḳḳ sīdī weba 'dēn reg'et 'ela almkân 'aṣtebeḥ, weba'dēn gassaynā ḳalil amad fī el'urḍī, wenezelnā almadīnah šerekt weba'dēn gassayt 'adbuḫhā fī 'elmakān 'ela mā nezel sīdī wetġaddah, weba'dēn ṭele'nā 'al'urḍi ḳayyalnā we'akalnā alḳāt weḫazzannā weḳumt sabart nār weḳahwah, weba'dēn 'azzen 'elmaġareb welaṣṣenā 'allambah wesernā neṣallī 'elmaġreb wal'ešah werege't 'aḳahwī men 'elṣalah.

waštarēt margenī ḫamaltuh fawḳ 'elḫumār walḥumār maksūr andal, weba'dēn berek mennī'elḫumār fi elṭariḳ la ḳeder beyeḥmel 'almarkeni, wastakrēt ḳāriš tānī.

weba'dēn bellēl wanā nuwwam wāḫed sāreḳ saraḳ 'alay al'adāh walḫumār weba'dēn rahalt ta'iz 'ašteki fama laḳēt naṣafah, weba'dēn gaza't arḍ allah.

mū tušā yabnī, we'ēš teštī, mū bak, wana mū 'arīd 'a 'mellak. ḳanā aḳullak men awwal 'itruk 'alhangamah, 'israḥ menawnā. 'irgīnī 'amad māgī, mā hallawš ḫagah mū rakkū.

الصبوح = الفطور ، والفعل اصطبح (iṣṭabaḥa) وسمعتهم يقولون أيضا في تعز وفى قرية التربة بداء (budā') بمعنى صبوح = فطور ، وسمعتهم يقولون فى بيت الفقيه وهى من بلاد تهامة — تتبدى = نتغذى .

[1] نشرت المجموعة الأولى من هذه النصوص فى مجلة كلية الآداب — العدد الثامن ، المجلد الأول ص ٦٩

حق سيدى : — ملك سيدى ، تستخدم كلمة حق فى كل بلاد اليمن للدلالة على الملكية وهى تشبه كلمة [illegible] فى اللهجة المصرية

جسينا = جلسنا .

وسمعتهم يقولون فى تعز جسيت ([illegible]) بمعنى جلست ، ويقولون فى قرية التربة — اجس (ʼigis) بمعنى اجلس بكسر الألف وكسر الجيم ، ومن الجائز أن فعل جلس قد أصبح فعلا ناقصاً مضعفاً وقد حذفت الياء من فعل الأمر اجس وكسرت الجيم للتعويض عن حذف الحرف المحذوف وذلك فى لغة التخاطب ومن الجائز أن أصل هذا الفعل الناقص بالياء المضعف ، هو فعل جثا يجثو = جلس على ركبتيه .

شركت = اشتريت لحماً .

وسمعتهم فى قرية التربة يستخدمون وزن تفاعل فى نفس هذا المعنى ، ويطلقون على اللحم فى كل بلاد اليمن اسم — شركة .

أدبخها = أطبخها .

وسمعتهم يقولون أيضاً — اتبخها بالتاء ، ولتعليل هذا أقول ، أن الطاء وهى مجهورة شديدة خففت إلى التاء المهموسة الشديدة ثم بعد ذلك أبدلت دالا لوقوعها قبل الباء المجهورة الشديدة .

وأكلنا القات وخزنا .

يمضغ اليمانيون عامة القات ويمصون ماءه ويخزنون البقايا فى أشداقهم مدة من الزمن ، ثم بعد ذلك يتفلوه ، والقات نبات منبه يشعر الانسان بعد تعاطيه بسرور وانشراح ونشاط ، ومن يمضغه لأول مرة ويفرط فى تعاطيه لاينام حتى يألفه ويتعوده ، ويعتبر القات المحصول الرئيسى فى بلاد اليمن وتصدر الحكومة اليمانية كميات كبيرة منه إلى عدن ، وقد ألف اليمانيون عدة رسائل فى مناقبه كما مدحه كثير من شعرائهم ، وقد نشرت إحدى

هذه الرسائل وهى عبارة عن مناظرة بين القهوة والقات فى مجلة الراوى الجديد [1] .

امسينا اللمبة = أسرجنا المصباح .

ورجعت أقهوى من الصلاة = ورجعت من الصلاة لأشرب القهوة .

سمعتهم يقولون فى كل بلاد اليمن — قهوت وتقهويت للمتكلم وتقهوى للغائب ، ولا يشرب اليمانيون البن ولكنهم يشربون قشره ، ويسمون المكان الذى يشربون فيه قشر البن مقهاية ، ويطلقون هذا الاسم أيضاً على الخان .

واشتريت مرجنى .

يطلق اليمانيون على المنسوجات الأمريكية الرخيصة وخصوصاً البز الأسمر اسم مرجنى أو مركنى وقد جاء فى كتاب تاريخ اليمن للشيخ عبد الواسع اليمانى ص ١٣١ ما يلى — المريكنى ويسمى فى مصر دمر بضم الدال المهملة وتشديد الميم المفتوحة — والذى أعرفه أن البز الأسمر يعرف فى مصر باسم الدمور بفتح الدال وتشديد الميم المضمومة ، كما يعرف أيضاً باسم البفتة السمرة .

اندل = بليد .

جاء فى القاموس المحيط فى مادة نذل ما يلى : — النذل والنذيل الخسيس من الناس والمحتقر فى جميع أحواله .

استكريت قارش تانى = اكتريت دابة أخرى .

القارش فى اليمن هو البغل أو الحمار والواحدة قارشة والجمع قواش بضم القاف .

سرق على الأداه = سرق منى الملابس .

جزعت أرض الله = قطعت أرض الله .

(١) مجلة الراوى الجديد — أول أبريل سنة ١٩٤٣

موتشا بضم التاء = ما تشاء = ماذا تريد .

ومن الجائز أن التاء قد ضمت لتتفق فى الجرس مع الواو المشبعة التي تسبقها .

وايش تشتى = وأى شىء تشتهى = ماذا تريد .

موبك بفتح الباء = ما بك .

وسمعتهم يقولون أيضاً فى تعز موبينك فى معنى ما بك .

قانا أقولك = قد أنا أقول لك = قد قلت لك .

اترك المنجمة = أترك التهديد والوعيد .

من الجائز أن هذه الكلمة أصلها الهنقمة من فعل هنقم صيغة أفعل من نقم مثل هرق = أراق ، ونعلم أن صيغة هفعل كانت تستخدم عند السبأيين كما كانت تستخدم صيغة سفعل عند المعينيين والقتبانيين والحضرميين ، وتستخدم الصيغتان فى بعض اللهجات العربية الجنوبية الحديثة مثل المهرية غير أن السين القديمة صارت شيناً ، كما تبدل الهاء حاء فى بعض الأحيان ، وسمعتهم يقولون فى قرية التربة — حنتر — بمعنى أنظر ، ومن الجائز أن أصلها هنتر صيغة أفعل من فعل نتر = نطر = نظر — وسمعتهم يقولون فى منطقة تعز — خليني شوسح لى ساعة فى معنى دعنى أو اتركنى أستريح ساعة ، ومن الجائز أن شوسح صيغة شفعل من فعل وسع أو فسح .

منونا ومن أونا = من هنا .

تستخدم أونا وهنا فى لواء تعز وكذلك فى صنعاء وسمعتهم يقولون فى بيت حميد بوادى شراع وهى من بلاد أرحب بشمال اليمن — هانا — وفى بيت الفقيه بتهامة — هينا أو هنه بالهاء المكسورة والنون المكسورة وكذلك فى الحديدة وعند الزرانيق بشمال الحديدة .

وسمعتهم يقولون فى قرية التربة : أونالك ، فى معنى هناك بسكون الواو وفى الحديدة هناك بكسر الهاء ، وفى ناعط هانك بفتح النون ، وفى بيت حميد بوادى شراع هانكة بفتح النون وتشديد الكاف المفتوحة ويقولون أيضاً فيها هنيكة بضم الهاء وفتح النون وسكون الياء وفتح الكاف .

أرجينى قليل أمد ماجى = أرجئنى قليلا إلى أن أجىء .

ماهلوش = غير موجود .

المعنى الحرفى لهذا التركيب هو — ما وجد شىء — وهلو بفتح الهاء واللام المشددة وسكون الواو وسمعت فى قرية التربة أنها لا تستخدم إلا فى هذا التركيب السابق الذكر ومعناها — موجود — ويذكرنى هذا الفعل الماضى بفعل هلو (hallawa) فى اللغة الجعزية أو اللغة الحبشية القديمة ومعناها هو نفس المعنى المستعمل الآن فى قرية التربة وهو — كان . وجد .

مور كو = ما رأيت فيه = ماذا تريد به .

سمعت هذه الصيغة فى قرية التربة وأخبرونى بأنها من لغو العدين [1] كما أخبرونى أيضاً بأنهم يقولون — أركو ('arakkū) بمعنى رأيت ، والكاف فى ركو هى ضمير المخاطب المرفوع كما أن الكاف فى أركو هى ضمير المتكلم المرفوع ، ومن الجائز أن أركو صيغة أفعل من فعل رأى أى أن أصلها ، أرأكو ثم خففت الهمزة وحذفت ، وقد سمعت وأنا فى صنعاء أن الكاف تستخدم ضميراً للمخاطب والمتكلم المرفوعين فى قضاء حراز الواقع فى غربى صنعاء وكذلك فى قضاء الطويلة الواقع فى شمال غربى صنعاء ، وتستخدم الكاف أيضاً ضميراً للمخاطب والمتكلم المرفوعين فى لهجات منطقة ظفار كاللهجة المهرية ، وروى أبو الحسن الهمدانى

(1) العدين بضم العين وفتح الدال قضاء من أقضية لواء إب ، ويقع هذا القضاء جنوب غربى صنعاء .

فى الجزء الثامن من كتابه الأكليل ج ٨ ص ٢٦ بيتاً من الشعر قال بأنه حميرى وقد نشره الأب أنستاس الكرملى محرفاً وصححته كما يلى :

انى أنا القيل إلى شرح حصنك غمدان بمنهمات

ومعنى هذا البيت المكتوب بلهجة يمنية حديثة هو أنى أنا القيل اليشرح حصنت غمدان بحجارة مصقولة .

(ب) نص من لغو حيس :

حيس بلدة من بلدان تهامة اليمن وهى واقعة فى قضاء زبيد بلواء الحديدة :

wa̱hamdallah ‘ekēš malak sīdī, ke̱d bukt awwādī 'ilaḳūdak, 'e̱dā 'antā mabukteš šanabūk 'anā yāk naḥīd 'aimmāy 'e̱da nazal māyu 'awwādy šanabūk netma‘kam wāšanerid netġaddah. ba‘d 'elġadah šanansum ḳalīl wanetbawwak neḳayyal 'emme̱haddarah ḥaḳḳ ḥamdallah, šanasmur 'ammā nuṣṣ ellēl, nerūḥ senā 'ambēt. šanarḳud 'ammā alṣubḥ, šanaḳūm negaddid waneṣalli wanetḳarra‘, ba‘d elṣalah nabūk naṭlub 'allah ‘alā nufusna. 'altāmes waḥed saraḳ ‘alay ḥāgah ḳumnā tad̲ūrabna 'anā yāh watwāzarna ‘alēh 'anā wa̱hay, waba‘d raḳētuh ṭa‘an benaṣluh fī h̲ay, gerīt ba‘d elsāreḳ raḳētuh awwādī, raḳētuh ḳad da̱hal 'ambēt ḥaraḳt ‘alēhōn 'ambēt badūw ḥārebīn senā amḥukūmah yeštukū, nafad̲lū ‘alēna h̲amṣah ‘askar wa‘arifah ruḥna ma‘ 'im'askar 'ammā 'alḥukūmah, raḳēt elsāreḳ muḥarraḳ zahruh mamzū‘ galas men ḥāl enda‘ā ‘alay ennah ḥaraḳu ‘alēh t̲iyābuh mā reḳīšī šuhūd ‘alēnā badēnā 'eḥna men ‘end el‘āmel wuhmah da̱h̲haluh 'emḥabs benā kad̲ab habāluh ḳēdēn weda̱h̲haluh bekān rummah ḥaḳḳ 'emmaḥābīs' 'ammā šuruḳ badaw yeṣallū marrēt men ‘endehōn kūn yetgaddalna weyeh̲zina.

عكيش :

بكسر العين ثم كاف وياء ممالة اسم علم وأصله عكيش — عنكبوت .

وقد تحولت الفتحة والياء الساكنة إلى ، الممدودة الممالة ، وتحولت الضمة المحركة بها نعين إلى كسره للتجانس مع الكسرة الممدودة الممالة التي تليها .

كذ = إذا . إن .

بكت = ذهبت :

من فعل باك يبوك وقد سمعتهم يقولون في حيس : بوك زبيد (būk zabīd) = إذهب إلى زبيد ، وشبوك = سأذهب ، وأصلها شابوك بتخفيف همزة المتكلم ، ثم حذف المد بعد ذلك ، كما سمعتهم يقولون بايك = ذاهب والجمع بايكين (bāyekīn) ، وسمعتهم يقولون في بيت الفقيه وهي من بلاد تهامة : تبوك طلب الله (tabūk ṭalab allah) = تذهب لتبيع وتشتري، وسمعتهم يقولون في الحديدة : شابوك = سأذهب ، ومن الجائز أن فعل باك المستعمل في تهامة اليمن يقابل فعل بكّ ، فقد جاء في القاموس المحيط في مادة بكّ ما يلي: بكه زاحمه . . . والبكبكة طرح الشيء بعضه على بعض والازدحام والمجيء والذهاب . كما أنه من الجائز أيضاً أن هذا الفعل يقابل فعل وكب . وجاء في القاموس المحيط في مادة هذا الفعل ما يلي : وكب يكب وكوبا ووكبانا مشى في درجات ومنه الموكب للجماعة ركباناً أو مشاة .

القادك ('ellakādak) :

سمعت في حيس ان معني هذا النص هو : أولم تعزم ، أي أن معنى النص: كذ بكت أوادي القادك هو إن ذهبت إلى الوادي أو لم تذهب ، والقادك مركبة من : إن + لا + قد + ك = وإلا فقد أنت موجود لم تذهب !

نحيد (nahīd) = ننظر . نرى . نشاهد .

وسمعتهم يقولون أيضاً في حيس : حيد (hīd) أمر للمفرد ، وللجمع حيدو (hīdū) . وسمعتهم يقولون حيدنا (hīdanā) بمعنى انظر إليّ عوضاً عن حيدني (hīdanī) = شاهدني . وكذلك أمر المفرد المتصل بضمير المتكلمين ؛ وكذلك حيده (hīduh) انظر إليه ، وحيدها انظر إليها.

وحيدهم (ḫīduhum) وحيدهن (ḫīduhun) ، كذلك سمعتهم يقولون في الحديدة شاحيد = سأنظر .

أماى ('ammāy) : الماء .

سمعت وأنا فى حيس أن أم تستخدم للتعريف فى تلك النواحى كما تستخدم أيضاً أل ، فنجدهم يقولون الغدا والليل والصبح والصلاة والله والتامس بمعنى الأمس والصارق = السارق والعام ، كما سمعتهم يقولون أيضاً أماى = الماء ، امبيت = البيت ، امحكومة = الحكومة ، امعسكر = العسكر ، امحبس = الحبس . وسمعتهم يقولون فى زبيد أمبيت ، أمخوخة = الخوخة ، امخلاص = الخالصة ، الساعة = الساعة ، الموتر = السيادة . وكذلك في بيت الفقيه سمعتهم يقولون : أمدكان = الدكان ، أم إشه = العشة ، الظهر ، الأصر = العصر ، الآمل = العامل ، الحكومة والبيت . . . الخ .

وكل البلاد التى ذكرتها هى من بلاد تهامه ، وقد سمعتهم يقولون أيضاً فى بعض بلاد تهامه أنجدى = الجدى ، وقد أخبرونى فى بيت حميد بوادى شراع وهى من بلاد أرحب بشمال اليمن بأن أم للتعريف تستخدم فى بلاد الخارد حتى بلاد أرحب إلا بنى الحارث وبيت حميد فهما فصحاء ولا يعرفان الطمطمانية .

وجاء فى صفة جزيرة العرب للهمدانى ج ١ ص ١٣٥ س ١٦ : وبلد سفيان ابن أرحب فصحاء إلا فى مثل قولهم أم رجل وقيد بعيراك ورأيت أخواك ويشركهم فى إبدال الميم من اللام فى الرجل والبعير وما أشبهه الأشعر وعك وبعض حكم من أهل تهامه وعذر مطرة ونهم ومرهبة وذبيان وسكن الرحبة من بلحارث فصحاء .

وجاء فى كتاب(Landberg, Glossaire Datînois) ج ١ ص ٨٥ مايلى : قال ابن المجاور إن بدو تهامه وبدو جبال جنوب غربى اليمن يستخدمون أم للتعريف والأسماء تنطق بواو نهائية .

مايو māyu — ماء .

عرفنا من قول ابن المجاور أن بدو تهامه ينطقون الأسماء بوار نهائية ، وقد سمعتهم يقولون فى حيس عيانو = سحاب ، قوزو = زلط ، جيهلو = جاهل (طفل) ، عاريجو = شجرة النبق ، حامضو = حامض ، ملحو = ملح ، قراعو = فطار ، صريبو şarībū = صراب (هو موسم الحصاد فى اليمن) ، آذنو = أذن . . . الخ . وسمعتهم يقولون فى بيت الفقيه طعامو ، وفى الحديدة : بتو bittu = بنت ، جسيو = بئر ، قحلو = غزال ، ولا تدخل هذه الواو على الأسماء المعرفة بأل ولا على الأعلام فهى بذلك كالواو التى كان يستخدمها النبط الذين كانوا يعيشون قبل الميلاد وبعده فى العلا ومداين صالح بشمال الحجاز .

نتمعقم = نسبح .

وسمعت فى حيس أيضاً أن المعقم هى فتحة القناة .

شننسم = سنستريح .

إمخدرة = المخدرة = مكان الزوجة — مسكن أو بيت .

حق حمد الله = ملك حمد الله :

تستعمل حق فى كل بلاد اليمن وحضرموت ودثينة للدلالة على الملكية ، وهى تقابل فى اللهجة المصرية بتاع (متاع) .

أما = إلى .

سنا = إلى .

وجاءت فى النقوش العربية الجنوبية القديمة لفظة : سن ومعناها نحو أو إلى أو بقرب ، وتكتب فى هذه اللغات أحيانا بالسين العادية وتارة بالسين الجنبية .

نجدد = نتوضأ :

سمعت هذا الفعل ومصدره جدود فى جنوب اليمن وتهامة ولم أسمعه فى الهضبة .

نتقرع = نتناول وجبة الفطور :

وسمعتهم يقولون فى حيس قراعو بمعنى فطور وفى عدن قراع .

نطلب الله على نفوسنا = نبيع ونشترى = نتاجر :

سمعت هذا الإصطلاح فى معظم بلاد اليمن وقد سمعتهم فى بيت الفقيه يقولون : تبوك طاب الله = تذهب لتبيع وتشترى والمعنى نسأل الله أن يهيء لنا أرزاقنا .

التامس = أمس . البارحة .

توازرنا عليه أنا وأخى = تآزرنا عليه أنا وأخى .

جريت بعد الصارق = جريت وراء أو خلف السارق .

رقيته = لقيته .

كد = قد :

ولم أسمع هذا اللفظ إلا فى هذه الناحية .

بدو هاربين سنا أمحكومة = خرجوا هاربين قاصدين الحكومة :

بدو = بدأوا ، سنا = إلى ، أمحكومة = الحكومة .

نفذوا علينا = أرسلوا إلينا .

عريفة = عريف . رئيس الجند .

رقيت الصارق محرق ظهره ممزوع = لقيت أو وجدت السارق وملابسه التى على ظهره أو التى يلبسها محروقة ومقطوعة .

جلس من حال = جلس فى الحال أو فى التو والساعة .

اندعى على = ادعى على .

إنه حرقن عليه ثيابه = إنا أحرقنا ثيابه .

مارقيشى = (مالقيشى) = ما وجد = لم يجد .

بدينا احنا = خرجنا نحن .

وهوه دخله إمحبس = وهو قد (دخّله) أدخله الحبس = أدخله السجن .

هباله قيدين = وهب له قيدين قيده بهما .

بكان = فى . بمكان . بمحل .

بكان رمة حق إمّحابيس = بمكان رميم أو بال ملك المحبوسين = بمكان بال هو سجن للمسجونين .

أمّا شروق = أما فى وقت شروق الشمس = وفي وقت الشروق .

بدَو = بدأوا . أخذوا .

يمجدلنا = يجادلنا . يتشاجر معنا . يُشهّر بنا .

ويخزينا = ويُخزينا = يفضحنا . ويُشهّر بنا .

تطور ساحل دلتا النيل

بالدكتور محمد محمود الصياد

في أواخر الزمن الثالث وبداية الزمن الرابع كانت الدلتا أكثر اتساعاً مما هي عليه الآن ، وكان منسوب كل من نهر النيل والبحر الأبيض المتوسط أعلى من المنسوب الحالي ، وكان النهر يحمل الحصى والرمل بدلا من الغرين الدقيق ، و « كانت حافة الدلتا القديمة عند وادي النطرون في الغرب وعند خليج السويس في الشرق »[1]. وإذن فلكي ندرس تطور الدلتا لا بد من أن ندخل في حسابنا دراسة التغيرات التي تعرض لها خط ساحل البحر الأبيض المتوسط . ومثل هذه الدراسة يتطلب بدورها بحث المدرجات النهرية التي كونها النيل في العصور المختلفة لنستنتج منها التغيرات التي طرأت على مستويات النهر في مصر الأمر الذي يرتبط تماما بتغيرات خط الساحل .

ولقد اهتم بدراسة المدرجات النهرية في وادي النيل كثير من الباحثين مثل ادوارد هل (Edward Hull) وغيره ممن كتبوا عن تطور نهر النيل . ولكن الفضل الأكبر في بحث تلك المدرجات يرجع إلى الدكتور ك . س . ساندفورد (K. S. Sandford) والدكتور ج . و . آركل (J. W. Arkell) وقد ظهرت أبحاثهما في سلسلة كتبهما المعروفة عن حوض النيل . ويتفق معهما في الآراء التي وصلا إليها الدكتور جون بول (John Ball) بل ويعتمد

(1) ساند فورد وآركل (١٩٣٩) ص ١٧ من المقدمة .

على نتائج أبحاثهما الجيولوجية والاركيولوجية وتبعهما فى الاصطلاحات التى استعملاها مع اختلاف بسيط [1].

المدرجات النهرية فى وادى النيل

يرى الحصى والرمل (من البلستوسينى حتى العصر الحديث) حافا بأطراف الأراضى الزراعية فى أجزاء كثيرة من وادى النيل بحيث يكون مجموعة من المدرجات تظهر على ارتفاعات مختلفة فوق مستوى سطح الأراضى الغرينية الزراعية .

هذه المدرجات — التى من الواضح أن النهر قد كونها فى مراحل متتالية . وعلى مستويات منخفضة بالتتابع حينما كان يعمق مجراه تدريجيا منذ البلايوسين الأعلى — لها الأهمية الأولى فى مساعدتنا على تتبع التغيرات التى حدثت فى مستويات البحر واليابس بالنسبة بعضهما لبعض فى البلستوسين وما بعده .

توجد رواسب الخليج البلايوسينى [2] على ارتفاع ١٨٠م فوق سطح البحر ، وقد قطعت فى هذه الرواسب سلسلة من المدرجات على الارتفاعات التقريبية الآتية:

١١٠ — ١٠٠م ، ٦٥ — ٦٠م ، ٥٠ — ٤٥م ، ٣٠م ، ١٧ — ١٥م ، ١٠ — ٨م ، ٣م فوق مستوى السهل الفيضى الحالى [3] .

---

(١) يستعمل جون بول الفاظ مبكر Early ومتوسط ومتأخر Late بدلا من أسفل Lower وأوسط وأعلى Upper التى يستعملها ساندفورد وآركل فى الاشارة إلى الاقسام الفرعية للحجرى القديم ليتجنب الالتباس الذى قد ينشأ عن أن المدرجات النهرية القديمة تقع على مستويات أعلى من التى تكونت فيما بعد بالتدريج . راجع بول (١٩٣٩) هامش ص ٤٢

(٢) راجع حزين (١٩٤١) فى الفصل الخاص بالتطور الفزيوغرافى لوادى النيل الأدنى ص ص ١٥٠ — ١٥٩

(٣) راجع ساندفورد واركل (١٩٢٨) ص ١٧ ، (١٩٢٨) ا ص ص ١٨ — ٢٠ ؛ (١٩٢٩) ص ص ٦٧ — ٦٨ ، (١٩٣٣) ص ص ١٨ — ٤٧ ، ٨٢ — ٨٥ ، (١٩٣٩) ص ص ٣٨ — ٤٥ ؛ ٤٩ — ٦٠ ، ٩٢ — ٩٦

ويذكر « بول » هذه المدرجات ويضيف مدرجين آخرين على ارتفاع ١٤٠ م ، ١١٥ م ويقول : إنهما لا يوجدان إلا فى الأجزاء الشمالية من الوادى ويمكن الرجوع بهما إلى أواخر البلايوسين (راجع « بول » ص ٤٢) . كذلك يذكر « بول » ارتفاع هذه السلسلة من المدرجات على النحو الآتى :

١٤٠ م ، ١١٥م ، ٦٠ م ، ٤٥ م ، ٣٠م ، ١٥ م ، ٩ م ، ٣ م .

ولا يعرف فى الواقع شىء عن أعمار المدرجات الثلاثة الأولى (العليا) أكثر من أنه يمكن الرجوع إلى البلايو — بليستوسين [1] إذ أنه لم يثبت حتى الآن أنها تحتوى على آلات حجرية أو أى آثار لانسان ما قبل التاريخ، أما المدرجات الأربعة الأخرى فقد وجدت بها آلات يستدل منها على أن: [2]

١ — مدرجى ٣٠ م ؛ ١٧ — ١٥ م يرجع تكوينهما إلى الحجرى القديم الأسفل إذ توجد الآلات الشيلية فى المدرج الأول والأشيلية فى المدرج الآخر.

٢ — مدرج ١٠ — ٨ م يرجع إلى الحجرى القديم الأوسط فقد وجدت فيه آلات لفالوا :

٣ — مدرج ٣م وجدت فيه آلات لفالوا المتأخرة (Diminutive La valloisan) التى ترجع إلى الحجرى القديم الأعلى [3].

ويظن أن الفترة التى تكونت فيها المدرجات العليا من هذه السلسلة (شيلى) كانت طويلة جدا إذا قورنت بالفترات الأخرى [4]. وبعد تكون هذه المدرجات يظهر أن النيل كان يعمق مجراه الأدنى إلى حد غير معروف [5] فلم يحصل على آلات حجرية فى داخل الطبقات (in situ) فى الوادى تنتمى إلى فترة الانتقال بين الحجرى القديم والحجرى الحديث [6].

---

(١) حزين (١٩٤١) ص ١٥١ ويذكر بول أنها ترجع إلى أوائل البلستوسين (راجع ماذكره عن مدرجات ٩٠ م، ٦٠ م، ٤٥ م فى ص ٤٢).

(٢) راجع ساند فورد، آركل (١٩٣٣) ص ٨٦ ، (بول ١٩٣٩) ص ص ٤٢ — ٤٥ ، حزين (١٩٤١) ص ص ١٥١ — ١٥٢

(٣) يشاهد مدرجا ٣٠ م، ١٧ — ١٥ م على طول الوادى من حلفا إلى القاهرة كما يشاهد مدرج ١٠ — ٨ م من أسوان إلى أسيوط وبعدها نجد أن عوامل التعرية قد أزالته — أما مدرج ٣ م فيمكن تتبعه بين أسوان والأقصر ولكنه فى الشمال يوجد تحت مستوى السهل الفيضى الحالى — راجع بول (١٩٣٩) ص ص ٤٢ — ٤٣

(٤) ساند فورد وآركل (١٩٣٣) ص ص ٧٢ — ٧٣ ، ص ٨٣

(٥) حزين (١٩٤١) ص ١٥٢

(٦) بول (١٩٣٩) ص ٤٥ ، ويستنتج بول من هذا أن النيل فى أثناء تلك الفترة كان يجرى على مستويات أقل من مستواه الحالى . وأنه لو فرض أن إنسان ما قبل الحجرى الحديث كان يعيش فى الوادى فان آثاره لا بد وأنها قد دفنت تحت الطمى الذى يكون السهل الفيضى الحالى .

تغير مستويات نهر النيل :

من بحث مدرجات النهر في وادي النيل يمكن أن نتتبع التغيرات المتعاقبة التي حدثت في مستويات النهر في جزئه المصري في البليستوسين وما بعده وأن نخلص إلى النتائج الآتية :

١ — منذ البليستوسين الأسفل حتى بداية الحجري القديم الأوسط [١] كان النهر يكون مدرجات يقل ارتفاع الواحد منها عن الآخر بالتتابع .

٢ — بعد تكون هذه المدرجات أخذ النيل يعمق مجراه، فحفر في مصر الوسطى مجرى عميقاً ملء فيما بعد بطين أجنبي أحدث عهداً. هذا الطين يختلف عن المواد الخشنة التي جلبت من مرتفعات البحر الأحمر والتي كونت المدرجات الحقيقية [٢].

٣ — في الحجري القديم الأعلى (السبيلي) أخذ النهر أولا يعلي قاعه من وادي حلفا إلى نجع حمادي [٣] بارساب كميات هائلة من الطمي [٤].

= يزيد في قوة استنتاج « بول » النتائج التي وصلت إليها مس كيتون طومسون (Miss. Catan Thompson) ، مس جاردنر (Miss. Gardner) (١٩٢٩) ص ٢٨ فقد أثبتتا وجود مدرج من الرمل الأبيض الناعم يرجع إلى ما قبل أوائل الحجري الحديث في منطقة الفيوم . هذا المدرج يقع على ارتفاع ١٨ م فوق سطح البحر ويبين خط ساحل بحيرة الفيوم في ذلك العصر . ولما كان من الثابت أن تلك البحيرة كانت متصلة بالنيل إذ ذاك فانه يمكن أن نستنتج أن مستوى السهل الفيضي للنيل في المنطقة المحيطة ببني سويف كان في أوائل الحجري الحديث على ارتفاع أكثر من ١٨ متراً فوق سطح البحر الحالي (يقدره بول بـ ٢٠ متراً) — راجع بول (١٩٣٩) ص ٥٩ — أو بمعنى آخر كان منخفضا عن مستوى سطح السهل الفيضي الحالي ببضعة أمتار .

(١) راجع بول (١٩٣٩) ص ٤٥

(٢) حزين (١٩٤١) ص ١٥٢ — يلاحظ أن الحالة في مصر العليا والنوبة تختلف عن مصر الشمالية فرحلة النحت المتراجع (degra dation) في الشمال عاصرتها مرحلة أرساب (aggadration) في الجنوب (في نهاية الحجري القديم الأوسط وبداية الحجري القديم الأعلى)

(٣) المواد الطينية (Silt) من الحجري القديم المتوسط والأعلى يقل ارتفاعها كلما اتجهنا شمالا حتى نجع حمادي فتكون في مستوى السهل الفيضي الحالي وفي شمال نجع حمادي توجد مختفية تحت الرواسب الحديثة .

راجع ساندفورد ، آركل (١٩٢٩) ص٦٨ ، (١٩٣٣) ص ص ٢٥ — ٣٨ ، ساندفورد (١٩٣٤) شكل ١٣

(٤) في تلك الأثناء كانت عملية الحفر مستمرة في الشمال .

ثم تحلى الارساب إلى حدما عن محله للحفر حوالى السبيلى الأوسط [١] .
ولذا نجد أن مستوى النهر نفسه انخفض فى السبيلى الأعلى إلى عمق كبير
تحت مستوى السهل الفيضى الحالى .

٤ — فى فترة الانتقال بين الحجرى القديم الأعلى والحجرى الحديث
أخذ النهر يعلى قاعه فى مصر الشمالية حتى أصبح انحداره هو نفس انحدار السهل
الفيضى الحالى تقريباً ، وإن يكن منسوب النهر أقل من مستوى السهل الفيضى
ببضعة أمتار ، ثم توالى إرساب الطمي فأصبح مستوى قاع النهر ومستوى
سهله الفيضى يرتفعان في كل جهة من مصر اللهم إلا فى منطقة النوبة حيث
لايزال الحفر مستمرا [٢] وقد استمرت هذه الأحوال حتى اليوم .

العلاقة بين مستويات النيل ومستويات البحر الابيض المتوسط :

يرى ساند فورد وآركل أنه يمكن تفسير تتابع المدرجات تفسيراً كافياً
بدراسة تغيرات مستوى سطح البحر [٣] ويتبعهما بول فى هذا الرأى [٤]
أما حزين فيرى أن تغيرات مستوى سطح البحر وحدها لا تكفى فى تفسيرها [٥]
ويجب أن ندخل فى حسابنا عاملين آخرين هما تغيرات المناخ [٦] وتغيرات
النظام الهيدروغرافي لنهر النيل . وإن تكن الأخيرة لم تلعب دوراً واضحاً
فى النهر فى جزئه المصرى إلا فى المراحل النهائية من تطوره الفزيوغرافى [٧] .

(١) حزين (١٩٤١) ص ١٥٣
(٢) بول (١٩٣٩) ص ٤٥ ، حزين (١٩٤١) ص ١٥٣
(٣) ساند فورد (١٩٣٤) ص ص ٥١ — ٥٢ ، ساند فورد ، آركل (١٩٣٣)
ص ص ٨٥ — ٨٦
(٤) راجع بول (١٩٣٩) ص ٣١ وقارن بالصفحات من ٤٦ إلى ٥٨ ، أنظر
الشكل السادس ص ٥٥
(٥) حزين (١٩٤١) ص ص ١٥٤ — ١٥٥ وحجته فى ذلك أن معادلة مدرجات
النيل بأرصفة البحر المتوسط الغربى (لايوجد شيء من هذه الأرصفة بالساحل المصرى)
تسبب بعض التناقضات التى لا يمكن حلها حلاتاماً بالرجوع إلى تغيرات مستوى سطح البحر .
(٦) يقول ساند فورد وآركل [راجع (١٩٣٣) ص ٣١ ، ص ص ٨٥ — ٨٦]
ان العصر المطير فى أفريقية الشمالية الشرقية استمر بدون توقف من البلايوسين حتى الحجرى
القديم الأعلى وبهذا يصبح من العسير ربط هذه المدرجات بالتغيرات المناخية .
عن التغييرات المناخية راجع حزين (١٩٤١) ص ص ٨٢ — ٩٥ ، شكل ٦ فى اللوحة ٥
(٧) حزين (١٩٤١) ص ١٥٥

ويحاول حزين أن يعادل بين ذبذبات المناخ فى كل من أوربا وافريقية الشمالية الشرقية من جهة وبين مستويات كل من البحر المتوسط والنيل من جهة أخرى ولبول محاولة أخرى فى هذا الموضوع [2]. يقصد بها تعيين أمرين هما:

١ — مستويات البحر بالنسبة للارض فى الفترات المختلفة .

٢ — خط ساحل الدلتا وموقعه فى تلك الفترات .

ويضع ملخص النتائج التى وصل إليها في الجدول الآتى على الصفحة التالية منه نستطيع أن نستخلص الحقائق التالية . وهى فى الواقع ملخص التطورات التى مر فيها ساحل مصر الشمالى (كما يراها بول معتمداً على النتائج التى وصل إليها ساندفورد وآركل) :

١ — فى بداية البلستوسين نجد أن البحر المتوسط الذى وصل إلى ١٨٠ م [3] فوق منسوبه الحالى فى البلايوسين المتوسط أخذ ينخفض حتى وصل إلى ١٠٣ م وأصبح خط الساحل يقع إلى الشمال من القاهرة بحوالى ٣٣ ك . م .

٢ — وفى أثناء البليستوسين استمر البحر فى الانخفاض أو ربما استمرت الأرض فى الارتفاع حتى حوال الموستيرى المتوسط حيث انخفض البحر إلى نحو ١٢ م تحت مستواه الحالى . وتقدم خط الساحل نحو الشمال حتى أصبح على بعد ٩٠ ك . م . من القاهرة .

٣ — ثم حدثت حركة عكسية بعد ذلك فارتفع البحر أو انخفضت الأرض حتى أصبح مستوى البحر في الموستيرى الأعلى حوالى ١٦ م فوق المستوى الحالى . وتراجع خط الساحل جنوباً فأصبح على بعد ٨٢ ك . م . من القاهرة .

---

(١) المصدر السابق ص ص ١٥٦ — ١٥٩ ، ويأخذ المؤلف بالنظرية التى تقول بأن المستويات العليا للبحر تتفق مع الفترات غير الجليدية ، والمستويات المنخفضة له تتفق مع الأدوار الجليدية ص (١٥٥) .

(٢) [يراجع شرح هذه النظرية فى المصدر نفسه ص ص ٤٥ — ٦٠]
بول (١٩٣٩) ص ص ٤٦ — ٥٨

(٣) بول (١٩٣٩) ص ٥٦

العصر Period	المرحلة Stage	المنسوب التقريبي للبحر المتوسط بالنسبة للأرض مقارنا مع المنسوب الحالي	المسافة بالتقريب بين خط الساحل والقاهرة
البلايوسين الأعلى	مدرج ١٤٠ م	+ ١٥٠ م	٢٥ ك . م
البلايوسين الأعلى	مدرج ١١٥ م	+ ١٢٩ م	٢٨ ك . م
البلايوسين الأسفل	مدرج ٩٠ م	+ ١٠٣ م	٣٣ م
البلايوسين الأسفل	مدرج ٦٠ م	+ ٧٢ م	٤٥ ك . م
البلايوسين الأسفل	مدرج ٤٥ م	+ ٥٧ م	٤٨ ك . م
الحجرى القديم الأسفل	مدرج ٣٠ م (أشل)	+ ٤١ م	٥٣ ك . م
الحجرى القديم الأسفل	مدرج ١٥ م (آشل)	+ ٢٠ م	٦٤ ك . م
الحجرى القديم المتوسط	مدرج ٩ م (موستيرى أسفل)	+ ١٨ م	٧٠ ك . م
الحجرى القديم المتوسط	موستيرى متوسط	- ١٢ م	٩٠ ك . م
الحجرى القديم المتوسط	موستيرى أعلى	+ ١٦ م	٨٢ ك . م
الحجرى القديم الأعلى	سبيلى أسفل	+ ١٣ م	٨٥ ك . م
الحجرى القديم الأعلى	سبيلى متوسط	+ ٣ م	١٠٣ ك . م
الحجرى القديم الأعلى	سبيلى أعلى	— ٤٣ م	١٨١ ك . م
الحجرى الحديث	أوائل الحجرى الحديث	— ١٠ م	١٧٣ ك . م
العصر الحاضر	—	صفر	١٧٠ ك . م

٤ — وفي نهاية الفترة الموستيرية انعكست الحركة فانخفض البحر أو ارتفعت الأرض إلى أن أصبح مستوى البحر فى السبيلى الأعلى — ٤٣م تحت مستواه الحالى . وتقدم خط الساحل فأصبح على بعد ١٨١ ك . م . من شمالى القاهرة أو نحو ١١ ك . م . من شمالى الساحل الحالى .

٥ — وفى نهاية الفترة السبيلية حدثت حركة عكسية ثالثة فأخذ البحر يرتفع من جديد أو أخذت الأرض تنخفض . وأخذ الساحل يتراجع جنوباً واستمرت هذه الحركة الأخيرة (وإن تكن معدلاتها قد اختلفت) فى فترة الانتقال إلى الحجرى الحديث وفى الحجرى الحديث ثم فى العصور التاريخية [١] .

الحركات التاريخية :

ولم يستقر الساحل فى العصور التاريخية بل حدثت حركة هبوط طغى بها البحر على شمال الدلتا ، وتقوم الأدلة الكثيرة شاهدة بوجودها ، تلك الأدلة التى نجد مثلا منها فى شرق الدلتا وفى وسطها وغربها على السواء .

أما فى شرق الدلتا فنجد أن بحيرة البردويل الواقعة فى شمال شبه جزيرة سيناء قد تغير شكلها . فبعد أن كانت على عهد « بلينى » بحيرة ضحلة تسمى بحيرة « سيربون » (Sirbon) اتسعت مساحتها وأصبحت مستنقعاً طويلا يمتد مكوناً بحيرة البردويل الحالية [٢] وفى نفس المنطقة نجد أن مدينة « غرم » (Gherrum) القديمة [٣] الغنية بآثارها اليونانية والرومانية أصبح الكثير من آثارها مغموراً تحت الماء .

وتتجلى هذه الظاهرة على وجه الخصوص فى بحيرة المنزلة بكثرة الجزر الموجودة فيها ، وآثار البلاد والقرى التى كانت مزدهرة قديما ونراها الآن

---

(١) تكاد تتفق نتائج « حزين » مع هذه النتائج إلا أنه يفهم (ضمناً) من تفصيله لها (ص ص ١٥٦ — ١٥٩) أن كل حركة من هذه الحركات كانت على شكل ذبذبة . ولكن ميلها العام كان إما إلى الارتفاع أو الانخفاض . وأم ما يختلف حوله الباحثان هو أن « بول » يذهب إلى أن خط ساحل الدلتا يتوقف على ارتفاع منسوب البحر أو انخفاضه فقط ؛ ولكن « حزين » يرى أنه يجب ألا تغفل عامل الارساب فعندما يرتفع مستوى انصباب النهر تقل سرعته وهذا يساعد على زيادة الارساب وبالتالى على تقدم خط ساحل الدلتا .

(٢) بارتو (١٩٢٥) ص ٩٤ ويلاحظ رسم البحيرة فى الحالتين .

(٣) المصدر السابق ص ٩٣ ، وكانت هذه المدينة تقع بالقرب من « المحمدية » الحالية على الطرف الغربى للبردويل .

داخل حدود البحيرة أو فيما حولها من المناقع [1] ، ومن أمثلة هذه البلاد « تنيس » وكانت فى العصور الوسطى ذات شهرة عظيمة كقلعة محصنة وكمركز لصنع المنسوجات الدقيقة [2] ويذكر « لينان دى بلفو » أن الجزر التى تشتمل عليها بحيرة المنزلة الآن هى بقايا قرى قديمة قامت يوم أن كانت أراضى المنزلة تزرع قبل أن تغمرها المياه [3] ، ويؤيد هذا الأمر النتائج التى وصل إليها « مسيو موصيرى » من أبحاثه فى جهة « ميت سلسيل » الواقعة إلى الجنوب من بحيرة المنزلة بنحو ٦ ك . م [4] .

وأما فى وسط الدلتا فقد عثر « أوديبو بك » فى جنوب البحر المتوسط بنحو ٢٤ ك . م . بالقرب من المصرف رقم ٤ على آثار تربة زراعية وبقايا أغصان وجذور نباتات تقع على عمق ٣٣٤ سم تحت سطح البحر مع أن هذه المنطقة نفسها ترتفع الآن عن سطح البحر بنحو ٥٦ سم . وهذا يدل على حدوث الانخفاض . فليس من المعقول أن تقوم الزراعة فى منطقة قريبة من البحر وتقع تحت مستواه بثلاثة أمتار أو أكثر [5] ما لم تنشأ السدود وتعد وسائل الصرف وهى أمور لم يقم على وجودها دليل . كذلك يستدل « الأب جراسيان » أحد علماء الحملة الفرنسية على حدوث هبوط فى منطقة بحيرة البرلس بناءً على ما لاحظه من وجود الخرائب المغمورة تحت سطح الماء [6] .

وفى غرب الدلتا نجد الأدلة كثيرة على حدوث هذا الطغيان ، إذ تثبت أبحاث « برنشيا » أن مستوى سطح مدينة الاسكندرية الرومانية يقع تحت مستوى سطح المدينة الحالية بحوالى ٦ أو ٧ أمتار ، وأنه لكى نعثر على آثار الاسكندرية البطلمية يجب أن نحفر إلى أعمق من ذلك . ويقدر « برنشيا » أن الهبوط الذى حدث فى منطقة الاسكندرية يتراوح بين ١٠٠ ، ١٥٠ سم

(١) العدوى (١٩٣٩) ص ١٤٩
(٢) درامى ص ٩٠
(٣) لينان دى بلفو (١٨٧٢) ص ٣٤
(٤) اوديبو بك (١٩١٩) ص ١٢٠
(٥) بول (١٩٣٩) ص ٦٧
(٦) كتاب وصف مصر الجزء ١٦ ص ٢٠٥

وربما أكثر من ذلك فى بعض الجهات ، ومن الأدلة الأخرى التى يسوقها أن « الهيباستاديوم » Hepastaduim الذى بنى فى العهد البطلمى قد غمرته مياه البحر . كذلك جزيرة « انترودوس » Anterrhodos القديمة التى كانت تقع فى الميناء الشرقى قد اختفت تماما [1] .

كذلك تثبت الأبحاث الخاصة بالفرع الكانوبى أن مصبه يمتد تحت مياه خليج أبو قير لمسافة ٦ ك . م . فى الداخل ، يؤيد هذا الرأى لاروس ومحمود بك الفلكى [2] ويذكر جوندى [3] أن أرصفة موانى جزيرة « فارو » القديمة تقع الآن تحت منسوب سطح البحر بنحو ١٣٠ سم إلى ٨٣٠ سم حسب أجزائها المختلفة .

هذه الأدلة جميعا تثبت أن البحر طغى على ساحل الدلتا الشمالى ، ولم يوجد بين العلماء من يشك فى حدوث هذه الحركة . ولكن الأمر الذى اختلفوا فيه هو سبب تلك الحركة ، هل هى راجعة الى ارتفاع سطح الماء أم الى انخفاض فى سطح الأرض أم إلى الأمرين معا .

تعرض لهذا الموضوع الأستاذ « كورديه » أحد علماء الحملة الفرنسية [4] حينما كتب فصلا فى كتاب وصف مصر خاصا بخرائب تانيس القديمة (صان الحجر) فأكد حدوث طغيان ماء البحر ولكنه وقف حائرا أمام سبب حدوث ذلك الطغيان واكتفى بأن ذكر أنه لابد وأن يكون واحداً من ثلاثة :

١ — فاما أن يكون البحر قد أخذ يرتفع وظلت الأرض كما هى .

٢ — وإما أن تكون الأرض قد أخذت تهبط باستمرار دون البحر .

٣ — وإما أن يكون البحر قد أخذ يرتفع وأخذت الأرض تهبط فى نفس الوقت .

(١) برتشيا (١٩١٤) ص ٦٦ — ٦٧

(٢) محمود بك الفلكى (١٨٧٢) ص ٧٩

(٣) جوندى (١٩١٦) ص ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٥

(٤) لويس كورديه : كتاب وصف مصر الجزء ٥ الفصل ٢٣

أما الذين يقولون بأن طغيان البحر يرجع إلى ارتفاع سطح الماء لا إلى هبوط الأرض فعددهم قليل . ويقول « برتشيا » : يذهب بعض الجيولوجيين إلى أن القول بهبوط الأرض ليس أقوى من القول بارتفاع مستوى البحر ولكن الغالبية ترى أن طغيان البحر إنما سببه هبوط الأرض لا تغير مستوى البحر[١] .

ويؤيد الدكتور « بول » هذا الرأى ويرجع بالتغيرات الكثيرة التى حدثت فى المستوى النسبي لمنسوب البحر — والتى سبق أن أشرنا إليها — إلى هبوط الأرض وارتفاعها وينكر بشدة احتمال رجوعها إلى ارتفاع منسوب الماء أو انخفاضه[٢] .

ويعتقد ارنست رينان[٣] أن منسوب البحر لم يتغير منذ آلاف السنين ويبنى اعتقاده هذا على ملاحظاته المختلفة عن صخور ساحل البحر المتوسط فى سورية . ويذهب مذهبه « كايو »[٤] و « سوس »[٥] فيؤكدان ثبات منسوب البحر المتوسط فى كل العصور التاريخية . ويقول بهذا الرأى أيضاً « اوديبو »[٦] ، وقد أثبتت أبحاثه فى مقابر كوم الشقافة صحة رأيه .

ويقول « سان جينى »[٧] وهو من علماء الحملة الفرنسية بهبوط الأرض هبوطاً بطيئاً معتدلا ، ويذكر أنه لو فرض حدوث تغيير فى مستوى البحر فان هذا التغيير كان بسيطاً لا أهمية له . وقد حصل على هذه النتيجة من دراسته للخرائب القديمة فى منطقة الاسكندرية . ويقول ريموندويل[٨]

(١) برتشيا (١٩١٤) ص ٦٦
(٢) بول (١٩٣٩) ص ص ٥٥ — ٦٧
(٣) ارنست رينان Ernest Renan فى اوديبو بك (١٩١٩) ص ١٣٢
(٤) كايو (١٩٠٧) ص ١٠
(٥) سوس Suess فى اوديبو بك (١٩١٩) ص ١٣٢
(٦) اوديبو بك (١٩١٩) ص ١٢١
(٧) سان جينى Saint Genis (راجع كتاب وصف مصر الجزء ٥ الفصل ٢٦)
(٨) ريموند ديل (١٩١٩) ص ص ١٥ — ١٦

بعد بحثه لصخرة رأس التين أن تلك الصخرة قد هبطت فى الحركة التى نتج عنها هبوط كثير من المقابر والخرائب فى منطقة الاسكندرية .

من كل هذا يتبين لنا أن هناك شبه إجماع على أن طغيان البحر كان منشؤه هبوط سطح الأرض الذى يمكن تعليله بتوالى إرساب الكميات الهائلة من الطمى يجلبها النيل وفروعها الكثيرة [1] .

أما زمن حركة الهبوط تلك فان المقريزى — وهو أول من كتب عن طغيان مياه البحر المتوسط على شمال الدلتا — يرجع بها إلى ماقبل الفتح العربى . ويذكر أن طغيان البحر كان تدريجيا فغمر الأراضى المنخفضة ثم العالية . ويذكر منطقة « طناح » المرتفعة ويقول إن غمرها تم قبل الفتح العربى بنحو مائة عام . ويوافق « هيوم » [2] على أنها حدثت فى القرن السادس الميلادى فى حين أن « ريموندويل » يرى أنها بدأت قبل العهد الرومانى فى مصر بكثير واستمرت إلى ما بعده وربما استمرت حتى الآن [3] .

ويقف « دى مورجان » [4] من مسألة تحديد زمن حركة الهبوط موقفا سلبيا فيذكر أن زمن التحديد أمر عسير إذ لا تزال الأدلة عليه ناقصة ولكن الذى يمكن قوله هو أن أثرها بدأ يظهر واضحاً منذ أوائل العصر العربى حيث اضمحلت مدن مثل « تنيس » فى اقليم بحيرة المنزلة بعد أن انقطعت عنها المياه العذبة نظراً لتقدم المياه الملحة من البحر وتأثيرها فى موارد الماء العذب .

ويمكن أن نخرج من هذا كله بأن حركة الطغيان هذه ترجع إلى الفترة السابقة للفتح العربى وأن هناك شبه إجماع بين الباحثين على ذلك أو على الأقل هناك إجماع على أن تلك الحركة بدأت تظهر آثارها واضحة فى أواخر الحكم الرومانى وأوائل الحكم العربى .

(١) هذه الظاهرة ملحوظة فى حالات أخرى كدلتا الرون والبو والسيسى والسكنج .
(٢) هيوم (١٩٢٥) ج ١ ص ١٩٠
(٣) المصدر السابق ص ٣٢
(٤) دى مورجان ج ١ ص ٤٢

مصادر البحث

1. AUDEBEAU BEY : (1919) " L'affaissement du Nord du Delta egyptien depuis l'Empire romaine ". Bull. de l'Ins. d'Eg. 1918–1919.

2. BALL, JOHN : (1939) " Contributions to the Geography of Egypt ". Ministry of Finance, Egypt. Govt. Press. Bulaq.

3. BARTOUX : (1925) " Paléographiee de l'Egypte ". Compte rendu du Congrès Inter. de Géog., 1925.

4. BRECCIA : (1914) " Alexandrea ad Agyptym ". Guide de la ville ancienne et moderne et du Musée Gréco-Romain. Bergamo, 1914.

5. CATON THOMPSON ; MISS G. & GARDNER ; MISS. E. W. : (1929) " Recent work on the problem of Lake Moeris ". G. J. vol. XXXIII, No. 1. Jan. 1929.

6. CAYEUX : (1907) " Fixite du Niveau de la Méditerranée à l'époque historique ". Annales de géographei. T. XXI, 1907.

7. DARESSY : " Les branches du Nil sous la XVIIIe dynastie ". B. S. R. G. E. XVII.

8. EL-FALAKI, M. BEY : (1872) " Mémoire sur l'antique Alexandrie, ses faubourgs et environs découverts par les fouilles, sondages, nivellements et autres recherches ". Copenhague.

9. GRATIEN LE PÈRE, M. : " Extrait d'un mémoire sur les lacs et les déserts de la Basse Egypte ". D. de l'Egypte, t. XVI.

10. HUME : (1925) " Geology of Egypt ". Cairo, 1925.

11. HUZAYYIN ; S. A. : (1941) " The place of Egypt in Prehistory " ; A Correlated Study of Climates and Cultures in the Old World. (Mémoires présentés à l'Institut d'Egypte).

12. JONDET, GASTON : (1916) " Les portes submergées de l'ancienne île de Pharos ", Le Caire, 1916.

13. LINANT DE BELLEFONDS : (1872) " Mémoires sur les principaux travaux d'utilité publique exécutés en Egypte depuis la plus haute antiquité jusqu'à nos jours ". Paris. 1872.

14. MORGAN ; J. DE : (1896) " Recherches sur les origines de l'Egypte " L'âge de la pierre et les métaux. Paris.

15. RENAN ; ERNEST : (1898.) " Mission de Phénicie ". Paris.

16. SAINT GENIS: "Description des Antiquités d'Alexandrie et de ses environs". (D. de l'Egypte, t. V, chap. XXVI).

17. SAND FORD: K. S.: (1934) "Paleolithic man and the Nile Valley in Upper and Middle Egypt". Prehistoric Survey of Egypt and Western Asia. vol, III Chicago; Oriental Institute publications. Vol. XVIII.

18. SANDFORD & ARKELL; W. J.: (1928.) "Terraces of the Nile in Upper Egypt" in "Premier Rapport de la Com. des Terrasses Pliocènes et Pléistocenes" (Union Géographique Internationale).

19. SANDFORD & ARKELL: (1928 A.) "First Report of the Prehistoric Survey Expedition". Chicago.

20. SANDFORD & ARKELL: (1929) "On the Relations of Paleolithic Man to the History and Geology of the Nile Valley in Egypt". Man. Vol. 29 No. 50, 1929.

21. SANDFORD & ARKELL: (1933) "Paleolithic Man and the Nile Valley in Nubia and Upper Egypt". A study of the region during Pliocene and Pleistocene times. Preh. Sur. of Eg. and W. Asia. Vol. II; or. Ins. Pub. Vol. XVII, Chicago.

22. SANDFORD & ARKELL: (1939) "Paleolithic Man and the Nile Vally in Lower Egypt with some notes upon a part of the Red Sea Littoral". Preh. Sur. of Eg. and W. Asia, Vol. IV; or. Ins. Pub. Vol. XLVI, Chicago.

23. WEIL: R.; (1919) "Les portes antéhelléniques de la côte d'Alexandrie et l'empirecrétois". Extr. du Bull. de l'Inst. Fran. d'Arch. Or. T XVI, 1919.

24. العدوى : أحمد محمد (١٩٣٩)

سواحل مصر . مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . المجلد الخامس ، الجزء الأول ، القاهرة .

المرايا المعدنية الإسـلامية

للدكتور جمال محرز

من التحف المعدنية الاسلامية التي وصلت الينا مجموعة من المرايا المصنوعة من الصلب أو البرنز على هيئة قرص يمسك إما من مقبض متصل به أو من شريط يمر من ثقب في جزء ناتىء بظهره .

وأقدم ما وصل إلينا من هذه المرايا يرجع إلى القرن ١٢م وكلها من منتجات شرق العالم الاسلامى ، ولم يصل إلينا حتى الآن ما يمكن نسبته إلى الفن الاسبانى المغربى بالرغم مما لدينا من إشارات إلى المرايا فى الأدب الأندلسى فعن عبد الله بن اسماعيل بن بدر بن اسماعيل (القرن ١٠ م) :

كنت قد أهديت ورداً فادعت ... إنه من ورد خديها سرق
ومشت عجلى إلى مرآتهـــا ... فإذا ورد كورد فى الطبق[1]

ويروى عن أبى بكر بن زهر الحفيد (٥٠٧ — ٥٩٥ هـ) :

إنى نظرت إلى المرآة إذ جليت ... فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا
رأيت فيها شيخاً لست أعرفه ... وكنت أعهده من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذى بالأمس كان هنا ... متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستجهلتنى وقالت لى وما نطقت ... قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى
هون عليك فهـذا لابقاء له ... أما ترى العشب يفنى بعد ما نبت[2]

(١) الضبي : أحمد بن يحيي بن أحمد بن عميره : بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ص ٣٤١ (مدريد ١٨٨٥م) ؛ Elias Teres : Ibn Faray de Jaen y su Kitab al-Hada'iq — فى مجلة الأندلس ص ١٥٢ ج ١١ مجلد ١ سنة ١٩٤٦ م .

(٢) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ج ٢ ص ٧١

وكذلك نجد إشارات إلى المرايا فى العصر الفاطمى فعن المقريزى أنه :
كانت هناك صناديق مملوءة مرايا من حديد محلاة بالذهب والفضة وبعضها مكلل بالجواهر النفيسة وله محفظات أو غلاف من الكيمخت وهو نوع من الجلد المتين وأخرى من الأقمشة الحريرية النفيسة وكان المرايا المذكورة مقابض من العقيق [1] .

وقد حفظت لنا بعض صور المخطوطات الايرانية أشكال هذه المرايا وهى مرايا مستديرة تقريباً وذات مقابض طويلة إلا أن المصور لم يرسم لنا العناصر الزخرفية ولو أنه فعل لنفعنا هذا كثيراً فى التمييز بين المرايا الايرانية وبين غيرها من صناعة البلاد الأخرى ، ونجد رسوم هذه المرايا فى صورة من مخطوط جامع التواريخ لرشيد الدين المحفوظ بالجمعية الملكية الأسيوية بلندن والمؤرخ ١٣٠٦ — ١٣١٤ م [2] وفى صورة إيرانية من القرن ١٧ م محفوظة فى متحف الآثار الاسلامية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .

والوجه الأمامى للمرآة مصقول ليسمح بانعكاس الأشياء ، والوجه الخلفى مزخرف بعناصر مختلفة آدمية وحيوانية ونباتية وهندسية قد تصاحبها كتابات كوفية أو نسخية ، وهناك مرآة خالية من العناصر الزخرفية السابقة وليس بها إلا كتابات تشمل آية (الله نور السموات والأرض . . .) [3] . ونلاحظ أن حافة بعض هذه المرايا قد تكون مفصصة أو مرتفعة عن مستوى السطح . وكذلك نشاهد فى بعض الأوجه الأمامية للمرايا كتابات ورسوما محفورة عملت فى عصور متأخرة خاصة بالسحر والشعوذة وذلك عند مايراد استخدام المرآة لهذا الغرض .

ويتفاوت قطر القرص أو مساحة المرآة بمعنى آخر فبعض هذه المرايا صغير يبلغ قطره ١٢,٥ سم وبعضها كبير يصل قطره إلى ٢١ سم والبعض الآخر وسط بين هذا وذاك قد يكون قطره ١٧ أو ١٨ سم .

---

(١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٤١٥ (بولاق) والدكتور زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٤٩

(٢) Blochet : Musulman Painting Pl. L

(٣) Rienaud : Monuments Arabes, Persans et Turcs T II P 398



(شكل ١)

إيران أو العراق القرن ١٢ م

[متحف الآثار الاسلامية كلية الآداب رقم ١٧٣١]

والأسلوب الشائع استخدامه فى زخرفة الوجه الخلفى للمرآة هو تقسيم هذا الوجه إلى عدة دوائر مركزية يزيد عددها أو ينقص بحسب كل حالة وتزخرف كل دائرة من هذه الدوائر بعنصر زخرفى من العناصر التى استخدمت فى تزيين المرايا فنجد فى واحدة الرسوم الآدمية أو الحيوانية أو عناصر رمزية، وفى أخرى الرسوم النباتية، وفى ثالثة الكتابات الكوفية أو النسخية. أو يشغل الموضوع الزخرفى سطح المرآة كله بدون تقسيمه إلى هذه الدوائر أو أن تعمل دائرة صغيرة فى الوسط ويشغل الفراغ بين محيط هذه الدائرة ومحيط القرص بعدة دوائر توزع فى هذا الفراغ الدائرى. وأغلب العناصر الزخرفية بارزة وقد يكون هذا البروز كبيراً أو ضئيلا وقد تكفت بعض المرايا[١] أو تذهب[٢].

أما الأيدي فإما أنها تصنع مع القرص فى نفس الوقت أو تصنع منفصلة ثم تلحم به[٣] والملاحظ أن زخرفة الأيدى مستقلة عن زخرفة وجه المرآة ولا تتفق أو تنسجم معها فى نظامها.

ومن الموضوعات الزخرفية التى شاعت فى زخرفة المرايا رسوم أبى الهول المجنح (شكل ١) فنجد اثنين منها متدابرين بينهما شجرة بسيطة وهما فى وضعهما هذا يذكران بالأسلوب الايرانى القديم الذى نرى فيه حيوانين متقابلين أو متدابرين وبينهما شجرة الحياة، ذلك الموضوع الذى كان منتشراً فى جميع أنحاء العالم الاسلامى، ويزين الفراغ برسوم أفرع وأوراق نباتية. ويحيط بهذا الموضوع كتابة من الخط الكوفى نصها: « العز والبقا والدولة والبها والرفعة والثنا والغبطة والعلا والملك والنما والقدرة والإلا

(١) توجد واحدة بدار الآثار العربية من عمل حاجى حسين بن محمد الخوارزمى مؤرخة ٧٨٧ هـ (١٣٨٥ م).

(٢) دار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٦

(٣) Harari: Metalwork after the Early Islamic Period, P. 2481 (a Survey of Persian Art vol. III)

لصاحبه أبداً[1] » والظاهر أن مجموعة هذه المرايا كانت تصنع بوساطة قالب يصب فيه المعدن المنصهر وذلك نظراً للتشابه الدقيق بينها . وفي بعض المرايا يحيط بالنص الكتابي إطار من عنصر نباتي[2] كما قد يستبدل هذا النص بزخرفة مجدولة في مرايا أخرى (دار الآثار العربية رقم ١٥٣٣١) .

وتنسب هذه المجموعة من المرايا إلى القرن ١٢ م إلا أن هناك خلافاً بين علماء الآثار حول البلد أو المركز الفني الذي أنتج هذه المرايا فبعض العلماء يجعلها من إنتاج إيران كديماند وكوهلاوزن والبعض الآخر من العراق كالدكتور كونل والدكتور زكي محمد حسن ومرجع هذا إلى ذيوع موضوعها الزخرفي واستخدامه في كل بلاد العالم الاسلامي وفي زخرفة التحف المصنوعة من المواد الأخرى كالنسيج والخشب والخزف وغير ذلك .

ومما ينسب إلى إيران أيضاً في هذه الفترة مجموعة أخرى من المرايا المزخرفة برسوم آدمية قد تمثل مناظر صيد أو مجلس بلاط أو رسوم أشخاص فقط . فنجد أحياناً فارساً يطعن أسداً قد هجم عليه من الخلف بينما يهاجم الحصان أسد آخر من أمام ويحيط بهذا الموضوع إطار به رسوم بط[3] : ويزين إحدى المرايا الموضوع المشهور بقصة بهرام كور فنراه ومعه أزدة حبيبته خلفه تعزف على قيثارة وأمامهما غزالان . وفي الاطار الخارجي عقود مفصصة بداخلها طيور وحيوانات على أرضية من أفرع ملتوية[4] . كما نجد

(١) مرايا هذه المجموعة موزعة بين المتاحف المختلفة : متحف الآثار بكلية الآداب رقم ١٧٣١ بالوجه الأمامي نقوش خاصة بالسحر ، دار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٨ ، انظر : الدكتور زكي محمد حسن : الفنون الايرانية لوحة ٣٠

A Survey of Persian Art vol VI Pl 1301 ; Migeon : Manuel d'art Musulman fig. 198, Pijoan : Historia general del Arte T XII fig. 266, Heinrich Kolhausen : Islamische Kleinkunst. Führer Durch das Hamburgisch Museum Für Kunst und Gewerbe T 32, kühnel : Islamische Kleinkunst abb 102 ; Dimand : a handbook of Mohamedan Decorative Arts fig. 78 (1947) ; Reinaud ; op. cit. T II P 394.

وتوجد واحدة في مجموعة Duc de Luyes بالمكتبة الأهلية بباريس . رينو المصدر : السابق ص ٤٠٠

(٢) متحف برلين : الدكتور زكي محمد حسن : التصوير عند العرب ش ك ص ١٧١

(٣) متحف اللوفر : موسوعة الفن الايراني ج ٦ لوحة ١٣٠٢ ب .

(٤) مجموعة ديموت : موسوعة الفن الايراني لوحة ١٣٠٠ ، Pope : Persian Art ; Pl 59, Ibid : Masterpieces of Persian Art

ويرى هراري أنها ليست بمرآة نظرا لثقلها وقد تكون قرصا ممدنيا لزخرفة تثبت في باب أو ما أشبه . موسوعة الفن الايراني ص ٢٤٨٤ حاشية رقم ٢



(شكل ٢)

الأوجه الآدمية : إيران سلجوقى

[دار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٠]

أحياناً رسوم فرسان ومعهم الصقور ، ففي واحدة نشاهد فارساً يلبس عمامة ضخمة ومعه صقر وبين أرجل الحصان كلب وأمامه غزال ويزين الأرضية أفرع وأوراق نباتية ويحد هذا الموضوع شريط دائري به غزال وكلاب وأسود على أرضية من أفرع نباتية ثم يحد هذا شريط آخر به كتابة كوفية عبارة عن تمنيات نستطيع أن نقرأ منها العز الدائم والنعمة الشاملة والسعادة الدائمة والسلامة والعافية والغبطة . . . لصاحبه [1] . ومن مناظر البلاط نجد ملكا جالساً الجلسة الساسانية على عرش يحمله أسدان مجنحان وعن يمين الملك وشماله تابعان [2] .

وببعض المرايا دوائر بداخلها أوجه آدمية بعض أصحابها ذوو وجه مستدير يرتدون خوذات [3] ويزخرف الفراغ بين الدوائر أشكال هندسية مرسومة بطريقة تذكر بصناعة الخشب الخرط وقد يكون لهذه المرايا إطار مزخرف بعصابة مجدولة قد تقسم إلى ثمانية أقسام [4] (شكل ٢) .

أما ما ينسب إلى العراق من هذه المرايا علاوة على ما قد ينسب اليه من المرايا المزخرفة برسوم أبي الهول فمجموعة من المرايا استخدمت في زخرفتها رسوم آدمية وحيوانية تمثل البروج الفلكية وبعض هذه المرايا مؤرخ وأقدم مرآة مؤرخة معروفة لنا من هذه المجموعة محفوظة بدار الآثار العربية بالقاهرة رقم ١٥٣٣٥ وتاريخها ٥٤٨ هـ — ١١٥٣ م وزخرفتها عبارة عن كلب صغير في وسط سطحها يحيط به سبع دوائر داخلها رسوم البروج [5]

(١) متحف فكتوريا والبرت : موسوعة الفن الايرانى لوحة ١٣٠١ ج ٦ (دار الآثار العربية رقم ١٥٣٣٨ ، ١٥٣٣٩) . انظر الدكتور زكى محمد حسن : الفنون الايرانية لوحة ١٣٠

(٢) دار الآثار العربية رقم ١٥٣٢٥

(٣) دار الآثار العربية رقم ١٥٣٣٣ أنظر الدكتور زكى محمد حسن : الفنون الايرانية لوحة ١٣٠ والفنون الاسلامية ش ٤٢٩ ص ٥٢٤

(٤) دار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٠ : المصدر السابق .

(٥) موسوعة الفن الايرانى ج ١ لوحة ١٣٠١ ب .

وهذه المرآة حافة عريضة مرتفعة عن مستوى السطح حفرت فيها الكتابة النسخية التي تشمل التاريخ ونصها : «بسم الله الرحمن الرحيم . عملت هذه المرآة المباركة فى طالع سعيد مبارك وهي إن شاء الله تنفع للدقة وللمطلقة وسائر الأوضاع والآلام تبرأ باذن الله تعالى وذلك فى شهور سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . عمل فى مرور الشمس ببرج الحمل سبع معادن [١] » .

والمرآة الثانية من هذه المجموعة ولو أنها غير مؤرخة إلا أن من السهل تأريخها إذ منقوش عليها إسم أحد سلاطين الدولة الأرتقية ونص الكتابة النسخية التى بها هذا الاسم هو «عز لمولانا السلطان العالم العادل المؤيد المنصور الملك المعز نور الدنيا والدين أبى الفضل أرتق شاه بن الخضر بن ابراهيم بن أبى بكر بن قرا آرسلان بن داود بن سكمان بن أرتق نصير أمير المؤمنين [٢] » .

وقد حكم هذا السلطان فربوت سنة ١٢٦٠ م . وهناك نص آخر على الوجه الأمامى «بسم الله غبش طلسم كل شخص تلقا سنت سنتمية رع زمخية[٣] » وهذا النص من عصر متأخر بلا شك وزخرفة هذه المرآة عبارة عن نسر ناشر جناحيه فى الوسط يحيط به رسوم سبعة أشخاص يمثلون البروج وبجوارهم أسماؤهم مكتوبة بخط النسخ ويحيط بهذه البروج السبعة اثنا عشر دائرة صغيرة متماسة بها البروج أيضاً ثم دائرة أخيرة كاطار للمرآة بها النص السابق ذكره الذى يحوى اسم السلطان .

والمرآة الثالثة من هذه المجموعة محفوظة بدار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٢ (شكل ٣) وتاريخها ٦٧٥ هـ — ١٢٧٦ م وسطحها مقسم إلى ثلاثة دوائر الأولى بها أفرع نباتية متداخلة وأنصاف أوراق نباتية مفصصة ، والدائرة

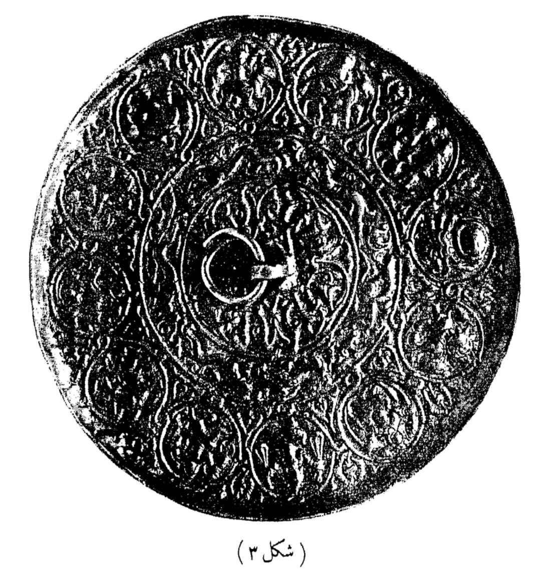
---

(١) الدكتور زكى محمد حسن : الفنون الاسلامية ص ٥٢٦

Wiet : L'epigraphie arabe de l'Exposition d'art persan pl. 1.

(٢) كونل : المصدر السابق شكل ١٠١ ميجيون : المصدر السابق ش ١٩٩ ، رينو : المصدر السابق لوحة ١٠ ، ص ٥٠٥

(٣) رينو : المصدر السابق ص ٤٠٤



(شكل ٣)

البروج الفلكية . مؤرخة ٦٧٥ هـ — ١٢٧٦ م

[دار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٢]

الثانية والثالثة تتصلان ببعضهما بوساطة حلقات . وزين الدائرة الثانية حيوانات تجرى فتجد غزالا يتبعه كلب فأرنب فثعلب فكلب فغزال آخر وذلك على أرضية مزينة بالنباتات . أما الدائرة الثالثة فقد قسم مساحتها اثنتا عشرة دائرة يتصل بعضها ببعض بوساطة حلقات وبداخل كل دائرة من هذه الدوائر شكل يمثل برجاً من البروج الاثنى عشر . وقد ملء الفراغ بين الدوائر برسوم أوراق نباتية على هيئة القلب وأنصاف أوراق مفصصة تشابه الأوراق الموجودة فى الدائرة الكبيرة الوسطى [1] . أما الكتابة النسخية المشتملة على التاريخ فتحتل الحافة المرتفعة بالوجه الخارجى للمرآة .

وتوجد مجموعة أخرى من المرايا تمت بصلة وثيقة من حيث الزخرفة إلى المرآة السابقة والموضوع الزخرفى لهذه المرايا هو الحيوانات المتتابعة على أرضية من أفرع وأوراق نباتية قد يصاحبها أحياناً كتابات . ففى واحدة بدار الآثار العربية رقم ١٥٣٢٧ نجد أسداً وحماراً وثعلباً وأرنباً وسط الزخارف النباتية وأخرى بها أسد وأرنب وكلب وهذا النص « بركة ويمن وسرور وسعادة وسلامة وعلو وعافية وتأييد وتقدير ونصر واستقامة وبقا لصاحبه » [2] . وثالثة بها أسد وغزال وثعلب وسط الأفرع النباتية [3] . ويصح نسبة هذه المجموعة إلى العراق ولو أن هناك من يعتبرها من منتجات الفن الايرانى .

وهنالك مجموعة أخرى من المرايا تشابه فى زخرفتها المجموعة السابقة من حيث استخدام الحيوانات والطيور فى الزخرفة ولو أنها تختلف عنها فى نظامها فنجد واحدة تزخرفها أوزتان متقابلتان والفراغ مزين بالنباتات ويحيط بهذا الموضوع شريط دائرى من زخرفة مجدولة [4] . وأخرى استبدلت فيها الأوزتان بطاووسين متقابلين أيضاً مع تزيين الأرضية بالأفرع

(١) موسوعة الفن الايرانى ج ٦ لوحة ١٣٠١ ا .
(٢) مجموعة بلاكاس . رينو : المصدر السابق ص ٣٩٧
(٣) متحف فيكتوريا والبرت : ميجيون : المصدر السابق ش ٣٨٢ ص ٣٩٢ ، وأخرى فى اللوفر . موسوعة الفن الايرانى ج ٦ لوحة ١٣٠٢ ا .
(٤) بمتحف الدولة ببرلين : الدكتور زكى محمد حسن : التصوير عند العرب ش ٣٨ لوحة ١٨

والأوراق النباتية ويحد هذا بالعصابة المجدولة أيضاً . وفى مرآة أخرى نشاهد أسماكا على أرضية من أشكال هندسية [١] أو ضفادعا قد ترسم واحدة منها كبيرة داخل دائرة فى الوسط حولها أربع ضفادع أخرى[٢] .
ومن المحتمل أن تكون هذه المرايا من صناعة مصر فى العصر المملوكى وتوجد واحدة محفوظة بمتحف اللوفر زخرفتها من طائرين لها وجه آدمى واحد يصاحبهما سمكتان وبعض الأفرع النباتية [٣]. وهذه المرآة أقرب إلى صناعة العراق منها إلى مصر وترجع إلى العصر السلجوقى أيضاً (القرن ١٢ م) .

وقد وصلت الينا من العصر المملوكى مجموعة أخرى من المرايا بها كتابات نسخية [٤] تصاحبها عناصر نباتية أو هندسية والكتابات عبارة عن تمنيات شأنها فى ذلك شأن جميع النصوص السابقة فنجد فى إحدى المرايا العز والاقبال والسلامة والسعادة وهذه المرآة مقسمة إلى أربعة أقسام بوساطة دوائر داخلها رسم زهرة (دار الآثار العربية رقم ١٥٣٤٥) وحافة هذه المرآة عريضة مفصصة . وقد يذكر فى النص اسم أحد السلاطين ففى مرآة بدار الآثار العربية أيضاً رقم ١٥٣٤٦ نجد « عز لمولانا السلطان العالم العامل الملك الأشرف أبو النصر (قايتباى) عز نصره » وهذه المرآة مقسمة إلى ثلاثة دوائر وسطى بها رسم هندسى على هيئة نجمة وأفرع وأوراق نباتية وأنصاف أوراق نباتية ، والملاحظ أن هذه العناصر تتداخل بعضها فى بعض . وفى أخرى بدار الآثار العربية أيضاً رقم ١٥٣٢٩ نقرأ « عز لمولانا السلطان العادل العالم الغازي المجاهد المرابط المشاغر السيد الأجل الملك الكامل المؤيد المنصور » والكتابة على أرضية من أفرع نباتية . ومن هذه المجموعة بعض مرايا بها زخارف نباتية أو هندسية بدون كتابات [٥] .

---

(١) دار الآثار العربية رقم ١٥٣٣٠

(٢) دار الآثار العربية رقم ١٥٣٢٦

(٣) بمتحف اللوفر بيجوان : المصدر السابق ش ٢٦٧ بصحيفة ٢٠٠

(٤) عثر على مرآة من هذه المجموعة فى خركوف Devonshire : Quelque Influences Islamique.— p. 36.

(٥) دار الآثار العربية ١٥٣٣٧ ، ١٥٣٣٤ ، ١٥٣٤٣ ، ١٥٣٤٧

والملاحظ أن هناك أوجه شبه كثيرة بين المرايا الاسلامية والصينية في الشكل وأسلوب الزخرفة وبعض العناصر الزخرفية فالمرايا الصينية مستديرة أيضاً وبعض المرايات ذات حافة مفصصة [1] . غير أن هناك شكلا للمرايا الصينية لا نجد له مثيلا بين المرايا الاسلامية ألا وهو الشكل المستطيل [2] أما عن الزخرفة فتوجد مرايا يزخرفها موضوع واحد بدون تقسيم السطح إلى دوائر مركزية كما توجد المرايا المقسم سطحها إلى عدة دوائر مركزية . ومن الموضوعات الزخرفية التي نراها في الفن الصيني أيضاً رسوم البروج الفلكية [3]. ومن الأشياء التي أخذها المسلمون عن الصينيين ذلك البروز الناتيء المثقوب بظهر المرايا الذي يمرر من ثقبه شريط ليتسنى إمساك المرآة بواسطته . غير أن هناك اختلافا أساسياً بين المرايا الاسلامية والصينية أو بعضها على الأقل فالسطح الأمامي للمرآة الاسلامية مستو في حين أن السطح الأمامي للمرآة الصينية أو لبعض هذه المرايا مقعر ليسمح بانعكاس الوجه كله وكلما قلت مساحة المرآة كلما زاد تقعير السطح [4] . وكذلك استخدمت المرايا في الصين لغرض من أغراض السحر أو الشعوذة فكانت تلبس لوقاية الجسم من الأضرار وتوضع في القبور مع الموتى لإنارة الظلمة وطرد الأرواح الشريرة [5] .

(1) Kimpei—Takeuch: Ancient Chinese Bronze Mirrors (Burlington Magazine vol XIV September 1911). fig G.

(٢) المصدر السابق شكل F .

(٣) المصدر السابق شكلا J. & M.

(٤) المصدر السابق ص ٣١١

(٥) المصدر السابق ص ٣١٨ ؛ رينو المصدر السابق ص ٣٩٩ ويقال إن الخليفة الحاكم بأمر الله أمر بوضع قرص من البرونز عليه رسوم أشخاص في آساس بعض المباني لوقايتها من الحريق . أنظر رينو : المصدر السابق ص ٣٩٩ — ٤٠٠

المياه الباطنية فى مديرية التحرير

للدكتور محمد متولى

تشغل مديرية التحرير جزءاً كبيراً من المنطقة الصحراوية المحصورة بين دلتا نهر النيل وبين الطريق الصحراوى الذى يصل القاهرة بالاسكندرية وتنحصر المصادر التى اعتمد عليها فى تقدير قيمة المياه الباطنية فى هذه المنطقة فى نوعين من الآبار .

نوع كان موجوداً قبل قيام الحرب الأوربية الأخيرة ويشمل :

١ — الآبار الموجودة فى وادى النطرون بما فى ذلك الآبار التى تعتمد عليها الأديرة الأربعة القائمة هناك والآبار التى حفرتها شركة الملح والصودا والآبار التى حفرها الأمير عمر طوسون .

٢ — بئر فكتوريا الذى يقع فى منتصف المسافة بين الدلتا ووادى النطرون .

٣ — مجموعة الآبار المنتشرة فى منطقة العامرية وما حولها .

٤ — مجموعة الآبار التى حفرتها شركة الكروم المصرية فى المنطقة التى تقع بالقرب من نهاية ترعة النوبارية .

ونوع آخر من الآبار قامت بحفره السلطات البريطانية إبان الحرب الأوربية تأميناً للقوات فى الصحارى وضماناً لوجود مورد مأمون للماء تتغذى منه القوات المحاربة ، وقد بلغ مجموع الآبار التى تنتمى إلى هذا النوع خمسين بئراً منتشرة فى كل المنطقة على طول الطريق الصحراوى بين القاهرة والاسكندرية ويوجد بعضها قريباً من دلتا النيل عند الخطاطبة .

وهناك مصدر آخر أمكن الاعتماد عليه هو نتائج الأبحاث التى قامت بها شركات التنقيب عن البترول فى المنطقة وبصفة خاصة شركة ستاندرد أويل وشركة خليج السويس .

وتدل هذه المصادر جميعاً على أن المياه الباطنية وفيرة فى المنطقة وأنها على أبعاد تتراوح بين ٦٠ مترا و ٨٠ مترا ، وأنه عندما يتم حفر البئر فى أية جهة فى المنطقة فان الماء يعلو فيه إلى مستوى سطح البحر تقريباً ومن ثم كانت المسافة التى ينبغى رفع الماء فيها معادلة للفرق بين مستوى هذه الجهة وبين مستوى سطح البحر .

وتدل الأبحاث جميعاً على أن مصدر الماء الباطنى هنا يختلف عنه فى صحراء مصر الغربية وبصفة خاصة ذلك الماء الذى تتغذى منه الواحات المنتشرة هناك . فهو فى الواحات مستمد من طبقات الحجر الرملى النوبى العميقة ومصدره المطر الذى يتساقط فى الجهات المدارية الحارة ثم يتسرب خلال المسام والشقوق الموجودة فى الحجر الرملى النوبى ويختزن فيها . أما ماء هذه المنطقة فمستمد جميعه من النيل الذى يتسرب ماؤه من منطقة الدلتا نحو الغرب . لهذا كان الماء فى هذه المنطقة أكثر عذوبة وغزارة من مياه الصحراء الغربية .

ولكى يسهل علينا رسم صورة واضحة لقيمة المياه الباطنية فى هذه المنطقة فانا سنقسمها إلى الأقسام التالية :

أولا — المنطقة الصحراوية التى تمتد من أهرام الجيزة حتى الكيلو ٨ من الطريق الصحراوى الذى يصل القاهرة والأسكندرية .

حفر فى هذه المنطقة نحو عشرة آبار كان أولها بالقرب من مينا هاوس وكانت مياهه عذبة جداً ووفيرة جداً .

أما الثانى فكان إلى الشمال من ذلك بقليل وقد حفر فى الحجر الجيرى الأيوسينى إلى عمق ٨٠ متراً تقريباً فأخرج ماء بمعدل ٧٠٠ جالون فى الساعة وبلغت ملوحته ٥٠٠ فى المليون . أما بقية الآبار فكانت قريبة من الكيلو ٨ وكان ماؤها عذباً جداً وكثيراً جداً إذ بلغ متوسط التصريف فيها بمواسير اتساعها ١٢ بوصة من ٤٦٠٠ جالون فى الساعة إلى ١٢,٠٠٠ جالون فى الساعة .

ثانياً — المنطقة المحصورة بين الكيلو ٨ والكيلو ٣٧ من الطريق الصحراوى :

دلت الآبار التى حفرت فى هذه المنطقة على أن الماء قليل وعلى أن الملوحة عالية ويمكن القول بصفة عامة أنها منطقة فقيرة فى الماء الباطنى ويرجع السبب فى ذلك إلى أن التكوينات الصخرية فيها « وهى تكوينات رملية تكونت فى عصر الأوليجووس » عبارة عن رمال ملتحمة متماسكة والمسام التي توجد بين حباتها ضئيلة بحيث لا تسمح بالاحتفاظ بماء كثير.

ثالثاً — المنطقة الممتدة من الكيلو ٣٧ إلى الكيلو ٥٠ من الطريق الصحراوى :

حفرت بها ثمانية آبار وكانت جميعاً ناجحة وقد ركبت عليها مواسير قطرها ٨ بوصات فكان إنتاجها يتراوح بين ٢٢٠٠ جالون و ٢٥٠٠ جالون فى الساعة وكانت الملوحة أقل من ٥٠٠ فى المليون .

رابعاً — المنطقة الممتدة من الكيلو ٥٠ الى الكيلو ١٢٠ :

وهى المنطقة التى يوجد بها بئر استراحة شل وتكويناتها جميعا مما ينتمى لعصر البليوسين وبها مياه مخزنة كثيرة ، لهذا كانت المياه وفيرة وملوحتها قليلة إذ لا تزيد عن ٣٠٠ فى المليون .

خامساً — المنطقة الممتدة من الكيلو ١٢٠ حتى منطقة العامرية :

حفرت بها مجموعة من الآبار عند الكيلو ١٣٤ و ١٤٥ و ١٥٥ واستدل منها على أن المياه الباطنية أخذت تتضاءل فى النوع وليس فى المقدار إذ أن الملوحة أخذت تزداد بسرعة كبيرة فمن الكيلو ١٢٠ إلى الكيلو ١٣٤ تدرجت من ٣٠٠ فى المليون إلى ١٣٣٠ وعند الكيلو ١٤٥ قفزت إلى ٦٤٠٠ وعند الكيلو ١٥٥ قفزت مرة أخرى إلى ١٠٠٠٠ فى المليون .

سادساً — منطة الخطاطبة :

حفرت بها مجموعة من الآبار فتبين أن ماءها وفير جدا وأن عذوبتها عالية وبمواسير يتراوح اتساعها بين ٩ بوصات و ١٥ بوصة أمكن الحصول على إيراد من الماء بمعدل ١٤,٠٠٠ جالون في الساعة .

وقد أنتج أحسن بئر نحوا من ٢٤,٠٠٠ جالون فى الساعة . وماء بهذه الكثرة يستطيع من غير شك أن يغذى مدينة بأكملها .

ولا يعنينا من هذه المناطق الآن إلا المناطق الثلاث التالية :

١ — المنطقة الممتدة من الكيلو ٥٠ الى الكيلو ١٢٠

٢ — المنطقة التي تمتد ما بين الكيلو ١٢٠ وساحل البحر .

٣ — منطقة الخطاطبة .

فهذه جميعا داخلة فى حدود المديرية الجديدة التى اتجه التفكير الى انشائها فى غربى الدلتا وهى مديرية التحرير .

وقد رأينا أن المياه وفيرة جدا فى منطقة الخطاطبة وأنها لغزارتها يمكن الاعتماد عليها فى تغذية مدن بأكملها . ولا نكون مغالين أو مبالغين إذا قلنا إن المياه الباطنية فى الأراضى الواقعة الى الشمال من الخطاطبة أو بعبارة أخرى فى المناطق الواقعة غربي علقام وأبو الخاوى أكثر غزارة من مياه الخطاطبة نفسها ذلك لأن الدراسات الجيوفيزيقية تدل على أن المنطقة كلها عبارة عن حوض يقع مركزه عند الطبرية تقريبا وان كان لهذا أية دلالة فانه يدل على أن المياه فى المنطقة الوسطى المركزية أكثر تجمعا منها فى الأطراف أى أنها فى منطقتى علقام وأبو الخاوى والطبرية أكثر منها فى منطقة الخطاطبة الأمر الذى يجعلنا نطمئن كل الاطمئنان الى استخدام الماء الباطنى فى الجزء الشرقى من مديرية التحرير .

ورأينا أيضا أن الماء الباطنى فى المنطقة الممتدة من الكيلو ٥٠ الى الكيلو ١٢٠ وافر كما أن ملوحته قليلة . وحيث أن هذا القطاع واقع برمته فى مديرية التحرير فمن الممكن استخدام مياهه الباطنية فى الأغراض المختلفة وان كنت لا أنصح باستخدامها فى الرى لأن تكاليف رفعها لن تكون مجزية اذا ما استخدم الماء فى رى الأرض ولكنها تكون مجزية من غير شك إذا هى استخدمت للشرب .

أما فى القطاع الأخير الذى يمتد بعد الكيلو ١٢٠ فالماء رغم وفرته عظيم الملوحة جدا بحيث لا يساعد على استخدامه لا فى الزراعة ولا فى الشرب . وقد اضطرت شركة الكروم المصرية أن تهجر عددا من الآبار كانت قد حفرتها فى هذا القطاع للافادة من مياهها فى أغراض الرى وذلك بسبب زيادة الملوحة وإذن فلا أمل فى هذا الماء ولا فى الاعتماد عليه .

تم طبع هذه المجلة بمطبعة جامعة فؤاد الأول
في ٢٨ من رمضان سنة ١٣٧٢ هـ (الموافق
١٠ يونيه من سنة ١٩٥٣) م

محمد زكي خليل
مدير مطبعة جامعة فؤاد الأول

(مطبعة جامعة فؤاد الأول ٧٦٥/١٩٥٢/٥٦٠)

is obvious. Nicobulus must be mollified in order that Mnesilochus and Chrysalus may have peace at home. This scene in the original may have had some likeness to the end of Terence's *Adelphoe* (1). Nicobulus could have been pacified by refundment of half the money he had lost (2). He need not be seduced by Bacchis. Lejay conceives of the drama as a battle between Chrysalus and Nicobulus, and thinks that Nicobulus must suffer defeat at the hand of the courtesans after his defeat by Chrysalus (3). I cannot see how Nicobulus could have been seduced in the original. He could not have been prevailed upon by Bacchis the Athenian without the incitement of Philoxenus (4). And Philoxenus would not have been anxious to be reconciled, had it not been for the activities of Bacchis the Samian (5), and she was only a mute figure in the original (6).

It seems that the whole seduction motif in this scene is Plautine as it is superfluous after the promise of the refundment of half the money originally embezzled from Nicobulus (7).

(1) cf. Fraenkel, *op. cit.* pp. 72 sq.

(2) cf. vs. 1184.

(3) cf. Paul Lejay, *Plaute*, Paris. p. 59, "L'action est la lutte des deux protagonistes ; elle touche au sommet quand Chrysale triomphe de Nicobule, mais ce sont les courtisanes qui donnent au vieillard le coup de grâce. La scène de séduction a pour principal objet Nicobule. La pièce est finie quand il s'avoue vaincu. Le cinquième acte n'est donc pas un divertissement supplémentaire : il est indispensable".

(4) cf. vss. 1188 sq.
etiam tu, homo nihili? quod di dant boni caue culpa tua amissis: dimidium auri datur: accipias potesque et scortum accumbas.

(5) cf. vss. 1175 sqq.

(6) cf. T.B.L. Webster, *op. cit.* p. 131.

(7) vs. 1189.

He is constantly in great danger of being found out. When the soldier is approaching Nicobulus for the money, Chrysalus asks him to spare the words :

tu aurum rogato ; ceterum uerbum sat est (1).

He knows that one word too much from the soldier would bring crushing down on his head the huge pyramid of lies which he has constructed. This precarious position of the protagonist strengthens the illusion of improvization.

When Chrysalus has been on the stage for nearly 435 verses without a break, he knows he has earned a triumph :

sed, spectatores, uos nunc ne miremini

quod non triumpho : peruolgatum est, nil moror (2).

This address to the audience rings like a valediction. One feels that Plautus was tempted to end the play here, put a "*plaudite*" in Chrysalus' mouth and forget about Nicobulus.

Fraenkel (3) has admirably shown that vss. 640 sq., 709 sq., 925-978, 987 sq., 1053 sq., 1069 sq., all come from Plautus' hand. These lines are all uttered by Chrysalus. It appears that Chrysalus' rôle from his second entrance at vs. 641—which is by no means motivated—is a Plautine creation.

Webester (4) is of the opinion that Chrysalus' *canticum* vss. 925–978 destroys the scene. He is thinking of the Menandrian scene of the original. But the Menandrian drama comes to an end with the second entrance of Chrysalus.

After the disappearance of Chrysalus at vs. 1086, Plautus converted the whole of the last act into a series of musical scenes. Fraenkel (5) shows how he elaborated the metaphor of the sheep (6). The dramatic necessity of this scene in the original

---

(1) vs. 878.
(2) vss. 1072 sq.
(3) *Plautinisches im Plautus*, Berlin, 1922. pp. 61 sqq : 237 sqq.
(4) *op. cit.* p. 131.
(5) *op. cit.* pp. 72 sq.
(6) cf. *Bacch.* vss. 1120-1148.

reconnoitres for his master, and would not dare name a sum to be embezzled from Nicobulus. He is now the master of the situation, and henceforth dominates the drama. He is on the stage from his second entrance at vs. 640 to vs. 1086 when he retires not to appear again.

All the time Chrysalus is on the stage we are in the domain of improvization. He appears to be devising the tricks and carrying them out on the spur of the moment. This illusion is reinforced by the fact that the soldier who enters unexpectedly (1) at vs. 842 is immediately utilized in the trick. When Chrysalus enters at vs. 640 he is no longer the ordinary Menandrian slave. In fact he states that he has no use for Parmenos and Syruses :

non mihi isti placent Parmenones, Syri (2).

This is Plautus' proclamation of his breack from his original. Chrysalus starts to clear the way for himself by pushing Pistoclerus and Mesilochus into Bacchides' house and asking them not to come out until they get the signal from him :

ne quoquam exsurgatis, donec a me erit signum datum (3) and they do not get in till towards the end of the play. He maintaions the illusion of improvization all through. He tells us he produces his schemes from his own mind :

ubi quomque usus siet, pectore expromat suo (4).

He promises big things and then he is afraid he may not be able to carry them out :

insanum magnum molior negotium,

metuoque ut hodie possiem emolirier (5).

(1) cf. vs. 845.

per tempus hic venit miles mihi.

(2) cf. vs. 649.

(3) vs. 753.

(4) vs. 692.

(5) vs. 761 sq.

mother (1). She applies her wits to the task of discovering the father first.

It is evident from these examples that the slave, in the comedies of Manander, is never the originator of an intrigue. He aids the originator, but he is only a tool.

It seems that the Greek belief in the mental inferiority of the slave, and the natural fundamental difference between a free man and a slave in thinking powers, which is reflected in Aristotle's description of the slave as an animated machine, would make it almost impossible for Menander, who was brought up in the tradition of the Peripatetic school, to construct his plot with a slave as the centre and driving force in the drama, and depict him as mentally superior to his master.

Let us now examine the rôle of Chrysalus in the second half of the *Bacchides*. When Mnesilochus discovers his mistake after he has met Bacchis the Samian, he is full of self-reproach (2), repentant that he has given all the money to his father (3), and himself in sore need of money:

Quod faciam nil habeo miser (4).

The audience feel here that the plot that was planned by the author has come to an end by the foolishly hasty action of Mnesilochus. The two friends are quite helpless, and Mnesilochus is in utter despair and there is no hope except in heaven.

tace modo: deu' respiciet nos aliquis (5).

when Pistoclerus sees relief in the person of Chrysalus

tuam Copiam eccam Chrysalum video (6).

Chrysalus enters at vs. 640, and there is a great transformation in his character. He is no longer the slave who

(1) cf. vs. 321.
(2) cf. vs. 612.
(3) cf. vs. 622.
(4) cf. vs. 634.
(5) cf. vs. 638.
(6) cf. vs. 639.

In the *Samia*, Plangon, Niceratus' daughter, brought forth an illegitimate child (1). Moschion, the father of the child, conveyed privily the infant from Niceratus' house to Demeas' (2), and prevailed upon Chrysis, who seems to have brought forth a still-born child about the same time to foster him. The slave Parmeno who is accused by Demeas of being a party to the plot (3), has no part at all in it as he explains at length :

νὴ τὸν Δία τὸν μέγιστον, ἀνόητον τε καὶ
εὐκαταφρόνητον ἔργον εἴμ' εἰργασμένος·
οὐδὲν ἀδικῶν ἔδεισα καὶ τὸν δεσπότην
ἔφυγον. τί δ' ἦν τούτου πεποηκὼς ἄξιον ;
καθ'ἓν γὰρ αὐτωσι σαφῶν σκεψώμεθα·
ὁ τρόφιμος ἐξήμαρτεν εἰς ἐλευθέραν
κόρην· ἀδικεῖ δήπουθεν αὐδὲν Παρμένων.
ἐκύησεν αὔτη· Παρμένων οὐκ αἴτιος
τὸ παιδάριον εἰσῆλθεν εἰς τὴν οἰκίαν
τὴν ἡμετέραν· ἤνεγκ' ἐκεῖνος, οὐκ ἐγώ.
τῶν ἔνδον ὡμολόγηκε τοῦτό τις· τί δή ;
τί Παρμένων ἐνταῦθα πεπόηκεν κακόν ;
οὐδεν· τί οὖν ἔφυγες σύ ; πῶς, ἀβέλτερε ; (4)

In the *Hiereia*, the former husband of the priestess devises a trick to seek out his son. He contrives it all by himself and the servant is only a tool in his hand as is clear from the argument (5).

In the *Epitrepontes* Onesimus is quite helpless while he has the ring, the main clue to the mystery, in his hand. Habrotonon was the first to think of making an inquiry (6), and when Onesimus clumsily suggests that she should inquire about the

(1) cf. *Sam.* vss. 39 sqq.
(2) cf. *Sam.* vss. 305 sqq.
(3) cf. *Sam.* vs. 102.
(4) cf. *Sam.* vss. 296-308.
(5) cf. *Oxy. Pap.* vol. X. No. 1235, vss. 45 sqq.
(6) cf. vs. 305.

found her, the money which they had been sent to Ephesus to collect (vss. 249 sq.) would not be handed over to Nicobulus intact. Nicobulus met Chrysalus before the latter could report to Mnesilochus the result of his interview with Pistoclerus. Chrysalus had to invent a lie on the spur of the moment. But as he had not obtained the permission of Mnesilochus for this, he left it to Mnesilochus to decide how much to keep and how much to hand over to Nicobulus:

ita feci ut auri quantum uellet sumeret,

quantum autem lubeat reddere ut reddat patri (1).

Mnesilochus, under the false impression that Bacchis the Samian is in love with Pistoclerus

illum exoptauit potius? habeat. optumest (2)

decides to hand over the money intact to his father

decretumst renumerare iam omne aurum patri (3).

This trick is quite in keeping with the Menandrian trick where, as the following short analysis will help to show, the planning mind behind the trick is always that of the master.

In the *Fabula Incerta* of Menander Chaereas, Moschion's friend, seems to have promised to induce Laches, Moschion's father, to acknowledge the latter's marriage to the daughter of Cleaenetus. Chaereas pretends that Moschion is caught by Cleaenetus in the act of violating his daughter, that he is detained in custody and that his life is in great danger (4). He adds that the girl had been promised so him (5). Laches, to get his son out of all these troubles, approves of Moschion's marriage (6).

---

(1) vss. 352 sq.

(2) vs. 502.

(3) vs. 516.

(4) cf. *Fab. Incert.* vss. 3-9. The verses of Menander's Comedies are numbered throughout according to the text of A. Körte, *Menandri Quae Supersunt*, Leipzig, ed. 3, 1938.

(5) cf. *Fab. Incert*, vss. 12-17.

(6) cf. *Fab. Incert.* vss. 29-32.

original. Kuiper (1) tries to prove that the two sisters are recognized at the end as free Samian women and daughters of Nicobulus. But the language and manners of Bacchis the Athenian would make it impossible for her to turn out to be a daughter of Nicobulus (2).

Plautus' aim in transforming the play is clear from the fact that he changed it from a double deception plot into a triple deception plot. The three deceptions as we have them in Plautus are carried out by Chrysalus. Let us now examine the role of Chrysalus. He arrives from Ephesus (vs. 171) together with Mnesilochus (vs. 247) but he enters at vs. 170 while Mnesilochus' first entrance is at vs. 384. It is clear from this arrangement, and from Chrysalus' entrance monologue:

> ueneroqne te
> ne Nicobulum me sinas nostrum senem
> priu'conuenire quam sodalem uiderim
> Mnesilochi Pistoclerum, quem ad epistolam
> Mnesilochus misit super amica Bacchide.

that it was planned between the master and his slave that the latter should go in advance and see Pistoclerus, so as to find out whether he could discover Bacchis the Samian or not. It he

---

(1) *Griekshe Origineelen en Latijnsche Navolgingen, Zes Komedies van Menander bij Terentius en Plautus.* Noord-Hollandsche U. Mij 1936, pp. 204 sqq.

(2) cf. vs. 54

quid est? quid metuis? ne tibi lectus malitiam apud me suadeat?

and vss. 67 sq

> quid ego metuam, rogitas, adulescens homo?
> penetrare me huius modi in palaestram ubi damnis desudascitur?

and vss. 81-84

> apud me, mea anime, ut lepidus cum lepida accubet.
> locus hic apud nos, quamuis subito uenias semper liber est:
> ubi tu lepide uoles esse tibi "mea rosa", mihi dicito
> "dato qui bene sit": ego ubi bene sit tibi locum lepidum dabo.

they involve the same motif *i.e.* the letter. But it must be admitted that each of these tricks must be regarded as separate and distinct instances of deception since the parody of a description of the siege of Troy (vss. 925-927) makes it clear that the city falls after three separate events. These three separate events are stated explicitly.

> Ilio tria fuisse audiui fata quae illi forent exitio:
> signum ex arce si periisset; alterum etiamst Troili mors;
> tertium, quom portae Phrygiae limen superum scinderetur:
> patria item tria is tribus sunt fata nostro huic Ilio (1).

and each of these events is made to correspond to one of the tricks played upon Nicobulus. Chrysalus says:

> nam dudum primo ut dixeram nostro seni mendacium
> et de hospite et de auro et de lembo, ibi signum ex arce iam apstuli (2).

The first deception corresponds to the first stage in the siege of Troy. Then there is no point in Hough's argument that the first deception does not count as Nicobulus lost no money, if Chrysalus counts it as the first deception. If we accept Hough's argument the play is left with one deception only, as Nicobulus gets back at the end of the play (vs. 1185) the money which he had lost in the third trick (vs. 1059).

After the first letter deception Chrysalus says:

> post ubi tabellas ad senem detuli, ibi occidi Troilum (3).

And when the second letter is about to be foisted upon Nicobulus, Chrysalus says:

> nunc superum limen scinditur, nunc adest exitium Ilio (4).

If Plautus has made a play of three deceptions out of a play of two deceptions, he must have altered the structure of his

---

(1) vss. 953-956.
(2) vss. 957 sq.
(3) vs. 960.
(4) vs. 987.

Megalobuli filius
qui nunc in Ephesost Ephesiis carissumus.

is also equated with Menander's

οὐ Μεγάβυζος ἦν,
ὅστις γένοιτο ζάκορος ([1]),

As this fragment also comes from Menander's Δὶς 'Εξαπατῶν, Ritschl ([2]) came to the conclusion that Menander's Δὶς' Εξαπατῶν was the original of the *Bacchides*. Prehn ([3]) tries to equate Menander:

ἐμοὶ παράστα· τὴν θύραν κόψας ἐγὼ
καλῶ τιν' αὐτῶν ([4]).

with

Quid dubitamus pultare atque huc euocare ambos foras ? ([5])
But this fragment of Menander is a formula which is found in different forms in Menander ([6]) and may belong in several places in Plautus' plays ([7]).

Leo ([8]) accepts the identification of the model of the Bacchides with Menander's Δὶς 'Εξαπατῶν, and sees in this play a case of contamination on the ground that in Plautus we have three tricks, a number which is inconsistent with the number in the Menandrian title. This argument is, I think, sound. Hough ([9]) tries to refute it by pointing out that the first deception is discovered and Nicobulus loses no money, and that the second and third tricks may be considered as one since

([1]) cf. fr. 126 K.

([2]) cf. *Parerga*, pp. 405-407 ; cf. also Legrand, *Daos, Tableau de la comédie Gréqque pendant la période dite nouvelle*, Lyon et Paris, 1910, p. 16 ; G. Michaut, *Plaute*, Paris, 1920, Tome I, p. 128.

([3]) *Quaestiones Plautinae*, Breslau, 1916, p. 66.

([4]) fr. 124 K.

([5]) vs. 1117.

([6]) cf. e.g. fr: 375 K.

([7]) cf. Webster, *op. cit.* p. 21.

([8]) *Geschichte der Römischen Literatur*, Erster Band, die archaische Literatur, Berlin, 1913, pp. 110-120.

([9]) *The Development of Plautus' Art*, Cl. Phil. XXX, 1935, p. 55

In one of the last scenes there is a slave who enters with the conventional monody characterizing the good and bad slave [1]. He brings Bacchis the Samian and states the soldier's terms [2]. He ends his description of the soldier [3] by a reference to his bragging:

ita erat gloriosus.

The soldier's parasite enters at vs. 573 and he takes after his master in bragging. He describes himself as "illius sum integumentum corporis [4]". It may be that frag. V was a reference by the slave who accompanied Bacchis the Samian from the harbour, to the resemblance between the soldier and his parasite in this trait.

The original of the *Bacchides* is generally attributed to Menander. Verse 816:

Quem di diligunt
adulescens moritur, dum ualet sentit sapit

is a translation of Menander's

ὃν οἱ θεοὶ φιλοῦσιν ἀποθνῄσκει νέος [5]

which comes from the Δὶς Ἐξαπατῶν. Verses 308 sq.

---

(1) cf. fr. 1
Quibus ingenium in animo utibilest, modicum et sine uernilitate
and fr. 11.
uincla, uirgae, molae: saeuitudo mala fit peior.

(2) cf. fr. X
nec a quoquam acciperes alio mercedem annuam,
nisi ab sese, nec cum quiquam limares caput.

T.B.L. Webster (*Studies in Menander*, Manchester University Press, 1950, p. 128) assigns to this slave frags. X and XI.

(3) cf. fr. VII
latro suam qui auro uitam uenditat
scio speritum eiius maiorem esse multo
quam folles taurini habent, quom lignescunt
petrae, ferrum tibi fit. Quasiatis tibi uisust?
Praenestinum opino esse, ita erat gloriosus.

(4) cf. vs. 601.

(5) cf. fr. 125 K.

senem illum tibi dedo ulteriorem, lepide ut lenitum reddas([1]).
After a while Philoxenus is infatuated by the sister.

Tactus sum vehementer visco;

cor stimulo foditur ([2]),

and the following discusssion takes place between him and Nicobulus:

PHILOXENUS: Viden hanc.

NICOBULUS : Video.

PHILOXENUS: Haud mala est mulier ([3]).

If both the sisters are on the stage together and Philoxenus picks out one of them and says that she is attractive, then the two cannot be wearing identical masks.

Further, if they had identical masks, Lydus, the pædagogus, would have bean struck by the resemblance when he entered their house at vs. 169, and would have mentioned it to Mnesilochus Nicobulus' son, when he gave him a detailed description of the scene which he witnessed vss. 477-488. This, of course, would have cut the drama short in the middle.

The reason for the misconception of the whole drama and the supposition that the two sisters looked exactly like one another is fragment V :

sicut lacti lactis similest.

Admittedly it is misleading especially in connection with *Menaechmi* (vss. 1089 sq.) :

neque aqua aquae nec lacte est lactis, crede mi, usquam similius;

quam hic tui est, tuque huius autem;

which refers to the two Menaechmi who must have worn identical masks ([4]). But in view of the evidence of the play, we need not take this fragment as referring to the two Bacchides.

([1]) vs. 1150.
([2]) vs. 1158.
([3]) vs. 1161.
([4]) cf. *Miles Gloriosus*, vss. 238 sqq.
ut Philocomasio huc sororem geminam germanam alteram
dicam Athenis aduenisse cum amatore aliquo suo
tam similem quam lacte lactist;

THE BACCHIDES OF PLAUTUS: ITS PLOT AND ORIGIN

BY

WAHEEB KAMEL

The *Bacchides* has very often been supposed to require two identical masks if it is to be staged at all (1). An examination of the play will show that there is no need for this supposition.

The two sisters are together on the stage in two scenes (30-108 and 1121-end). In the first scene Pistoclerus, the young lover, is watching them talking and wonders what the two sisters are about, but he does not utter a word about the resemblance of the one to the other. Pistoclerus, however, makes a point of repeating by way of exposition, that they are sisters and of the same name:

Quid agunt duae germanae meretrices cognomines? (2)

In the other scene (vss. 1121-end) each of the two fathers, Nicobulus and Philoxenus, is inveigled by one of the sisters. Philoxenus is the easier of the two to entice. Bacchis leaves him to her sister to pacify:

(1) cf. e.g. A S.F. Gow, *On the use of Masks in Roman Comedy*, *J.R.S.*, vol. II, 1912, pp. 65-77; H. Law, *The Metrical Arrangement of the Fragments of the Bacchides*, *Cl. Phil.*, vol. XXIV, 1929, pp. 197-201; W. Beare, *Masks on the Roman Stage*, *Cl. Quart.*, vol. XXXiii, 1939, pp. 139-146. He says, p. 143: "One of the most popular themes of Middle and New Comedy was the comedy of errors, produced by exact facial resemblance between two peoples... The example of Shakespeare warns us that masks are not essential to the performance of such plays, but they would be very useful, and their existence may have suggested to the dramatists the very theme of mistaken identity. A feature of such plays appears to have been that the doubles should sooner or later confront one another; this is, at least, true of our only extant examples: The *Amphitruo*, the *Bacchides*, and the *Mercator*".

(2) vs. 39. Note *germanae*. "*Geminae*" does not occur in the play.

The presence of the cemetery on a little eminence in the middle of the estuary, as has been already described, and the fact that it has not been affected by the torrential waters of the Wadi throughout that long period, doubtless raise very important problems connected with the physiographic history of the Wadi.

Indeed the new discovery is of great importance, for it has not only furnished us with a new culture to be added to a whole series of known Egyptian Cultures in Predynastic times, but it has also added great weight to the view upholding the cultural superiority of Northern over Southern Egypt before the rise of the dynasties ;—a view which has not been favourably accepted by certain archæologists owing to the supposed insufficiency of archæological evidence.

As to the racial type to which the owners of that new culture belong, it seems that, although the anthropological study of the human skeletons found is not complete yet, these people do not differ from those who are known to us from various excavations and who lived during that period in other parts of Egypt, and who in Pharaonic times are known to belong to the Hamitic stock. It is indeed expected that further anthropological study will greatly contribute to our knowledge of those people. During the excavations we noticed that certain graves, rich in the archæological material they contain, seem to agglomerate in the heart of the cemetery ; some of them have the borders of the pits lined with limestone blocks, while others, especially to be seen in that part of the cemetery which lies in the west, are to be distinguished by their deep hollows and the complete or almost complete absence of artefacts (Fig. 8). It is not unreasonable, therefore, when the investigations are finally completed, to expect to find certain racial, or at least, social differences amongst the in-habitants of that region in that particular period.

The Cemetery comprises skeletons of male and female adult persons, as well as skeletons of infants. In several graves were found ground sheets of animal skins, and traces of papyrus matting. Worthy of note is the presence of several pots. on the surface of the ground outside the graves perhaps placed there in order to define groups of family graves. In the western part of the cemetery animal burials have been found, and in some cases pottery vessels were buried with the animals. Four of the skeletons found belong to gazelles, one to a dog of the Seluki. type, and one perhaps to a pig. Animal burials have been found in Heliopolis ; and it is possible that the animals were a kind of sacrifice to the dead, or perhaps they represent deities belonging to that locality during that remote period.

Our study of the modes of burial has shown that the majority of the skeletons have their head directed towards the South, and their faces towards the East. In that they are similar to those of Heliopolis. But cases do exist which do not agree with this general rule ; these, however, form a minority. The new Digla Cemetery differs from that of Maadi in that its graves are richer, not only in ceramic ware but also in alabaster vases and in the palettes made of limestone, basalt or slate, and in the presence in the graves of flint implements of the blade industry as well as in the ornaments found which include combs, strings of beads and bracelets made of shells, and Nile and Red Sea shells (fig. 5) Some of the pots found are covered with lids, while others possess imprinted neck decoration and are supplied with peculiar knobs (fig. 6 and 7). Owing to the richness of the graves, and their material superiority, one is inclined to think that the Digla Cemetery belongs to a culture more or less distinct from that of Maadi, discovered some twenty years ago, and the excavation of which is not finished yet. We must consider the newly discovered cemetery as belonging to a settlement which has not been found yet, and which could not have existed far from the cemetery, perhaps in the estuary of Wadi Digla itself, or on the south side of the Wadi in the region opposite the Predynastic Site of Maadi, and which at present lies within the grounds of the Turah Prison.

It became clear, as soon as the excavations commenced that the site is occupied by a predynastic Cemetery over which was constructed during the Second World War, an extensive military camp, which caused the destruction of a big portion of it. The area excavated, during this Season covers about 2,000 metres, and the number of graves discovered is about 200. A large area however remains untouched, and will be, it is hoped, the field of our activities in the coming season.

The burials are found at a depth ranging between fifty and eighty centimetres from the surface of the ground, and there is evidence to show that the original surface has been tampered with. They are simple hollows, round or oval in shape, their depth in the virgin-soil not exceeding half a metre. In these hollows the dead used to be buried in the customary bent-up position of the Egyptian cemeteries of that period. With the dead were buried some of the objects which man utilised during his lifetime, especially pottery vessels, perhaps because of the belief of the immortality of the soul and of the possible need of the dead for food and drink in his afterlife (fig. 1 and 2).

The comparasion of the objects found in these graves with those of the graves discoversd at Maadi in 1942 and excavated in 1947, and those discovered at Heliopolis in 1950, has shown that the new Digla Cemetery comprises three principal types of ceramic wares: the first is the smooth red oval ware with a base-ring, the second is the ovate black polished ware with a flat base (fig. 3) and the third is the long-ovate black polished ware with a flat base (fig. 4). The first types link the Digla material with the Maadi Culture, while the third type links it with the Heliopolis Culture. It is on account of that and on the basis of further evidence furnished by other archæological material as well as by the burial customs, that we believe that this important cemeterydates from the Middle Predynastic Period, viz. about 4000 B.C. It seems, however, that we shall not be far from the truth if we place it a little later than Maadi and perhaps contemporary with Heliopolis.

EXCAVATIONS IN WADI DIGLA

First Session Report (1951-1952)

BY

MUSTAFA AMER and IBRAHIM RIZKANA

DIRECTORS OF THE EXCAVATION: Professors Mustafa Amer and Ibrahim Rizkana.

ANTHROPOLOGICAL EXPERT: Professor Ahmed El-Batrawi.

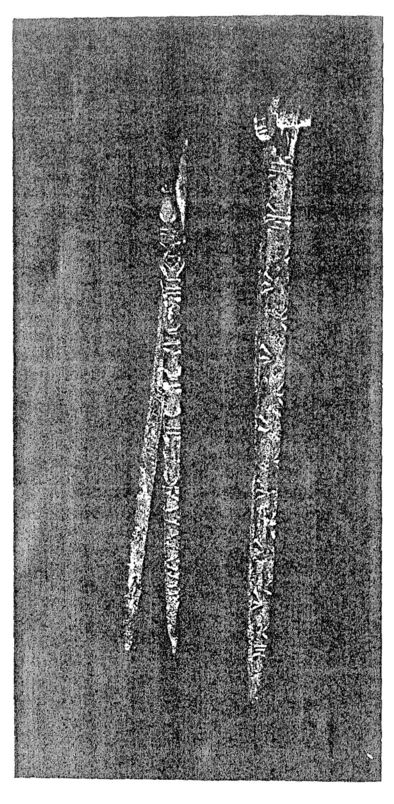
SURVEYOR: Mahmoud Kamel Hassan.

DURATION OF THE SESSION: October 12th, 1951-June22 nd, 1952.

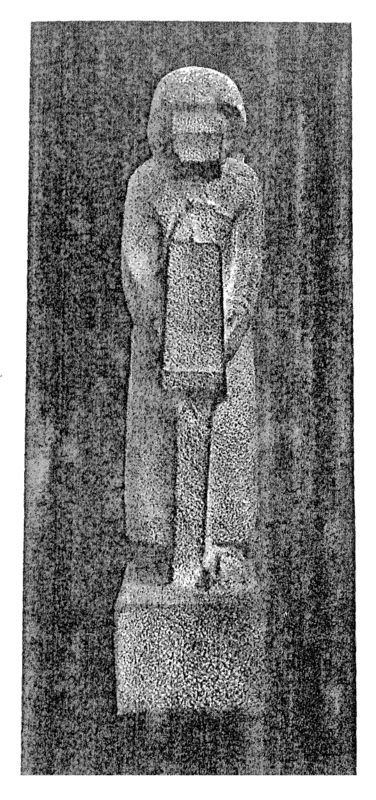
GENERAL CONCLUSIONS: The Discovery of a new Predynastic Culture.

* * *

On October 12th, 1951, while the Egyptian Delta Land and Investment C° Ltd. was busy opening new roads in the locality occupied by the estuary of Wadi Digla to the South East of Maadi, there appeared the remains of human bones and pottery vessels. The preliminary examination of the pots found showed that they belong to the types already known from the Predynastic Site at Maadi, situated about one kilometre to the North, where we have been excavating for years. When it was finally decided to excavate the new site, the Egyptian Delta Land and Investment Company, which owns the site, kindly agreed to stop its work until the place is excavated and the archaeological study is completed. For the most generous help both material and moral it has offered, we owe the company our best thanks and deepest gratitude.



LEFT: E.M. N° 27880 — BRONZE — L. 6"
RIGHT: E.M. N° 41898 — BRONZE — L. 8¼"
Photos, Courtesy of the Egyptian Service of Antiquities



E.M. No. 33301 — Dolerite Ht. 98 cm.
Ht. Base 15 cm. Found at Mit Rahineh. Photo,
Courtesy of the Egyptian Service of Antiquities



Fig. 8

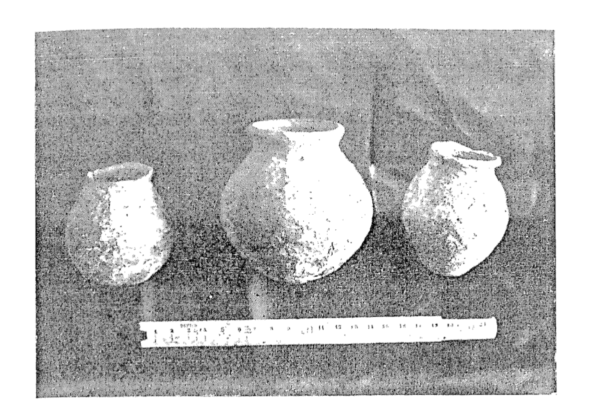


Fig. 6

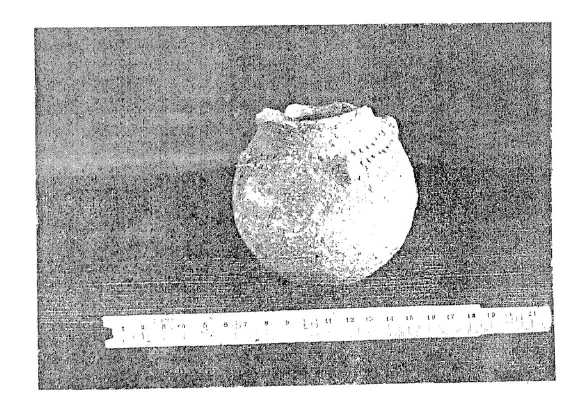


Fig. 7



Fig. 5



Fig. 3



Fig. 4



Fig. 2



FIG. 1

reliefs we observe the constant adjustment of individual characteristics to a traditional order countered with sufficient tolerance to allow the human figure its bid for personality. The principle of Maat, wisely and judiciously applied to Egyptian sculpture, allowed the artist as much or more freedom as that enjoyed by the academicians of Greece and Rome. It is quite possible that the three dimensional tradition in Egypt endured so many centuries because the sculptor's hand was not paralyzed by an unalterable canon. Had one been rigorously enforced, perhaps the art would have been doomed to an early decadence.

During the Late Period the modular unit was applied with considerable regularity in free standing statues presented in upright (E.M. n° 930), seated (E.M. n° 879) and squatting (E.M. 826) positions. In the well-known Queen Amenartais (E.M. n° 930), the module recurs with remarkable uniformity. The total height is 21 units, the chin falls at 18, the bottom of the wig at 16 and the navel at 13. The necklace is exactly one unit wide, the back pillar 3 units at the base and the frames of the inscriptions are 2 in width. Art of the Late Period is traditionally classified as being renaissant of Old Kingdom styles. The precision in the application of the modular unit in the IVth dynasty Kephren and the XXVth dynasty Amenartais seems to confirm this opinion.

Curiously enough the modular system was not overwhelmed during the Ptolemaic period. A statue of a standing youth bearing a naos dedicated to Harpocrates (E.M. n° 973) made good use of it. Perhaps even more striking is the regularity of this system in the granite portrait of a Roman officer (E.M. 50047). Nor was the module restricted to the statuary. Its application is very much in evidence in anthropoid sarcophagi (E. M. n° 654 and 1308) and ushabtis. In both it occurs in the ear, twice in the width of the face, two or three times in its height, and elsewhere in the decoration, *i.e.*, horizontal bands framing the inscriptions as well as the principal insignae and symbols [1].

The modular unit was then used as a design element based on dimensions of facial parts. It was probably more instinctive than intellectual. Like time in music it set the beat, the repetition of which worked rhythmically throughout the composition. Although consciously manipulated by the master sculptors we are oblivious of its mechanics. More than on the

[1] The proportion of head to body in sarcophagi varies considerably from 8-1 to 3¼-1. If the latter were at all connected with a canon it could only have represented that of a child.

to give. Of all the statuary revealed to date, the Kephren may be taken, not as the first but as the classic example in the use of the module.

But we should not forget that even at this early period the module did not function as a canon. There were as many proportions of head to body as there were individual types. General dimensions could have been regulated by the characteristics of the person, his rank, age, by the material and perhaps even the placement of the work. But that a basic unit was used to set up a metrical pattern within this work can hardly be denied.

It is interesting to note the confusion and complication which beset the proportioning of the Middle Kingdom statuary (1). Even reliefs revolted against known canonical systems. From the searching portraits of kings down to petty officials there is considerable evidence of individuality overruling established proportional types. Portraits of Pharaoh Amenemhet III (E.M. 6061) are severe and uncomfortably stiff and the ears appear unduly prominent; yet for all their emphasis they comply with the modular unit which was faithfully preserved.

Nor does the red granite statue of Ramses II (Alexandria Museum n° 359) conform to Murray's theory for the New Kingdom. Taking the distance from hairline to shoulder we find it to be one-eight of the figure. The module, however, occurs not only in the face, the width of the palm and the panther's head on the tunic, but also in the figured reliefs carved on the left side.

(1) Notable irregularities can be observed in the seated statue of XIth dyn. Pharaoh Menthu-hetep II found at Deir-el-Bahari, the schist statue (E.M. n° 400) of the Pharaoh Tutmose III, in which the ear is exceedingly small, and the standing granite priest Mentemhêt (E.M. n° 935) of the Late Period. In these attempts toward unrestricted realism we find the module working in other proportions. There are 3 units in the face height from chin to nose, nose to brow and brow to hairline. Here we are closer to average facial proportions. But even in the exceptions the modular unit continues to play its role.

it should be noted that when the modular unit travels up the figure it usually coincides with the base or tragus of the ear.

But the ear was often covered by the wig and this causes one to seek another basis for the module. Fairly consistent has been found the distance between eye centers. And the length of the eye, whether it be of the narrowor gibbous type is generally one-half the modular unit. The prime vertical of the statue from the front is located at equal distance between the eyes. As one of the most frequent symbols used in the funerary rites the eye signified vision in the Ari and divine guidance in the Uzat, the sacred eye of Horus. To artists of all ages the eye has been regarded as the entrance of the temple of the soul. Apart from any symbolic connotation it might well be considered as the factor influencing the module. However, it would seem more probable that the combination of the four elements in the head, the eye, ear, chin to nose dimension and nose to hairline formed a composite criterion.

In the diorite portrait statue of the Pharaoh Kephren (E. M. n° 138) we have found a perfect example regarding the use of the modular theory. The distance between eye centers is repeated in the width of the hand, the length of the ear, distance from hairline to nose and nose to chin, half the width of the face, length of the auricular, and width of the ankle. The eye length equals the width of the ear, that is to say one-half unit. We find it exactly 6 times in the height of the seat, seven to the top of the knee, 15 to the height of the shoulder, and 17 to the tragus of the ear. The back of the throne is 7 units wide and 17 high. And the hawk embracing the head is 4 units from head to tail. At its base the tail is one unit wide. The overall dimension of the statue is 21 units.

There is nothing obvious to the eye in the repetition of the modular unit in the Kephren, yet it definitely exists. The parts have been adjusted into a complete and indivisble synthesis which surface perfection and emotional control alone would have failed

With the palm width as a fixed gage the artist would then be free to use this device repeatedly throughout the execution of the statue. However, it should be well understood that these were not always life size or half or fourth or third life size. Once the system of the module had been well established, it may have been no longer necessary to use the width of the palm as the base measurement since it was subject to change as the hand was extended, flexed or clenched. Moreover, it can be noticed that the hands of the feminine effigies are narrower proportionally and do not agree with their module. It seems, therefore, that the modular unit, if originated on the palm, might have settled for a more reliable source of measuration. Let us consider certain possibilities.

The ear has always been a prime reference in portrait sculpture. In Egyptian statues it was frequently the center of the head in profile and from it radiated equal distances to the junction of the neck and shoulders, the chin, nose, forehead and often the back of the head. Since the European Renaissance successive generations of sculptors have used the opening of the ear between the tragus and antatragus as an important external reference on the head. All other features, including the brow, the mouth, and the chin are subject to change owing to fatigue, emotion and inclination of the head. The position of the auditive conduit, protected by the tragus, remains constant since it is directly connected with the skull. The emphasis given the ear in many Egyptian statues suggests that it figured in the total composition. P. Montet, discussing the customs of the New Kingdom, mentions, the representation of ears on stelae intended to aid the Gods in hearing the people's pleas and prayers(1). Not only is the ear to be considered as an organ of hearing, it also symbolizes stability and equilibrium. Its location relative to the height of the mouth, nose, the eyes and the brow varied considerably. It is often placed higher than normal. Nevertheless

(1) P. Montet. La vie quotidienne en Egypte, 1946, p. 224.

be accuratly used to account for the proportion of the finished sculpture. But the modular unit is more to be considered an aesthetic factor which provided a flow of measured cadences. We may regard canons to have been mechanical directive more or less laid out by ecclesiastical authority ; the modular unit is more apt to have been an artistic arrangement falling within the sculptor's province. The discussion naturally develops the question of what might have been the dimension upon which the module was based.

Writing on the canons Edgar suggests that if a particular measure corresponded to the various parts of the figure "it was the palm".

If the plam was accepted as a standard of measurement of length, then it does not seem unreasonable that we should consider its importance as a proportional regulator in the art. Since it is necessary to have an easy reference for unit of length in commerce and industry as well as architecture and sculpture, the palm of a man would have been convenient. With his systematic observation of nature, the ancient Egyptian could not have failed to notice repetition of approximate handwidths in the human figure (1). After having taken scores of measurements on the collections of the Egyptian museums, we have observed that the palm bears a definite relation in male statues. Its width compares favorably with the ear lengths, distance between eye centers, chin to point of nose region, nose to hairline, and the width of the head is twice the dimension of the unit. These formed the face into a square of four units and gave the typical short type of the Old Kingdom. The sculptor definitely followed an ideal canon for the head.

(1) In ancient Egypt the standard unit of length was the cubit or ell. It was first a multiplication of 6 palms or 24 digits (fingerwidths). According to Mackay the cubit was changed in dyn. XXVI and amounted to 0m 523 consisting of 7 palms and 28 digits. The canon grid on reliefs of the Late Period seems relative to this conversion. See GARDINER, EGYPTIAN GRAMMAR, pp. 197-200.

control of a modular system at least as early as the intermediate stages of his work[1]. It will be noted that the stone has been roughed out in well-defined blocks and cylinders. On measuring it was found that the figure does not conform to relief canons suggested for the Late Period, which some observers have so carelessly accepted for the statuary. The hairline to shoulder dimension approximates a 10 to 1 ratio. We admit that this might have been brought into adjustment as the carving progressed, but we should not overlook a definite repetition of a fixed measure throughout the piece as it stands.

The height of the face is neatly divided horizontally in two equal units. Taking either one of these as the basis for the modular dimension, we report that the face is 2 units wide as is also the base of the naos. The hands and the column supporting the naos are each roughly one unit wide. The height from sole to base of naos is 6, from base to top of naos 5, from that point to the chin 3, making a total of 16 units from sole to hairline. The modular unit also occurs in the widths of the back pillar and the apron edge.

After measuring, more, or less at random, over one hundred statues, the theory of the modular unit has been found over seventy-five per cent effective.

It should be clearly understood that the purpose of this paper is not one of denying the possible existence of a canon as such. Confusion on the subject arises most probably because there were likely several canonical systems used by different schools and studies over the long reign of the Egyptian sculptor.

Neither the theory of a canon nor the modular unit eliminated the other. It is quite possible that some sort of canon was used in the preliminary stages of a statue and that it could have been modified or converted into a modular control of volumes as the work was brought to completion. Certainly the relief grids cannot

(1) C. C. Edgar, op. cit., described on p. 1.

is a considerable difference between a measurement taken with a tape or stick as against one taken with calipers. This tradition-al instrument of the sculptor gages the distance between two points; all projection or depression in between is eliminated. Reliefs and wall paintings were obviously laid out with rulers. But these could not satisfy the artist who was obliged to establish complete three dimensional control.

Although assigned to the Graeco-Roman Period, two sets of calipers in the Cairo Museum open the possibility of this tool having been used in sculpture. One is a small proportional divider (E.M. n° 27880) which has been fixed by corrosion to a ratio of approximately two to one (1). The second is a simple caliper (E.M. n° 41808) which could have been most useful in maintaining dimensional control. Both instruments have been made additionally helpful by their having digit marks scored out on the side of each blade.

In our preliminary survey of sculpture in Egyptian museums many instruments were used; however, as the project continued they were gradually eliminated but for a set of calipers of the same size and type as mentioned above. After detailed observa-tion and constant reexamination it is our considered opinion that Egyptian statuary was more or less governed, not by a formal canon, as much as by a modular unit which was employed throughout the sculpture. The module was used more as is scale in architecture than as an academic canon. The head varied considerably in respect to overall dimensions, allowing the artist to manipulate and adjust his work to existing conditions of subject, material and special setting

The operation of the module can be best demonstrated in the standing figure. The unfinished statue (E.M. n°33301) which we have excepted from others revealing obvious reasons for their abandonement, indicates that the sculptor was in

(1) C. C. Edgar, Greek bronzes, 1904, description p. 63, illus. pl. XIX.

frequently marked out with many more lines than would be necessary for a skilled artist to establish accurate facial proportions. It is possible that these pieces were used for teaching apprentices the problem of condensing form from round into relief.

With the exception of unfinished statues mentionned above one of which (E.M. n° 33301) will be discussed later, the bulk of this material has not been found sufficiently reliable to assist us in finding a key to a system of quantitative or proportional analysis. In one respect, however, they conform to an important feature of the grid used on reliefs in that all linear indications are terminated at the junction of headdress and forehead (hairline). Various explanations can be advanced, the most reasonable being that in the average adult, the height from sole to hairline is generally twice the distance from sole to base of hip. Such a convenience does not exist if the overall height of the body is taken in consideration. This division into two equal parts clearly defines the principal zones of the typical standing statue; compositionally the face and trunk constitute the passive elements while the area of locomotion is restricted to that of the upper and lower legs. The variations of style in wig, headdress or natural coiffure throughout the dynastic epoch did not therefore interfere since all three were always located between the crown and the brow [10].

Before turning to the measurement of the statuary it is necessary to make some indication of proceedure. It appears that many investigations have been based on dimensions taken from photographs without making sufficient allowance for visual distortion and foreshortening. All evidence used in the following discussion has been taken directly from the statuary.

Should we desire to understand the methodology of the sculptor we must consider the tools he might have used. There

[1] For a less realistic discussion, see R. A. SCHWALLER de LUBICZ, LE TEMPLE DANS L'HOMME, 1949, chap. II.

headlengths to the body than those of commoners, while in some instances it has been observed that the legs are increased in length to give emphasis and dignity to the subject. Yet there was usually a harmonious relation of parts in the statuary.

It is, therefore, suggested that several different systems might have existed, both for relief and for round [1]. Considering the question of three dimensional proportions we take occasion to refer to the observations of C. C. Edgar on unfinished royal heads, sculptor's models and unfinished statues. With but few exceptions the latter have been abandoned by the carvers for obvious reasons of error in design or cutting. It should be noted that some of the carving was too deep; that the material or the modeling got out of control. It is unfortunate that all of these examples can be attributed to the Late Period, a rather ecclectic and mechanical moment in art. These works are valuable however, not only as exhibits of technical proceedure but for the guide lines which have been scored out upon them. Prime verticals, both frontal and profile, appear frequently along with the horizontal scorings for the location of heads, shoulders and knees. When measured however, they do not always conform to the grids on the reliefs of the same period. The head and foot (usually left) studies on display at the Cairo Museum and published by Edgar, should be considered in the light of their author's judgement: "they are apparently models for the instruction of beginners [2]". Recalling the disciplines imposed by master sculptors on their students—the reproduction of heads and feet which are known to be the most difficult areas of the human figure to render—the above-mentioned studies could have served as excellent technical exercises and subjects for examination. This opinion is supported by the fact that these works are neatly separated from the body, often engaged to a block and

(1) G. Maspero, Archeologie egyptienne, p. 163. "Leur enseignement était de routine et non de théorie".

(2) C. C. Edgar, Sculptors, studies and unfinished Works, op. cit., p. V.

equation", however exceptions are too frequent to permit our acceptance of the grid system as a device worthy of consideration as a classical canon. Nevertheless the grid system does seem to have been more than a convenience for transfer and enlargement [1]. And there can be no doubt that a sculptor designing a relief would be obliged to resort to some sort of regulating device in order to retain the unnatural presentation of the human figure in combined frontal, three-quarter and profile. It could have served effectively in restricting pictorial representations to the architectural scale of the site.

But there are so many exceptions to the canonical theories advanced that it becomes unreasonable to reduce them to any fixed quantitative definition. From measurements taken on reliefs assigned to different periods of the artistic production, it appears that the head might have been the only part of the figure under strict control since overall proportions ranged from six to eleven headlengths. Obviously these questions deserve additional study, however, the purpose of the present investigation is to seek out the proportional system used in the statuary. Transferring the linear divisions of the reliefs onto free standing sculpture does not often work satisfactorily. It is unfortunate that many authorities on the subject have allowed this explanation to continue unchallenged. Grids on the reliefs were theoretically intended to control the figure horizontally as well as vertically. But this does not seem to carry over in the sculpture. To take but one example from scores, the Boston Mykerinus has over four headwidths in the shoulders, while a three-quarter statue of the same IVth dynasty king on a triad in the Cairo Museum (E.M. n° 149) measures but three and one-half headwidths in the same zone. Often effigies of royal and noble personages contain more

---

(1) C. C. Edgar, Remarks on Egyptian Sculptors' Models. in Recueil de Travaux Relatifs, 1905, p. 143. "M. Perrot on the other hand maintains that the squares served merely as a means of guiding the workmen in transferring a small scale design to a larger surface; it was simply the familiar process... mise en carreau".

sculptors models of the Late and Ptolemaic period (1). Mackay has concentrated on wall drawings of the Theban tombs of the New Kingdom (2). One of the most detailed studies on the Egyptian canon has been published by M. A. Murray (3). This study, although founded primary on wall reliefs, is intended to account for the proportioning of the human figure in both the two and three dimensional aspects of sculpture. As can be noticed in several reliefs and drawings either on wall surfaces or ostracas, the Egyptian artist laid out a square grid of more or less evenly spaced horizontal and vertical lines. Their purpose seems to have been twofold, one of establishing a proportional regulation (canon), the other of maintaining control of balance between the various pictorial components of the composition. In the standing figure the prime vertical ran from the center of the ear down through the trunk to the ball of the trailing foot. Each square was figured as half a unit and the standard of measurement is based upon the one unit gaging the distance from the point where the headdress meets the forhead to the junction of neck and shoulders.

Units ranged down the figure locating approximate positions of such parts as the base of the hip, the kilt and the knees. According to Murray the proportion of the prime unit was one to eight (18 squares) in the three Kingdoms and in certain reliefs of the Late Period. For the balance of the Late Period and the Amarnian interval the relationship was one to seven.

Unfortunately these assertions are correct in less than one half of the reliefs which we have measured. Furthermore they are based only on the male figure. Murray, it is true, makes allowance for the "individuality of the sculptor" and "the personal

(1) C. C. Edgar. Sculptors, studies and unfinished works, 1906. Catalogue Général des Antiquités Egyptiennes.

(2) E. Mackay. Proportion squares on tomb walls in the Theban necropolis. in Journal of Egyptian Archeology, vol. IV, 1917, pp. 74-85.

(3) M.A. Murray. op. cit.

or width of the foot, one-third or half of its length, the length of the medius or the distance from hairline to shoulder are known to be exact in some pieces, yet none work consistently throughout ([1]). Any one dimension repeated in the stone sculpture of a given period may not function in statues of wood or metal even of the same period.

The problem is further complicated with vague terms and unmentioned sources of the works measured. M. A. Murray has interpreted the canons for the Late Period as being nine heads for the figures of the King and eight heads for less important persons ([2]). E. M. Guest has written, "The canonical division of the head is taken from the brow to the shoulder and this is one-ninth of the whole in the Old Kingdom, Middle Kingdom and New Kingdom and one-seventh in the Late Period ([3])". Such contradictions would seem to indicate that further investigation is in order.

Before proceeding it becomes necessary for us to know exactly what is meant by the term canon. This investigation has been developed with the understanding that a canon is a critical standard disciplining the proportions of the human figure as represented in art form. The canon of Leonardo da Vinci, for example, was established on the basis of seven and one-half heads to the overall height of the body as well as the transverse dimension of the horizontal armspread. When the male figure stands with arms stretched over head the navel is located at its radial center. The various parts of the body are, therefore, assigned fixed relationships to the head.

Authoritative opinions have been expressed relative to observations made on various source material. Edgar's studies have been developed around unfinished reliefs and the so-called

(1) J. Capart, Leçons sur l'Art Egyptien, 1920, pp. 129-131.
(2) M. A. Murray, Egyptian Sculpture, 1930, chapt. I.
(3) E. M. Guest, The Influence of Egypt on the Art of Greece, in Ancient Egypt, June 1930, part II, pp. 45-54.

A MODULAR SYSTEM IN PHARAONIC STATUARY

BY

MARK RITTER SPONENBURGH

American Research Center in Egypt

Ptah, protector of the arts and master of creativity, was also known as Lord of Maat. The word Maat was not only identified with the goddess of truth and justice but bespoke a principle which permeated every organized discipline of the civilization. It signified tolerance, adjustment and balance As a concept of universal relativity, created by man and focussed upon his modus vivendi, the Egyptian summarized this unity in an idealitic image of himself.

That the sculpture could have achieved, and over so many centuries preserved, a harmonious interpretation of the human figure strongly suggests the existence of a well established tradition of proportion. It seems perfectly logical that sculptors attaining such mastery over form and material would have formulated a standard of measurement. We are here concerned with a set of conditions governing the official art and conforming to the predominating themes of the religion. This investigation does not in any way include unofficial or popular expression, in which we are apt to find the impulsive enthusiasm of the untutored artist—the spontaneity of the creative act.

Many formulae have been advanced as the basis for a proportional law governing the figure in Egyptian statuary, yet none withstand the test of general application. Canonical systems based on certain dimensions wihin the body such as the length

probably introduced from other Islamic countries, mainly from West Islām which was quite natural to happen with the Fāṭimid invasion of Egypt.

b) Local features of Ṭūlūnid or more precisely of Sāmarrā origin that show an apparent transition stage of evolution.

Conclusion — In view of the evidence provided by all these fatures I am strongly tempted to suggest the end of the VIth cent. H. (Xth. cent. A.D.), as a more reasonable date for that particular Miḥrāb in the Mosque of Ibn Ṭūlūn.

BIBLIOGRAPHY

CRESWELL (K.A.C.): Early Muslim Architecture, Vol. I, Umayyad, Oxford, 1932.

Vol, II, Umayyad Spain, Abbāsid and Ṭūlūnid, Oxford, 1940.

Idem. : Muslim Architecture of Egypt, Vol. I...Oxford, 1952.

FLURY (S.) : Die Ornamente der Ḥākim—und Ashar Moschee, Heidelberg, 1912.

Idem. : Samarra und die Ornamentik der Moschee des Ibn Tūlūn. (Der Islam, IV 8 Textabb., I Taf., pp. 421-432, Berlin, 1913).

HERZFELD (E.) and SARRE (F.): Aacheologische Reise in Euphrate—und Tigris Gebiet, 4 vols., Berlin, 1911-20.

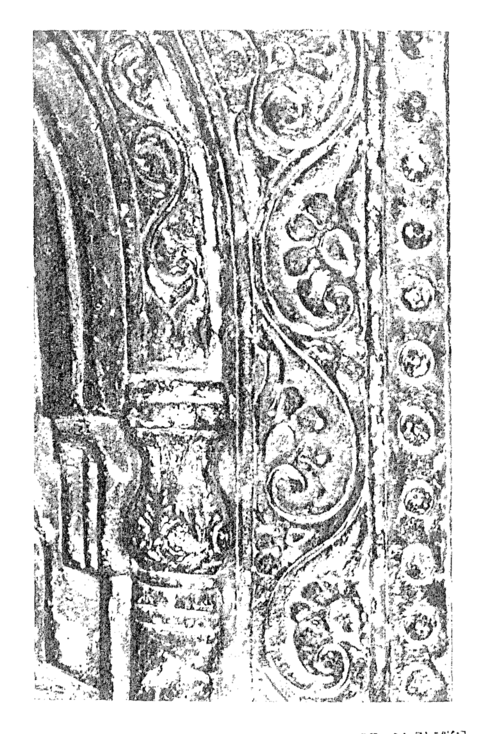
HERZFELD (E.) : Damuscus, Studies in Architecture, I. (Ars Islamica, vol. IX, pp. 1-53, Figs. 78.). Ann Arbor 1942.

KŪHNEL (E.) : Maurische Kunst. Berlin, 1924.

MAḤMŪD 'AKKŪSH : Al-Gāmi' aṭ-Ṭūlūnī (the Ṭūlūnid Mosque, in Arabic) Cairo, 1927.

MARÇAIS (G.) : Manuel d'Art Musulman, L'Architecture. 2 vols. Paris 1926.

RICARD (P.) : Pour Comprendre L'art Musulman. Paris, 1924.



[Farīd Shāfi'ī]

Pl. II
Detail from Pl. I



Pl. I [Farid Shāfi'ī.]

Mosque of Ibn Tūlūn — Ealy Fatimid Miḥrāb

closely in contact with the others so that no background may be visible between the elements. In spite of the apparent presence of that characteristic in the miḥrāb, yet we notice that each of the compact winged-leaves, forming the greater part of the decoration is, in fact, a frame enclosing a split-palmette which has a convex section, while the space between it and the winged-leaf frame is concave (Fig. 24) The concave section of this space makes it look as if it were a modelled background for the split palmette, a feature not known in Sāmarrā.



FIG. 24
Mosque of Ibn Ṭūlūn,
Early Fāṭimid Miḥrāb

Another characteristic of Style "C" is the growth of one element from another, the connecting stems are too short to be noticed. In our miḥrāb the leaves grow one from the other true to Sāmarrā tradition, but the stems are quite elongated and clearly visible.

To conclude the remarks about the floral decoration of the miḥrāb, I admit that it has no parallel in Fāṭimid stucco-work, yet it has a good one in the decoration carved on the wooden tie beams of the arches carrying the central dome in the Mosque of al-Ḥākim (1).

* * *

The evidence collected from the analysis of the miḥrāb in question can be summarised in two groups as follows:—

(a) Features that made their appearance, or at least became to be frequently used, since the early Fāṭimid period, and most

(1) CRESWELL: M.A. Eg., I, Pl. 20 b.

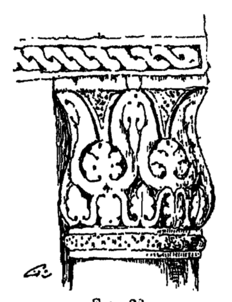


FIG. 22
Mosque of Ibn Ṭūlūn.
(Creurwell, I, Pl. 107, d)

in the Dair as-Suriāni (Fig. 23). One of the chief characteristics of 'Abbāsid ornament of Style "C" is the idea of crowding the elements and to make them too close together so that no back-ground is left in between. This idea is not honestly followed in the capitals of our miḥrāb. The ornament is simplified to an elongated leaf with internal grooves distributed palmette-wise, and triangular spaces between the tops of the leaves occupied by two-lobed ones. It is quite clear here that some evolution has taken place and most probably happened not in the Ṭūlūnid period, but in a later stage in the early Fāṭimid period.



FIG. 23
Diar as-Surian, 913/4.
(M. de Villard : Wādi en-Natrūn Pl. II)

* * *

Lastly we come to the campact floral ornament in the architrave of the arch, in the spandrels and in the vertical bands flanking the columns. The above-mentioned characteristic of Style "C" of Sāmarrā is quite clear here, *viz.* each element is placed so

axis and again placed, reversed this time, on the other side of the axis. The examples can be seen in the Mosque of Sidi bel-Ḥasan, end of XIIIth cent. A.D. ([1]), and became very frequently used in the XIVth cent. A.D. in N. Africa and Spain, *e.g.*: in the Mosque, of Abū Madian, at Tlemcen ([2]), 739 H. (1339); Rabāṭ, Shella, Tomb of Abu'l Ḥasan, middle of XIVth cent. A.D. ([3]); Granada Alhambra, 2nd half of XIVth cent.; Sevilla, Alcazar, XIVth cent. A.D. ([4]) etc.

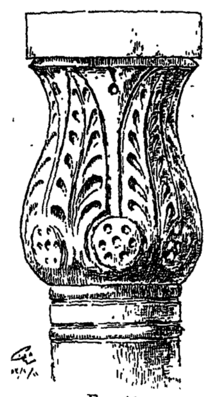


Fig. 11
Mosque of Ibn Ṭūlūn,
Early Fāṭimid Miḥrāb

These examples leave little doubt concerning the origin and home of this feature. West Islām was the place where it first appeared and where it made its successive steps of evolution.

Thus, we are tempted once more to think that the Fāṭimid invasion of Egypt was again responsible for the appearance of this Maghribī feature in the miḥrāb in the Mosque of Ibn Ṭūlūn.

* * *

If we come now to the floral ornament we notice an apparent evolution in the decoration of the capitals of the two engaged columns carrying the outer arch (Pl. II, and Fig. 21). We have a good opportunity for comparison with the many examples of capitals from the Mosque of Inb Ṭūlūn (Fig. 22) and the later capitals

---

([1]) Marçais, II, Fig. 355.
([2]) Ibid., II, pp 489 ff.; Ricard, op, cit., Fig 405.
([3]) Kühnel: Maurische Kunst. Pl. 56.
([4]) Ibid., Pl. 45.

this is most probably due to lack of published material of archæological documents and researches on West Islamic art. The oldest trial, I could find, was the word "Allāh" (Fig. 18) contained in a

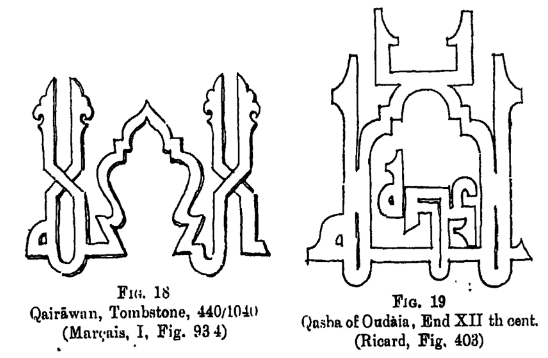


Fig. 18
Qairâwan, Tombstone, 440/1040
(Marçais, I, Fig. 93 4)

Fig. 19
Qasba of Oudâia, End XII th cent.
(Ricard, Fig. 403)

"Basmalah" carved in a tombstone from Qairawān, dated 440 H. (1018) ([1]). I found the next example in the Qasba of Oudaïa, end of XII th cent. A.D. ([2]). This time the motive is composed of two wods: "al-'Izza Lillāh" (Fig. 19), which means "Glory to God". Onother contemporary example comes from the Mosque of Tūzur, end of XII th cent A.D.([3]) (Fig. 20). In the later steps, the motive is formed by one word or more placed on one side of a middle



Fig. 20
Mosque of Tūzur, End XII th cent.
(Marçais, I, Fig. 233. C.)

([1]) Marçais: I, Fig. 93/4.
([2]) Ricard: Pour Comprendre..., Fig. 403.
([3]) Marçais, I. Fig. 233 c.

dome over the square in front of the Miḥrāb, etc... All these feature makes one believe that the moulded hood was among the many Maghribī features conveyed to Egypt with the Fāṭimid invasion.

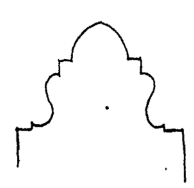


Fig. 16
Mosque of al-Ḥākim
Western Minaret, 393/1003
(Creswell, M.A.Eg., I
Pl. 29, c.)

The moulded hood of our panel looks, in fact, to be more elaborate and advanced in evolution than that in the western minaret of al-Ḥākim's Mosque and can be considered parallel to the hoods of the windows in the octagonal drum under the dome of the Mausoleum of as-Sayyeda Ruqayya [1] 527 H. (1133), and, therefore, it is difficult to think that such a developed moulding existed in the Ṭūlūnid or even in the Ikhshīdid period.

* * *

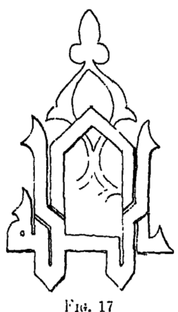


Fig. 17
Mosque of Ibn Ṭūlūn,
Early Fāṭimid Miḥrāb.

Another evidence for a Fāṭimid attribution is supplied by the decorative panel occupying the central field of the miḥrāb and formed by the stems of the Kūfic word, which can be read " Allāh ", in spite of the lost parts (Fig 17). Such an idea of forming a symmetrical decorative motive out of a Kūfic word, is only known to have been practised by West Islamic artists. It is curious to notice that the preliminary steps are very few and chronologically sporadic and that this practice became to be widely used in the medieval period in West Islām, but

(1) Creswell: M.A. Eg., I, 86-c.

Now if we turn to West Islām we find, an evolved example ([1]) (Fig. 13) carved on a marble slab to the east of the mirḥrāb of the Great Mosque of Qairawān, and bearing inscriptions which, according to Marçais ([2]) appears to belong to the Aghlabid period (Xth-XI th cent. ?); other examples (Figs. 14, 15) are

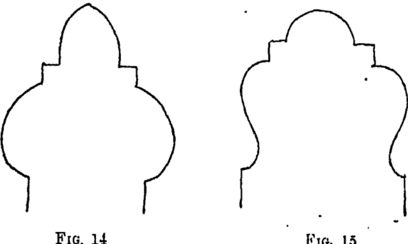


FIG. 14 FIG. 15
Qal'a of Banī Ḥammād. X—XI cent.
(Marçais, I, Fig. 80, A-B.)

found in the Qal'a of Banī Ḥammād (Xth-XIth cent.). The same feature can also be seen in the sketch of the minaret of Sfax drawn by Marçais ([3]) and attributed by him to the Ṣanhāja period, *i. e.* late X th cent. ([4]).

The oldest dated example of this feature in Egypt is found in the western minaret of the Mosque of al-Ḥākim (Fig. 16) which bears resemblance to that of Sfax, as Prof. Creswell has pointed out ([4]). In addition to this, there are many other features of Maghribī origin found in the Mosque of al-Ḥākim, *e.g.* the monumental eatrance, the minarets at the two corners of the entrance facade, the double and triple stems in the floral ornament in the two minarets and the monumental entrance, the

---

([1]) MARÇAIS, Manuel, I. Fig. 36 E.
([2]) Ibid, p. 154, ft. n. I.
([3]) Op. cit., Fig. 81.
([4]) CRESWELL, M.A. Eg. I. p. 102, points to the necessity of confirming this attribution.

d. Muḥarram 533 H. (Sept. 1138) (1) (Fig. 10); Persia, rock-hewn miḥrāb above the Allāhu Akbar Pass, which I think, if attributed to the end of the XIth cent. and beginning of the XIIth cent., will not be too far from the correct date (2) Fig. 11). It

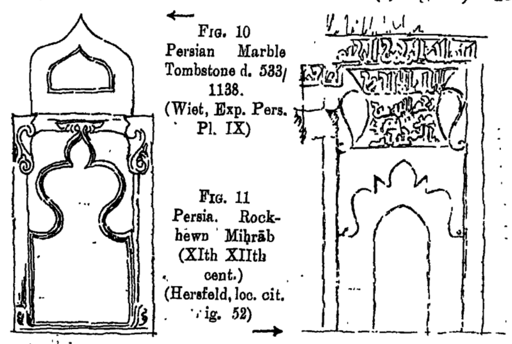


Fig. 10
Persian Marble Tombstone d. 533/1138.
(Wiet, Exp. Pers. Pl. IX)

Fig. 11
Persia. Rock-hewn Miḥrāb (XIth XIIth cent.)
(Hersfeld, loc. cit. Fig. 52)

can be seen also in the Māristān Nūrī at Damaskus, 549 H. (1154) (3), (Fig. 12). These well-evolved examples are too late to suggest any relation with the miḥrāb in the Mosque of Ibn Ṭūlūn.

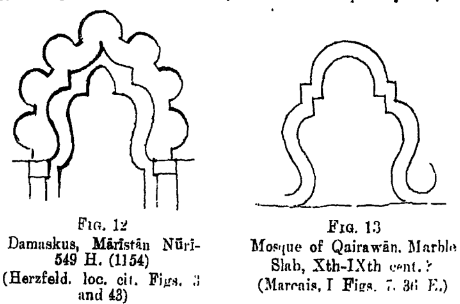


Fig. 12
Damaskus, Māristān Nūrī-549 H. (1154)
(Herzfeld. loc. cit. Figs. 3 and 43)

Fig. 13
Mosque of Qairawān. Marble Slab, Xth-IXth cent. ?
(Marcais, I Figs. 7. 36 E.)

(1) Herzfeld, Damaskus..., in Ars Isl. IX, p. 24, Fig. 52.
(2) Loc. cit., Fig. 3.

Unfortunately, there is a wide gap in the sequence of examples of this feature in East Islām until we meet with the later examples from the end of the XIth cent. A.D., but in advanced

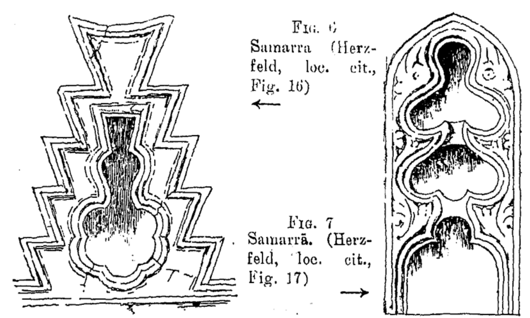


FIG. 6
Samarra (Herzfeld, loc. cit., Fig. 16)
←

FIG. 7
Samarrā. (Herzfeld, loc. cit., Fig. 17)
→

stages of evolution, e.g., Imām Dūr, the Mausoleum of Muslim ibn Quraish (†) 478 (1085 A.D.) (1) (Fig. 8); Takrīt, al-Arba'īn, late Vth cent. H. (XI) (2) (Fig. 9); Persia, carved marble tombstone

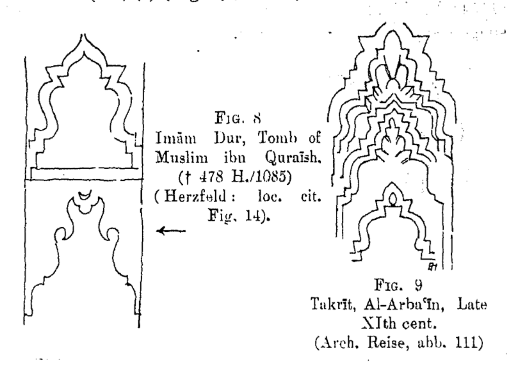


FIG. 8
Imām Dur, Tomb of Muslim ibn Quraīsh, († 478 H./1085) (Herzfeld: loc. cit. Fig. 14).
←

FIG. 9
Takrīt, Al-Arbaʿīn, Late XIth cent. (Arch. Reise, abb. 111)

(1) HERZFELD: Archeol. Reise, I, p. 232, Abb. 120; III, p. 320; Idem., Ars Isl., vol. IX Fig. 14.

(2) HERZFELD, op. cit., I, pp. 222-3, Abb. 110-111.

the squinches in the Saba' Banāt, c. 400 H. (1010), are of the four-centred type (1); openings and miḥrābs in the Mosque of Lu'lu'a, 406 H. (1015/6) have compound pointed hoods (2); the same type is used in the entrance to the "ziāda" of the Mosque of al-Ḥākim, 411/427 H. (1021/36) (3); also in many of the mausoleums in the cemetery of Aswān, attributed to the XI th cent. A.D. (4). The compound pointed arch is again extensively used in the later group of Fāṭimid monuments starting with the Mosque of al-Guyūshī, 478 H. (1085) (5).

Thus it is quite clear that the compound pointed form of the arch of the miḥrāb in question was well known and commonly used in the Fāṭimid period from the very start onwards, a remark that tempts one to think of a Fāṭimid date for that miḥrāb.

***

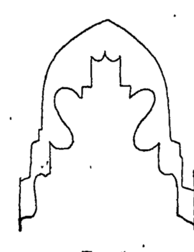


Fig. 5
Mosque of Ibn Ṭūlūn, Early Fāṭimid Miḥrāb

The moulded hood (Fig. 5) within the arched panel provides another evidence for suggesting a date later than the Ṭūlūnid period.

The early stages of this feature start with the foundation of Sāmarrā, where we meet with two moulded forms that may be considered as the earliest steps in the evolution of this motive. The serrated crestings of the Jawsaq al-Khāqānī are each pierced with a panel having a moulded top and a lobed lower part (Fig 6). In the walls of some houses of Sāmarrā there are niches with moulded hoods of rather an elementary type (Fig. 7).

(1) M.A Eg. I., Pl. 34 a-e.
(2) Ibid., Pl. 35 a-d.
(3) Ibid., Pl. 36 a-c.
(4) Ibid., pp. 137, 291, Pls. 41. 42.
(5) Ibid., Pls. 47 a-5,d,48 a, c.

Ṣāliḥ ibn 'Alī, 212 H. (827)(1) ; the Nilometer, 247 H. (861)(2) ; The Aqueduct of Basātīn, bef. 263 H. (876) (3) ; the 'Abbāsid chapel in the Dayr as-Suriānī (A.D. 913/4) (4).

There are two instances where some suspicion may arise in connection with the use of the four-centred arch in the 'Abbāsid period in Egypt.

(*a*) A niche at the northern extremity of the south-west side of the Mosque of 'Amr (5) is crowned by an arch of two rings. The inner ring, built with edgewise bricks, is nearly round, the outer, built with headers, is slightly pointed, which is most probably a result of the crudeness of execution.

(*b*) In the second instance we find in the miḥrāb of a house in al-'Askar (6), two curves meeting in a point at the middle axis which look, at first glance, to resemble the top part of a four-centred arch, but on second thought, it is difficult to stick to this suggestion as it is quite probable also that they formed the top part of a pointed segmental arch.

In the Faṭimid period we find in the Mosque of al-Azhar, the earliest existing Fāṭimid monument, some arches that are definitely not of the simple pointed arch, but of the compound type, *viz.* the four-centred. This form is adopted for nearly all the original arches of the transept (7). The same form of arch is again to be met with in the Mosque of al-Ḥākim, 393 H. (1003) in the hoods of the main miḥrāb (8) and the miḥrāb which existed once on the roof (9). All the archs of the openings and

(1) Creswell, E.M.A., II, Pls. 37-39, 43.
(2) Ibid., Pls. 80-81.
(3) Ibid., Pls. 94-95.
(4) Idem., M A Eg., I, p. 17, ft. n. 9 ; White (E.), the Monasteries of the Wādi'n Natrûn, III, pp. 197-8, Pls. LXVI-LXXI.
(5) E.M.A. II, Pl. 38.
(6) Ibid., Pl. 123.
(7) M.A.Eg., I., Pls. 4, 5, 6a.
(8) Ibid., Pl. 115 5.
(9) Ibid., p. 83. Pl. 115 a.

(3) Sāmarrā: Qubbat aṣ-Ṣulaibiyya, built after 248 (862). Some arches are of the four-centred type [1].

(4) Shīrāz: The Great Mosque, the remains of the original arch of the miḥrāb with stucco ornament on its soffit—circa 262 H (875)—is certainly of the four-centred type [2].

The arches in the south-west side [3] are of the keel-type, the top tangent is undoubtedly straight. The arches in the west corner [4] are probably of the same type, but it is difficult to be certain owing to their ruined state.

(5) Nāyīn: The Great mosque. The miḥrāb, circa 350 H. (960), contains three arches [5]: the top one is of the compound pointed form and probably of the keel-type, but the tangent is too short to make certain; the intermediate is most probably a keel one, the tangent is longer and clearer; the lowest one is certainly a keel-arch, but seems to be of a later date. The old arches decorated with original stucco decoration are also of the four-centred type [6].

(6) Sangbast: Mausoleum, 387/419 H. (997/1028). The arches in the interior are four-centred [7].

It seems, therefore, that the compound pointed arch was born in 'Irāq and made its early steps of evolution in that country and in Persia.

If we come to Egypt in the 'Abbāsid period, we find that the half round and the simple pointed types are the two common forms of arches exhibited in the existing monuments from that period, *viz.* the parts of the Mosque of 'Amr attributed to

(1) E.M.A. II, Pl. 79 a; Archeol. Reise, III. Pl. XVIII, Top.
(2) Survey, Vol. IV, Pl. 259 A, B.
(3) Ibid., Pl. 299 C.
(4) Ibid., Pl. 260 A.
(5) Ibid., Pl. 267.
(6) Ibid., Pl. 260. B.
(7) Creswell: M.A.Eg., I, p. 52; Survey, op. cit., Pls. 265-6.

scale enlargement of the miḥrāb and made a very careful tracing of the successive curves of the arches in the hood of the panel

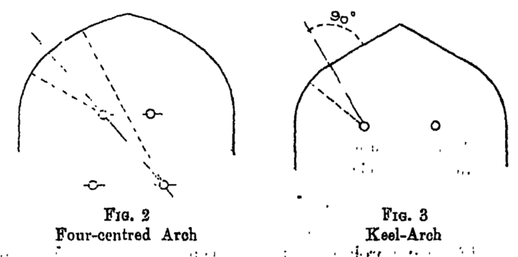


FIG. 2
Four-centred Arch

FIG. 3
Keel-Arch

(Fig. 4), and it is clear from the drawing that each arch is formed by two curves joined at the top by two short tangents. The execution of these arches makes it difficult to decide if these tangents are straight or curved; but one fact, however, remains to be well established: the arches are certainly of the compound pointed form.

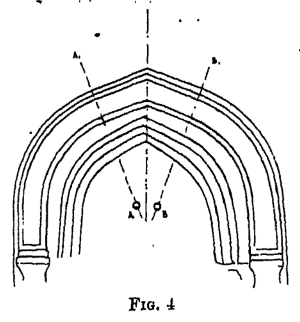


FIG. 4

The earliest examples of the compound pointed arches known in Islām until the Fāṭimid period in Egypt are:—

(1) Raqqā: Baghdād Gate, 155 H. (772), the arch is four-centred (1).

(2) Sāmarrā: The Mosque of Abū Dulaf 246/7 H. (860/1). The four-centred type is used (2).

(1) CRESWELL: E.M.A. II, p. 43, Fig. 29 and Pl. 2e; M.A.E. I, p. 52.
(2) E.M.A. II, p. 279, Pl.: Archeol. Reise, III, Pl. XVI, Left.

Flury once attributed this miḥrāb and the other one to the west of the "dikka" to the beginning of the IV th. cent. H. (X th cent.) (1). In a second article, (2), he suggested the 3rd. cent. H (IX cent.) as more suitable for the latter miḥrāb, but hesitated to do so for the former one. Flury when analysing the decoration made use of some motives and elements, but left some other important features which would have rendered a great help to suggest a date nearer to the truth.



One of these important features is the form of the arch that crowns the central panel.

We have two forms of the pointed arch commonly used in Islamic architecture: the simple pointed and the compound. The simple type is formed by two segments struck from two centres (Fig. 1). The compound form has two types: the four-centred and the keel-arch. The four-centred arch is constructed from four segments and four centres (Fig. 2), while the keel-arch is constructed from two segments and two straight tangents (Fig. 3). Sometimes the two forms of the compound pointed type closely resemble each other when the two top lines are so short or so crudely executed that it becomes difficult to recognise if the lines are curved or straight.

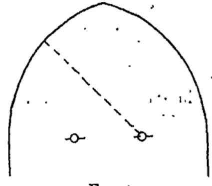


FIG. 1
Simple Pointed Arch

It is clear that the pointed arch of the miḥrāb in question is not of the simple type. To make sure, I prepared a large

(1) FLURY: Ḥakim u. Azhar, pp. 19,36-7, 40.

(2) Idem: Sāmarrā u. Moschee des Ibn Ṭūlūn, Der Islām, IV pp. 429-30.

AN EARLY FĀṬIMID MIḤRĀB
IN THE MOSQUE OF IBN ṬŪLŪN

BY

DR. FARĪD SHĀFI'Ī

One of the curious features in the Mosque of Ibn Ṭūlūn, is the group of six miḥrābs in the Qibla "riwāq". The principle miḥrāb in the centre of the Qibla wall is the only concave one. A flat stucco miḥrāb — the so-called Miḥrāb of As-Sayyeda Nafīsa — attributed to the Mamlūk period (1), is applied to the face of the Qibla wall east of the principle concave one. Two other flat stucco miḥrābs (2), attributed to the Ṭūlūnid period, are applied to the north-western faces of two piers next to the "dikka" in the second arcade from the Qibla wall. The two remaining miḥrābs are also flat stucco ones applied to the faces of two other piers in the fourth arcade counting from the Qibla wall, the western one bears the names of the Khalif al-Mustanṣir and his Wazīr al-Afḍal and is datable in 487 H. (1094 A.D.)(3). The sixth miḥrāb bears the name of Lājīn and is attributed to 696 H. (1296 A.D.)(3).

* * *

The present article deals with the miḥrāb east of the "dikka" (Pl. I).

(1) CRESWELL: E.M.A. vol. II, p. 350; MAḤMŪD 'AKKŪSH: al Gāmi' aṭ-Ṭūlūnī, p. 71.

(2) E.M.A. II., Pl. 123 a and b, p. 349.

(3) Ibid., pp. 349-50; M.A.E.I., pp. 220-2, Fig. 119, Pl. 77; M. 'AKKŪSH, op. cit., pp. 67-8.

Charles Kœchlin, Annette Kolb, Paul Landormy et M^me^, Louise Levy, Marcel Lob, Lugné-Poe, Camille Mallarmé et M^me^, Pierre Marcel, Esther Marchand et M^me^, Roger Martin Du Gard. Marcel Martinet, Frans Masereel, Paul Marie Masson, jacques Mesnil, Raymonde Meynard, Malwida von Meysenbug, Karin Michaelis, Charles Milandre, Mira (Madeleine Slade), Miyamoto Masakiyo, Eugène Morel, Jeanne Mortier, Léon Moussinac, Hane Muhlenstein, Kalidas Nag, Jawaharlal Nerru, Michel de Paillerets (R.F.), Charles Péguy, Don Lorenzo Perosi, Raymond Pichard (R.F.), Georges Pioch, René Plaud, Maurice Pottecher, Henri Poulaille, Lucien Price, Edmond Privat, Jacques Gabriel Prod'homme, Henri Prunières, Serges Radine, Felix Raugel, Eugène Rel, Jean Michel Renaitour, Ernest Renan, André Ribard, Rainer Maria Rilke, Gaston Riou, Jacques Robert France, J. Sainsaulieu, Jean de Saint Prix, Salvemini, Samazeuilh, Sanielevici (Prof.), Géorges Sarti, René Schickele, Berta G. Schleicher, Seailles, Alphonse Séché, Paul Seippel, Christian Sénéchal, Severine, Upton Sinclair, Ermin Sinko, André Spire, Karl Spitteler, Richard Strauss, André Suarès, Bianco Umberto Zanotti, Dr. Hans Zint, Rabindranath Tagore, Hireatsu Takata, Hector Talvart, Gaston Thiesson, Maurice Thorez, Julien Tiersot, André et Daniel Toledano, Jean Tousseul, Akio Ueda, Fritz von Unruh, Henry von de Velde, Emile Verhaeren, Charles Vildrac, Elsa Wolf, Berta Zuricher, Stefan Zweig.

Note—Une etude ultérieure comprendra la bibliographie des articles de Romain Rolland non reunis en volumes, ses Prefaces, Introductions, Lettres, Notices. Ell comprendra egalement les etudes sur Romain Rolland et son œuvre.

La correspendance de Romain Rolland est une des plus considérables de la littérature française ; elle compte approximativement quinze mille lettres.

Cette correspondance établit avec les plus grands esprits de notre temps, Tolstoï, Gandhi, Bernard Shaw, etc, des discussions philosophiques ou morales, des échanges de vues sur les problèmes de l'humanité moderne et sur les événements politiques. La correspondance avec certains amis, Malwida von Meysenbug, André Suarès, Louis Gillet, etc. éclaire la pensée de Romain Rolland, sa vie et son œuvre. Beaucoup de lettres sont enfin écrites en réponse à des inconnus qui viennent chercher appui auprès de l'auteur de *Jean-Christophe*, et à qui celui-ci exprime toujours une pensée généreuse. L'ensemble de la correspondance est une somme de documents de toute première importance pour l'étude de notre époque.

Voici quelques-uns des principaux correspondants de Romain Rolland :

Paul Amann, G. Ambrosi, Gabriele d'Annunzio, Louis Aragon, Beatrice Aram, René Arcos, Henri Bachelin, Charles Baudouin, Léon Bazalgette, Gabriel Belot, Louis Bernaert (abbé), Sofia Bertolini, Ettore Bignami, Paul Birukoff, Ernest Bloch, Jean Richard Bloch, Jean Bonnerot, Jacques Borel, Georges Brandes, André Chamson, Alphonse de Chateaubriand, Paul Claudel, Paul Colin, Jeán Courregelongue, Louise Cruppi, Ernst Robert Curtius, Georges Duhamel, Amédée Dunois, Paul Dupin, Luc Durtain. Max Eastman, Frederik Van Eeden, Albert Einstein, Will Eisenmann, Geneviève Favre, Frederic Ferrière et Famille, Auguste Forel, Waldo Frank, Sigmund Freud, Georges Friedmann, M.K. Gandhi, Charles et Claire Geniaux, André George, Louis Gillet, Annie Graves, Otto Grautoff, Jean Guehenno, Henri Guilbeaux, Louis Guilloux, Jenny Guyot, Lucien Haudebert. Panaït Istrati, Francis Jourdain, Pierre Jean Jouve, Andrée Jouve, Michel Karol, Tohishiko Katayama, John Klein,

Le Théâtre du Peuple—Essai d'esthétique dramatique. Une partie du Théâtre du Peuple avait été publiée en articles dans la *Revue d'Art Dramatique* de 1899 à 1903.

(a) *Le Théâtre du Peuple*—Essai d'esthétique d'un théâtre nouveau. Paris, Cahiers de la Quinzaine, nov. 1903, 4ᵉ Cahier de la Vᵉ série, in-18, 213 p.

(b) *Le Théâtre du Peuple.* Nouvelle édition avec une seconde préface. Paris, Hachette, 1913, in-16, XII, 224 p.

(c) *Le Théâtre du Peuple.* Paris, Ollendorff 1921 (même édition que celle d'Hachette 1913).

Au-dessus de la Mêlée.

(a) *Au-dessus de la Mêlée* et *Inter Arma Caritas* avec une préface d'Amédée Dunois, Paris, l'Emancipatrice, 1915, in-16; 32 p.

(b) *Au-dessus de la Mêlée.* Avec plusieurs autres articles. Neufchâtel, Attinger Frères, 1915.

(c) *Au-dessus de la Mêlée.* Avec plusieurs autres articles, Paris Ollendorff, 1915.

(d) *Au dessus de la Mêlée.* Paris, Albin Michel, in-8, 255 p.

(a) *Les Précurseurs.* Paris, éd. de l'Humanité, 1919, in-16, 231 p.

(b) *Les Précurseurs.* Paris, Ollendorff, 1923, in-16, VIII, 233 p.

(c) Id. Paris, Albin-Michel, 1931, in-16, VIII, 237 p.

Quinze Ans de Combat. Paris, éd Riéder et Co, collection Europe, 1935, in-16, 244 p.

Par la Révolution la Paix. Editions Sociales Internationales, Paris, Collection Commune, 1935, in-16, 175 p.

(a) *Compagnons de route.* Essais littéraires. Shakespeare, Charles de Coster, Goethe, Gobineau, Renan, Victor Hugo, Tolstoï, Lénine. Paris, Editions du Sablier, 1936 in-8, 227 p.

(b) *Compagnons de route.* Paris Albin Michel 1936.

Philosophie :

Empédocle d'Agrigente et l'Age de la Haine. Genève, Maison française d'Art et d'Edition, 2 tirages :

Cahiers du Carmel, 1re série nº 1, Genève, 1918, in-8, IV, 45 p.

Edition française, publiée par la Maison Française d'Art et d'Edition, Paris, 1918, in 12, 46 p.

Empédocle d'Agrigente suivi de *l'Eclair de Spinoza.* Paris, Ed. du Sablier, 1931, in-16, 137 p. 16 gravures ou portraits.

Histoire :

(a) *Valmy.* Paris, Editions Sociales Internationales, 1938, in-8 32 p. illustrations de Jean Trubert (figures en noiret en couleurs).

(b) *Valmy.* Ill. de Jean Trubert. Editions France d'abord, 1946.

Littérature :

(a) *Les pages immortelles de J. J. Rousseau.* Choisies et expliquées par R. Rolland. Edition originale en anglais. New-York, Longmans, Green et Co. 1939.

(b) *Les pages immortelles de J. J. Rousseau.* Paris, Ed. Correa, 1939, in-8º, 230 p. Introduction de R. Rolland: 49 p.

Articles de Romain Rolland, réunis en volumes.

Musicologie. Les volumes qui suivent sont composés d'articles réunis; ce sont: ***Musiciens d'Aujourd'hui***, ***Musicien d'Autrefois***, ***Voyage Musical au Pays du Passé.*** Dans ces publications, l'auteur a conservé le texte original des articles, les a remaniés ou fondus [1].

---

[1] Cf. la partie Musicologie, p. 59.

Paris, Ed. du Sablier, 1943, in-8, 315 p.

Id. Paris, Ed. du Sablier, 1943,-in-4°, 307 p. Pl. illustrées, bandeaux, culs-de-lampe, pl. musique, nombreux fac-similés, 3 portraits.

VI. *La Cathédrale Interrompue :*

Tome III.—*Finita Comœdia.* Paris, Ed. du Sablier 1945, in-8°, 287 p. ; gravures sur bois par André Deslignières.

Essais Divers

Autobiographies :

Souvenirs d'Enfance.—La Charité sur Loire, impr. de A. Delayance, 1928, in-16, 22 p. (Collection Blanche n° 13).

Le Voyage Intérieur. Paris, Albin Michel, 1942, in-8, 247 p.

Le Seuil. précédé du *Royaume du T.* Genève, Ed. du Mont-Blanc, collection "Action et Pensée", 1945, in-8, 117 p.

Le Périple. Paris, Emile Paul frères, 1946, in-12, 172 p.

Peinture :

Cur Ars Picturae Apud Italos XVI sæculi deciderit. (Thèse complémentaire de doctorat ès lettres). Ed. originale, Paris, Thorin, 1895.

Rolland a résumé cette étude, dans un article de la Revue de Paris, du 1er janvier 1896, sous le titre : La décadence de la Peinture italienne.

(a) *Michel Ange.* Ed. originale illustrée, Collection "Les Maîtres de l'Art", Paris, Plon-Nourrit, 1905, in-16, 182 p., 24 gravures.

(b) *Michel Ange.* Collection "Les Maîtres du Moyen-Age et de la Renaissance", Paris, Albin Michel 1907, in-4°, 174 p., 104 planches.

(c) *Michel Ange.* Collection "Les Maîtres du Moyen-Age et de la Renaissance". Paris, Albin Michel 1944.

Collaboration à l'Encyclopédie de la Musique et Dictionnaire du Conservatoire, rédigés par une collectivité de professeurs sous la direction d'Albert Lavignac, 1913 et ss., Delagrave, in-4.

1. L'opéra au XVII[e] s. en Italie, fascicules 22, 23 et 24 du Tome I, pp. 485-749.

2. Les origines de l'opéra allemand, fascicule 29, pp. 911-928.

3. L'opéra au XVII[e] s. (Les origines de l'opéra. Lulli). fascicules 42-43, pp. 1343-1361.

4. L'opéra anglais au XVII[e] s. fascicules 59-60, pp. 1881-1894.

(a) *Voyage Musical au Pays du Passé.* Comprend des études sur Kühnau, Haendel, Telemann, Metastase et divers essais sur la musique au XVIII[e] siècle. Paris, Edouard Joseph, Collection "Petites curiosités littéraires", 1919, in-12, 275 p. avec 9 pl. et ornements dessinés et gravés sur bois par D. Galanus.

(b) *Voyage Musical au Pays du Passé.* Nouvelle édition, Paris, Hachette, 1920, in-8, 247 p.

BEETHOVEN-LES GRANDES EPOQUES CRÉATRICES

I. *De l'Héroïque à l'Appassionata.* Paris, Ed. du Sablier, 1928, in-8, 375 p., gravures, fac-simile.

II. *Gœthe et Beethoven.* Ed. originale: Paris Ed. du Sablier 27 fév. 1931, in-8, 287 p. gravures et fac-similé.

Id. Paris, Ed. du Sablier, 4 déc. 1931, in-8, 315 p. avec illustrations et gravures.

III. *Le Chant de la Résurrection* (La Messe Solennelle et les dernières Sonates), Paris, Ed. du Sablier, 1947, in-8, 611 p.

IV. *La Cathédrale Interrompue:*

Tome I.—*La Neuvième Symphonie.* Paris, Ed. du Sablier, 1943, in-8, 261 p.

V. *La Cathédrale Interrompue:*

Tome II.—*Les Derniers quatuors.*

c) Ed. bilingue français allemand. Ill de F. Masereel. Zurich, Büchergilde Gutenberg, 1949.

MUSICOLOGIE

(a) *Les Origines du Théâtre Lyrique Moderne.* Histoire de l'opéra en Europe, avant Lulli et Scarlatti (Thèse principale de doctorat es-lettres, Bibliothèque des Ecoles françaises de Rome et d'Athènes, Paris, Thorin, 1895, in-8, 316 p. plus 15 p. de supplément musical.

(b) *Les Origines du Théâtre Lyrique Moderne.* Paris, de Boccard, 1931.

Paris Als Musikstadt. Traduction de Max Graf. Collection " Die Musik " dirigée par Richard Strauss. Berlin, Dardund Marquardt und C°, 1905, in-16, 71 p., 14 illustrations.

Musiciens d'Autrefois. Comprend le discours d'ouverture à l'Ecole des Hautes Etudes Sociales, des essais sur " l'Opéra avant l'Opéra " sur Luigi Rossi, Lulli, Gluck, Grétry et Mozart. Paris, Hachette 1908, in-8, 310 p.

Musiciens d'Aujourd'hui. Comprend, des essais sur Berlioz, Wagner, Saint-Saëns, Vincent d'Indy, Richard Strauss, Hugo Wolf, Don Lorenzo Perosi, Claude Debussy, une étude sur le Renouveau de la Musique française et le texte remanié de " Paris als Musikstadt ". Paris, Hachette, 1908, in-8, 278 p.

La plus grande partie des articles composant ces deux volumes a d'abord paru dans la *Revue de Paris*, de 1899 à 1906, dans la *Revue d'Histoire et de Critique Musicale* en 1901-1902, dans la *Revue d'Art Dramatique* de 1899 à 1903.

(a) *Haendel.* Ed. Originale (Collection des Maîtres de la Musique, publiés sous la direction de Jean Chantavoine) Paris, Alcan, 1910, in, 8 p. 247

(b) *Haendel.* Nouvelle édition augmentée. Paris, Albin Michel, 1951.

Le Temps Viendra. Drame en trois actes. Paris, Cahiers de la Quinzaine, 140e Cahier de la IVe série 1903, in-18, 152 p.

Id. Paris, Ollendorff, 1921, in-12, 150 p.

(a) *Liluli.* Farce lyrique. Genève, Ed. du Sablier (tirée à 800 ex.) 1919, avec 32 bois dessinés et gravés par Frans Masereel, in. 16, IV, 152 p.

(b) *Liluli* Paris, Ollendorff, 1920 avec les mêmes illustrations, in-16, 158 p.

Les Vaincus. Drame en 4 actes (inachevé). Anvers, Ed. Lumière 1922, in-18 carré, 334 p.

AUTRES DRAMES

(a) *La Montespan.* Drame en trois actes. L'Art Dramatique et Musical, février, mars et avril 1904.

(b) *La Montespan.* Ed. de la Revue d'Art Dramatique 1904, in-12, 94 p.

(c) *La Montespan* Paris, Ollendorff, 1920.

Les Trois Amoureuses (1). Pièce dramatique en trois actes L'art Dramatique et Musical, mars, avril et mai 1905.

Le Triomphe de la Liberté. Fête populaire, poème de Romain Rolland, mis en musique par Albert Doyen. Paris, Leduc, 1917, in-8, xi, 273 p.

La révolte des machines ou la pensée déchaînée.

a) Ill. de Frans Masereel., Genève, Ed. du Sablier, 1921.

b) Farce épique pour cinéma-Avant-propos de pierre Worms Paris, Worms. 1944, 133 p.

(1) Romain Rolland a renié *La Montespan* et *Les Trois Amoureuses*, comme ne correspondant pas à sa véritable pensée.

(c) *Le Triomphe de la Raison.* Ed. Originale. Paris., Ed. de laRevue d'Art Dramatique, in-16, 92 p.

(d) *Le Triomphe de la Raison.* Paris, Ollendorff, 1921, in-12, 48 p.

(a) *Danton.* Drame en trois actes. Représenté pour la première fois au Cercle des Escholiers, le 29 décembre 1900.

(b) *Danton.* Revue d'Art Dramatique, 4 numéros des 5 et 20 décembre 1899, janvier et février 1900.

Id. Paris, Ed. de la Revue d'Art Dramatique.

(c) *Danton.* Paris, Ed. des Cahiers de la Quinzaine, 6e cahier de la IIe série, 9 février 1901, in-18, 180 p. Paris, Albin Michel, 1923, in-18.

(a) *Le Jeu de l'Amour et de la Mort.* Représenté pour la prèmiere fois au Théâtre de l'Odéon, le 29 janvier 1928. Paris, Ed. du Sablier, 1925, in-8, 163 p.

(b) *Le Jeu de l'Amour et de la Mort.* Paris, Albin Michel, 1925, in-16, 256 p.

(c) *Le Jeu de l'Amour et de la Mort.* Imprimerie de "L'Illustration" : "La Petite Illustration" N° 373, Théâtre N° 202, 10 mars 1928 in-4 à 2 colonnes 24 p.

(a) *Les Léonides* : Ed. original, éd. du Sablier 1926. Bois gravés de Lucien Boucher, in-8, 207 p.

(b) *Les Léonides.* Paris, Albin Michel, 1928, in-8, 250 p.

Robespierre. Drame en trois actes et 24 tableaux. Paris, Albin Michel, 1939, in-16, 319 p.

(a) *Théâtre de la Révolution* (Le 14 Juillet, Danton, Les Loups). Paris, Hachette, 1909, in-16, VIII, 358 p.

Id. Paris, Hachette, 1916 in-16, VIII, 359 p.

(b) *Théatre de la Revolation.* Paris, Ollendorff, 1920, in-16, VIII, 359 p.

Les Tragédies de la foi. Paris, Ollendorff, 1920.

Les Tragédies de la foi. Paris, Albin Michel, 1926.

B.—Le Théâtre de la Révolution.

Le cycle des drames de la Révolution, qui devait comporter douze drames, n'en comprend que huit. On suivra ici, non pas l'ordre chronologique, mais celui qui a été fixé par l'auteur lui-même.

(a) *Pâques-Fleuries.* Ed. Originale. Paris, éd. du Sablier, 1926, in-8, 173 p. Bandeaux et culs-de-lampe de Gabriel Pinta.

(b) *Pâques-Fleuries* Paris, Albin Michel, 1926, in-16, 255 p.

(a) *Le 14 juillet.* Action populaire en 3 actes. Représenté pour la première fois au Théâtre de la Renaissance Gémier, le 21 mars 1902.

(b) *Le 14 juillet.* Paris, *Cahiers de la Quinzaine*, 1902, II Cahier de la III série, in-16, 252 p.

(c) *Le 14 juillet.* Paris, Hachette, 1909, in-12, 244 p.

(d) *Le 14 juillet.* Paris, Albin Michel, 1936, in-18.

(a) *Les Loups.* Drame en trois actes. Représenté sous le titre de Morituri, au Théâtre de l'Œuvre, le 18 mai 1898.

(b) *Les Loups.* Première édition parue sous le titre de Morituri et le pseudonyme de L. Saint-Just, faite par Charles Péguy, chez Georges Bellais, Paris, 1898, in-12, 117 p. Lithographie de Henri de Groux.

(c) *Les Loups.* Paris, Albin Michel, 1925, in-18.

(d) *Les Loups.* Paris, Hachette, in-18, 113 p.

(a) *Le Triomphe de la Raison.* Drame en trois actes. Représenté pour la première fois au Théâtre de l'Œuvre, le 21 juin 1899.

(b) *Le Triomphe de la Raison.* Revue d'Art Dramatique, nouvelle série, tome VII, juillet, août, septembre et octobre 1899.

Essai sur la Mystique et l'Action de l'Inde Vivante

I. *La vie de Ramakrishna.* Paris, Stock, 1929, in-16, 319 p. portrait.

II. *La vie de Vivekananda et l'Evangile universel.* 2 volumes. Paris, Stock, 1930, in-16, 191 p et 253 p.

Péguy

Péguy, 2 volumes, Paris, Albin-Michel, 1945, in-8, 355 et 331 p.

THÉATRE

A.—Les Tragédies de la foi.

(a) *Saint-Louis.* Poème dramatique en cinq actes. Revue de Paris, 1er mars, 15 mars et 1er avril 1897.

(b) *Saint-Louis.* Editions de la *Revue de Paris*, Paris, 1897.

(c) *Saint-Louis.* Paris, Ollendorff, in-12, 105 p.

(a) *Aërt.* Drame en trois actes. Représenté pour la première fois au Théâtre de l'Œuvre, le 3 mai 1898.

(b) *Aërt.* *La Revue d'Art Dramatique*, tome IV, mars, avril et mai 1898.

(c) *Aërt.* Ed. de la Revue d'Art Dramatique, Paris, 1898, in-16, 46 p.

(d) *Aërt.* Paris, Ollendorff, 1921, in-12, 16 p.

Les Tragédies de la foi. Simple réunion sous une même couverture, des trois pièces séparées. *Saint-Louis*, *Aërt*, et le *Triomphe de la Raison* [1]. Paris, Hachette, 1913, in-16, 255 p.

[1] Cf. *Le Théâtre de la Révolution*, p. 56.

II. *L'Abdication.* 2e Cahier de la VIIIe série, 21 octobre 1906, in-18, 129 p.

Quelques chapitres de la *Vie de Michel-Ange* ont d'abord paru dans la *Revue de Paris*, du 15 avril 1906.

(c) *Vie de Michel-Ange.* Nouvelle édition. Paris, Hachette, 1907, in-18, 210, p. avec un portrait H.T.

Ibid, 5e éd., 1914, 211 p.

(d) *Vie de Michel-Ange.* Paris, Hachette, 1925, illustrations composées et gravées sur bois par Paul Boudier, in-8, 201 p.

(e) *Michel-Ange.* Collection : Les Maîtres du Moyen Age et de la Renaissance). Paris, A. Michel, 1944.

VIE DES HOMMES ILLUSTRES—VIE DE TOLSTOÏ

(a) *Vie de Tolstoï.* Paris, Hachette, 1911, in-16, 204 p.

(b) La *Vie de Tolstoï* a été publiée la même année dans la *Revue de Paris* du 15 février, 1er mars, 15 mars et 1er avril 1911.

(c) *Vie de Tolstoï.* Avec une nouvelle préface, des corrections et des variantes. Paris, Hachette, 1913, 4e éd. in-16, III-216 p.

(d) *Vie de Tolstoï.* Paris, Hachette, 1928, in-8, 215 p., fig., pl., portrait, gravés sur bois par Paul Boudier.

(e) *Vie de Tolstoï.* Avec de nouvelles additions. Paris, Hachette, 1929, in-8, 242 p.

MAHATMA GANDHI

(a) *Mahatma Gandhi.* Paris, Stock, 1923, in-16, 186 p.

(b) *Mahatma Gandhi.* 48e edition, augmentée d'une postface. Paris, Stock, 1924, in-16, 210 p.

(c) *Mahatma Gandhi.* Nouvelle édition, revue, corrigée, augmentée. Paris, Stock, Delamain et Boutelleau, 1926.

(b) *François Millet.* Nouvelle édition. New-York, Dutton, 1903, in-16, 200 p., fig.

VIE DES HOMMES ILLUSTRES—VIE DE BEETHOVEN

(a) *Vie de Beethoven.* Edition originale. Paris, *Cahiers de la Quinzaine*, janvier 1903, 10e Cahier de la IV série, in-18, 91 p. et portraits.

Ibid. Nouvelle édition, en septembre 1903.

Une ébauche de la *Vie de Beethoven* a paru dans la *Revue de Paris*, du 15 mars 1901, sous le titre : Les fêtes de Beethoven à Mayence.

(b) *Vie de Beethoven.* Nouvelle édition ; Paris, Hachette, 1907, in-16, VIII, 158 p.

Ibid, 1908, 2e éd, VIII, 119 p.

(c) *Vie de Beethoven.* Edition d'art à un nombre restreint d'exemplaires, illustrée, Paris, Edouard Pelletan, 1909, in-8, 136 p., 12 gravures de Perrechon.

(d) *Vie de Beethoven.* Nouvelle préface. Paris, Hachette, 1907, in-16, VIII, 151 p.

(e) *Vie de Beethoven.* (Nouvelle préface). Paris, Hachette, 1927, fig., pl., portraits gravés sur bois par Paul Boudier, in-8, 177 p.

(f) *Vie de Beethoven.* Montréal, Editions Variétés, 1944.

(g) *Vie de Beethoven.* Nouvelle édition augmentée. Introduction d'Edmond Buchet. Paris, le club français du Livre, 1949.

VIE DES HOMMES ILLUSTRES—VIE DE MICHEL-ANGE

(a) *Michel-Ange.* Edition originale illustrée. (Collection : Les Maîtres de l'Art). Paris, Plon-Nourrit, 1905.

(b) *Vie de Michel-Ange.* Paris, les *Cahiers de la Quinzaine.*

1. *La lutte.* 18e Cahier de la VIIe série, 1er juillet 1906. in-18, 102 p., portrait.

(h) *Colas Breugnon, bonhomme vit encore.* Lithographies originales et note de Théo Van Elsen. Paris, J. Rousseau-Girard 1946, in-4°, 253 p. Avec la reproduction en fac-similé d'une lettre de l'auteur à l'éditeur, du 14 nov. 1944.

(i) *Colas Breugnon.* Ill de André Collot. Paris, Editions Arc-en-ciel (Collection des meilleurs auteurs contemporains). 1946.

(j) *Colas Breugnon.* Lithographies originales de Benno Vigny. Paris, Jeanniard, 1947.

(k) *Colas Breugnon.* (Bibliothèque de poche). Paris, Garamond, 1948.

(l) *Colas Breugnon.* Ill. de 8 Gouaches en couleurs de G. de Sainte-Croix. Paris, A. Guillot, 1949.

Clérambault

Clérambault. Histoire d'une conscience libre pendant la guerre. Edition originale. Paris, Ollendorff, 1920, in-16, 379 p. (Repris par Albin Michel en 1931).

Pierre et Luce

(a) *Pierre et Luce.* Idylle tragique. Genève, Editions du Sablier, 1920, in-12, 188 p. 1, 16 hors-texte, bois gravés par Frans Masereel. (Tirage restreint à 1350 exemplaires).

(b) *Pierre et Luce.* Paris, Ollendorff, 1921, in-16, 191 p. 4 hors-texte, 29 vignettes, dessinés et gravés par Gabriel Belot. (Repris par A. Michel en 1925).

BIOGRAPHIES

François Millet

(a) *François Millet.* Uniquement publié en anglais (le texte français n'a pu être retrouvé). Londres, Duckworth, Popular Library of Art, décembre 1902, in-12, 212 p.

D.—L'Ame Enchantée.

Edition définitive, 1 vol, Paris, Albin Michel, 1950.

COLAS BREUGNON

Ce livre est un de ceux qui ont connu le plus de succès dans l'œuvre de R. Rolland. Il a été l'objet de nombreuses éditions d'art.

(a) *Colas Breugnon* (1). Edition originale. Paris, Ollendorff, 1919, in-16, 321 p.

(L'ouvrage comporte un *Avertissement au lecteur*, daté de mai 1914, et une petite *Préface d'après-guerre*, datée de nov. 1918. Le titre original de l'ouvrage est Colas Brugnon ; ce titre a subi une modification sur la couverture pour des raisons imposées à l'auteur).

(b) *Colas Breugnon*. Paris, Ollendorff, 1924. Grav. sur bois de Gabriel Belot.

(c) *Colas Breugnon*. Paris, Albin Michel, 1924. (Cette édition est la reprise de celle d'Ollendorff, 1919) ; nombreuses réimpressions depuis 1924.

(d) *Colas Breugnon*. Edition définitive revue par l'auteur et augmentée de "*Commentaires du Petit-fils à Colas*". Paris, Albin Michel, 1930, in-8, 321 p. Collection des Œuvres Complètes de Romain Rolland. (Réimpression en 1942).

(e) *Colas Breugnon*. Paris, Edition Mornay (Collection les Beaux Livres), bois gravés par Deslignères, mai 1927, in-8, VII, 319 p. Fig.

(f) *Colas Breugnon*. Bruxelles, Editions du Nord (Collection Electa), 1944. Bois en couleurs de Roméo Dumoulin.

(g) *Colas Breugnon*. Paris, édition de la Bibliothèque Française, 1945, in 8, 159 p.

(1) Les œuvres en un seul volume sont en italiques. pour les diverses éditons.

Des éditions étrangères de *Jean-Christophe*, en français, pour les écoles, ont été faites en: Allemagne, Hollande, Etats-Unis, Tchécoslovaquie, U.R.S.S.

Jean-Christophe a été traduit intégralement dans la langue des pays suivants: Espagne, Angleterre, Etats Unis, Pologne, Allemagne, Russie, Suisse (allemand pour la Suisse allemande), Suède, Japon, Danemark, Hollande, Italie, Tchécoslovaquie, Hongrie, Chili, Chine, République Argentine, Portugal, Finlande, Indes (en bengali et en hindi) [1].

L'Ame Enchantée

A.—L'Ame Enchantée.

Edition originale. 7 volumes. Paris, Albin Michel, in-16, de 1922 à 1933 (Edition commencée par Ollendorff, reprise par Albin Michel).

I. *Annette et Sylvie.* Paris, Ollendorff, 1922, in-16, 281 p.

II. *L'Eté.* Ibid., 1923, 354 p.

III. *Mère et fils.* 2 volumes. Paris, Albin Michel, 1927, in-16. I: 334 p; 2: 256 p.

IV. *L'annonciatrice.* (Anna Nuncia). 3 volumes.

1. *La mort d'un monde.* Ibid, 1932, 312 p.
2. *L'enfantement* (2 vol.) Ibid, 1933, 314 p.
3. *L'enfantement* II. Ibid. 1933, 349 p.

B.—L'Ame Enchantée.

Edition définitive revue par l'auteur. 4 volumes. Paris, Albin Michel, Edition des Œuvres Complètes, (1934) in-8.

C.—Annette et Sylvie.

(Coll. Désir de lire no. 1) Paris. Editions *Hier et Aujourd'hui*, 1941, in-8, 95 p.

[1] Les dimensions restreintes de cette *Bibliographie des Oeuvres de Romain Rolland*, ne permettent pas de citer les diverses éditions étrangères de *Jean-christophe.*

Nouvelle impression en 10 volumes. Paris, A. Michel, in-18, 1924-25. (Nombreuses réimpressions de cette édition).

E.—**Jean-Christophe.**

Edition de luxe, en 5 volumes. Paris, A. Michel, 1925-1927, in-4° écu (20 x 26). Première édition illustrée et première édition à tirage limité. Ornée de bois dessinés et gravés par Frans Masereel.

F.—**Jean-Christophe.**

Edition définitive, revue et corrigée par l'auteur, faisant partie de la Collection des œuvres Complètes de Romain Rolland. 5 volumes, Paris, Albin Michel, 1931-1933, in-8.

G.—**Jean-Christophe.**

Edition en 10 volumes. Montréal, *Valiquette*, 1944-1945.

H.—**Jean-Christophe.**

Edition en un volume, sur papier bible. Paris, A. Michel, 1949, in-16, 1628 p.

I.—**Jean-Christophe.**

Edition en 5 volumes. Ill. en couleurs de Pierre Leroy, gravées sur bois par Gérard Angiolini. Paris, A. Guillot, 1951-1952, in-8.

Jean-Christophe. Editions partielles et extraits.

A.—*Antoinette.* (Collection des grands romans à 3 fr.) Paris, Ollendorff, 1923, in-16, 184 p.

B.—*L'Enfance de Jean-Christophe.* Pages choisies par L. Roth. Saumur, *L'Ecole émancipée*, 1928, in-12, 72 p.

C.—*Jean-Christophe* raconté aux enfants, par M^me^ Hélier-Malaurie. Livre de lecture. Ill. de Ray Lambert.

Cours élémentaire. Paris, Albin Michel, oct. 1932, in-16, 308 p.

Cours moyen et supérieur. Ibid. ; nov. 1932, in-12, 460 p.

II. *Le Buisson Ardent.* (5e et 6e cahiers de la XIIIe sér., 31 oct.-7 nov. 1911).

III. *La Nouvelle Journée.* (2e et 3e cahiers de la XIVe sér., 6-20 oct. 1912).

B.—Jean-Christophe.

Nouvelle édition—*Jean-Christophe* a aussi paru (presque simultanément avec l'édition des *cahiers*) à Paris, chez Ollendorff, en 10 volumes, in-16, de 1905 à 1913.

I. *Jean-Christophe.* Première partie (4 vol.)

1.—*L'Aube.* 1905, 227 p.

2.—*Le Matin.* 1905, 231 p.

3.—*L'Adolescent.* 1906, 306 p.

4.—*La Révolte.* 1907, 409 p.

II. *Jean-Christophe à Paris.* Deuxième partie (3 vol.).

1.—*La foire sur la place.* 1908, 312 p.

2.—*Antoinette.* 1908, 215 p.

3.—*Dans la Maison.* 1909, 266 p.

III. *La Fin du Voyage.* Troisième partie. (3 vol.)

1.—*Les Amies.* 1910, 268 p.

2.—*Le Buisson ardent.* 1911, 340 p.

3.—*La Nouvelle Journée.* 1912, 277 p.

De nombreuses réimpressions de cette édition ont été faites de 1905 à 1924.

C.—Jean-Christophe.

Edition en quatre volumes.

Paris, Ollendorff, in-8, 1921-1922. Le texte de cette édition a été revu et certains passages supprimés.

D.—Jean-Christophe.

Reprise de l'édition Ollendorff, par Albin Michel.

L'introduction du premier volume, *l'Aube*, a été publiée tout d'abord isolément dans un journal belge. *Le Peuple*, pour un numéro spécial du 1er mai 1903.

Jean-Christophe a commencé à paraître dans les *Cahiers de la Quinzaine*, édités par Charles Péguy. Il se compose, dans cette colletion, de dix-sept Cahiers, publiés du 2 février 1904 au 20 octobre 1912.

A.—Jean Christophe.

I. *L'Aube*. (9e cahier de la Ve sér., 2 février 1904).

II. Le Matin. (La Mort de Jean-Michel ; Otto ; Minna.) (10e cahier de la Ve sér., 16 fév. 1904).

III. *L'Adolescent*. (La Maison Euler : Sabine ; Ada). (8e cahier de la VIe sér., 12 janv. 1905).

IV. *La Révoite*. (Sables mouvants ; L'Enlisement ; La Délivrance). (4e, 6e et 9e cahiers de la VIIIe sér., 13 nov.—11 déc. 1906 ; 2 janv-1907).

Le cahier : *Sables mouvants*, contient une petite préface et un chapitre sur la littérature allemande contemporaine qui ne figurent pas dans l'éd. Ollendorff.

Jean-Christophe à Paris.

I. *La Foire sur la Place*. (13e et 14e cahiers de la IXe sér., 17-24 mars 1908).

II. *Antoinette*. (15e cahier de la IXe sér., 31 mars 1908).

III. *Dans la Maison*. (9e et 10e cahiers de la Xe sér., 16-23 févr. 1909.) Le premier cahier du vol. : Dans la Maison, contient une petite préface qui ne figure pas dans les éditions Ollendorff.

La Fin du Voyage.

I. *Les Amies* (7e et 8e cahiers de la Xe sér., 25 janv.—8 févr. 1910).

Extrait inédit du Journal de Romain Rolland, *de janvier 1928. Rythmes du monde*, no. 2, 1948.

Les Jours noirs de 1914. Extraits du Journal d'août 1914. *Les Lettres Françaises*, 17 février 1949.

Souvenirs sur Richard Strauss (*Les Œuvres Libres* Nouv. sér., 27) Paris, Fayard, 1948.

Voir aussi: *Correspondance entre Richard Strauss et Romain Rolland* et Fragments du *Journal* de Romain Rolland. Paris, A. Michel, 1951.

Aus Meinem leben. Erinnerungen an Kindheit und Jugend. (*Mémoires*, publiés seulement en allemand). Zurich, Büchergilde Gutenberg; Amsterdam, Querido Verlag, 1949.

Extraits du Journal des années de guerre 1914-1918. (*Les Œuvres Libres.* Nouv. sér., 49) Paris, *Fayard*, 1950.

Inde. (Extrait du Journal, 1915-1943) Bâle-Lausanne-Paris, Editions Vineta, 1951.

Le cloître de la Rue d'Ulm. Journal de Romain Rolland à l'Ecole Normale (1886-1889) suivi de quelques lettres à sa mère et du *Credo quia verum.* Texte établi par Madame Romain Rolland. Avant-propos de André George. (*Cahiers Romain Rolland*, 4.) Paris, A. Michel, 1952.

Journal des années de guerre 1914-1919. Notes et documents pour servir à l'histoire morale de l'Europe de ce temps. Préface de Louis Martin-Chauffier. Paris, A. Michel, 1953, (2000 p).

Les romans

Jean-Christophe.

Jean-Christophe est celle des œuvres de Romain Rolland qui a connu la plus grande fortune. Rééditée un grand nombre de fois, elle a aussi été traduite dans la plupart des langues.

"Romain Rolland et les Goncourt". Extraits du Journal de 1888. *Les Etoiles*, 30 octobre 1945.

"Contre le racisme". Extrait du Journal de 1933. *Ce Soir*, 21 nov. 1945.

"L'avenir du Socialisme. Une doctrine politique et morale. Séances à la chambre". Extraits du *Journal* de septembre 1895 et juin 1897. *Terre des Hommes*, 8 décembre 1945.

"Pages extraites du Journal de R. Rolland de 1886 à 1889." *La Nef*, no. 14, janvier 1946 (Paris, Albin Michel).

"Pages extraites du Journal de R. Rolland, 1886 à 1889." *La Revue de Paris*, 53me année, no. 3, mars 1946.

"*De Jean-Christophe à Colas Breugnon*" (1 volume). Pages de *Journal* de 1912-1913, avec une préface de Jérôme et Jean Tharaud. Frontispice et ornements de Jean Lurçat. Paris, Ed. du Salon Carré, 1946, in 8°, 181 p.

"Pages du Journal de Romain Rolland" concernant Zweig, Rilke, Verhæren, Paul Fort et Péguy. *La Gazette des Lettres*, 1er février 1947.

Souvenirs de Jeunesse (1 vol.). Pages choisies extraites des *Mémoires*. Edit. de la Guilde du Livre, Lausanne, 1947, in 12, 264 p.

"Acte de reconnaissance d'un homme d'Occident à Gandhi". Extrait du *Journal* de janvier 1932, automne 1937 et février 1939. *Combat*, 31 janvier 1948.

"Les propos de Gandhi à Romain Rolland". Extraits du Journal. *Le Figaro littéraire*, 17 février 1948.

André Suarès vu à l'Ecole Normale Supérieure pas Romain Rolland. Extraits du Journal de décembre 1886.

Gandhi, Andrews et Tagore. Pages du Journal. *France-Asie*, no. 32, novembre 1948.

4.—*Amours d'enfants.* Octobre 1888.

5.—*Notes d'Art et de Pensée.*

(b) Le *Journal* de Romain Rolland.

Le *Journal* de Romain Rolland va régulièrement de 1886 à 1944. Il comprend 88 carnets, cahiers ou blocs-notes, de formats variables. Plusieurs de ces carnets ont été mutilés par l'auteur lui-même (pages coupées on collées l'une à l'autre, ratures et caviardages). La plupart des carnets des années 1886 à 1903 ne sont pas les originaux. Ceux-ci ont été brûlés par l'auteur en 1903, après avoir été recopiés (souvent résumés) dans les carnets actuels.

Le *Journal*, qui ne doit être livré au public que dans une période de trente à cinquante ans (suivant les diverses parties) est déposé à la Bibliothèque Nationale. L'auteur a cependant autorisé ses héritiers à en publier des extraits.

(c) Les *Mémoires*.

Ils comprennent trois livres. Un quatrième est resté inachevé.

(d) Autres inédits [1].

—Cahier de notes sur *Hamlet.*

—Etude sur Les *Mémoires de Claude Hation.*

—Plusieurs chapitres du *Voyage Intérieur.*

—L'ébauche d'un roman intitulé : *La cité cocasse* [2] (1942-1944).

PUBLICATIONS DE PAGES OU DE PARTIES DU JOURNAL ET DES MÉMOIRES

Extraits du Journal de février 1919, suivis d'une note de Romain Rolland. *Clarté*, no. 11, 15 juin 1937.

[1] Voir plus loin, pour la correspondance inédite.

[2] Il s'agit de Vezelay, où Rolland a vécu de 1937 à 1944.

LES ŒUVRES DE ROMAIN ROLLAND

Les manuscrits inédits

L'œuvre inédite de Romain Rolland comprend quelques essais de jeunesse, plusieurs drames, la majeure partie du *Journal*, les Mémoires, plusieurs chapitres du *Voyage Intérieur* et une correspondance volumineuse qui est en voie d'être reconstituée et dont n'a paru qu'une mince fraction.

(a) Le théâtre.

Empédocle (1890). Drame inachevé.

Orsino (1890). Drame de la Renaissance italienne.

Les Baglioni (1891). Drame épique en douze scènes.

Savonarole (1891). Le manuscrit comprend des fragments, des scènes et des notes pour la piece.

Caligula (1892–1893). Quinze scènes.

Dans le même cahier se trouvent des notes pour un drame à peine ébauché : le *Siège de Mantoue.*

Romain Rolland note à la fin de ce manuscrit: "Le manuscrit (original) perdu, dans un taxi de Paris, a été récrit en cinq ou six jours, de mémoire".

Dans le même cahier se trouvent les "Premiers plans" et des fragments inédits du drame : *Aërt* (qui paraîtra plus tard).

Niobé (1893).

Jeannes de Piennes (1896).

Le même cahier cartonné contient :

1.—Quatre pages intitulées : *Ego sum resurrectio et vita.*

2.—Le *Credo quia verum* (1888).

3.— *Mai Romain* ("*Notes sur un poème d'amoureuse tendresse*").

intérieur grâce à une œuvre autobiographique où il laisse le champ libre au rêve : le *Voyage Intérieur*. Rolland composa aussi la fameuse exégèse de *Beethoven*, en neuf volumes, parue à partir de 1927. Il ajouta également trois drames au cycle de la Révolution : *Pâques-Fleuries*, *le Jeu de l'Amour et de la Mort* et *Robespierre*.

La guerre de 1939 ébranla sérieusement Romain Rolland, d'autant plus que sa santé était déjà très altérée. Il voyait le destin réduire à néant son idéal de paix et de grandeur humaine. Cependant, il admit que ce même destin pouvait conduire l'humanité à un avenir meilleur par des chemins ignorés de l'homme. Rolland vécut ses dernières années dans la maison qu'il avait achetée, en 1937, à Vézelay. Il tira de son *Journal* quatre volumes de Mémoires. Et il composa sa dernière œuvre, que lui inspira le malheur de la France et le souvenir du grand ami disparu : *Péguy*.

Progressivement, la pensée de Romain Rolland avait envisagé tous les champs de la connaissance humaine afin d'assumer le plus vaste idéal possible. C'est ce qui a permis au grand écrivain français d'accomplir sa mission dans un plein épanouissement de sa personnalité et de sa pensée. Il a su ménager à la "communion avec les hommes" sa part, et sauvegarder sa vie intérieure. Il a progressé sur la " Route en lacets qui monte ", élargissant progressivement son horizon ; en sorte que chaque œuvre se trouve à la fois complétée et dépassée dans une phase ultéreure.

Une partie importante des écrits de Romain Rolland est encore inédite. Elle comprend principalement la majeure partie du Journal intime, et de la correspondance. Celle-ci est réunie grâce à l'inlassable dévouement de Madame Romain Rolland (1), qui s'occupe également (2) de plusieurs publications posthumes et des rééditions.

(1) Marie Kondachet, que R. Rolland a epousee en 1933.
(2) Par l'intermédiaire de l'association des amis de Romain Rolland.

Il avait écrit entre-temps, en manière de divertissement, un livre débordant de sève gauloise : *Colas-Breugnon*.

Quoique Romain Rolland ait prévu la guerre, le cataclysme de 1914 le plongea dans un profond désarroi. Il rompît surtout ses attaches avec ses lecteurs. Car Romain Rolland, qui se trouvait alors en Suisse, ne tarda pas à s'élever contre l'affreuse tuerie. Dans son désir de montrer à l'Europe que la guerre la conduisait à la ruine, Rolland ne réussit qu'à s'attirer l'inimitié des deux camps. Son œuvre des années de guerre se compose d'une série d'articles réunis en volumes : *Au dessus de la mêlée* et les *Précurseurs* ; d'écrits germés pendant la guerre mais parus seulement plus tard : *Pierre et luce*, *Liluli* et *Olérambault*. Même finie, la guerre continua à obséder pendant un certain temps Rolland.

Deux voies nouvelles s'offrirent alors à l'auteur d'*Au-dessus de la mêlée*. Pendant la tourmente européenne, la voix de sages hindous était venue lui apporter l'espoir. Tagore tourna le regard de Rolland vers l'Asie ; et elle le séduisit par sa philosophie sereine. C'est alors qu'à partir de 1922, Rolland commença une série d'œuvres destinées à l'Inde. La première, *Mahatma Gandhi* était une sorte de réponse à la conception européenne de la fatalité des guerres.

Par ailleurs, Rolland avait compris que la cause principale des guerres était dans l'impérialisme. Il se rallia ainsi au camp du socialisme. D'abord réticent à l'acceptation des méthodes brutales du socialisme avancé, il en reconnut à partir de 1927 la malheureuse nécessité. Tous les problèmes sociaux qui tourmentèrent l'écrivain à cette époque, se trouvent transposés dans le cycle de l'*Ame-Enchantée*. C'est le roman d'Annette ou celui de la femme dans la société moderne ; il constitue le pendant de *Jean-Christophe*.

Tiraillé à nouveau entre ses passions collectives et son indépendance d'esprit, Rolland maintient surtout son équilibre

Et, lentement, l'œuvre de salut avait mûri en lui. Voilà dix ans déjà que *Jean-Christophe* s'élaborait intérieurement ; ses grandes lignes s'étaient précisées ; l'œuvre était prête à éclore au tournant du siècle.

Après avoir longtemps hésité entre le rêve et l'action, entre le désir de se réfugier dans son individualisme et celui de créer une œuvre destinée au peuple, en contact direct avec lui, Romain Rolland trouvait enfin sa véritable voie. Il comprit qu'il devait être au poste de vigie, se placer au "dessus de la mêlée", pour mieux voir et mieux guider. Cependant, avant de faire la longue ascension à laquelle l'appelait Jean-Christophe, il était nécessaire à Rolland de reprendre des forces, de puiser à nouveau le courage indispensable à la tâche nouvelle. C'est alors qu'il se tourna vers Beethoven et vers Michel-Ange. Leur souffle puissant le ranima. Les deux livres qu'il leur consacra furent d'ailleurs à l'origine d'un cycle de biographies héroïques.

R. Rolland a dépassé maintenant l'étape nationale. Jean-Christpohe est un héros européen. Dix nouvelles années verront l'écrivain accomplir par un chemin long et ardu son cycle *Jean-Christophe*. Il est alors professeur d'histoire de l'art à la Sorbonne et à l'Ecole Normale. En marge de son enseignement, et des nombreuses critiques et études musicales qu'il continue à faire paraître, il compose sa grande œuvre, dans sa petite chambre du 112 boulevard Montparnasse, presque coupé du monde.

Rolland fait aussi de fréquents voyages en Suisse, où il a rédigé plusieurs parties de cette œuvre. Car l'auteur de *Jean-Christophe* se plaît de plus en plus à vivre dans les montagnes helvétiques, qui comblent son amour de la nature et de la solitude.

Jean-Christophe, en qui Rolland avait mis près de vingt-cinq années de sa vie, groupe autour de lui des amis de plus en plus nombreux. L'œuvre achevée, l'auteur était devenu l'un des écrivains les plus célèbres de France. Couronné par l'Académie Française en 1913, il reçut le prix Nobel en 1915.

périodes, l'une qui va de 1897 à 1901, l'autre postérieure à 1920, devait rester inachevé. Rolland tendra toujours ainsi à s'exprimer sous une forme cyclique. L'écrivain, influencé par l'épopée tolstoïenne, désire développer les thèmes de sa création en de larges fresques ou les contraires peuvent être harmonieusement équilibrés. Chacun des livres de Romain Rolland repose sur un acte de foi, indépendamment du cycle ; alors que l'ensemble des cycles compose une grande épopée héroïque : celle de l'humanité moderne.

Malgré l'attachement de Rolland pour le genre dramatique, il se heurta au théâtre à des difficultés telles qu'il dut l'abandonner. Il le quitte à contre-cœur autour de l'année 1901, rebuté par l'insuccès, mais avec la ferme intention d'y revenir.

Il faut retenir, de cette époque, la notoriété que Romain Rolland s'était acquise comme musicologue. Sa thèse sur l' "*Histoire de l'Opéra avant Lulli et Scarlatti*", consacra son autorité dans le domaine de la musique et lui donna accès à une chaire de l'histoire de l'art, à l'Ecole Normale.

En tant que critique musical, Rolland manifeste une égale compréhension pour tous les grands musiciens, qu'ils soient anciens ou modernes, étrangers ou français. Son œuvre scientifique de critique musicale compte ainsi parmi les plus importantes de notre époque.

* * *

Ce qui contribua à la décision de Rolland d'abandonner le théâtre, fut une grave crise intime qui aboutit à son divorce en 1901. Il avait épousé Clothilde Bréal en 1892. Et dix ans plus tard, sa compagne, qui n'avait pas compris sa vocation et les sacrifices qu'elle nécessitait, l'abandonnait à mi-chemin.

Fort heureusement pour Romain Rolland, qui faillit sombrer dans cette épreuve, le secours lui vint des échecs mêmes qu'il avait essuyés. Pendant la dizaine d'années qui venait de s'écouler, l'écrivain en butte à un monde ennemi, s'était réfugié en lui-même.

Romain Rolland vit, très jeune, l'attention des siens se concentrer sur lui, et reçut une solide éducation. Il fut également initié à la musique, qui devait tenir une place si grande dans sa vie. On le transplanta à Paris à l'âge de quatorze ans, dans l'intérêt de ses études; sa famille le destinait aux grandes écoles. Il prépara le concours d'entrée à l'Ecole Normale Supérieure et y fut reçu en 1866. Trois ans plus tard, il quittait la Rue d'Ulm, agrégé d'histoire.

Il obtint une bourse d'études à l'Ecole française de Rome, au Palais Farnèse, et il séjourna en Italie de 1889 à 1891. C'est pendant ce premier voyage qu'il prit conscience de sa mission d'écrivain. Il a déjà acquis, à cette époque, une formation intellectuelle solide et une culture très étendue. Mais l'expérience de la vie lui faisait encore défaut. Et c'est ce qui l'amène à se tourner en premier lieu vers l'histoire. Il est déjà doué d'une grande acuité de vision et de jugement critique ; et il brûle de créer pour le bien universel. Comme il ressent vivement les imperfections de ce monde, il voudrait tout de suite arriver, dans son œuvre, à une harmonie supérieure entre les passions de la vie et la sérénité divine. Or, cet idéal ne peut être atteint qu'à l'étape ultime de l'existence. Débordé par ses élans passionnés, le jeune Rolland compose d'abord plusieurs drames où l'écart entre la pensée et son expression est sensible, et que l'écrivain dut lui-même abandonner à l'oubli. Quelques-uns cependant, comme *Orsino* et *Jeanne de Piennes*, méritent d'être retenus.

De retour à Paris, Rolland accepte un poste de professeur. Mais en marge de sa vie officielle ou familiale, l'écrivain continue à chercher sa voie. Il se rend d'abord compte qu'il lui faut passer par "l'étage de la patrie pour arriver à celui de l'humanité". Dans le désir d'être utile à son pays, de lui présenter un idéal d'action héroïque, et afin de pouvoir ainsi contribuer à enrayer le nihilisme de l'époque, Rolland s'adresse à l'histoire toute proche de la Révolution. Dès sa troisième pièce consacrée à cette époque, *Danton*, il conçoit l'idée d'écrire un cycle de drames pour un Théâtre de la Révolution. Ces pièces devaient être destinées, dans la pensée de Rolland, à la scène populaire. Le projet, réalisé en deux

BIBLIOGRAPHIE DE L'OEUVRE DE ROMAIN ROLLAND

PAR

RAOUF KAMEL

Docteur ès Lettres, Maître de conférences à la Faculté des Lettres de l'Université du Caire

NOTICE

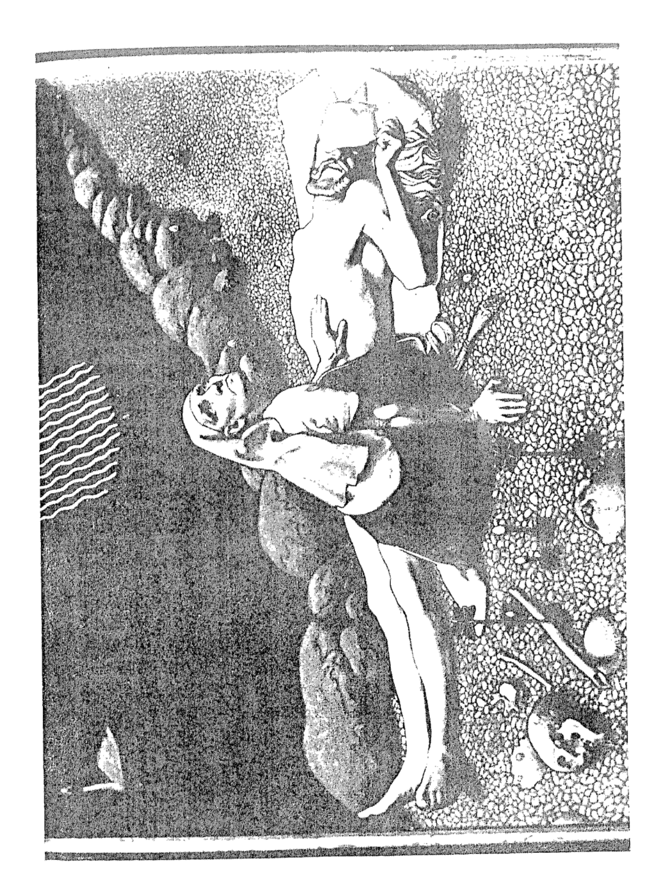
Romain Rolland est né à Clamecy, dans le Nivernais, le 29 janvier 1866. Il est mort à Vézelay, à vingt-cinq kilomètres de sa ville natale, le 30 décembre 1944.

Dès sa vingtième année, il commence à rédiger son *Journal*. Un an après, il ébauche des essais d'histoire et compose son "Credo". Ce sont là les premiers pas d'un écrivain, dont l'œuvre ne s'arrêtera qu'à sa mort. L'œuvre de Romain Rolland embrasse ainsi cinquante-cinq années de vie créatrice. Pour réaliser la mission féconde à laquelle il s'est voué, Rolland permet à sa pensée de revêtir les formes les plus diverses : drames, études historiques ou musicales, romans, biographies, mémoires, essais littéraires, sociaux, politiques, philosophiques, etc. Sans compter de très nombreux articles de journaux et de revues, et une correspondance volumineuse, d'un grand intérêt. Dans son périple, la pensée de Rolland épouse les aspects multiples et souvent contradictoires de la vie, afin d'en dégager les lois de l'évolution individuelle et sociale, ainsi que celles de la destinée collective. Romain Rolland se refusera enfin à tout arrêt dans la marche de sa pensée, à tout dogmatisme : sa grande règle de conduite est l'indépendance de l'esprit et la création pour le bien de l'humanité.

* * *



Planche II



C'est que le chant russe nous rapporte quelques échos amortis de l'extinction personnifiée des feux de la Montagne éruptive, dite Sainte, comme l'était le Mont Horeb, alias le Buisson Ardent, pour les Fils d'Israel.

Au stade originaire, le solide cercueil de chêne n'était autre chose que *le cratère*, et le couvercle—*la croute pierreuse* scellant la lave "mourante". Cette dernière se présentait autrefois sous le double aspect du "bogatyr" et de son coursier titanique chevauchant lourdement, sans que personne pût les arrêter.

De son côté, Iliya, comme nous l'avons suggéré, représente l'accompagnement météorique de l'éruption, autrement dit, l'orage. C'est donc la foudre que dans notre dessin le "frère" de Sviatogor manie de sa dextre tout en frappant le couvercle lequel de ce fait s'apaissit et se colle davantage au "cercueil" où étouffe le vieux titan.

D'aucuns trouveraient dans ce que nous venons de dire une manière de voir particulière. Toutefois nous ne perdons pas l'espoir qu'un jour ou l'autre l'on se décidera de ne pas s'arrêter sur la limite traditionnelle et que l'on admettra avec nous que dans le passé millénaire le fond du chant héroïque russe était tout autre chose, et combien plus grandiose.

VLADIMIR VIKENTIEV.

Le Caire, mai 1953.

CORRECTIONS ET ADDITIONS

Page 26, l. 2, d'en bas *à lire* "croyons" *au lieu de* "croyous".
„ 28, l. 8, d'en haut „ „ "Vallée" „ „ „ "vallée".
„ 28, l. 5, d'en bas „ „ "eux" „ „ „ "elles".
„ 30, l. 4, d'en haut „ „ "mentionnée", „ „ "mentionné".
„ 32, l. 5, d'en haut „ „ "*Grégoire*" „ „ „ "*Grégorie*".
„ 32, l. 13, d'en bas „ „ "reste" „ „ „ "rest".
„ 35-36. Il est à noter que le saint patronymique du héros de "Sviatogor et Iliya Mourometz" est appelé par les Russes—Iliya *Gromovik* "Elie le *Tonitruant*". Son association avec l'orage et la foudre est de toute évidence.

où se trouve Osiris de naître et qui n'arrive enfin à le faire que grâce à l'intervention du dieu de la sagesse Thot-Hermès jouant aux dés avec la déesse Lune-Sélène.

Nous avons suggéré ailleurs que *l'échiquier ne devait pas être autre chose que le firmament étoilé.* Eh bien, le fabliau le confirme en nous montrant le mari de la femme en travail *retardant* la mise au monde du héros pour le mettre sous le signe d'étoiles favorables.

L'action de l'astrologue se place en regard du jeu sidéral du dieu–sage Thot. Le fabliau ne s'est mépris que sur la cause du retardement. Il le présente comme voulu, tandis que d'après la version égyptienne c'est juste le contraire.

Nous croyons avoir tenu notre promesse en donnant en ces quelques pages une idée de l'expension de la légende osirienne. La fable du héros venu au monde d'une manière irrégulière, enfermé dans un tonneau ou dans son équivalent, jeté dans la mer, etc., est très répandue et mériterait d'être recueillie dans toutes ses variantes et ramifications.

Une fois ce travail fait et publié, on verrait qu'Osiris avait voyagé après sa mort encore plus que de son vivant.

Post-Scriptum

Remarques à propos de nos fig. 1 et pl. I

La fig. 1 et la pl. I illustrent deux aspects du thème de Sviatogor étouffant dans le cercueil "fait d'après ses mesures" et sur lequel il avait rabattu lui-même le couvercle.

La figure 1, œuvre de l'excellent dessinateur du "Progrès Egyptien", qui s'était inspiré de notre croquis, présente la traditionnelle manière de voir le thème, laquelle date de l'époque même des rapsodes de Kiev : cercueil de chêne, bandes de fer l'entourant sous les coups du glaive, etc.

Mais déjà l'on y aperçoit à l'arrière-plan le profil d'un volcan... C'est là, dans un milieu de feu sur le point de s'éteindre que notre Planche I situe l'action du drame. Pour quelle raison ? Pour cette raison précise que c'était là que jadis avait lieu la mort de Sviatogor, ou il serait plus juste de dire, de son prototype.

acéphale. La Geste en garde un souvenir tout en présentant le châtiment sous une forme atténuée et voilée. La mère-épouse de Grégoire II, tout comme la sœur-épouse d'Osiris, *a la couronne enlevé* par décision de son fils. Après quoi, elle est *enfermée dans un couvent* bâti exprès pour elle par Grégoire. La reine déchue de son rang et enfermée dans un ermitage, c'est ainsi que se présente ici la déesse égyptienne se transformant en roche acéphale.

Conclusions—Le thème de l'union et du jeu sidéral.—Nous avons pu reconnaître dans l'une des œuvres faisant partie du recueil monacal des "Gesta Romanorum", d'un bout à l'autre, tout le trame du mythe osirien et du conte des "Deux Frères". Il s'ensuit de notre mise en regard que sous quelques rapports, la fable romaine est plus suivie que la version de Plutarque. Nous y trouvons en effet un enchaînement logique des aventures du grand dieu de la végétation de la Vallée du Nil. Et, dans ce sens, elle paraît plus proche de l'original inconnu dont l'écho était parvenu à l'écrivain grec de l'époque. On comprend bien l'importance que la Geste du Pope Grégoire acquiert de ce fait et l'intérêt que les égyptologues devraient lui porter, malgré son travestissement clérical.

Rappelons que sous ce rapport la Geste n'est pas unique en son genre, même tant qu'il s'agit du recueil dont elle fait partie. Il s'y trouve une autre version osirienne, sous le titre de "La Prophétie". Cette même histoire figure parmi les fabliaux "Constant l'Empereur"), les contes russes ("Marco le Riche et Basile le Misérable"), les chants héroïques ("Vassiliy Bouslaïévitch"; v. *supra* "Sviatogor"), etc.

Le fabliau de Constant l'Empereur est intéressant en ce qu'il donne une réplique au motif de la naissance retardée du héros, faisant défaut dans la plupart des histoires apparentées et, entre autres, dans la Geste. La fable romaine nous faisant assister à l'acte coupable dans la chambre à coucher commune, ci-devant dans le sein maternel, oublie de se faire l'écho de l'impossibilité

ravalé son cœur desséché qu'on avait revivifié en le mettant dans de l'eau. Osiris est rappelé à la vie par sa femme versant d'abondantes larmes sur son corps. Grégoire I sort du couvent après que le prieur lui avait remis la tablette inscrite de la main de sa mère lui faisant connaître son origine. Donc, encore ici, c'est la mère-épouse qui sort le mort vivant de son inertie. Grégoire II est délivré de ses chaînes par suite d'un message émanant du ciel (à comparer le signe surnaturel permettant de venir en aide à Bata), et il descend de son pilier aussitôt qu'on lui remet le triple tiare papal, dans lequel les psychanalistes reconnaîtraient sans hésitation l'équivalent du cœur de Bata, du membre de Bata et d'Osiris, et de tout autre symbole phallique. L'ancien motif de la virilité reconquise se trouve de ce fait transposé sur le plan spirituel, et, une fois sublimé, nous montre l'éclatant triomphe du repentir et de la volonté inébranlable sur la sensualité.

Nouvel état de vigueur accrue.—Le retour à la vie du héros inanimé est caractérisé par une vigueur accrue. Bata, l'impuissant de la veille, prend l'apparence de Taureau, promoteur de toute fertilité. Osiris devient roi du monde souterrain. Grégoire I, à la sortie du couvent, bien que n'ayant jusqu'alors manié les armes, délivre le pays de l'emprise d'un tyran. Grégoire II, une fois en possession du tiare, est sacré seigneur de Rome. Et comme ailleurs, il est acclamé par la population portant le deuil du précédent pope. Les cloches sonnent d'elles-mêmes. Nouveau rappel, et combien éloquent, de l'ancien motif de la procréation et de la prospérité désormais assurées. On se souviendra que d'après *De Iside* Osiris resuscité engendre de son regard son fils-héritier, Horus.

Châtiment de la femme coupable.—D'après *De Iside*, la fin d'Isis se présente ainsi. Son fils, qui en voulait à sa mère d'avoir délivré Seth-Typhon, lui arrache la tête. D'après une autre version, Horus avait enlevé à sa mère *sa couronne*. A ceci vient se joindre le témoignage du *Papyrus Chester Beatty* disant qu'après avoir perdu la tête, Isis se transforma en roche

deuxième cas, le héros coupable du même délit s'embarque avec le pécheur, le bateau remplaçant le tonneau ([1]).

N.B.—Par la suite nous allons désigner les aventures du héros nouveau-né, par abbréviation, *Grégoire I*, et celles du héros adulte, *Grégorie II*.

Le tonneau avec la crèche de Grégoire I échoue sur le rivage d'un couvent et le bébé y est hébergé par le prieur. Ceci se place en regard de la caisse d'Osiris portée par la mer vers le rivage de Byblos et introduite par le roi Melcart dans son palais. Grégoire II est conduit par le pécheur (à comparer Melcart, roi des Phéniciens, navigateurs renommés et trafiquants de la mer) vers une île où il est enchaîné sur une roche. C'est ainsi que se présente ici le pilier osirien (fig. 2)([2]).

La perte de la virilité.—Le mythe égyptien parle de la perte par Osiris de son membre génital, coupé et jeté dans l'eau où un poisson l'engloutit. C'est pareil dans les "Deux Frères". La version romaine nous présente l'état d'impuissance résultant du choc sous couvert symbolique. Le héros nous est présenté *comme enchaîné* et, en plus, *la clef* du cadenas est jetée dans la mer où *un poisson l'avale*. Une fois on connaît les équivalences, on ne peut pas être plus près des deux versions égyptiennes.

Séjour prolongé à l'état de mort.—Osiris rest enfermé dans son pilier pendant un laps de temps indéterminé, mais qui devait durer des années. Bata, le héros des "Deux Frères", se trouve couché "à l'état de mort" dans sa tour (équivalent de la roche, du pilier, etc.) pendant sept ans. Grégoire I demeure dans le couvent jusqu'à l'âge où il peut porter les armes. Grégoire II ne quitte son pilier rocheux pendant dix-sept ans, et est considéré comme mort depuis longtemps.

La délivrance.— La délivrance se présente partout sous une forme symbolique. Bata retourne à la vie après avoir

([1]) A comparer le traineau de Lemminkaïnen.

([2]) D'après *Märchen und Legenden aus den* 'GESTA ROMANORUM Insel-Verlag), p. 29.



Fig. 2

et, par conséquent, constituait un choc pesant lourdement sur la vie du héros.

Et déjà dans l'autre œuvre égyptienne, que nous avons mentionné, à savoir dans le "Conte des Deux Frères", le thème de l'inceste est mis franchement en tête du drame et détermine tout le reste. Il s'agit de prétendues rélations coupables entre le héros et la femme de son frère aîné qu'il respectait *à l'égale de sa mère*, donc, en somme, la situation est la même que dans la Geste.

La fuite comme conséquence du délit sexuel.— Bien que l'union considérée par les autres versions comme incestueuse, ne se présente pas comme telle dans *De Iside*, il n'en reste pas moins que l'action qui en découle, à savoir la fuite, y est tout de même présente. Ceci semble confirmer notre supposition que la version de Plutarque s'inspirait, elle aussi, d'un original où l'union en question produisait un violent choc mettant le héros dans l'obligation de fuir.

Sans mettre le départ d'Osiris de son royaume en rapport avec l'union, considérée par les autres versions comme contraire à la nature, Plutarque l'éloigne tout de même, soi-disant, en qualité de messager de la civilisation dans les pays barbares. Le héros de la Geste s'en va dès qu'il apprend la vérité sur son mariage. Donc ici, le motif présenté dans *De Iside* comme un fait naturel et sans conséquences fâcheuses, reprend toute son ampleur. Il a un effet, pourrait-on dire, explosif. Le héros fuit éperdûment le lieu de son crime et échoue dans la cabane d'un pêcheur.

La traversée de la mer.—Nous avons dit que tout comme dans la version égyptienne, il est question dans la Geste de deux cas d'inceste. Le premier a lieu entre les parents du héros. Fruit de cette union coupable, Grégoire est mis dans une crèche, enfermé dans un tonneau et jeté à la mer. Dans le

tantôt bouillonnante, tantôt en déclin, en un "possédé de Dieu" comme l'appelle avec raison Thomas Mann dans son dernier roman *Le Docteur Faustus* (trad. franç., p. 403-406). Mais le travestissement tombe de lui-même, aussitôt que nous mettons la Geste en regard des deux œuvres citées et, tout spécialement, du mythe d'Osiris relaté par Plutarque.

Double inceste comme point de départ. Il serait tentant de tenir le mythe égyptien pour l'original de la Geste du Pope Grégoire, tant il y a dans les deux de thèmes communs, et ceci dès le début.

Le mythe et la Geste débutent notamment par un double inceste. Nous lisons dans *De Iside* que Geb et Nout, frère et sœur jumeaux, s'unirent et donnèrent naissance à deux pairs d'enfants, jumeaux comme eux, lesquels s'entremarièrent à leur tour. Osiris prit pour femme sa sœur Isis, Seth se maria avec sa sœur Nephthys. Dans la Geste, il y a l'union entre un jeune prince régnant et sa sœur, donnant naissance à un beau garçon, héros de la légende monacale. Par la suite, celui-ci se marie avec une reine qui s'avère plus tard être sa propre mère. Et voici un détail qui rapproche davantage le mythe et la Geste. Osiris s'était uni avec Isis, comme nous l'avons dit, *alors que les deux étaient encore dans le sein maternel.* Le jeune roi et sa sœur *partagent la même chambre à coucher*, et c'est là qu'ils succombent à la tentation. La chambre à coucher et le sein maternel, cela revient au même. En quoi les deux versions diffèrent, c'est qu'en Egypte l'union entre frère et sœur était admise, tandis qu'en Europe, c'était un crime odieux. Il s'ensuit que le commerce d'Osiris avec Isis passe presque inaperçue, tout au moins dans l'exposé de Plutarque, et le drame osirien s'amorce non pas dans l'inceste, mais dans une rivalité d'ordre politique.

Nous avons dit, *dans l'exposé de Plutarque*... Car il ne faut pas perdre de vue que, malgré toutes les ressemblances, la Geste pourrait remonter non pas à la version de *De Iside*, mais à une œuvre où l'union entre frère et sœur était fortement réprouvée

question du démembrement d'Osiris par Seth et de la recherche des fragments par Isis, s'employant après à reconstituer le corps entier et à le rappeler à la vie à force d'amour, de magie et de pleurs.

Le poème faisant partie du "Kalevala", épopée nationale de Finlande [1], en garde un souvenir fidèle, non sans avoir adapté la légende à son milieu naturel si différent de celui que l'on trouve dans la vallée du Nil et le Delta. La caisse est remplacée par un traineau où le héros est mis par l'émule de Seth, la sorcière Louhi. Le corps est mutilé par le sinistre " berger au chapeau humide ", cet autre sosie de Seth, et dispersé non pas sur l'étendue d'une vallée traversée par un grand fleuve faisant défaut en Finlande, mais jeté pèle-mèle au fond de la sombre cataracte de la mort Manala, comme l'on pouvait bien s'y attendre dans ce pays d'ombres et de cascades écumeuses.

Tout comme Isis, la mère du héros rassemble l'un après l'autre les lambeaux du corps morcelé et le reconstitue en entier. A force de verser sur lui d'abondantes larmes et de l'oindre du miel apporté du ciel par une abeille (Pl. II) [2] elle finit par le rappeler à la vie. La version finnoise s'arrête là, la descente précédente au fond de la sinistre Manala suppléant à la vie posthume d'Osiris en tant que dieu des morts.

La Geste du Pope Grégoire

Nous allons maintenant passer à la version romaine faisant partie des "Gesta Romanorum". Elle va nous rappeler vivement tant la version osirienne de De Iside du I-II sc. a.D. que le conte du *Papyrus d'Orbiney* datant de l'époque des Ramsès.

Bien qu'éloignée des deux sous rapport d'espace et de temps, la version monacale nous frappe par ce qu'elle a de commun avec elles. La chose est d'autant plus remarquable que tout le trame a été remanié de fond en comble, jusqu'à transformer l'ancien héros-martyr, en somme personnifiant le dynamisme de la nature.

(1) *Runo* (Chant) XIV.
(2) D'après le tableau du célèbre peintre finlandais Axel Gallen-Kallela.

n'a aucune peine à discerner derrière les deux protagonistes, Sviatogor et Iliya, les violents météores, respéctivement terrestre et céleste, que les deux personnifiaient. Tout comme dans les poèmes syriens, découverts à Ras Shamra—Ougarit, le chant russe nous présente une lutte épique entre l'ancien dieu, ici de nature volcanique, et son successeur maniant la foudre.

Combien magnifique est l'approche, lente et irrésistible, du vieux Sviatogor, sosie de Polyphème, l'un montant un titanique coursier et l'autre menant devant lui un troupeau de moutons, coursier et moutons n'étant autre chose qu'une personnification de la lave que rien ne peut arrêter ! Et combien suggestif est ce "souffle de mort", *sc.* les gaz méphitiques, du titan qui expire !

C'est l'heure du destin qui sonne. Le torrent de lave s'arrête de lui-même, et sa source bouillonnante au fond du cratère se recouvre d'une lourde dalle pierreuse. En langage symbolique, le vieux héros s'étend dans le "sarcophage" fait d'après ses mesures et en rabat lui-même le "couvercle".

C'est alors que son "frère" adversaire pourra, à force de frapper de son glaive, compléter l'emprisonnement du titan en entourant le sarcophage de bandes de fer, métal sidéral [1], répondant bien au glaive qui lui n'est autre chose que la foudre, accessoire indispensable de l'éruption volcanique.

C'est cette lutte météorique, qui est l'un des multiples aspects de la légende osirienne, que tient à illustrer mon dessin (Pl. I), présentant la mort de Sviatoger d'une manière rétrospective. A comparer avec notre fig. 1, illustrant le thème à la façon traditionnelle, et voir *infra* "Post Scriptum".

La Mort de Lemminkaïnen

La version finnoise se rattache à un autre épisode de la légende osirienne, rapporté également par Plutarque, où il est

(1) A comparer l'ancienne désignation égyptienne *b ꜣ n pt* "merveille du ciel".

Iliya Mourometz répond à son frérot :

" Ça me suffit, la force que j'ai, mon frère aîné !
Si tu me passes toute la force titanique,
Notre mère, la terre humide, ne va pas me porter, moi aussi".

Le bogatyr Sviatogor dit à Iliya :

" Tu as bien fait, mon frère cadet,
De ne pas avoir écouté mon dernier ordre :
J'aurais soufflé sur toi avec un souffle de mort,
Tu te serais couché mort auprès du cercueil.
Et maintenant, adieu, mon frère cadet !
Il paraît que c'est ici que Dieu m'a destiné la mort.
Prends à toi le glaive titanique,
Et le brave coursier laisse à son maître.
Attache-le au cercueil titanique :
Personne ne pourrait le maîtriser, à part moi".

Et de ses yeux clairs
Coulèrent des larmes brûlantes,
Et il croisa ses mains titaniques
Sur sa poitrine blanche titanique.
Il reçut la grande mort,
Et il en sortit du cercueil le souffle de mort.

Alors le vieux dit adieu au bogatyr,
Il attacha le brave coursier de Sviatogor
Au cercueil titanique.
Il ceignit le glorieux glaive de Sviatogor,
Et il partit au large, dans la plaine ouverte.

C'est là qu'on chante la gloire de Sviatogor.

La comparaison du chant héroïque avec le récit de Plutarque est des plus édifiantes.

Paradoxal que cela paraisse, la version russe, de combien de siècles plus jeune que la version grecque, a une apparence plus primitive et, croyons-nous, plus proche de l'original inconnu. L'écran anthropomorphique devient de toute transparence, et on



FIG. 1

" Alors prends mon glorieux, mon titanique glaive,
Fends le couvercle avec le glaive tranchant".

Le vieux saisit ce glorieux glaive de Sviatogor,
Mais il ne put soulever le glaive de la terre humide.

" Ecoute-moi, mon frère aîné,
Je ne peux même pas soulever le glaive de la terre".

" Ecoute-moi, mon frère cadet,
Penches-toi sur le couvercle du cercueil,
Serre-toi contre la petite fente :
Je vais souffler sur toi de mon souffle titanique".

Iliya se pencha sur le couvercle du cercueil,
Il se serra contre la petite fente :
Sviatogor souffla sur le vieux
Avec ce souffle titanique.
Et le vieux sentit que la force en lui
Devint trois fois plus grande qu'auparavant:
Il souleva de la terre le glaive titanique,
Il se mit à porter des coups sur le couvercle du cercueil :
Les grands coups font jaillir des étincelles,
Et là où frappe le glaive titanique,
Se pose un cercle de fer.

Le bogatyr Sviatogor en appela de nouveau :

" L'air me manque ! L'air me manque !
Frappe le long du couvercle du cercueil ! "

Le vieux frappe le long du couvercle du cercueil.
Les coups font jaillir des étincelles,
Mais là, où frappe le glaive titanique,
Se pose un cercle de fer.

" J'étouffe, mon frère cadet !
Penche-toi sur le couvercle du cercueil,
Serre-toi contre la petite fente :
Je vais souffler sur toi de tout le souffle titanique,
Je vais te passer toute la force titanique".

Trop large et trop long était pour lui l'énorme cercueil.

Le bogatyr Sviatogor dit à Iliya :

" Ecoute-moi, mon frère cadet.
Ta place n'est pas là. Ce n'est pas à toi à dormir !
Laisse-moi me coucher : ne serait-il pas à ma taille ?"

Le bogatyr, lui-même, descendit du brave cheval,
Et il se coucha dans l'énorme cercueil :
On dirait que juste pour lui était construit l'énorme cercueil !

Le bogatyr dit alors les paroles suivantes :

" C'est pour moi qu'a été construit cet énorme cercueil !
Ecoute-moi, mon frère cadet :
Vas-y et couvre-moi
Avec ce couvercle de chêne".

Iliya Mourometz répond à son frère :

" Je ne vais pas te couvrir, mon frère aîné,
Avec le couvercle de chêne.
Ce n'est pas une petite plaisanterie que tu fais là :
De ton vivant tu veux t'enterrer !"

Alors le bogatyr, lui-même, prend et se couvre
Avec ce couvercle de cercueil de chêne.
Et ce couvercle, de par la volonté de Dieu,
Devint avec le cercueil comme une seule pièce.

Sviatogor en appela à Iliya du fond du cercueil :

" Ecoute-moi, mon frère cadet !
J'ai beau frapper, j'ai beau m'efforcer,
Je n'arrive pas à soulever le couvercle au-dessus de moi !
Prends-toi aux planches, faites de chêne,
Et arrache une planche après l'autre".

Le vieux s'en prend aux planches, faites de chêne.
Il ne peut en arracher aucune :

" Ecoute-moi, mon frère aîné,
Je ne peux en arracher aucune".

L'intrépide et brave gars lui dit :

"Je suis le bogatyr de la Sainte Russie, de la capitale Kiev,
Le vieux Iliya Mourometz, fils Ivanovitch !
C'est que je suis parti pour voir, pour connaître
Sviatogor, le glorieux bogatyr.
Il ne descend pas sur notre mère, la terre humide.
Il ne vient pas chez nous, les bogatyr russes".

"O toi, intrépide et vieux Mourometz !
C'est que le bogatyr Sviatogor, lui-même, est devant toi.
Je serais descendu chez vous sur notre mère, la terre humide.
Mais notre mère, la terre humide, ne me porte pas.
Il ne m'est pas permis d'aller dans la Sainte Russie.
Je ne peux chevaucher que sur les hautes montagnes
Et dans les vastes crevasses.
Nous allons chevaucher avec toi dans les vastes crevasses,
Nous allons chevaucher avec toi sur les Saintes Montagnes.
Par la fraternité des croix, je suis ton frère aîné.
Et toi, Iliya, tu es mon frère cadet".

Ils échangèrent alors leurs croix,
Et ils se nommèrent frères de croix.
Ils se mirent à chevaucher dans les crevasses,
A chevaucher, à se promener sur les Saintes Montagnes
Et ils tombèrent sur un étonnant miracle,
Un étonnant miracle et un merveilleux prodige :
Au milieu de la route se trouve un énorme cercueil,
Tout recouvert et plaqué d'or rouge,
Tandis que sur le couvercle se trouve une inscription :

"*Celui, pour qui est construit cet énorme cercueil,
Le trouvera juste à sa taille.*"

Le bogatyr Sviatogor dit à Iliya :

"Ecoute-moi, mon frère cadet !
Couche-toi le premier dans l'énorme cercueil :
Ne va-t-il pas te convenir, Iliya ?"

Le vieux descendit du brave coursier,
Et il se coucha dans l'énorme cercueil :

Et il fonça à cheval, depuis la plaine ouverte,
Depuis la plaine ouverte, pour la troisième fois.
De sa massue, il frappa fortement
Sur les épaules puissantes du bogatyr.
Alors le bogatyr se réveilla de son profond sommeil,
Et il prononça, il dit les paroles suivantes :

"Combien méchantes sont les piqûres des mouches russes !"

Il avança, il ouvrit sa main titanique,
Il saisit l'intrépide bogatyr russe,
Il le mit avec son coursier dans sa profonde poche,
Et il continua à poursuivre sa route.

Deux jours le brave coursier les porta,
Mais le troisième jour, chez le coursier fort
Les pieds vifs commencèrent à se plier,
Le puissant coursier commença à trébucher,
Il commença à s'enfoncer jusqu'aux genoux dans la terre humide.
Le bogatyr prit le fouet de soie,
Il frappa le coursier sur ses hanches grasses,
Tout en disant au coursier :

"O toi, pâture de loup, sac de foin,
Pourquoi marches-tu en trébuchant ?
Sentirais-tu un malheur te menaçant ?"

Le brave et vaillant coursier répond,
En parlant d'une voie humaine :

"Comment pourrais-je ne pas trébucher ?
Je porte deux puissants bogatyr,
Et maintenant, voilà que le troisième jour
Je porte deux puissants bogatyr.
Et comme troisième—un coursier vaillant !"

Le bogatyr retira Iliya de sa poche
Avec le coursier vaillant,
Il se mit à demander, à questionner Iliya :

"Qui es-tu, intrépide et brave gars ?"

Notre mère, la terre humide, commença à trembler,
Les forêts sombres commencèrent à vaciller,
Les fleuves rapides commencèrent à se troubler,
Et ils sortirent de leurs rives abruptes. (1)

Le vieux voit : sur un brave coursier
Vient au pas un bogatyr, une montagne.
De par la taille, il est plus haut qu'un arbre debout ;
De par la tête, il s'enfonce dans le ciel ;
Il vient, tout en sommeillant, assis.

"Quel miracle !" se dit Iliya :
Un bogatyr qui s'est endormi à cheval !
Il aurait pu faire un somme dans sa tente blanche.
On dirait que ce n'est pas un bogatyr russe, mais un païen"

Le cœur ardent d'Ilioucha commença à flamber,
Et il lança son coursier depuis la plaine ouverte,
Depuis la plaine ouverte, pour la première fois.
De sa massue, il frappa fortement
Sur les épaules puissantes du bogatyr.
Il croyait avoir tué le bogatyr et son coursier,
Mais le bogatyr avance toujours, sans se retourner,
Il avance, tout en sommeillant assis.

"Quel miracle !" se dit Iliya :
Et cependant, jusqu'à présent, frappé de la main d'Ilioucha,
Personne ne pouvait rester assis à cheval.
Il faut que je m'élance pour la seconde fois".

Et il fonça à cheval, depuis la plaine ouverte,
Depuis la plaine ouverte, pour la seconde fois.
De sa massue, il frappa fortement
Sur les épaules puissantes du bogatyr.
Mais le bogatyr avance toujours, sans se retourner.
Il avance, tout en sommeillant, assis.

"Il paraît que j'ai encore mal frappé !
Il faut que je m'élance pour la troisième fois".

---

(1) A relever cet aspect d'Osiris, *dieu de l'inondation.*

Pour s'en rendre compte, il suffit d'en citer deux, à savoir le chant héroïque russe de "Sviatogor et Iliya Mourometz" et le poème finlandais de la "Mort de Lemminkaïnen".

Sviatogor et Iliya Mourometz

Nous avons parlé du chant dans l'une de nos conférences dont le texte a été publié (1). On retrouve dans la "starina" de "Sviatogor et Iliya Mourometz" toute la mise en scène de Plutarque : la caisse faite d'après les mesures exactes du héros, destiné à y être enfermé, l'intervention du "frère" rival liant le sarcophage avec des bandes de fer, etc.

Le lecteur pourra s'en rendre compte en lisant notre traduction qui suit (2).

Après qu'un rapsode leur eut chanté la "starina" (légende héroïque) de "Sviatogor", les "bogatyri" (paladins) de la cour de Vladimir, Prince de Kiev, se demandent si le héros était encore en vie. Les uns prétendent qu'il habitait toujours dans les Saintes Montagnes (d'où il tenait son nom). Les autres affirment qu'il était mort de longue date. On finit par se décider à envoyer Iliya (dimin. Ilioucha), surnommé "Mourometz" (c.-à-d., originaire de Mourom), pour voir qui avait raison.

Le "vieux", comme on se plaisait à appeler Iliya Mourometz, se met en selle et part.

Salut à toi, intrépide chasseur,
Vieux bogatyr, Ilioucha Mourometz !
Il chassait, le vieux, dans la plaine ouverte,
Il attrapait la bête féroce sur la pique,
Il enfilait les martres-zibelines sur le fil.

Le vieux arriva auprès des Saintes Montagnes,
Le vieux monta sur les Saintes Montagnes,
Il entendit un bruit très fort :

(1) Voir *La Revue des Conférences françaises en Orient*, 1945.
(2) Imprimée pour la première fois dans *Le Progrès Egyptien*, 18. 3. 45.

Il va de soi que dans un article de longueur limitée il nous est impossible de passer en revue un nombre appréciable d'histoires apparentées. Ce que nous pourrons et que nous nous proposons de faire, est de mentionner deux ou trois versions représentatives et de nous occuper après d'une histoire de Moyen Age. Ceci donnera au lecteur une idée de la vogue connue par la légende, aussi bien que les modalités de son adaptation à des milieux souvent très différents.

Plutarque a localisé la partie centrale de la légende dans la Basse Egypte, et puisque cette dernière était de tout temps en relations avec le Moyen Orient, et en particulier avec le Liban, on ne s'étonnera pas de retrouver une replique de la version de De Iside dans le *De Dea Syria* de Lucien de Samosate. C'est l'histoire de "Combabus" dont le héros, impuissant comme Osiris, est frappé du même complexe maternel, et pour la même raison d'aimer une femme intouchable. Il s'en va au loin, vit cloîtré dans le temple d'Hiérapolis (correspondant au palais de Melcart à Byblos), et ainsi de suite.

Mais voilà ce qui est à noter. En dépit qu'elle fut recueillie dans un pays voisin, et bien que tout proche du point de vue psychologique de la version égyptienne, l'histoire syrienne a perdu maints traits de la mise en scène. Point de caisse faite d'après les mesures du héros-martyr ni d'emprisonnement dans une bière clouée et liée avec des bandes métalliques. Mais ceci et autres choses n'empêchent pas que le fond—le fond psychologique, comme nous l'avons dit—reste le même. L'apothéose non plus ne manque, et, comme ailleurs, il n'a pas lieu dans notre monde ni dans notre milieu. Osiris devient roi des morts, Combabus—chef des eunuques. Nous nous en souviendrons en parlant du Pope Grégoire devenant après son retour dans le monde chef du clergé romain vivant dans le célibat.

Fait vraiment curieux. Plus la légende osirienne s'éloigne de l'Egypte et de la Syrie, plus proche devient-elle de la version syro-égyptienne de Plutarque et même la surpasse-t-elle en netteté.

Un arbre tout proche fait état de prodigieuse croissance. Il entoure de son bois l'énorme caisse et finit par attirer sur lui les regards du roi local, Melcart. Celui-ci ordonne d'en faire un pilier et de le placer à l'intérieur de son palais.

C'est là qu'Isis retrouve le corps d'Osiris après de longues recherches. La déesse réussit à se faire engager par la reine en qualité de servante, et en récompense d'un long service dévoué, obtient la permission de retirer le pilier. Isis débarrasse le corps du bois qui l'entourait et, à force de répandre sur lui des torrents de larmes, le rappelle à la vie.

Osiris une fois résuscité se retire dans l'au-delà et devient dieu des morts, non sans avoir procréé son fils-héritier Horus en fécondant Isis de son regard.

Les Histoires apparentées en Egypte et ailleurs

On retrouve des échos de la légende que je viens de relater en Egypte même, notamment dans le conte des "Deux Frères" (*Papyrus d'Orbiney*) et dans celui d' "Horus et Seth" (*Papyrus Chester Beatty I*). Surtout dans le premier. Nous en avons publié une nouvelle traduction [1], et nous avons analysé le conte maintes fois ailleurs. Mais c'est surtout dans le folklore des pays étrangers—où jadis le dieu-martyr avait répandu les lumières de la civilisation—que l'histoire osirienne a connu une vogue prodigieuse.

Nous la retrouvons sur l'étendue de tout le continent euroasiatique, depuis la Gaule jusqu'aux îles de l'Océan Pacifique [2]. Et, en allant du Sud vers le Nord, depuis la Syrie jusqu'à la Finlande, en passant par les plaines de la Russie de l'époque de Kiev et de celle de Novgorod le Grand.

[1] *L'ancien conte égyptien des "Deux Frères"*, dans *la Revue des Conférences françaises en Orient*, décembre 1950.
[2] *Ibid.*, p. 12 et 14.

pas de jours disponibles pour qu'ils pussent venir au monde. Et impatients, follement amoureux l'un de l'autre, ils s'unirent dans le sein maternel... Les deux ne purent naître que grâce à l'intervention du dieu de la sagesse Thot. A force de battre la déesse-lune au jeu de dés, celui-ci gagna les jours épagomènes.

C'est donc par l'union entre frère et sœur et par l'opposition de forces ténébreuses que débute le drame osirien. Nous trouvons les mêmes thèmes dans les histoires qui seront passées en revue dans cet article. Elles nous feront comprendre que c'est précisément dans l'union tenue pour incestueuse que réside la force motrice poussant le héros à l'apothéose à travers la souffrance et les affres de la mort.

Pour une raison que Plutarque passe sous silence, mais que les autres versions mettent en rapport avec l'union contraire à la nature, Osiris devenu roi d'Egypte quitte la Vallée du Nil et s'emploie à répandre partout où il passe les bienfaits de la culture, tant matérielle que spirituelle. Puis, un jour, il s'avise de rentrer dans son royaume, gouverné en son absence par son frère Seth et sa femme Isis.

Osiris est convié à un festin et, à un moment donné, Seth y fait apporter une caisse, très longue et richement ornée, tout en promettant d'en faire présent à celui qui la trouverait juste à sa taille. L'un après l'autre les convives s'y étendent, mais tous s'avèrent être trop petits. Seul Osiris, de taille énorme, remplit la condition et reçoit l'enjeu de la compétition. Et pour cause. La caisse avait été faite d'après ses mesures, prises en cachette sur l'ordre de Seth qui comptait par ce stratagème garder le pouvoir entre ses mains.

Dès qu'Osiris s'étend dans la caisse, les conjurés abattent le couvercle, y enfoncent des clous et versent du plomb fondu. Hermétiquement close, la caisse est jetée dans le Nil. Elle descend jusqu'à la mer et, après avoir longé la côte syrienne, échoue sur le rivage de la sainte cité de Byblos.

LA LÉGENDE D'OSIRIS A TRAVERS LE MONDE

La Légende d'Osiris et les Contes Égyptiens
Sviatogor et Iliya Mourometz — La Mort de Lemminkaïnen
La Geste du Pope Grégoire

PAR

VLADIMIR VIKENTIEV

La légende du dieu-martyr est l'une des créations fondamentales de l'esprit humain. La version la plus ancienne nous est connue d'après les mythes égyptiens de l'époque archaïque quand les dieux habitaient non pas les vastes temples que l'on connaît, mais d'humbles huttes que l'on voit encore de nos jours dans la Vallée du Nil.

Une fois parue en Egypte, la légende a eu une longue carrière dans le pays même, et, à force de s'adapter à différents milieux ethniques, elle se propagea dans les pays voisins et finit par faire le tour du monde.

Il y a des allusions au mythe osirien dans les " Textes des Pyramides " et le célèbre traité philosophique de Memphis, connu sous le nom de " Pierre de Shabaka ". Mais c'est surtout d'après les illustrations de Basse Epoque et le texte de *De Iside* que l'on connaît l'histoire osirienne d'une manière détaillée.

La Légende d'Osiris

La vie d'Osiris et de sa sœur-épouse, Isis, se déroule sous un signe extraordinaire. Pour commencer, il n'y avait même

XI.—*Zwei Graeber:*

Hier des Gescheiterten Grab, das Grab dort drueben des Bauern,—

Wie unter Erde und Meer Hades gemeinsam sich streckt.

XII.—*Darbietung:*

Gold fand Einer und liess seinen Strick. Doch Er, der sein Gold, das

Er gelassen, nicht fand, schlang den gefundenen Strick.

XIII.—*Bronzefrosch als Weihegeschenk:*

Diener der Nymphen, Freund des Schattens, Saenger der Feuchte,

Frosch, den ein leichtes Spiel lockerer Tropfen erfreut,

Ihn bot erzgeformt als Weihegabe ein Wandrer,

Von gar feindlichem Durst, hitzegebor'nem, geheilt.

Er hat dem Irren das Wasser gezeigt, aus tauigen Schlundes

Doppellebigem Mund toenend im richtigen Nu.

Und von der Stimme, der Fuehrerin, liess nicht ab dieser Wandrer,

Eh' zum Trinken er fand Tropfen, so suess und ersehnt.

XIV.—*Der Nussbaum:*

Nussbaum am Weg, bin ich den vorueberkommenden Kindern

Spiel fuer geschleuderten Steins richtige Zielung gepflanzt.

All meine gruenenden Spitzen und herrlich sprossenden Zweige

Brachen ab—im Wurf haeufiger Kloetze auf mich.

Edelfruechtige Baeume gewinnen wenig...ich wahrlich

Fruchtete, goetterverhasst, eigenem Stolz nur zur Pein.

V.—*An Aster:*

Sterne betrachtest du, oh mein Stern. Dass ich Uranos waere!

Bin ich—auf dich mit viel Augen—der Schauende nicht?

VI.—*An Aster:*

Einst bei Lebendigen leuchtetest du, Stern, Venus der Fruehe,

Der jetzt Gestorbenen glaenzt, Venus des Abends, im Tod.

VII.—*Agathon:*

Agathon kuesste ich... da war mir auf den Lippen die Seele,

Ja, von Duldungen wund kam sie, hinueberzugeh'n.

VIII.—*Alexis:*

Nun, da ich nichts gesagt als dieses "schoen ist Alexis",

Trat er ins Licht, und rings wendet sich jeder zu ihm.

Seele,—den Knochen warum an die Hunde verraten? Und dulden

Gram hernach? Ward so Phaidros nicht unser Verlust?

IX.—*Das Grab spricht:*

Archeanassa ist mein, aus Kolophon Liebesgefaehrtin,

Der noch auf Runzelgeflecht Eros, ein suesser, gehockt.

Weh, ihr verliebten Pfluecker der frischen Bluete aus erstem

Jugendschwellen, ihr gingt, wahrlich, durch lodernden Brand!

X.—*Grab der Eretrier in Medien:*

Hier ruh'n wir, getrennt von der droehnenden Flut der Aegaeis,

Auf Ekbatana's fern innerste Eb'ne verbannt.

Heil dir, Eretria, Heimat, du einst beruehmte! Euboea's

Nachbarin, heil dir, Athen! Heil dir, oh Freundin, oh See!

Alkibiades das Bild des haesslichen Silens beschreibt, das nur eine Huelle fuer ein inneres Goetterbild sei. Sich selbst sieht Plato als einen Schoepfer von wuerziger Nahrung fuer die Menschen. Aber diese werfen mit geistiger Rohcit die Steine ihres gierigen Verstehenwollens nach ihm, um gleichsam die Sprossen seiner seelischen Intimitaet zu zerstoeren. Diese Anwandlung duesterer Stimmung im idyllischen Bild ist durchaus kennzeichnend fuer das Greisenwerk Platos. Sein Stolz sieht sich der Welt in tragischem Missverstehen gegenueber.

Sei als Anhang eine Auswahl der Epigramme in deutschen Versen erlaubt.

I.—*An Dion:*

Traenen waren fuer Hekabe und fuer die Frauen von Troja
Schon ihr Schicksalsgespinst, als sie das Leben empfing.
Du, mein Dion, hieltest den Preis deiner herrlichen Taten,
Eh' ins Leere ein Gott breitere Hoffnungen goss.
Ruh'st doch in raeumiger Heimat geehrter Buerger—und hattest
Oh mein fliegendes Herz, Dion, zu Wahnsinn gejagt.

II.—*Pindars Grab*:

Hier der Mann war, Liebling der Fremden und Freund der Mitbuerger,
Pindar, pierischer Frau'n kostbarem Stimmklang geweiht.

III.—*Sappho:*

Einige sagen, es sind neun Musen. Nachlaessige Zaehlung !
Ist doch aus Lesbos, seht, Sappho die Zehnte dabei.

IV.—*Aristophanes :*

Suchenden Anmutgoettinnen schien Aristophanes' Seele
Ihres heiligen Hains nie zu vernichtender Fund.

(Die Idee erscheint nur aus eigenem Geheimnis). Gleichfalls zum Bereich der Liebesgoettin gehoert das hellenistische Weitertaendeln der platonischen Erosvision in dem Geschichtchen (Diehls 13) vom Streit der Musen mit Kypris. Die Musen wollen als Jungfrauen nichts von Eros wissen. Wenn seine Mutter ihn bewaffnet, soll sie ihn zu Ares schicken. Hier sollen wir uns erinnern : poetische Unfruchtbarkeit und erotische Haerte sind einander feind. Plato kaempft gegen Homer. Einen verwandten Uebergang in hellenistische Entspannung zeigt ein sehr dichterischer idyllischer Ton, der in zwei Epigrammgedichten (Diehl 26 und 27) und in dem hexametrischen Fragment (33) angeschlagen wird. Es sind weichere Nachklaenge aus der Mysterienatmosphaere des "Phaidros". Die Pfeife des Pan ertönt, waehrend die Baum- und Wasserfeen ihren Tanz einstellen. Vereint mit dem Schauer der vom Zephyr geregten Fichtenzweige bringt sie mittaeglichen Schlummer am Bach. Die epische Idylle fuehrt zum "apfelrosigen" Sohn der Goettin von Kythera, wie er, im Hain auf Rosenkelchen ausgestreckt, laechelnd schlummert, waehrend Koecher und Bogen in den Baeumen haengen und gelbe Bienen auf seinen leckeren Lippen schweben.

Damit kommen wir zum Ende. Uns bleiben noch zwei Bilder aus gleicher idyllischer Landschaft. Aber aus ihrer Anmut bricht eine solche Gewalt des geistigen Symbols hervor, dass wir sie nur dem Verfasser der sokratischen Logoi zuschreiben koennen. Wir sehen einen Bronzefrosch (XIII) und einen Nussbaum (XIV). Und hier ueberkommt uns der Daemon des Sokrates und der Genius Platos. Der Frosch ist ein Weihebild zu Ehren der Nymphen, gestiftet von einem Wanderer, der im Wald verdurstend durch den Ton des Quakens die Stelle des Wassers fand. Dies ist die Stimme des geistigen Heils, das dem die Wahrheit suchenden ihre Quelle anzeigt. Aber Sokrates ist hier nicht als natuerlicher Frosch, sondern als Tierstatue versinnbildlicht, aus deren mit Kunst haesslich gestalteter Huelle die innere Schoenheit hervorkommt—wie im "Symposion"

So haben wir hier die Idee im Spiegel, im Ring, im plastischen Schlaf und im nackten Marmor schillernd. Die einst ueber ganz Griechenland hold spottende Buhlerin Lais, vor deren Tuer noch immer der Schwarm der Verliebten sich sammelt, weiht ihren Spiegel mit diesem Epigramm (Diehl 15), der Goettin von Paphos, also dem Geist der Unsterblichkeit, da sie schon das Alter auf ihren Zuegen nahen sieht. Ihre "wahre" Schoenheit kann das Glas nicht mehr zeigen und ein unzulaengliches Folgebild will sie nicht. In drei Variationen (Diehl 19, 20, 21), wovon die zweite ein Fragment, sehen wir einen in Stein gemeisselten oder in Silber gravierten Satyr, Gefolgsdaemon des Dionysos, der entweder selbst schlaeft oder neben dem, wie er—wohl als Quellfassung—Wasser giesst, ein Knabe ausruht. Er bittet, den Knaben mit dem Fuss—wohl beim Wasserschoepfen—nicht anzustossen und zu wecken. In der dritten, kuerzesten Fassung spricht der Dichter, den Bildhauer Diodoros verherrlichend: "Den Satyr hat Diodor in Schlaf gesenkt, nicht gehaemmert. Wenn du niesest, wirst du ihn wecken. Das Silber hat Schlaf". Wer denkt da nicht an das "caro m'è 'l sonno" der Nacht auf Michelangelo's Medizaeergrab ? Der Schlaf hat hier die Macht und Wahrheit der Idee.

Reizen dsind fuenf winzige Rinder, auf einen Jaspis graviert und mit diesem von einem Ring gefasst, innerhalb dessen sie wie in einer goldenen Huerde lebendig weiden (Diehl 18). Hier erscheint das Leben durch die Virtuositaet seiner Miniaturbaendigung der Roheit als wirksame Idee. Endlich die Schoenheitgoettin selbst ! (Diehl 23, 24, 25). Der geniale Praxiteles hat sie in ihrem Tempel in Knidos in nackter Vollkommenheit vergegenwaertigt. Echt platonische Philosophie erscheint in der dreimal aufgeworfenen Frage : wie konnte der Mensch die Goettin nackt sehen ? (Wie erscheint die transzendente Idee ?). Eine Antwort ist : die Fantasie des Kuenstlers brachte sie herbei. Eine zweite : der Meissel vollfuehrte das Kunststueck. Beide sind falsch. Die dritte richtige Antwort lautet : Aphrodite hat sich selbst dargeboten—wie schon einmal dem Urteil des Paris.

der iranischen Hochebene angesiedelt. Eine uralte Koenigstadt, einmal Susa, das andere Mal Ekbatana, wird als Sinnbild der totalen Fremdheit dieser Landschaft von der Heimat am Inselmeer aufgerufen. (Die laengere Variation Anhang X, die kuerzere Diehl 9). Hier geben, die Toten dem Leben durch ihren dreifachen Liebesruf neuen Glanz. Von der Seite des Todes aus, der seine Wuerde durch seine gerechte Allmacht offenbart, sehen wir dreimal Inschriften auf Graebern von Opfern des Meeres. Die erste Inschrift auf dem Grab eines Schiffbruechigen (Anhang XI) weist gleichzeitig auf das nahe Grab eines Landmanns hin. Dessen festes Dasein bezeugt also ebenso die unten waltende Macht des Todes wie jenes abenteuerliche. Ein anderer Schiffbruechiger (Diehl 29) klagt in sechs Zeilen ueber einen Dieb, der seinen Leichnam schamlos des Gewandes beraubte. In der Bekleidung mit diesem "Fetzen" moege der Frevler nach seinem Sterben vor dem Totenrichter Minos erscheinen! Dies erinnert in der Stimmung an die Totenszene im "Phaidon", wo die Suender die von ihnen im Leben Gekraenkten im Hades um Verzeihung bitten muessen. Auch hier ist eben das Leben gesehen als im Tod weiterwirkend und damit in seiner geistigen Macht vom Tod gesteigert. Der dritte Schiffbruechige (Diehl 30) vergeistigt sein Schicksal zum Segenswunsch an die Lebenden: "Oh Schiffer, moege euch Heil im Meer und auf der Erde werden! Wisset aber, ihr fahrt an eines Schiffbruechigen Grabmal vorbei".

Die heiter glaenzende Seite des platonischen Denkens findet sich in vier Bildmotiven mit gleichsam ideenhafter Magie dargebracht. Wir wuerden den Stil all dieser Epigramme hellenistisch nennen. Das kann in ihrem zeitlichen Ursprung begruendet sein. Doch wuessten wir nicht, warum es unmoeglich sein sollte, dass Plato schon selbst diesen "Hellenismus", der geistig in ihm wurzelt, in entsprechende Worte gefasst hat. Es ist der Vorgang der Entspannung nach der denkbar hoechsten geistigen Steigerung, dem wir hier beiwohnen. Das mystisch geschaute Urbild spielt in anmutigen Nachbildern weiter.

erotischen Epigramme gehoeren also mit den andern zusammen, die in direkter Form die menschliche Vergaenglichkeit, die Allmacht der Zeit und des Schicksals ueber alles Vergaengliche, und schliesslich die sinnliche Gegenwart des Todes im Grabe aufrufen. All diese Variationen bezeugen, was Karl Reinhardt schoen und treffend die Urerschuetterung Platos durch Tod und Gesetz genannt hat. Das hoechste Symbol dafuer in seinem grossen Werk ist der Mythos von der im Todesreich thronenden und den Kosmos um ihre Spindel drehenden, goettlichen Ananke. Ihre Geberde, ins Diesseits uebertragen, beherrscht das Epigramm vom Aeon (Diehl 31): "Aeon traegt alles: Zeit als Rennbahn weiss Name und Gestalt und Natur sowie Geschick zu wandeln". Ein witziges Bild der Allmacht des Schicksals, das sein Gesetz gleichgueltig gegen die Person seines Traegers erfuellt, ist in zwei Variationen ueberliefert. Beide stammen zweifellos vom gleichen Verfasser, der sein Spiel sich selbst doppelt vorspielen wollte. (Anhang XII, dazu Diehl 12). Es ist der Auftritt einer kleinen Mysterienkomoedie, mit dem deutschen Titel: "Verwechselt, verwechselt am Bæumelein". Ein am Leben Verzweifelter kommt mit seinem Strick zu einem Baum, um sich dort aufzuhaengen. Er findet unter, bei oder in ihm einen Goldschatz. Wieder zum Leben gerufen, nimmt er ihn mit sich und laesst den Strick dort. Der hoffnungsvolle Besitzer des Goldes findet also zurueckkommend den Strick, fuehlt sich von Verzweiflung getroffen und haengt sich zum Tode auf. Das Gesetz des Goldes als Leben und das Gesetz des Strickes als Tod vollziehen sich mit um so groesserer schicksalhafter Klarheit, als sie ihre personalen Traeger austauschen.

Zwei Grabinschriften, die eine zweimal, die andere dreimal variiert, zeigen das "Gleichgewicht der ungeheuren Wage" von Leben und Tod in sinnlicher Anschauung. Sehr ergreifend von der lebendigen Seite aus, also mit tragischem Leid bezahlt, im Epigramm auf dem Totenmal der verschleppten Buerger von Eretria, der Hafenstadt auf Euboea, gegenueber der attischen Kueste gelegen. Diese waren von den Persern gefangen und auf

mit kosmischem Bewusstsein. Die Erinnerung an den toten Aster (VI) feiert mit dem herrlichen uralten Symbol der Todlebeneinheit im Stern der Aphrodite den Eros als Bringer der Unsterblichkeit. Eros' Gegenwart im Tode oder, was dasselbe ist, die Gegenwart des Todes in ihm, als ueberwaeltigendes sinnliches Erlebnis erscheint in dem Epigramm an Agathon (VII). Geistige Deutung von Liebeserlebnissen mit Frauen wird man bei klassischen Griechen selten und gewiss garnicht bei Plato erwarten. Eine einzige Ausnahme von erlesener Anmut bestaetigt diese Regel. Plato preist den erotischen Zauber einer Greisin (IX). Er laesst ihr Grab sagen, dass noch ihre Runzeln verfuehrerisch waren, dass sie also in ihrer Jugend ihre Liebhaber gewiss in sinnliche Raserei versetzte. Uns scheint, Plato beneidet diese frueheren Liebhaber durchaus nicht um ihr Erlebnis. Der Zauber, der von der Greisin ausgeht, ist bestrickender, denn er hat eine geheimnisvoll aus dem koerperlichen ins geistige aufsteigende Macht. Es liegt nahe, hier an eine ausserordentliche Frau zu denken, die in Platos Werk, und zwar im "Menexenos", als Traegerin solchen Zaubers andeutend geschildert wird: Aspasia, die Witwe des Perikles, in ihrer Jugend bekanntlich "lodernden Brand" der Liebe entfachend, aber in ihrem hoeheren Alter als Mittelpunkt eines Kreises geistreicher Verehrer, darunter auch Sokrates, geruehmt. Milet, woher sie stammte, liegt nicht weit von Kolophon. Archeanassa, Erzherrin, waere ein passender Name fuer die grosse Aspasia. Wer immer dies Epigramm verfasste, hat, wenn nicht allein an sie, gewiss auch an sie gedacht.

Ein schoenes Maedchen mit einem Apfel als Erklaerung und Forderung von Liebe zu bewerfen, wie in zwei Epigrammen (Diehl 2 und 3) die einander variieren, geschildert wird,—gibt Plato nicht den Anlass, sinnliche Leidenschaft, die man auch nicht von ihm erwarten wuerde, dichterisch zu verherrlichen. Der frische Apfel vergegenwaertigt ihm die Naehe des Welkens und damit des Todes der Frucht und gleichzeitig des jungen Menschenkindes, das der Apfel trifft. Diese nur scheinbar

pes Knaben der Abfassung des Dialoges vorausging. Dessen wunderbare erotische Heiterkeit waere dann zugleich eine schwermuetige Feier des Abschieds.

Drei Epigramme verherrlichen grosse Dichter ganz in dem Geist, in dem ihnen in Platos philosophischem Werk gehuldigt wird. Die Grabinschrift fuer Pindar (Anhang II) schliesst gleichsam an das Diongedicht an. Auch nach seinem tragischen Ende war Dion immerhin gluecklich, von seinen Heimatgenossen in der Erinnerung geehrt zu werden. Hier klingt mit, dass die staerkere Tragik Platos auch in seinem Gefuehl bestand, von den Seinen diese Ehrung durchaus nicht zu erfahren. Vielleicht machte sein Stolz ihn blind gegen die stille Hingabe mancher nicht so wortreicher Athener. Jedenfalls hat, wer immer Plato als Autornamen ueber Pindars Grabschrift setzte, das Gefuehl ausdruecken wollen: der thebanische Dichter, der in den Dialogen einige Male mit grosser Verehrung als Verkuender von Mysterien zitiert wird, war, ebenso wie Dion, gluecklicher als Plato: trotz seiner aristokratischen Unabhaengigkeit liebten ihn Fremde und Mitbuerger. Sappho (III), an deren kurzer Preis in " Phaidros " erinnert sei, wird durch ein pythagoreisches Symbol gefeiert: unter den Musen ist sie die zehnte, also die Traegerin der vollkommenen Zahl. Auch Aristophanes (IV) erfaehrt eine Art mystischen Preis in geistreicher Umkehrung. Waehrend sonst bei Plato immer ein sichtbar begrenztes Bild symbolisch die Gegenwart goettlicher Seelengewalt anzeigt, zeigt hier die Seele des uebermuetigen Mythendichters aus dem Symposion das begrenzte Bild eines Heiligtums der Charitinnen an.

Die drei Knabenepigramme, die den himmlischen Eros feiern, bringen in der ganzen Reihe den klarsten Ausdruck platonischer Philosophie. Die Liebe zu dem lebenden "Stern", Aster (V) der, vielleicht in astronomischer Arbeit seinem Lehrer nahe, zu den Sternen aufblickt, leitet in diesem durch die Geste seines schoenen Koerpers den erotischen Aufschwung zum Himmel, sodass der Verzueckte der Himmel selbst sein moechte— wohl der hoechste Ausdruck der Durchdringung des Menschen

ein anschauliches Bild der Zerstoerung—darum strenger noch als die Dichtung Homers aus seiner idealen Gemeinde verbannt. Hier erscheint sie in dreifacher Stufung des Vernichtens. Hekabe und die Frauen von Jlion sind unmittelbar Tragoedienfiguren. Sie sind dem Greis gegenwaertig, weniger aus dem Epos als aus einer unausloeschlichen Jugenderinnerung, der ersten Auffuehrung der erschuetternden "Troerinnen" des Euripides im Jahre 415 v. Chr., denen der damals zwoelfjaehrige gewiss beiwohnte. Tragischer als diese von vornherein zum boesen Untergang bestimmten Frauen ist Dion, weil sein Untergang in schroffem Abbruch edelster Hoffnungen bestand. Aber der Held der Tragoedie "an sich", das Opfer reiner Vernichtung ist Plato, dessen Eros fuer Dion ihn viele Jahrzehnte seines Lebens mit verzehrendem Wahnsinn schlug...Auch das zweite (Anhang VIII), im engeren Sinn biographische Epigramm enthuellt die gefaehrliche und quaelende Wirkung des Eros. Der Dichter spricht zum eignen Thymos, d.h. zur eigenen "Seele", sofern ihre Leidenschaft sowohl edlem Geist wie boesen Begierden dienen kann. Er wirft ihr Schwaeche vor gegenueber einem geliebten Knaben, Alexis, der, jedenfalls unter diesem Namen, uns sonst voellig unbekannt ist. Er hat seine Schoenheit gelobt und ihn damit in die Gefahr unedler Eitelkeit infolge allgemeiner Bewunderung gestuerzt. Auf diese Art hat er schon den geliebten Phaidros "verloren" oder "verdorben"—oder beides! Dieser Phaidros kann unmoeglich der historische des "Gastmahles" und des "Phaidros" sein, der schon im "Protagoras", also vor Platos Geburt, als Knabe erscheint. Gewiss gehen wir nicht fehl anzunehmen, dass Plato den historischen Namen einem geliebten Juengling verlieh, den er, als etwa Sechzigjaehriger, in dem grossen erotischen Dialog "Phaidros" verherrlichte. Moeglich, dass diese intime Ehrung, wenn sie auch der Oeffentlichkeit unbekannt blieb, den jungen Mann uebermuetig machte und den Anstoss zur Fehlentwicklung seines Charakters gab. Aufschlussreicher fuer die dichterische Tiefe Platos waere die Moeglichkeit, dass der erotische Kampf mit dem unbeherrschten Lob und dem Abfall

Taten der Staatsmaenner und Feldherrn, oder ganzer Staedte und ihrer Heere. Als Inschrift ziert er praechtige Tempel und stille Heiligtuemer, Privatraeume und Sockel von Statuen und Weihebildern und schliesslich, alle nur denkbaren Ereignisse des Lebens und Gestaltungen des Lebendigen im Augenblick des Todes zusamenfassend und verklaerend: das Grab.

Es scheint nicht zufaellig, dass der eigentliche Meister des populaer gepraegten Epigramms von dichterischer Wuerde, dass Simonides von Keos in der Epoche der Perserkriege, also des echtesten gemeingriechischen Enthusiamus, der schon in sich selbst ein dichterisches Element war, lebte und wirkte. In dieser Rolle des Bringers populaerer Schoenheit, die immer auch zugleich bei den Griechen populaere Weisheit ist, fuehrt Plato mit ironischem Lob den Simonides im "Protagoras" ein. Indirekt rechtfertigt er damit gleichsam seine eigne Epigrammproduktion innerhalb seines streng philosophischen Wirkens. Dieses bekaempft das poetische Vergeuden von politsch-mystischen Werten. Aber warum soll nicht mit Selbstironie ein gelegentliches anmutiges Spiel erlaubt sein? Immerhin ist es wohl kein Zufall, dass alle Epigramme Platos in sein Greisenalter weisen, dessen philosophische Praegung mit dem "Phaidros" beginnt. Erst nach dem grimmig ernsten Kampf gegen den Dichter Homer, der in der "Politea" zum Abschluss kam, war die Entspannung gegeben, in der der koenigliche Weise hohe Gedanken in Formen der Lust zu fangen geneigt war. Wahrscheinlich hat er viele solche Verse und kleine Idyllen verfasst und dann doch wieder mit der heftigen Strenge, die fuer sein hohes Alter eben so charakteristisch ist wie die poetische Laune, vor einer neugierigen Jugend und Nachwelt unterdrueckt.

Zwei Epigramme druecken so persoenliche Gefuehle Platos gegenueber bestimmten Zeitgenossen aus, dass sie auch im technischen Sinn als zweifellos echt gelten muessen. Das erste davon (Anhang I) ist ein tragischer Gruss an den eben ins Grab gesunkenen Dion, also bestimmt von dem weit ueber 70-jaehrigen verfasst. Die attische Tragoedie war fuer den Philosphen immer

Zeit sein eigenes Epigramm mit den Namen Platos schmueckte, wollte damit zweifellos ausdruecken, dass es von dem erlauchten Philosophen stammen koennte, also irgend etwas von seinem Geist in dieser spielenden Form enthielt. Das gleiche gilt von Sammlern, die ueber ein anonymes oder ungewiss benanntes Distichon den Namen Platos setzten. Grundsaetzlich haben fuer unseren Zweck all diese zarten Gebilde die gleiche Bedeutung: sie sind ein Zeugnis des Weisen in einem kurzen Spiegelreflex, gleichgiltig gegen die Frage, ob dieser ihm selbst oder einem Nachahmer zu verdanken ist.

Unter allen Umstaenden ist es gewiss, dass Plato sich gelegentlich in Epigrammen ausgedrueckt hat. Denn das taten die Griechen insgesamt, von den hoechsten Dichtern bis zu zahllosen Vertretern einer breiten Menge, soweit sie nur wirklich griechisch zu reden, das heisst, dichterisch mitzuklingen vermochten. Durch seine eignen und die ihm zugeschriebenen Epigramme erscheint Plato fuer uns einfach als Traeger der hellenischen Kultur in einer ihrer zartesten, aber dennoch—wenigstens im Westen—unvergleichlichen Manifestationen. Von ihr gibt es noch eine einigermassen gelungene Nachahmung bei den Roemern, aber nichts Entsprechendes mehr bei den europaeischen Nationen. Seitdem des Distichon, also die festgepraegte Einheit eines Hexameters und eines Pentameters, als Ausdrucksmittel politischer Lyrik gefunden war, also, soweit wir wissen, seit Kallinos im 7. Jahrhundert, wurde es ein klassisches Symbol des dichterischen Lebens, das wir Hellas nennen. Metrisch ist es ein komplizierter Koerper. Seine populaere Beherrschung zeigt schon als solche die Hoehe der artistischen Kultur des Wortes bei den Griechen. Es streut ueber das gesamte Dasein geistige Funken, die an den manigfaltigsten Stellen des Kulturraumes als Einheit von Leben und Dichtung aufleuchten. Ein Funke begruesst den Neugeborenen, er beglueckwuenscht den athletischen Sieger und den heimkehrenden Krieger, er preist den geliebten Knaben und spielt mit dem geliebten Maedchen, er verspottet den politischen und den geistigen Gegner, er lobt die

DIE EPIGRAMME PLATOS

VON

HELMUT VON DEN STEINEN

Unter dem Namen Platos sind ausserhalb seines grossen Werkes aus dem Altertum eine Reihe von Epigrammen ueberliefert, die schon vielfach diskutiert wurden. Sie bieten kaum wissenschaftliche Probleme. Die Hauptfrage, die man ihnen gegenueber erheben kann, ist naturgemaess diese: enthalten sie irgend etwas von platonischer Philosophie? Zweifellos sind sie kleine Spiele. Schimmert durch sie ein tiefer Ernst hindurch? Im folgenden wollen wir versuchen, hierauf eine systematische Antwort zu geben.

Es sind im ganzen 32 Stuecke, alle in Distichen (ein- bis vierfachen), dazu ein kleines Stueck von 7 Hexametern, vielleicht ein Fragment. Man findet sie jetzt mit vollem Apparat uebersichtlich zusammengestellt in der Anthologia lyrica Graeca, Fasc. I (ed. Ernst Diehl, 3. Aufl., Teubner, 1949). Sie waren alle in spaetantike Anthologien von Epigrammen aufgenommen, elf von ihnen ausserdem in die Platobiographie des Diogenes Laertios. Einige finden wir auch gelegentlich bei griechischen und lateinischen Schriftstellern zitiert, einige auch ins Lateinische uebersetzt. Das wichtigste jedoch ist: bei vielen ist der Autorname Platos nur als Alternative neben anderen, spaeteren Epigrammendichtern angegeben. Die antiken Leser und Sammler verfuegten also selbst ueber keine eindeutige Kenntnis der Ueberlieferung. Trotzdem waere es verfehlt, hier das schwere Geschuetz der Echtheitsuntersuchung aufzufahren. Es liegt in der Natur dieser winzigen Wortgebilde, dass sie leicht und erfolgreich imitiert werden koennen. Wer immer in hellenistischer

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

PAGE

HELMUT VON DEN STEINEN
Die Epigramme Platos 1

VLADIMIR VIKENTIEV
La Légende d'Osiris à Travers le Monde 15

RAOUL KAMEL
Bibliographie de l'Œuvre de Romain Rolland 37

DR FARĪD SHĀFI'Ī
An Early Fāṭmid Miḥrāb in the Mosque of Ibn Ṭūlūn 67

MARK RITTER SPONENBURGH
A Modular System in Pharaonic Statuary 85

MUSTAFA AMER and IBRAHIM RIZKANA
Excavations in Wadi Digla 97

WAHEEB KAMEL
The Bacchides of Plautus: its Plot and Origin 101

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XV—PART I

MAY 1953

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Fouad I University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to the Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

CAIRO
FOUAD I UNIVERSITY PRESS
1953





المجلد الخامس عشر — الجزء الثانى

ديسمبر سنة ١٩٥٣

مطبعة جامعة القاهرة

١٩٥٣

تصدر هذه المجلة مرتين فى السنة . فى مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة
جامعة القاهرة بالجيزة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى المشرف على تحريرها السيد عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة بالجيزة

فهرس القسم العربى

الدكتور محمد متولى . . .	كوكب الأرض ، خصائصه المميزة وأثرها في حياة الكائنات	١
الدكتور ابراهيم أحمد رزقانه	المعابر الأرضية فى عصر البليستوسين . .	١٧
الدكتور مصطفى الخشاب	طقوس انتشيوما ، بحث فى الاجتماع الدينى	٣١
الدكتور محمد محمود الصياد	مناخ غرب الدلتا	٥١
الدكتور عبد اللطيف حمزه	بعض بذور الشخصية المصرية فى الأدبين القديم والوسيط	٨٧

كوكب الأرض

خصائصه المميزة وأثرها فى حياة الكائنات

للدكتور محمد متولى

الأرض فرد من أفراد المجموعة الشمسية ، وهذه هى المجموعة الوحيدة من بين المجموعات الكثيرة التى يتألف منها الكون التى نعرف عنها من الحقائق أكثر مما نعرف عن غيرها .

وتتألف هذه المجموعة من نجم عظيم يشغل مركزها وهو الشمس ومن عشرة كواكب تدور حول هذا النجم فى اتجاه واحد من الغرب إلى الشرق وفى مستوى واحد هو مستوى الخسوف والكسوف ، وهذه الكواكب هى : عطارد ، والزهرة ، والأرض ، والمريخ ، والكويكبات ، والمشترى ، وزحل ، وأورانوس ، ونبتيون ، وبلوتو .

والأرض كتابع من توابع الشمس لها خصائص تميزها عن بقية الكواكب فهى من حيث موقعها بالنسبة للشمس، ومن حيث حجمها وكتلتها، ومن حيث ميل محورها عن العمودى، ثم دورانها حول نفسها وحول الشمس، ومن حيث طبيعة الغلاف الغازى المحيط بها ، ومن حيث توزيع اليابس والماء فوق وجهها ، من هذه النواحى جميعا تتميز بخصائص معينة . وليس من شك فى أن الانسان ككائن حى قد تأثر بتلك الخصائص وتأثرت معه بقية الكائنات التى تعيش على وجه الأرض سواء كانت حيوانية أو نباتية . وفيما يلى بيان موجز لأثر تلك الخصائص فى مختلف الكائنات :

أثر موقع الأرض :

ترسل الشمس أشعتها فى فضاء الكون فتتلقى الكواكب المختلفة نصيبها منها وتكتسب من ذلك الضوء والحرارة .

ويختلف مايصيب الكواكب من هذه الأشعة باختلاف بعدها عن الشمس فالأرض التي تبعد عن الشمس بنحو ٩٣ مليون ميل لا تكتسب من الأشعة إلا ١/٢ مليون مما ترسله الشمس. وأما الزهرة وهي أقرب إلى الشمس من الأرض فانها تتلقى من أشعة الشمس ضعف ما يصيب الأرض . وأما عطارد وهو أقرب إلى الشمس من الزهرة ومن الأرض ، فانه ينال من أشعة الشمس سبعة أمثال ماتناله الأرض .

والقدر الضئيل الذى تناله الأرض من أشعة الشمس كفيل بأن يكسب الأرض الحرارة التى تكفي لحياة الكائنات المختلفة التى تعيش على سطحها . فهو الذى مهد للغابة الاستوائية بأشجارها الضخمة وأوراقها العريضة سبيل النمو فى العروض الدنيا ، وهو الذي ساعد على إنبات الحب وإنضاج الثمر فى أنحاء الأرض المختلفة ، وهو الذى أعان الحيوان على الحياة فى الوطن الملائم له ، ومهد للانسان سبيل الاقامة فى كل ركن من أركان العالم .

أثر الحرارة فى حياة الانسان :

وإذا درسنا حاجة الكائنات المختلفة التى تعيش على سطح الأرض من حيث مايلزم لها من الحرارة لكى تعيش وتزدهر تبين لنا أن هناك تجاوبا تاما بين تلك الكائنات وبين ما تكتسبه الأرض من حرارة الشمس . وليس أدل على ذلك من أن لكل جزء من أجزاء سطح الأرض ، بل ولكل إقليم من أقاليمها أنواعا خاصة من الكائنات النباتية والحيوانية تتفق طبيعتها مع الظروف التى يتميز بها ذلك الأقليم ، وبصفة خاصة ظروف الحرارة .

وإذا أخذنا الانسان مثلا لذلك وجدنا أنه أقوى الكائنات وأقدرها على تحمل الحر والبرد ، ومع ذلك فحدود الحرارة التى يستطيع الحياة في نطاقها محدود للغاية . وتفسير ذلك :

أن معدل الحرارة الداخلية لجسم الانسان يبلغ ٣٧° مئوية .
وأن أقصى مايرتفع اليه هذا المعدل هو ٤١° مئوية .
وأن أدنى مايهبط إليه هو ٣٦° مئوية .

وأن وراء هاتين النهايتين نهاية حياة الإنسان .

ومعنى هذا أن مدى الحرارة الداخلية التي يبقى فيها جسم الإنسان حيا لا يتعدى خمس درجات مئوية .

هذا فيما يتعلق بالحرارة الداخلية لجسم الانسان . أما مقدار ما يتحمله الجسم من حرارة خارجية فانه هو الآخر يقع فى نطاق محدود . فاذا تراوحت حرارة الجو مثلا بين ١٥° مئوية وبين ٢٠° مئوية فأنها تكون منعشة . أما إذا علت إلى ٤٠ و ٤٥° فانها تكون حارة مرهقة . وإذا هبطت إلى الصفر فأنها تكون باردة ، أما إذا بلغت ٢٠° أو ٢٥° تحت الصفر فانها تكون قاسية . وجميع هذه الدرجات مما يحتمله جسم الانسان وهى مألوفة فى مختلف جهات الأرض .

أما إذا علت درجة حرارة الجو حتى بلغت ٥٠° مئوية أو هبطت الى ٥٠° تحت الصفر المئوى فان الانسان يقاسى كثيرا منها ثم إنه لا يستطيع الحياة إلا إذا اتخذ الاحتياطات اللازمة ، وهو إذا اتخذها لا يستطيع المقاومة طويلا .

ومعنى هذا أن أى تغيير يصيب موقع الأرض فى المجموعة الشمسية كأن يجعلها تقترب من الشمس عما هى عليه أو يجعلها تبتعد عنها سيؤدى حتما إلى زيادة فى مقدار الحرارة التى تكتسبها الأرض من الشمس أو الى نقصان فى ذلك المقدار ، وفى كلا الحالتين سيتغير التوزيع الحالى لدرجات الحرارة على وجه الأرض ، الأمر الذى ينشأ عنه اتساع المناطق التى تتعذر فيها حياة الانسان هو وما يماثله من كائنات .

أثر الحرارة فى الماء :

وللحرارة التى تكتسبها الأرض الآن — نتيجة لموقعها الحالى بالنسبة للشمس — أثر آخر فى الكائنات التى تعيش على سطح الأرض فهى بدرجاتها المعروفة فى أغلب جهات العالم تساعد على بقاء المياه على سطح الأرض فى حالة سائلة .

والحياة كما نعرفها على سطح الأرض لا تكون ميسورة أو ممكنة إلا إذا ظل المـاء الذى تنتفع به الكائنات جميعا فى حالة سائلة .

فالنبات الذى يستمد غذاءه من التربة لا يستطيع الحصول على هذا الغذاء إلا إذا ذابت عناصر التربة فى المـاء أو تحللت فيه وبذا يسهل امتصاصها مع المـاء .

فاذا تجمد المـاء المتسرب خلال التربة بفعل البرودة وتحول إلى مادة صلبة فان عملية الامتصاص تكون متعذرة . وإذا تبخر المـاء بفعل الحرارة الشديدة تعذرت عملية إذابة العناصر التي يتغذى بها النبات ، وفى كلا الحالتين يعجز النبات عن الحصول على حاجته من الغذاء فيموت .

ويمكن تطبيق هذه الظاهرة على الإنسان والحيوان لأن الدم الذى يجرى فى عروقها يحتوى على نسبة عالية جداً من المـاء ، وهذا المـاء هو الذي يساعد على إذابة العناصر التي يتغذى بها الجسم ، وهو الذى ينقلها معه وهو يجرى فى الشرايين إلى مختلف الخلايا لكى تنتفع بها . كما أنه هو الذى يجمع من أجزاء الجسم المختلفة الفضلات التى تتخلف فيها بعد عملية التغذية وينقلها معه فى الأوردة إلى القلب ثم إلى الرئتين لكي يتخلص منها الجسم .

وليس هناك على وجه الأرض سائل آخر يستطيع أن يحل محل المـاء فى أداء هذه الوظيفة الهـامة ، وهو لهذا ضرورى جداً للحياة .

يضاف إلى ما سبق أن البروتوبلازم (Protoplasm) وهو أساس الحياة فى الكائنات جميعا يتألف فى أغلبه من ماء ، إذ تتراوح نسبة المـاء فيه بين ٦٠ ٪ أو ٧٠ ٪ والحرارة التى تكتسبها الأرض من الشمس الآن ملائمة لحياة البروتوبلازم كل الملاءمة . فاذا أصابها أى تغيير كأن زادت عما هى عليه الآن نتيجة لاقتراب الأرض من الشمس أو هبطت عن معدلها الحالى نتيجة لابتعاد الأرض عن الشمس فان حياة البروتوبلازم تتعرض للخطر ويتعرض معها لنفس هذا الخطر حياة الكائنات جميعا . وليس يخاف أن البروتوبلازم يتعرض للفناء وأن مادته تتعرض للانحلال إذا زادت الحرارة التى يتعرض لهـا عن درجة الغليان أو هبطت إلى ما دون الصفر .

أثر ضوء الشمس :

ترسل الشمس أشعتها في فضاء الكون فترسل الضوء والحرارة إلى الكائنات التي تعيش على سطح الأرض فتبعث فيها الدفء والحياة . والضوء عنصر هام من العناصر التي تفيد منها الكائنات ، لهذا كان توزيع الكائنات على سطح الأرض متأثراً إلى حد كبير بتوزيع الضوء .

وإذا درسنا توزيع الضوء على سطح الأرض وجدنا أنه يختلف من جهة إلى جهة ، ومن وقت إلى آخر ، حسب الزاوية التي تسقط بها أشعة الشمس على الأرض . والقاعدة أن الأشعة إذا سقطت عمودية أو قريبة من العمودية فإنها تعطى الأرض قدراً من الضوء والحرارة أعظم مما تعطيه الأشعة المائلة . لهذا كانت الجهات الاستوائية أكثر حرارة وأشد ضوءاً من الجهات القطبية ، وكانت الظهيرة أوفر ضوءاً وأعلا حرارة من الصباح أو المساء .

ولضوء الشمس بعض الخصائص الكيماوية التي تؤثر تأثيراً كبيراً في الخلايا الحية . والأطباء جميعا يعرفون فضل الأشعة البنفسجية التي تصحب ضوء الشمس في تنمية الأنسجة المختلفة لعضلات الجسم ، وفي مغالبة العلل ومعالجة الأمراض . لهذا كان التطبب بأشعة الشمس من الأمور المسلم بها .

ولكن الضوء الذي يصحب هذه الأشعة سيتأثر من غير شك إذا تغير الموقع الذي تشغله الأرض في الوقت الحالي من المجموعة الشمسية . فإذا اقتربت الأرض من الشمس عما هي عليه الآن فإن الضوء سيزداد قوة ، أما إذا بعدت فإنه سيضعف لا محالة . ولا يدرى إنسان إن كانت أشعة الشمس ستبقى في كلا الحالتين محتفظة بخصائصها العديدة التي يفيد منها النبات والحيوان ، ولكن الذي لا شك فيه هو أن أشعة الشمس إذا اشتدت عما هي عليه أو ضعفت عما هو مألوف في جهات العالم المختلفة فإن الكائنات جميعا ومن بينها الإنسان ستتعرض للون من التغيير قد لا تقوى على احتماله .

حجم الأرض وكتلتها وأثرها فى الحياة :

عرف العلماء منذ زمن طويل الأبعاد المختلفة لكوكب الأرض وتمكنوا من تقديرها تقديراً عملياً دقيقاً . فعرفوا أن محيط الكرة الأرضية يبلغ ٢٥ ألف ميل ، كما عرفوا أن أقطارها ليست متساوية الطول ، وأن القطر القطبي وهو أقصرها جميعاً يبلغ ٧٩٠٠ ميل ، وأن القطر الاستوائى يبلغ ٧٩٢٧ ميلا .

وقد عرفوا كذلك كتلة الأرض ومتوسط كثافتها وتوصلوا إلى ذلك بطريقة علمية أساسها القاعدة التى تحدد القوى التى تتجاذب بها الأجسام المختلفة . فبواسطة القوة التى تجذب بها الأرض جسما ما ذا كتلة معروفة وبعد معين أمكن تقدير كتلة الأرض .

ولكتلة الأرض تأثير كبير فى قوة الجذب التى تخضع لها جميع الأجسام . ولولا عظم هذه القوة لما تمكنت الأرض من الاحتفاظ بالغلاف الغازى الذى يحيط بها . ويذكر العلماء أن الأرض فى بدء تكوينها كانت أصغر حجما وأقل كتلة مما هى الآن . لهذا لم تستطع الاحتفاظ بشىء من الغازات حولها ، ولكنها بعد أن كبرت توفر لها من قوة الجذب ما مكنها من الاحتفاظ ببعض الغازات . ويقال إنها لم تبدأ فى الاحتفاظ بالغلاف الغازي المحيط بها إلا بعد أن بلغ طول قطرها ٤٠٠٠ ميل تقريباً . أما قبل ذلك فكانت قوة الجذب فيها أضعف من أن تحتفظ لها بأى غاز من الغازات التى يتألف منها الهواء . ويقال أيضاً إن القمر لم يستطع حتى الآن الاحتفاظ بأى غلاف غازى حوله لأنه ما زال صغير الجسم والكتلة .

والقاعدة العامة أن وزن أى جسم من الأجسام التى توجد على وجه الأرض يتوقف على عاملين هما : كتلة الأرض ، وكتلة هذا الجسم . وما الوزن إلا مقدار القوة التى ينجذب بها الجسم نحو الأرض . ويختلف هذا المقدار تبعاً لكتلة الأرض وهى الكوكب الذى يسبب الجذب ، وكتلة الجسم الذى يخضع لهذا الجذب .

وبالنسبة لأن كتلة القمر أصغر من كتلة الأرض فان العلماء يقدرون قوة جذب القمر للأجسام التى تقع عليه بسدس قوة جذب الأرض لها ، فاذا بلغ وزن إنسان ما على سطح الأرض ٧٥ كج مثلا فانه لا يزن على القمر سوى ١٢ ½ كج . ولا يزن على عطارد سوى ٣٢ كج . أما على جسم كبير كجسم الشمس فانه يزن طنين أو ثلاثة أطنان ، وعندئذ لا يقوى هيكله العظمى على حمل هذا الجسم الثقيل بل إنه يتهشم تحته ويتحول إلى حطام .

ومن هذا نستطيع أن ندرك أن الانسان بصورته الحالية سواء من ناحية حجمه أو مقدرته على الاحتمال هو أنسب الصور وأكثرها ملاءمة لكتلة الأرض .

قوة الجذب وأثرها فى النشاط البشرى :

ليس هناك من ينكر ما لقوة الجذب كعامل يحدد الأوزان من أثر عميق فى النشاط الذى يبديه الانسان على وجه الأرض . فقوة جذب الأرض هى التى تنهك قوى الانسان وتحل التعب فى جسمه ، وهى التى تقيم الصعاب فى سبيله وتشعره بالعجز أمامها . فالمسافات إذا بعدت شق عليه قطعها ، والجبال إذا علت صعب عليه تسلقها ، والبحار إذا اتسعت تعذر عليه عبورها ، والأحمال إذا ثقلت صعب عليه رفعها . وهذا كله أثر من آثار جذب الأرض .

ولكن العقل البشرى لم يقف جامداً أمام هذه الصعاب بل إنه تفتق عن حيل كثيرة مكنته من تخفيف القيود التى فرضتها عليه قوة جذب الأرض . وإذا نظرنا إلى ما وصل إليه من مخترعات حديثة كالروافع والعجلات والسفن والطائرات تبين لنا أن الانسان لم يقصد بهذا كله إلا أن يتحرر بعض الشىء من القيود التى فرضتها عليه قوة جذب الأرض ، وأنه قد نجح إلى حد بعيد فى بلوغ الغاية التى يهدف إليها .

الغلاف الغازى وأثره :

يتألف الهواء المحيط بالكرة الأرضية من مجموعة من الغازات أهمها : الأكسجين والأزوت ، ولهذين الغازين أهمية كبيرة وأثر عظيم فى حياة الكائنات ، يدل على ذلك أن عمليتى التنفس والتمثيل الكلوروفلى ، وهما قوام الحياة الحيوانية والنباتية تعتمدان اعتماداً كاملا على هذين الغازين .

وللأكسجين ، بصفة خاصة ، أثر مباشر فى النشاط البشرى ، فاذا زاد المقدار الذى يستنشقه الانسان منه ، فان مقدرته على الحركة وعلى النشاط تزداد ، أما إذا نقص فان الجسم يضعف ولا يقوى على بذل مجهود كبير . وتبدو هذه الظاهرة واضحة فى سكان الجهات المنخفضة الذين يذهبون إلى الجهات الجبلية ، ففي المستويات العالية حيث يكون الهواء مخلخلا ونسبة الأكسجين أقل منها فى المستويات المنخفضة لا يقوى الانسان الغريب عن الاقليم على بذل مجهود جسمانى كبير .

أما السكان الأصليون فبالنسبة لأن الطبيعة قد وهبتهم رئتين كبيرتين وصدراً عريضا فانهم يستطيعون بفضل هذه الميزة التزود بالقدر الذى يكفى من غاز الأكسجين لاحتفاظهم بالنشاط والمقدرة على بذل المجهود الجسمانى .

وتبدو نفس الظاهرة فى سكان الجهات الجبلية عندما يهبطون من المستويات العالية التى يعيشون فيها إلى المستويات المنخفضة فى السهول والوديان . إذ أنهم يبدون نشاطا غريباً فى الحركة وفى العمل . ومرجع ذلك بطبيعة الحال أنهم بما يمتازون به من كبر فى أجهزة التنفس أقدر من سكان الأراضى السهلة على الانتفاع بمقادير كبيرة من الأكسجين .

ويتمتع سكان المستويات المرتفعة من الجهات الجبلية بهبة أخرى ويتميزون بها عن سكان الأراضى المنخفضة هى كثرة ما يوجد فى الدم من الكرات الحمراء . والكرات الحمراء هى التى تحمل الاكسجين إلى أجزاء الجسم المختلفة وتوزعه على الخلايا والعضلات . فكثرتها لدى سكان الأراضى الجبلية

تعوض النقص فى غاز الاكسجين الناجم عن خلخلة الهواء وتساعد الأجسام على الانتفاع بقدر كاف من الاكسجين يمكنها من النشاط ويساعدها على بذل الجهد .

هذا هو شأن الانسان ، أما الكائنات الأخرى فانها تنتفع هى أيضاً بقدر معين من الغازات المختلفة التى يتألف منها الهواء ، فاذا أصاب هذا الهواء أى تغيير ، كأن قلت نسبة غاز من غازاته ، أو زادت نسبة غاز آخر ، فليس من شك فى أن حياة الكائنات كما نعرفها الآن ستضطرب وسيعترضها كثير من التعديل والتغيير .

أثر دوران الأرض :

كلنا يعرف أن دوران الأرض حول محورها ينشأ عنه تعاقب الليل والنهار وأن دورانها حول الشمس ينجم عنه تعاقب الفصول المختلفة . وليست هذه الظاهرة قاصرة على كوكب الأرض وحده إذ أن الكواكب الأخرى تدور هى أيضاً حول محورها وينشأ عن ذلك تعاقب الليل والنهار ، كما تدور حول الشمس ، وينشأ عن ذلك تعاقب الفصول .

دوران الأرض حول محورها :

والمدة التى يتم فيها الكوكب دورته حول نفسه ، هى التى تحدد طول اليوم (الليل والنهار معاً) فاذا كانت كما هو الحال فى كوكب الأرض ٢٤ ساعة كان طول اليوم ٢٤ ساعة وإذا كانت أسبوعا أو شهراً كان طول اليوم أسبوعا أو شهرا .

وما يعنينا فى هذا الأمر أن المدة إذا طالت طولا كبيرا كأن صارت بضع شهور مثلا فان الوقت الذى يتعرض فيه أى جزء من أجزاء هذا الكوكب لأشعة الشمس يطول هو الآخر وينجم عن ذلك أن حرارة الشمس تشتد فى هذا الجزء اشتدادا لايسمح ببقاء أى نوع من أنواع الحياة التى نعرفها على وجه الأرض ، ويطول بالمثل الوقت الذى تختفى فيه أشعة

الشمس عن أي جزء من أجزاء هذا الكوكب، وينجم عن ذلك بطبيعة الحال أن تشتد البرودة فيه اشتدادا يقضي على كل كائن حي .

ولدوران الأرض حول محورها آثار أخرى في الحياة ، فحركتها من الغرب إلى الشرق هي التي جعلت الشمس تبدو لنا وكأنها تتحرك من الشرق إلى الغرب وبذلك حددت ظهورها في كل يوم من جهة المشرق وحددت غروبها في جهة المغرب .

وهي التي جعلت النجوم تحذو حذو الشمس وتتحرك حركة ظاهرية من الشرق إلى الغرب، أي في عكس الاتجاه الذي تتحرك فيه الأرض .

ودوران الأرض حول محورها هو الذي أثر في الرياح الدائمة وجعلها تلزم في حركتها اتجاها معينا هو الاتجاه الذي حدده قانونا فرل وبايز بالوت .

وينص القانون الأول على أن الرياح إذا تحركت على سطح الأرض فانها تنحرف إلي يمينها وهي سائرة نحو الاتجاه الذي تقصده إذا كانت في نصف الكرة الشمالي، وتنحرف إلى يسارها إذا كانت في نصف الكرة الجنوبي .

أما القانون الثاني فانه ينص على أن الرياح إذا تحركت بين مناطق الضغط المختلفة فانها تسير في نصف الكرة الشمالي بحيث تجعل مناطق الضغط المرتفع على يمينها ، ومناطق الضغط المنخفض على يسارها . أما في نصف الكرة الجنوبي فانها علي العكس من ذلك تسير بحيث تجعل مناطق الضغط المنخفض على يمينها ، ومناطق الضغط المرتفع على يسارها .

وبتطبيق هذا القانون على الرياح الدائمة التي تهب على وجه الأرض ، نجد أن الرياح العكسية التي تهب في نصفي الكرة الشمالي والجنوبي تنحرف نحو الشرق انحرافا كبيراً جعل العلماء يسمونها الرياح الغربية .

ومن نتائج هذا الانحراف أن تعرضت الجهات الغربية من القارة الأوروبية لهبوب الرياح الغربية التي تأتي من المحيط الأطلسي حاملة معها الدفء والمطر ، الأمر الذي دعا إلى قيام حياة نباتية وحيوانية غنية بهذه الجهات وإلى ازدياد النشاط البشري فيها ازدياداً منقطع النظير .

أما الجهات المواجهة لها فى شرق أمريكا الشمالية فانها لم تخضع مثل غرب أوربا لهبوب الرياح الغربية الدافئة ، وبذا ظلت عظيمة البرودة قليلة الموارد .

وإذا تخيلنا الكرة الأرضية وقد اعتراها تغير فجائى فى حركتها اليومية فأصبحت تدور من الشرق الى الغرب، فماذا تكون نتائج هذا التغيير ؟ لاشك فى أن الرياح الدائمة ستغير اتجاهها ، فبدلا من أن تنحرف الرياح العكسية شرقا نحو القارة الأوربية تنحرف غربا نحو القارة الأمريكية وتنشر فى أراضيها الدفء والمطر . وبناء على ذلك تتحول أراضى لبرادور وجرينلاند والجهات الباردة فى شرقى أمريكا الشمالية إلى مناطق دافئة وتفتح موانئها للحركة الملاحية والتجارية طول العام ، وتدب فيها حياة جديدة نشيطة كالحياة التى نعرفها اليوم فى غرب أوربا .

أما غرب أوربا فانه سيتعرض حتما لرياح أخرى باردة آتية من وسط القارة بدلا من الرياح الغربية الدافئة التى تأتيه من المحيط الأطلسى ، وسيحرم من دفء تيار الخليج الذى تدفعه الرياح الغربية أمامها . وبناء على ذلك يتحول من منطقة رئيسية من مناطق النشاط البشرى فى العالم إلى منطقة باردة يكسوها الجليد أشبه ماتكون بمنطقة لبرادور الحالية وبمنطقة جرينلاند .

وما قيل عن الرياح الغربية التى تهب فى نصف الكرة الشمالى يمكن أن يقال عن الرياح المماثلة التى تهب فى نصف الكرة الجنوبى وعن غيرها من الرياح التى تهب فى جهات العالم المختلفة .

ومن ذلك نستطيع أن ندرك مقدار التغير الذى يمكن أن يصيب حياة الشعوب ومكانة الدول المختلفة فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية إذا ماطرأ أى تعديل أو تغيير على دوران الأرض حول محورها .

أثر هذا الدوران فى عادات الانسان

يقضى ناموس الطبيعة بأن الكائنات جميعاً ينبغى أن تنال قسطاً من الراحة مرة فى كل ٢٤ ساعة يستوى فى ذلك الانسان والحيوان والنبات . وإن دل

هذا النظام على شيء فانما يدل على مبلغ العملة التى تربط نظام الحياة بدورة الأرض حول محورها وبما ينجم عن تلك الدورة من تتابع الليل والنهار .

والمعروف أن التعب الذى يصيب جسم الانسان منشأه أن الجسم يستهلك مقدارا من الجهد يزيد كثيراً عن النسبة التى يعوضه بها وينتج عن ذلك تراكم كثير من الفضلات التى ينبغى على الجسم أن يتخلص منها حتى يتمكن من استعادة نشاطه ومقدرته على العمل . ولا يمكن التخلص من هذه الفضلات إلا إذا نال الجسم قسطاً من الراحة ، لهذا كانت فترة النوم التى يقضيها الانسان فى كل يوم ضرورة من ضرورات الحياة لأنها هى الفترة التى يسترد فيها الجسم ما بذله من جهد ويتخلص من الفضلات التى تراكمت فيه بسبب ما أدى من عمل ، وبدونها لا يستطيع الانسان أن يتابع العمل أو يستمر فى بذل الجهد .

وليس من الضرورى أن تتعاقب فترات الراحة والعمل فى كل يوم وأن يحصل الفرد على نصيبه منها مرة فى كل ٢٤ ساعة وإن كان أغلب الناس قد ألفوا هذه العادة وتعودوا هذا النظام .

ويبدو أن ممارسة الجنس البشرى لهذه العادة منذ ظهوره على وجه البسيطة حتى الآن جعلتها ضرورة من الضروراتالتى تنظم الحياة وتجعلها سهلة ميسورة وإذا فكرنا فى الحياة على كوكب آخر غير الأرض تكون المدة التى يدور فيها حول محوره أطول أو أقصر منها فى كوكب الأرض فكيف تكون فترات الراحة وفترات العمل وكيف تكون مواعيد الأكل ومواعيد النوم ؟

وإذا سلمنا بصحة ما يقوله العلماء من أن كوكب الزهرة يواجه الشمس بجانب واحد منه وأن هذا الجانب يتعرض دائماً أبدا الضوء الشمس فكيف يمكن تنظيم الحياة عليه ؟ واذا آمنا بأن كوكب المشترى يتم دورته حول محوره فى عشرة ساعات وبذا يكون طول كل من الليل والنهار خمس ساعات فقط فكيف يستطيع الانسان — اذا افترضنا أنه يعيش عليه — أن يرتب أوقاته وينظم حياته ؟ أغلب الظن أنه لن يستطيع تنظيمها على النحو الذى نعرفه فى كوكبنا .

دوران الأرض حول الشمس مع ميل محورها :

لقد نجم عن ظاهرتى ميل محور الأرض عن العمودى بمقدار ٢٣ ١/٢° ودوران الأرض حول الشمس مرة في كل عام مجموعة من الظاهرات الطبيعية يمكن إجمالها فيما يلى :

١ — ظاهرة الفصول الأربعة : وذلك لأن أشعة الشمس لا تسقط فى أية جهة من جهات الأرض بزاوية واحدة طول أيام السنة وإنما تختلف زاوية سقوطها من يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر . وينجم عن ذلك تغير كبير فى مقدار الحرارة التى تكتسبها الأرض من الشمس ، فالفصل الذى يزداد فيه اكتساب الأرض لحرارة الشمس إلى أقصى درجة يعرف بالصيف ، والفصل الذى يهبط فيه اكتساب الأرض للحرارة إلى أدنى حد يعرف بالشتاء ، وفصل الانتقال من الشتاء إلى الصيف يعرف بالربيع ، وفصل الانتقال من الصيف إلى الشتاء يعرف بالخريف .

٢ — تعاقب الفصول بنظامها الذى نعرفه وهو الشتاء ثم الربيع ثم الصيف ثم الخريف، والسبب فى ذلك أن أشعة الشمس إذا تعامدت على مدار الجدى مثلا فانها تنتقل بعد ذلك بالتدريج لكى تتعامد على خط الاستواء ، ثم على مدار السرطان، ثم على خط الاستواء مرة ثانية، ثم على مدار الجدى من جديد.

ففى شهر يناير تكون الشمس عمودية فى نصف الكرة الجنوبى ويحدث نتيجة لذلك صيف فى ذلك النصف ، وشتاء فى النصف الشمالى .

وفى شهر مارس تتعامد الشمس على خط الاستواء ويحدث ما يعرف بالاعتدال الربيعى ، وينتقل نصف الكرة الشمالي من الشتاء إلى الربيع ، وينتقل النصف الجنوبى من الصيف إلى الخريف .

وفى شهر يوليه تتعامد الشمس فى نصف الكرة الشمالى فيحدث صيف فى ذلك النصف وشتاء فى النصف الجنوبى .

وفى شهر سبتمبر تتعامد الشمس مرة ثانية على خط الاستواء ويحدث ما يعرف بالاعتدال الخريفى؛ وينتقل نصف الكرة الشمالى من الصيف إلى الخريف وينتقل النصف الجنوبى من الشتاء إلى الربيع .

وهذا معناه أن تتابع الفصول فى كل من نصفى الكرة يجرى على النحو الذي ذكرناه قبلا وهو الشتاء ثم الربيع ثم الصيف ثم الخريف .

٣ — اختلاف طول الليل والنهار : ولتفسير ذلك يمكن أن نذكر أن أطوال الليل ترتبط ارتباطا وثيقا بالفصول ؛ فالصيف يصحبه دائما نهار طويل وليل قصير، بعكس الشتاء فانه يصحبه ليل طويل ونهار قصير . أما الخريف والربيع فطول الليل فيهما يساوى طول النهار . ويرجع السبب فى ذلك إلى أن محور الأرض يميله عن العمودى بمقدار ٢٣,٥° يغير اتجاه نصف الكرة الأرضية بالنسبة للشمس .

فنى شهر يناير يكون النصف الجنوبى من الأرض متجها نحو الشمس وبناء على ذلك يكون الجزء الذى يتعرض لضوء الشمس من أية دائرة من دوائر العرض الواقعة فى هذا النصف أطول من الجزء الذى يحتجب عنه هذا الضوء، وهذا معناه أن النهار عند هذه الدائرة يكون أطول من الليل .

ويحدث عكس ذلك تماما فى نصف الكرة الشمالى، أى أن الجزء الذى يحتجب عنه ضوء الشمس من أية دائرة من دوائر العرض فى هذا النصف يكون أطول من الجزء الذى يتعرض للضوء. أى أن الليل يكون طويلا والنهار قصيرا.

وفى شهر يوليه يحدث العكس تماما ، فيتجه النصف الشمالى للكرة نحو الشمس فيطول النهار ويقصر الليل عنده . أما نصف الكرة الجنوبى فانه يتجه بعيدا عن الشمس ولا يناله من الضوء إلا قليلا؛ وبذا يطول ليله ويقصر نهاره .

هذه هى أهم الآثار التى تنجم عن ميل محور الأرض عن العمودى وهى كما نعرف ذات صلة وثيقة بحياة الانسان وحياة الكائنات التى تعيش معه على وجه الأرض . وليس من شك فى أن أى تغيير يصيب هذا الميل سيتبعه حتما تغيير فى تلك الآثار وفى مدى استجابة الانسان لها .

أما عن دوران الأرض حول الشمس فقد رأينا مما سبق أن الأرض تؤثر فى وزن الأشياء التى توجد على سطحها وفى مقدرة الانسان على الافادة من تلك الأشياء .

ورأينا أن قوة جذب الأرض تؤثر فى الأطوال التى يمكن أن تبلغها المبانى التى يشيدها الانسان والجسور التى يمدها فوق الأودية والأنهار وتؤثر فى المدى الذى يمكن أن تبلغه القذائف التى تطلقها الأسلحة النارية المتنوعة . وعرفنا أن ذلك كله مرتبط أوثق الارتباط بكتلة الأرض وحجمها .

ورأينا كذلك أن مقدرة الهياكل العظيمة المختلفة على حمل الأجسام سواء كانت للانسان أو الحيوان وكذا مقدرة عضلات الجسم على تحمل التعب والمشقة رأينا أنها تتفق مع ما تتطلبه جاذبية الأرض .

ورأينا أن الرئتين فى سعتهما والقلب فى حجمه تتفق أيضا مع ما يتطلبه الغلاف الغازى المحيط بالأرض .

ورأينا أن الانسان بتقسيمه اليوم بين فترة للعمل وأخرى للراحة قد استجاب لظاهرة دوران الأرض حول نفسها ولطول الوقت الذى تتم فيه الأرض هذه الدورة .

وسنرى الآن أن ارتقاء الإنسان فى سلم الحضارة وبلوغه المرتبة العظيمة التى وصل إليها قد نجم عن مجموعة من العوامل من بينها دوران الأرض حول الشمس وميل محورها عن العمودى .

ولتفسير ذلك يكفى أن نذكر أن المناطق المدارية بصفة عامة والاستوائية بصفة خاصة تتميز بارتفاع فى درجات الحرارة وبقلة فى الفرق الحرارى بين الفصول المختلفة ولهذه الحرارة المرتفعة التى تظل على وتيرة واحدة طول أيام السنة أثرها فى الحياة النباتية لأنها تجعل مواسم الانبات ومواسم الأثمار مستمرة طول العام ، وبناء على ذلك فلا يكون بالانسان حاجة إلى أن يتعلم الادخار لأن الطبيعة تمده بالمواد الغذائية فى أى وقت يشاء ومن ثم كانت رغبته فى العمل قليلة ، ومقدرته على الاختراع والابداع محدودة ،

ثم إن الحرارة المرتفعة من ناحية أخرى لا تتطلب من الانسان أن يفكر في ارتداء ملبس يتقي به لفحة البرد أو في إقامة مسكن يحتمى فيه ، ولهذه الحقيقة أكبر الأثر في حياة الانسان لأنها لاتدفعه إلى العمل أو بذل الجهد وبذا يبقى خاملا .

هذا على نقيض الأحوال السائدة في الجهات المعتدلة التي تتغير فيها الفصول بصورة واضحة ويعظم فيها الفرق الحراري بين فصل وآخر . ففي هذه الجهات يرى الانسان نفسه مضطراً إلى الاحتماء من البرد والمطر وإذن فلا بد له من إقامة المنازل والاستعانة بالملابس ، كما يرى نفسه مضطراً إلى العمل في مواسم معينة هي مواسم الانبات وذلك لكي ينتج المواد الغذائية الضرورية له ، ويرى نفسه مضطراً إلى أن يزيد الانتاج حتى يوفر لنفسه غذاء العام كله ومن ثم تتربى فيه ملكة الادخار .

هذه أمثلة يسيرة يستدل منها على أن تنوع الفصول واختلاف الحرارة من فصل الى فصل يعد عاملا من العوامل الرئيسية التي تدفع الانسان الى العمل والتفكير أو بعبارة أخرى تمهد له سبيل التقدم والرقي .

وإذا ذكرنا أن تغير الفصول الأربعة وتعاقبها في جهات الأرض المختلفة لم تحدث إلا نتيجة لدوران الأرض حول الشمس مع ميل محور الأرض عن العمودي بمقدار ٢٣,٥° كان معنى ذلك أن البشرية مدينة بشيء غير قليل من تقدمها وتطورها الى هذين العاملين .

المعابر الأرضية فى عصر البليستوسين

للدكتور ابراهيم أحمد رزقانه

لعصر البليستوسين أهمية خاصة عند علماء الجغرافية، إذ فيه ظهر الانسان وبظهور الانسان اكتملت الحقائق الجغرافية على سطح الأرض من مظاهر تضاريسية ومناخية ونباتية وحيوانية وبشرية. وتمتاز الحقيقة الأخيرة — وهى الانسان — بتأثيرها فى الحقائق الأخرى وإحداث التغير بها إلى جانب تأثرها بها وخضوعها لها. ومن هنا تزداد أهمية الدراسات البليستوسينية ويزداد تعقدها.

وغرضنا من هذا المقال أن نصف حالة سطح الأرض فى المناطق الفاصلة بين القارات، إذ أن الانسان وحيد النشأة، نشأ فى مكان واحد من أب واحد ثم انتشر إلى سائر أجزاء الأرض، حتى أصبح النوع الحيوانى الوحيد الذى يعمر كل البيئات على اختلافها بين السهل والجبل، والحار والبارد، والكثيف النبات والمقفر منه.

والسؤال الذى يتردد على الأذهان هو كيف استطاع الانسان أن ينتشر من وطنه الأصلى إلى سائر القارات مع ما بين هذه القارات وبين بعضها فى الوقت الحاضر من فواصل جبلية وصحراوية وبحرية ؟؟ ولا بد للاجابة على هذا السؤال من الاعتماد على المعلومات الجيولوجية إذ تساعد هذه المعلومات على فهم كثير من المشاكل المتعلقة بالهجرات البشرية، بل يمكن القول إن تاريخ العالم فى عصر البليستوسين لا يمكن أن يفسر إلا على ضوء المعلومات الجيولوجية أولا ثم على ضوء المعلومات المستمدة من الجغرافية الحيوية.

وسنقصر البحث على التغيرات الرئيسية التى طرأت على جغرافية العالم فى عصر البليستوسين فسهلت الهجرات البشرية أو عاقتها، وبذلك تخرج القارة

الأمريكية عن نطاق بحثنا لأنها لم تعمر بالانسان إلا فى الهولوسين (العصر الجيولوجي الحالى) وقبل الميلاد بحوالى أربعة آلاف عام فقط .

* * *

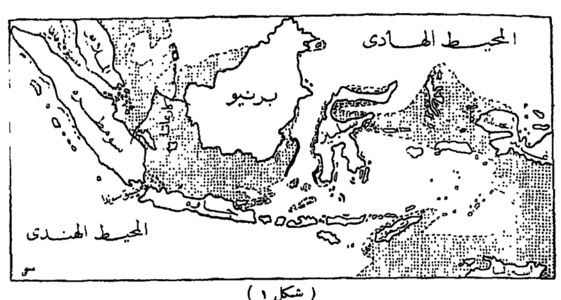
أولا — الصلات بين آسيا وبين الأوقيانوسية [1] :

كان توزيع اليابس والماء بين قارة آسيا وبين القارة الأوقيانوسية مختلفا عما هو عليه فى الوقت الحاضر . ففى عصر البليستوسين كانت بورنيو وسومطره وجاوه متصلة بالقارة الأسيوية عن طريق شبه جزيرة الملايو أى أنه كانت هناك معابر برية خلال مضايق ملقا وسوندا وكاريماتا ، والدليل على هذا مستمد من دراسة الأعماق البحرية التى لا تزيد على ستين متراً ، فقد أمكن تتبع الرواسب النهرية فى قاع البحر على هذه الأعماق بل أمكن تتبع مجارى الأنهار فى الجهات التى يغطيها البحر حالياً مما يؤكد أنها كانت يابساً إلى عهد قريب . وهناك دليل مساعد مستمد من الجغرافية الحيوية إذ دل البحث على أن أنواعا واحدة من الحيوانات تسود هذه الجهات ولا سيما أسماك المياه العذبة ، ولن يتأتى هذا إلا بوجود اتصال برى بين هذه الجزر وبين بعضها من ناحية ، ثم بينها وبين القارة الأسيوية من ناحية أخرى .

وكذلك أمكن جمع عدة أدلة جيولوجية وحيوية على وجود الاتصال البرى بين هذه الجزر وبين استراليا فى عصر البليستوسين ، ثم بين استراليا وبين تسمانيا . وبذلك كان فى استطاعة الانسان فى فترة النشأة أن ينتقل انتقالا بريا بين القارة الأسيوية وبين أجزاء القارة الأوقيانوسة (أنظر شكل ١) .

ولجزيرة جاوة أهمية خاصة فى هذا الموضوع بسبب موقعها الجغرافى أولا ثم بسبب ما كشف بها من حفريات بشرية . فهى فى مركز متوسط بين آسيا وبين استراليا إذ تقع هذه الجزيرة على خط عرض ٧ جنوبا أى تبعد حوالى سبع درجات عرضية عن كل من شبه جزيرة الملايو شمالا واستراليا جنوبا . وأما عن الكشوف البشرية فقد كشف بها : (١) الانسان المعتدل وهو أقدم

(١) يقصد بالقارة الاوقيانوسية استراليا وتسمانيا وغينيا الجديدة وجزر بولينيزيا وميكرونيزيا وميلانيزيا .



(شكل ١)

توزيع اليابس والماء فى جنوب شرق آسيا فى بعض فترات البليستوسين

إنسان معتدل معروف حتى الآن . (٢) إنسان سولو . (٣) الانسان الحديث. وقد أغرت هذه الكشوف البشرية بالجزيرة — بالاضافة الى موقعها الجغرافى — كثيراً من الباحثين بمحاولة الربط بين التكوينات البليستوسينية فى هذه الجزيرة وبين مثيلاتها فى الهند وبرما من ناحية وفى استراليا من ناحية أخرى.

وكذلك كشف فى استراليا من الحفريات البشرية : (١) جمجمة تالجاى فى كونيزلاند ، (٢) هياكل تارتانجا فى استراليا الجنوبية ، (٣) جمجمة كيلور بالقرب من ملبورن .

ولا يعرف بالضبط التاريخ الجيولوجى لجمجمة تالجاى، وأما هياكل تارتانجا فتعتبر معاصرة للدور المو ناستيرى الأخير من أدوار الشطوط البحرية بالبحر الأبيض المتوسط . وأما جمجمة كيلور فقد وجدت فى تل رملى أصله شط قديم للنهر على عمق ١٨ قدما من سطح الأرض وعلى ٤٥ قدما فوق مستوى النهر فى هذه المنطقة . وقد دلت دراستها على أن إنسانها يجمع بين صفات الاستراليين والتسمانيين بنسبة النصف من كل منهما . ولا يشك الاخصائيون بأن جمجمة كيلور تتبع الانسان الحديث ، ثم هى من الناحية الجيولوجية توضع فى البليستوسين وفى بداية الفترة الدفيئة الأخيرة ، وتعتبر معاصرة لفترة تكوين الشط المو ناستيرى من شطوط البحر الأبيض المتوسط .

ومعنى هذا أن الانسان الحديث كان يعيش فى استراليا حينما كان الانسان القديم (انسان نياندرتال) ما زال يعيش فى أوروبا [1] .

وليس هناك ما يدعو للفرض بأن الانسان الحديث نشأ فى استراليا لعدم توفر الظروف الملائمة للنشأة الأولى لهذا الانسان فى هذه المنطقة ولا بد أن الانسان الحديث هاجر إليها من آسيا فى بداية الفترة الدفيئة الأخيرة أو قبلها ولن تكون هذه الهجرة ممكنة إلا بوجود معابر برية بين آسيا وبين أستراليا فى أثناء الدور الجليدى الثالث .

ثانياً — الصلات بين آسيا وبين أوروبا :

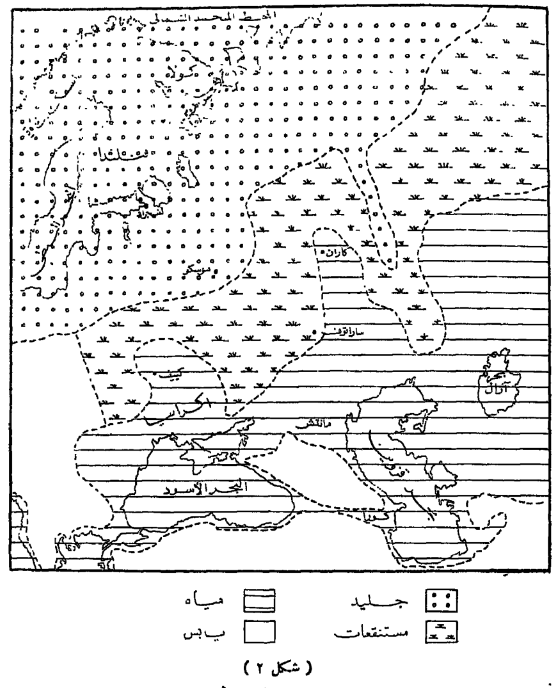
يعطينا الشكل رقم (٢) فكرة عن الصلات بين آسيا وبين أوربا فى عصر البليستوسين ، ففى الشمال كان الجليد الاسكندينافى يتوغل كثيراً فى روسيا حتى تخطت ركاماته الأمامية مدينة موسكو نحو الجنوب ووصلت الثلجا عند ساراتوف ، كما وصلت هذه الركامات منطقة كييف فى أوكرانيا .

وكان الجليد الأخير (الفستولا — الفرم) يغطى فنلنده وشبه جزيرة كولا والبحر الأبيض الروسى ويمتد لمسافة ٥٠٠ كم إلى الجنوب والشرق من لينجراد. وقد ترتب على هذا أن تجاوز الغطاء الجليدى العتبة التى تفصل فى الوقت

---

(١) يقسم الكتاب الأوروبيون الانسان تقسيما نوعيا الى قديم وحديث ويقصدون بذلك أن كلا منهما نوع بشرى خاص وأن القديم لم يتطور الى الحديث بل انقرض ونشأ الحديث نشأة مستقلة. وآخر القديم عندهم نياندرتال وأول الحديث كرومانيون وكوم كابل وشانسليد وجريمالدى . ولكن هذا التقسيم قد يكون مقبولا بالنسبة للقارة الأوروبية فقط إذ من المعقول أن ينقرض إنسان نياندرتال بسبب قسوة الجليد الأوروبى فأصبحت هذه القارة خالية من النوع البشرى ، فلما خفت قسوة الجليد وصلتها هجرات من شمال افريقية من الانسان الحديث ممثلة فى أقدم أجناسه الأربعة كرومانيون وكوم كابل وشانسليد وجريمالدى .

وأما فى آسيا وأفريقيا فالتقسيم النوعى بين الانسان القديم وبين الانسان الحديث غير موجود بل هو نوع واحد ذو نشأة واحدة تدرج بعدها من القديم إلى الحديث خلال البليستوسين بدليل ما كشف من بقايا الانسان الحديث التى تنسب لهذا العصر الجيولوجى فى جاوة واستراليا ، ثم بحلول عصر الهولوسين وزوال قسوة الجليد البليستوسينى وصلت هجرات الانسان الحديث الى أوروبا فأقامت هناك حضارة العصر الحجرى القديم الاعلى .



(شكل ٢)

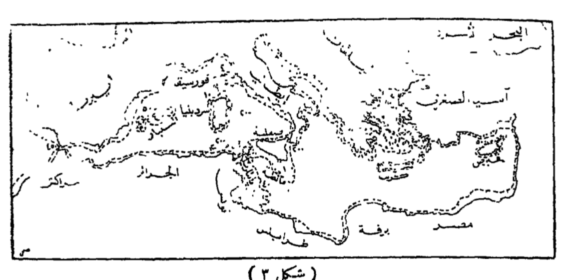
امتداد الجليد والمياه فى المنطقة بين آسيا وأوروبا فى عصر البليستوسين

الحالى بين الفلجا من ناحية وبين الدوينا والبلطيق من الناحية الأخرى، فكانت المياه الناتجة من ذوبان الجليد الاسكندناڤى تنصرف مباشرة نحو الفلجا ومنه إلى منخفض بحرى آرال وقزوين، وبذلك لم يكن هناك تصريف مائى نحو الشمال فى ذلك الوقت .

وفى الجنوب نجد أن بحر قزوين يقع فى الوقت الحاضر على مستوى ٢٨ متراً، ولكن يحيط بالمنخفض الأرالى القزوينى كله شطوط متدرجة تدل على مستوياته القديمة، فنجد شطا يقع على مستوى — ٩ أمتار على شاطىء بحر قزوين، بينما نجد شطا آخر على مستوى + ٤٥ متراً على شاطىء بحر آرال . ويقدر بعض الباحثين أن متوسط مستوى بحر قزوين فى عصر البليستوسين كان أعلى من المستوى الحالى بحوالى مائة متر (أى حوالى ٧٥ متراً فوق مستوى سطح البحر) .

وقد قدر أن امتداد بحر قزوين وحده فى المناطق التى تقع تحت خط الصفر يكفى لمضاعفة مساحته، كما أن بحرى قزوين وآرال حينما كان شاطئهما على مستوى ٧٥ متراً فوق سطح البحر (أى حوالى مائة متر فوق المستوى الحالى) كانا يكونان بحراً واحداً متصلا مساحته مليون كيلو متر مربع . وكان هذا البحر من ناحية الشمال يغمر وادى الفلجا حتى منطقة كازان أى لمسافة ألف كيلو متر من دلتاه الحالية (أنظر شكل ٢) وكان الحوض الآرالى القزوينى يتصل فى بعض الأحيان بالبحر الأسود عن طريق مضيق مانتش وربما عن طريق مضيق كورا أيضاً .

وبناء على هذه الظروف مجتمعة يمكن القول إنه حتى نهاية الدور الجليدى الأخير (الفرم — الفستولا) كانت المواصلات بين آسيا وبين أوروبا مهددة بالانقطاع فى أى وقت، أى أنها لم تكن مضمونة فى كل الأوقات فضلا عن أن نقط الاتصال كانت مقصورة على منطقة محدودة هى المنطقة المحصورة بين كازان وموسكو، أى المنطقة المؤدية من جبال أورال بطريق المستنقعات إلى موسكو . وعلى أى حال لم تكن حالة هذا الطريق تشجع على اتخاذ الهجرات له وسيلة للوصول إلى أوروبا بسبب تراكم الجليد به فى الأدوار الجليدية وانغماره بالمستنقعات فى الفترات الدفيئة التى بين هذه الأدوار. فاذا وضعنا تاريخاً لنهاية الدور الجليدى الأخير حوالى ١٨ ألف سنة قبل الميلاد فان معنى هذا أن الصلات بين آسيا وبين أوروبا من هذه الناحية كانت فى حكم المستحيلة حتى هذا التاريخ وما بعده بقليل لأن الدور الجليدي لم ينته فجأة، بل مر فى تراجع غطائه نحو الشمال فى عدة مراحل استغرقت عدة آلاف من السنين .



(شكل ٣)

توزيع اليابس والماء فى حوض البحر الابيض المتوسط فى البليستوسين
[تبين الأرقام الأعماق الحالية بالأمتار]

ونجد صدى للحالة القديمة التى كانت عليها هذه المنطقة فى الكتابات والأشعار فى بداية العصر التاريخى، فقد ورد فى بعض الوثائق المدونة وفى أشعار هومر ما يشير إلى الامتداد الكبير الذى كان عليه البحر الآرالى القزوينى . فتروى القصص أن القرصان اليونان تمكنوا من السفر من البحر الأسود إلى بحر قزوين بطريق مائى مجتازين مضيق مانيتش ، كما تروى أن أحد السائحين سافر بطريق بحرى من بحر البلطيق إلى بحر قزوين مستخدما المسطحات المائية فى منطقة الثلجاء، بل يروى كتاب اليونان — أمثال أراتوستين وديودور وسترابون — أن بحر قزوين كان خليجا من المحيط الشمالى .

ويستخلص من هذا أن الصلات بين آسيا وبين أوروبا التى تبدو فى الوقت الحاضر سهلة عن طريق الثغرة بين جبال أورال وبين بحر قزوين كانت فى الماضى صعبة للغاية .

ثالثاً — الصلات بين أفريقيا وبين أوروبا :

يبين الشكل رقم (٣) أعماق المياه فى المناطق التى يحتمل أن تكون معابر بين أجزاء اليابس الافريقى وبين أجزاء اليابس الأوروبى ، أو بين جزر البحر الأبيض المتوسط وبين بعضها . ومن هذا الشكل يتبين أن عمق المياه

فى مضيق جبل طارق حوالى ٤٥٠ متر (مع وجود عتبة على عمق ٣٥٠ متراً) فاذا ما أضفنا إلي هذا أن تكوين المضيق يرجع إلى ما قبل الزمن الرابع بقليل وأن عرضه حوالى ١٥ كم ، وأن الشطوط البحرية لم تسجل رقماً قريباً من الرقم المرتفع الذي عليه عمق المضيق ، لاستخلصنا من هذا أن مضيق جبل طارق كان مضيقاً طوال البليستوسين والهولوسين ولم يكن برزخا فى أية فترة من فترات الزمن الرابع ، بل كان الفاصل البحرى قائماً فى سبيل الهجرات وهو ما لا يتفق مع الأدلة المستمدة من الجغرافيا الحيوية والبشرية . ولكن جزر البحر الأبيض المتوسط تسترعى الانتباه لأنها وجدت مسكونة بالثدييات ولا يتأتى لها هذا إلا إذا التصقت باحدى القارتين المطلتين على هذا البحر من الشمال والجنوب رغم الأعماق الفاصلة بينها والتى لا تقل عن العمق فى مضيق جبل طارق نفسه .

فنلاحظ أن جزر البليار تنفصل فى الوقت الحاضر عن أسبانيا بفاصل بحرى عمقه ٥٠٠ متر ، كما تنفصل جزيرة قورسيقا عن جزيرة ألبا وعن مقاطعة توسكانيا فى إيطاليا وپروڤانس فى فرنسا بفاصل بحرى عمقه أكثر من ٢٠٠ متر . وأما جزيرة سردينيا فانها لا تنفصل عن قورسيقا إلا بفاصل عمقه أقل من مائة متر ولكن العمق يزيد على ٢٠٠ متر بين سردينيا وإيطاليا من ناحية وبينها وبين أفريقيا الشمالية من ناحية أخرى .

وتنفصل صقلية عن الشاطىء الايطالى بواسطة بوغاز مسينا الذى لا يزيد عرضه عن أربعة كيلو مترات ولا يزيد عمقه على ٢٠٠ متر مع وجود عتبة فيه لا يزيد العمق عندها على ١٢٠ متراً ، ولكن العمق بين مارسالا فى صقلية وبين رأس بون فى تونس يزيد على ٤٠٠ متر . وتنفصل جزيرة مالطه عن صقليه بواسطة مساحة بحرية لا يزيد عمقها على مائة متر ، وأما العمق بين مالطة وأفريقيا فيبلغ ٤٠٠ متر .

وإذا انتقلنا إلى الحوض الشرقى من البحر الأبيض المتوسط نجد أن المعلومات الجيولوجية تشير إلى أن جزيرة كريت وجزر بحر إيجه كانت فى الأصل ملتصقة بالقارة ، ومثل هذا يقال عن قبرص التى كانت تلتصق بآسيا الصغرى

ويفصلها عنها فى الوقت الحاضر فاصل بحرى عمقه ٥٠٠ متر بين رأس أندرياس وبين خليج ألكساندريتا .

هذا عرض سريع لحالة الأعماق فى البحر الأبيض المتوسط فلننظر إلى المعلومات الجيولوجية والحيوية على ضوء هذه الأعماق فنجد أن أغلب الكتاب يقولون بأن خط العمق — ١٠٠ يدل على خط الساحل فى عصر البليستوسين على وجه التقريب، ولديهم أدلة على ذلك من دراسة الأرصفة القارية فى مناطق مصبات الأنهار ، ففى الادرياتيك مثلا يكون الشاطىء — ١٠٠ رصيفا قاريا أمكن تتبع رواسب البو وفروعه عنده . ولكن انخفاض البحر بهذا القدر لا يكفى لتكوين معابر برية فى البحر الأبيض المتوسط . إلا بين قورسيقا وبين سردينيا ، ثم بين إيطاليا وبين ألبا ، ثم بين صقلية وبين مالطة . ثم إذا فرض ووصل انخفاض البحر بين ١٥٠ و ٢٠٠ متر لأدى هذا — بالاضافة إلى المعابر البرية السابقة — الى التصاق صقلية بإيطاليا . وأما سائر البواغيز مثل قورسيقا — أوروبا ، كريت — أوروبا ، وقبرص — آسيا الصغرى ، البليار — أسبانيا ، فانها لاتتحول إلى معابر برية إلا إذا وصل انخفاض البحر قدراً يتراوح بين ٢٠٠ و ٥٠٠ متر .

ولكن المعلومات المستمدة من الجغرافية الحيوية تدل على أن الفيلة وأفراس الماء سكنت قبرص وكريت وألبا والبليار فى أثناء الدور الجليدى الأخير ، ولا يتأتى هذا إلا إذ كانت هذه الجزر ملتصقة باليابس الأوروبى فى هذه الفترة . وفيما يختص بالصلة بين صقلية وبين تونس يقول بعض الباحثين باستحالة وجود برزخ صقلى تونسى بسبب عدة أدلة منها عدم وجود الحيوانات الأفريقية فى مالطة وصقلية ومنها حالة الأعماق فى البوغاز الصقلى التونسى الحالى .

وازاء تعارض الأدلة المستمدة من الجغرافية الحيوية مع حالة الأعماق الحالية كان من الضرورى إدخال عامل آخر هو الحركات الأرضية فى حوض البحر الأبيض المتوسط وما يتبعها من ارتفاع أجزاء وانخفاض أخرى . فالأعماق بين صقلية وتونس بصفة خاصة تعرضت لاضطرابات أرضية برزت

بسببها جزر بانتلريا البركانية إلى ارتفاع ٨٣٦ متراً . أما عدم وجود الحيوانات الأفريقية فى مالطة وصقلية فقد يكون مرجعه نقص البحث فى هذه الجهات .

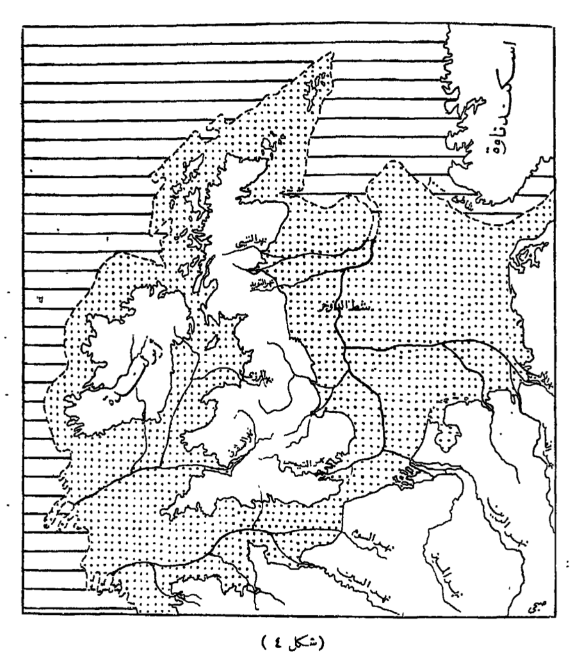
وما زالت الاضطرابات الأرضية فى هذه المنطقة تخفى جزراً وتظهر أخرى بل إن بعض الجزر يتناوبها الظهور والاختفاء فى فترات متقاربة كما حدث لجزيرة جوليا — بين صقلية وبين بانتلريا — التى اختفت سنة ١٨٣١ وظهرت مرة أخرى سنة ١٨٦٣ ووصل ارتفاعها ٦٠ متراً فوق سطح الماء .

وهذه الحركات الأرضية لا تجعل فى الإمكان الاعتماد على الشطوط البحرية وعلى حالة الأعماق الحالية فى تكوين فكرة دقيقة عن المعابر الأرضية فى عصر البليستوسين . ولا شك أن الحركات الأرضية كانت أكثر نشاطاً واتساعا فى عصر البليستوسين منه فى الوقت الحاضر . ومن أجل هذا ينبغى أن نعطى أهمية كبيرة إلى احتمال حدوث حركات فجائية من الارتفاع والانخفاض فى البواغيز الحالية بين أجزاء اليابس فى البحر الأبيض المتوسط، كما ينبغى أن نعطى أهمية كذلك إلى الأدلة الحيوية بجانب الأدلة الجيولوجية. فنقول استناداً على الادلة الحيوية بوجود معابر برية فى أثناء البليستوسين خلال مضيق جبل طارق وبين البليار وبين أسبانيا ، ثم بين تونس وبين صقلية ، ثم بين كريت وبين اليونان ، ثم بين قبرص وبين آسيا الصغرى ، ثم بصفة عامة بين جزر البحر الأبيض المتوسط وبين القارة الاوروبية .

ولم تصل العلاقة بين اليابس وبين الماء إلى مرحلة استقرار تامة ، ففى العصور التاريخية حدثت عدة حركات فى شواطىء البحر الابيض المتوسط أدت إلى غرق موانى صور وديلوس وقرطاجنة ، كما أدت الى انخفاض دلتا النيل والبو والرون وانخفاض خليج فوس بالقرب من مرسيليا .

رابعاً — الصلات بين أوروبا وبين الجزر البريطانية :

دلت دراسة الركامات الجليدية على أن الثلاجات الاسكنديناڤية امتدت حتى اسكتلنده وأقليم الميدلاند بانجلترا ثم اقليم ويلز وجزيرة ايرلندة ، كما دلت المعلومات المستمدة من الجغرافية الحيوية على أن حيوانات أوروبا الضخمة مثل الماموث تمكنت من الوصول الى انجلترا فى عصر البليستوسين ، فلا بد



(شكل ٤)

توزيع اليابس والماء فى شمال غرب أوروبا فى بعض فترات البليستوسين

من القول بوجود معابر برية فى هذا العصر بين القارة الأوروبية وبين الجزر البريطانية انتقل بواسطتها الانسان والحيوان من القارة الى هذه الجزر.

وتوضح الخريطة المبينة فى شكل (٤) توزيع اليابس والماء فى شمال غرب أوروبا فى عصر البليستوسين وفيها نرى أن بحر المانش وجزء من بحر الشمال تعرضا فى هذا العصر الى ارتفاع أدى إلى اتصال أجزاء اليابس

على شاطئيهما . ولكن هذا الاتصال لم يكن مستمرا خلال البليستوسين كله بل انقطع بعض الوقت ، فني الفترة الدفيئة بين الدور الجليدى الثالث (رس) وبين الدور الجليدى الرابع (ڤرم) حدث هبوط أدى إلى اتصال المانش ببحر الشمال وبذلك انقطع الاتصال البرى بين القارة وبين الجزر البريطانية .

ولكن لم يلبث الاتصال أن عاد بينهما على نطاق أوسع وتقدم وادى السين إلى الشاطىء — ٣٠ ثم إلى الشاطىء — ٣٥ فى منطقة خليجه الحالية ، واستمر النهر فى سيره نحو الغرب حتى أصبح يصب فى المحيط الأطلسى مباشرة بين بريتنى وبين كورنوال . وكان نهر السوم عبارة عن رافد للسين على النحو الذى تبينه الخريطة فلما هبط المانش أصبح كل منهما نهراً مستقلا ينتهى إلى البحر عند الشاطىء الحالى . وكذلك كان نهر الرين يجرى نحو الشمال إلى مسافة بعيدة من مصبه الحالى فكان يتجاوز شط الدوجر ويصب فى شمال بحر الشمال، وكانت أنهار التين والتويد والتيمس روافد له من الناحية الغربية كما كانت أنهار الفسر والألب وغيرها روافد له من الناحية الشرقية . وكانت أنهار المرزى والسفرن وبعض أنهار إيرلندة تؤلف مجموعة نهرية واحدة تصب فى المحيط الأطلسى مباشرة .

وحتى الألف السابعة قبل الميلاد كان إنسان العصر الحجرى الأوسط مازال يسكن شط الدوجر إذ وجدت بهذا المكان حربة تنسب لحضارة ماجلموز ، ثم حوالى الألف السادسة قبل الميلاد يهبط شط الدوجر ويغطس تحت الماء كما يغطس المانش كله وربما تحول معبر كاليه — دوڤر من برزخ إلى مضيق فى هذه الفترة . ويتفق معظم الكتاب على أن الفترة ما بين الألف السابعة وبين الألف السادسة تمثل مرحلة الهبوط الكبرى فى بحر الشمال وبحر المانش ولكنهم لا يتفقون فى تحديد الوقت الذى تحولت فيه منطقة كاليه إلى مضيق ، فيرى فريق من الباحثين أن منطقة كاليه تحولت إلى مضيق تام ولكنه قليل العمق خلال الألف الثالثة قبل الميلاد ويضيف هؤلاء أن إنسان العصر الحجرى الحديث ما كان ليستطيع الوصول إلى انجلترا بدوابه إلا إذا كان هذا المضيق سهل العبور . ويرى فريق آخر بأن تحول

منطقة كاليه إلى مضيق لم يتم الا بين سنة ۲۵۰۰ ، وبين سنة ۲۰۰۰ ق . م مستندين إلى بعض المسائل المتعلقة بالهجرات البشرية الكبرى منها بعض المسائل اللغوية مثل عدم وجود أية كلمة تدل على البحر عند بعض الجماعات النردية التي وصلت إلى بريطانيا . ولو كانت هذه الجماعات وصلت إلى بريطانيا بطريق بحرى لوضعت اصطلاحاً يدل على هذا المسطح المائى الذى اجتازته ، فاختفاء كلمة بحر من لغتهم يدل على أنهم جاءوا من إقليم داخلي ووصلوا إلى انجلترا بطريق برى قبل أن تغمر المياه جميع الخلجان الحالية ويصل توزيع اليابس والماء إلى ما هو عليه فى الوقت الحاضر .

بعض المراجع

1.—Bertin (L.), Geologie et Paleontologie, Paris 1946.

2. —Furon (Raymond), Manuel de Prehistoire Générale, Paris 1951.

3.—Hawkes (Ch.), Prehistoric Britain, London 1946.

4 —Holmes (A.), Principles of Physical Geology, London 1948.

5.—Vallois (H. V.), Les Hommes Fossiles, Paris 1946.

6.—Zeuner (J. E.), Dating the Past London 1950.

طقوس أنتشيوما

بحث فى الاجتماع الدينى

للدكتور مصطفى الخشاب

مدرس الاجتماع بكلية الآداب

طقوس « انتشيوما Intichiuma »[1] هي من أقدم وأوضح الطقوس الدينية التي لوحظت عند المجتمعات التوتمية التي تمثل، في نظر علماء الاجتماع، شكلا من أقدم أشكال المجتمعات الإنسانية[2]. وقد سميت هذه المجتمعات بالتوتمية لأنها كانت تسير على النظام التوتمي. والتوتم « Totem » عبارة عن نوع من الحيوان أو النبات تتخذه القبيلة أو العشيرة رمزاً لها ولقباً لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية وتنزله، وتنزل الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس[3].

---

(١) هذه التسمية خاصة بقبائل « أرنتا Arunta » ولكنها تختلف من قبيلة إلى أخرى في استراليا. فقبائل « أورابونا Urabunna » تسمى هذه الطقوس « بتجنتا Pitjinta » وتسميها قبائل « وأراموتجا Warramunga » تالامنتا « Thalaminta ». ويكتب بعض الباحثين وخاصة « ستريلو Strehlow » لفظ انتشيوما « على هذا النحو « Intijiuma » — (تعليق الدكتور عبد العزيز عزت رئيس قسم الاجتماع).

(٢) الاعتقاد الذى كان سائداً عند معظم علماء الاجتماع أن المجتمعات التوتمية هى أقدم أشكال المجتمعات الانسانية ؛ غير أن الأبحاث الاجتماعية الحديثة وخاصة أبحاث « لوى Lowie » و « ديكام Descamps » أثبتت وجود ما هو أقدم من ذلك. وهو ما يعرف بالمعاشر « hordes » التى نجدها عند الأقزام الذين يقطنون أواسط أفريقيا وأقوام البوشمن والفوجيان وكذلك زنوج الفلبين والملايو والبافيستو والاندمانيز ... الخ وزاولت هذه الأقوام طقوساً دينية أقدم من طقوس انتشيوما (يؤيد هذا الرأى الدكتور عبد العزيز عزت).

(٣) Durkheim, Les Formes Elementaires de la Vie Religieuse, Paris 1925, p. 100

وقد اصطلح فريق كبير من علماء الاجتماع على أن القبائل التى تتمثل فيها التوتمية فى أقوى مظاهرها ؛ والتى كانت تزاول الطقوس التى نحن بصدد الحديث عنها فى أصدق صورها هى قبائل أواسط استراليا لأنها على وجه الخصوص ظلت بعيدة كل البعد عن التيارات الحضارية الكبرى التى أثرت فى نظم العالم القديم . فلم تتزحزح كثيراً عن الحالة التى كانت عليها المجتمعات الإنسانية فى فجر نشأتها (١) .

هذا ؛ وقد اعتمدت فى معظم الحقائق الوصفية والتحليلية التى جاءت فى بحثى هذا على ماكتبه بعض علماء الإنثنجرافيا عن المجتمعات التوتمية وأخص بالذكر بحوث العالمين « بولدوين سبنسر وجلن » (٢) عن قبائل

---

(١) Ibid ; p. 135, 136

(٢) نشر هذان العالمان كتابين عنوانهما :

1—The Native Tribes of Central Australia, (1889).

2—The Native Tribes of Nothern Territory (1904).

وقد قرر علماء الاجتماع الذين درسوا هذين البحثين (وخاصة العلامة دوركايم فى كتابه الأشكال الأولى للحياة الدينية ص ١٣٠) : أن مؤلفيهما خير من يؤتمن فى جمع الحقائق وشرحها وتنظيمها . ولذلك اعتمد العلماء عليهما فى استنباط الحقائق العامة والأحكام التحليلية بصدد أصول الدنيات والنظم الأولى .

وبعد أن نشر « سبنسر وجلن » الكتابين المشار إليهما ، حدث أن ذهب العالم الألمانى « ستريلو Strehlow » إلى استراليا وأقام فى المناطق ذاتها التى سبق للعالمين « سبنسر وجلن » الاقامة فيها ؛ وأجاد اللهجات المحلية ولغات السكان الأصليين ودرس نظم القبائل وتقاليدها . وقد وصل فى دراساته وبحوثه إلى نتائج تغاير فى بعض تفاصيلها النتائج التى سبق للعالمين « سبنسر وجلن » الوصول إليها .

وقد أحدثت بحوث هذا العالم الانتجرافى الألمانى حركة فكرية بين علماء الانتجرافيا والانثروبولوجيا ؛ وأثارت بينهم كثيراً من المناقشات والمساجلات . وكان من النتائج المباشرة لهذه الحركة أن صمم العالمان « سبنسر وجلن » على معاودة دراسة النظم التوتمية فى استراليا . فذهبا إلى استراليا للمرة الثانية ودرسا قبائل « أرنتا Arunta » وهى أوسع القبائل انتشاراً فى قلب استراليا ووسطها الشمالى . ووضعا كتابهما المشهور " The Arun ta, 1927 "

وقد أوضحا فيه الحقائق التى سبق لهما الوصول إليها ؛ وناقشا آراء العلامة الألمانى « Strehlow » وأكدا النتائج العامية السابقة وصححا كثيراً من الحقائق التى عالجاها فى كتابيهما السابقين . وقد جاء هذا الكتاب الأخير دراسة وافية شاملة جديرة بالتقدير والاعجاب .

وحدث أن توفى العلامة (جلن) قبل نشر هذا الكتاب الأخير . فنشره العلامة =

وسط استراليا وشمالها الشرقى ولا سيا قبائل « Arunta » وما ينشعب عنها من عشائر وبطون . فقد ذهب هذان العالمان إلى استراليا وأقاما فيها اثنتى عشر عاما واختلطا بالسكان الأصليين وتعلما لغاتهم ولهجاتهم ودرساها دراسة وافية ، وحققا كثيرا من المعلومات والمشاهدات التى كتبها من سبقهما فى هذا الميدان . ولذلك تعتبر بحوثهما أدق وأهم المراجع فى دراسة أصول النظم الاجتماعية .

* * *

والطقوس التى نحن بصدد الحديث عنها طقوس دينية مؤداها تضحية التواتم المقدسة فى حفلات دينية يشترك فيها أفراد العشيرة التوتمية . والغرض من ذلك هو العمل على تغذية المبادىء والقوى التوتمية وإنعاشها وضمان زيادة وتناسل الفصائل التوتمية التى تعتمد عليها العشيرة فى حياتها الدينية [1] .

وتختلف هذه الطقوس فى الإجراءات والتفاصيل باختلاف العشائر ولكنها تتفق عادة فى الدعائم الأساسية وفى الأفكار العامة والدوافع والأهداف . وهى تتضمن حفلين متتابعين : أولهما يرمى إلى زيادة أنواع الحيوان أو النبات التى تتخذها العشائر تواتم لها ؛ وثانيهما عبارة عن وليمة جمعية أساسها الاشتراك فى أكل لحم الحيوان التوتمى الذى كانوا بالأمس القريب يلتمسون زيادته وتكاثره . وذلك لتقوية المبادىء التوتمية الحالة فى الوجود الجمعى . وتفصل هذين الحفلين فترة دينية قاسية تتمثل فى نظام التحريم الذى يفرض على أفراد العشيرة فى معاملاتهم مع التوتم المقدس [2] .

= « بولدوين سبنسر » ورثى فى مقدمته صديقه وزميله فى الجهاد العلمى « العلامة جلن » .
والكتاب يقع فى جزأين . وقدم له العلامة « سبنسر » بمقدمة عرض فيها للدوافع التى حدت بهما إلى وضعه ؛ وتكلم فيها عن طبيعة البلاد ، وطبيعة السكان وأخلاقهم ولغاتهم وعاداتهم ونظمهم الدينية والاجتماعية . ويمتاز هذا الكتاب بأنه محلى بالخرائط ، ومزود بطائفة غير يسيرة من الصور الفوتوغرافية التى تمثل الجماعات التوتمية والشيوخ والرؤساء ورجال الدين ؛ وصور أخرى لمختلف التواتم وعلاماتها وأزيائها ؛ وصور لأنواع الصخور المقدسة وأماكن العبادة والقيام بالطقوس التى نتحدث عنها فى هذا البحث . وغنى عن البيان أن هذه الصور وما إليها تسهل على القارىء استساغة الحقائق وإدراك الأفكار التى تقوم عليها .

(1) و (2) E. Durkheim : Les Formes. (Eng. Trans. London 1915), p. 327 sqq.

وكانت هذه الطقوس والحفلات تقام حول مجموعة من الصخور والأحجار المقدسة تمثل فى نظر الأفراد « مثال التواتم » أو « آباء التواتم » المنحدرين منها لأن العشائر التوتمية كانت تعتقد أن أجدادهم كانوا يعيشون منذ العصور السحيقة فى القدم (عصور Alcheringa) على سطح الأرض وأنهم تركوا آثاراً تدل على حياتهم الأولى . وتتكون هذه الآثار على وجه الخصوص من الأحجار والصخور التى وضعوها فى أماكن معينة . وذهب بهم الاعتقاد إلى أن هذه الصخور والأحجار أجسام أو أجزاء أجسام أجدادهم السابقين. ويرون أنها تمثلهم وتمثل التواتم التى انحدروا منها . لأن الرجل البدائي يرى أنه وتوتمه حقيقة واحدة . ولذلك فإنهم ينسبون إلى هذه الآثار ما ينسبونه إلى تواتمهم الحيوانية والنباتية وإلى أنفسهم أيضاً من الصفات . وتتمتع هذه الأحجار المقدسة فوق ذلك ، بصفات خارقة ومغايرة للحوادث . فهم يعتقدون أنها لا تمرض ولا تفنى ولا يجوز عليها العدم ، ويرون فيها معينا لا ينضب للحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية ؛ معينا لا يجوز عليه العدم أو التغيير . فهى فى نظرهم مصدر الخير ومبعث الأمل والرجاء [1] . وهذا هو السر فى أنهم ، فى ظروف معينة ومناسبات سنوية ، يلجأون إلى ذلك المعين الفياض يسألونه المعونة ، ويقومون حوله بطقوس دينية وإجراءات يرون أنها تضمن لهم تكاثر الفصائل التوتمية التى تعتمد عليها العشائر فى الحياة الاقتصادية والتى يعتقدون أنهم منحدرون منها ويؤلفون معها وحدة اجتماعية ودينية . ويلتمسون فضلا عن ذلك ، تغذية وتقوية المبادىء التوتمية الموجودة فى تركيبهم الجسمانى [2] .

فعندما يرى رئيس القبيلة أو العشيرة أن الظروف الاجتماعية تحتم القيام بطقوس « الانتشيوما » فإنه يحدد يوما معيناً لذلك ويعلن به رجال العشيرة . وفى صبيحة ذلك اليوم يجتمع الأفراد الذين ينتمون إلى التوتم المحتفل به . ومن التقاليد المرعية فى الاحتفال بهذه الطقوس أن الأفراد الذين ينتمون إلى تواتم أخرى (غير التوتم المحتفل به) لابد أن يتركوا منطقة الاحتفال ويبتعدوا إلى مسافة ما ،

(1) B. Spencer and Gillen ; The Arunta (London 1927), vol 1, p. 172. sqq.
(2) B. Spencer and Gillen : The Native tribes of Central Australia p. 167.

ويخضع النساء كذلك لهذا الإلزام سواء انتمين إلى التوتم المحتفل به أو إلى تواتم أخرى ، فلا يسمح لهن إطلاقا بالحضور عند القيام بهذه الطقوس التى تعتبر فى نظرهم حفلات سرية مقدسة لا يصح للنساء أو الأطفال مشاهدتها أو الاشتراك بجانب إيجابى فيها . ولا يجوز للفرد حضور هذه الطقوس إلا إذا كان حاصلا على « التعميد » أى حاصلا على الصفة الدينية للقبيلة بعد اجتيازه مراحل الـ« Initiation »(أى الدخول فى الحياة الدينية للقبيلة) . ومن الجائز أن يدعو رئيس العشيرة بعض رؤساء العشائر المجاورة لهم الذين ينتمون إلى تواتم أخرى بوصفهم ضيوفا أو أصدقاء . وعليهم أن يشاهدوا ما يجرى أمام أعينهم بدون أن يشتركوا مع أفراد العشيرة التوتمية فى أى عمل إيجابى [١].

وبعد أن ينتظم عقد الحاضرين من رجال وضيوف يخرجون إلى الطريق العام يتقدمهم رئيس العشيرة ويشترط أن يكونوا قد عقدوا النية على الصوم منذ بداية الحفل رغم ما يلاقونه من مشقة وصعاب . ويشترط كذلك أن يكونوا مجردين من السلاح ومن ملابسهم التى اعتادوها . ولا يشك الناظر إليهم وإلى موكبهم الرهيب وخطواتهم الوئيدة ، أنهم مشتركون فى عمل خطير له أهمية قصوى ومن طبيعة دينية مقدسة . ويستمر الأفراد منتظمين فى موكبهم الرهيب المطبوع بطابع الرزانة والاعتبار الدينى ، حتى ينتهى بهم المطاف إلى بقعة خاصة مملوءة بالآثار والصخور المقدسة [٢] . وعندها يقف الأفراد ينشدون أناشيد وأغان موضوعها دعوة التوتم للتناسل والتكاثر . ثم يتقدم الرئيس ويضرب الصخرة التى تمثل « التوتم » بآلة خشبية لها شكل خاص تسمى (Ampara) لكى يفصل بعضاً من ذرات ترابها ، تلك الذرات التى تعتبر فى نظرهم جراثيم الحياة وبذورها . فكل ذرة منها ، فى نظرهم ، تحوى مبدأ روحياً هو الذى يهب الحياة والولادة لكائن جديد عندما يدخل فى جسم من النوع نفسه . ويستعمل رجال العشيرة المشتركون فى الحفل فروعا

---

(١) E. Durkheim : Les formes. (Eng. trans. p. 327 sqq.)

(٢) B. Spencer and Gillen ; The Arunta p. 172.

وفى هذا الكتاب صور فوتوغرافية كثيرة لمجموعة متنوعة من الصخور والآثار المقدسة المشار إليها .

من الشجر لنثر الأتربة أو الذرات المقدسة في كل الجهات ويلوحون بها في مختلف الاتجاهات لكي تنشرها على نطاق واسع وبذلك تؤدي الذرات المقدسة عملها الإخصابي [١]. وكانوا يعتقدون أن هذه العمليات هي بمثابة تقدمة قربان. لأن ذرات التراب المقدس عبارة عن قرابين تقدم لأرواح التواتم المنبثة في كل مكان. فكأنهم يقدمون للتوتم المقدس أشياء من طبيعته وجنسه. ويعتقدون اعتقاداً راسخاً أنهم بهذه الوسيلة وحدها يضمنون إنتاجاً وفيراً من أنواع الحيوان والنبات التي تعبدها العشائر وتسهر على حراستها وتعتمد عليها في حياتها الدينية والاقتصادية. وكان المتبع عند العشائر التي توتمها «الكنجارو» أن يشعل الرئيس نيراناً مقدسة بجانب «مثال التوتم» ويستعمل أتباعه فروع الأشجار في نثرها لأنهم كانوا يعتقدون أن الشرر المتطاير هو عبارة عن ذرات روحية حية لها قدرة على زيادة الفصائل التوتمية، ويؤدي الوظيفة نفسها التي تؤديها ذرات الأتربة المقدسة. وفضلا عن تأدية وظيفة الإخصاب هذه، فإن ذرات الأتربة أو الشرر المتطاير من النيران المقدسة يعمل على فك أسر أرواح التواتم الحبيسة في تلك البقع المقدسة، فتزداد تبعاً لذلك عملية التناسل والتكاثر.

ولكي يجعلوا طقوسهم أكثر فاعلية، ونتائجها أكثر ضمانا، كان بعض الأفراد يلجأون إلى مزج جزء من مادتهم بمادة الحجر المقدس الذي يظنون أنه يمثل فصيلة التوتم. فكانوا يصعدون فوق الصخرة المقدسة ويتبارون في تمزيق شرايينهم وصب دمائهم فوقها. ويرون أن هذه العملية هي بمثابة تقديم الدم البشري قربانا للصخور المقدسة. وفضلا عن ذلك، فإن نزف الدماء يضفي على الطقوس حماسة وشدة من شأنهما ضمان النتائج المرجوة. هذا، إلى أنهم كانوا يعتقدون أن الدم الإنساني يفك أسر أرواح التواتم الحبيسة في الأمكنة المقدسة وينعش القوى الخارقة التي ينسبها البدائيون إلى الأحجار والصخور التي تمثل الفصائل التوتمية. والسر في هذا التصور

(١) B. Spencer and Gillen ; The Arunta, London 1927, vol I. p. 115.

أن الرجل البدائي [1] يعتقد أن الدم هو مبدأ الحياة في تكوينه، وأنه سر بقائه ومبعث نشاطه وهو مزود بقوى سحرية عجيبة خارقة للعادة، ومكون من جراثيم وذرات تحمل مبدأ الحياة [2]. وإذا كنا ندرك أن رجال العشيرة يعتبرون أنفسهم أقرباء للتوتم المنحدرين منه، فيترتب على ذلك الاعتبار، أن مبدأ الحياة فيهم هو نفسه مبدأ الحياة للفصائل التوتمية. وكثيراً ما كان يحدث بين القبائل التوتمية أن الشخص إذا مرض أو شعر بضعف، فإن صديقه أو قريبه يتبرع له بجزء من دمه لدهن جسده أو شربه في حالات خاصة. وذلك لإنعاشه وتجديد قواه وإنقاذه من موت محقق. فإذا كان الدم في استطاعته أن يجدد الحياة الإنسانية على هذه الطريقة، فليس بمستغرب أنه يؤدي الوظائف نفسها بصدد الفصائل الحيوانية والنباتية التي ينحدر منها الأفراد وتربطهم بها رابطة قرابة ووحدة دينية واجتماعية [3].

هذا عرض مبسط للاجراءات والطقوس التي كان التوتميون يقومون بها في الحفل الأول من حفلات (أنتشيوما Intichiuma) وموضوعها كما سبق أن أشرنا هو دعوة التوتم إلى التناسل والتكاثر. وكانوا يعتقدون أشد الاعتقاد في فاعليتها وفائدتها وأنها لا بد أن تنتج النتائج الطيبة التي يتوقعونها ويعقدون عليها الآمال. وإذا خيبت الحوادث رجاءهم ولم يحصلوا على ما يبتغون فإنهم لا يعزون أي فشل أو قصور إلى هذه الإجراءات والطقوس، بل يعزون ذلك إلى تدخل بعض الأفعال السحرية التي تقوم بها الجماعات المعادية لهم. فربما تكون طقوسهم قد تعارضت مع بعض التأثيرات السحرية أو بعض طقوس توتمية معادية، ففقدت فاعليتها وخبت قوتها وضعفت نتائجها وانقلبت آثارها الطيبة المرجوة إلى أخرى ليست من مصلحتهم. ولا يمكن أن يخامر الرجل البدائي أي شك أو ريب في قيمة الطقوس التي شرحناها وفي قدرتها العجيبة

---

(١) يستعمل الدكتور عبد العزيز عزت لفظ الرجل المتأخر بدلا من «الرجل البدائي» والأقوام أو المجتمعات المتأخرة بدلا من المجتمعات البدائية. وذلك لأنها لا تمثل اليوم بدء الحياة البشرية على الأرض وإنما نجد عندها كثيرا من التعقيد والتطور في حياتها الاجتماعية.

(٢) R. Karsten: The Civilization of the South American Indians. London 1926. p 382 sqq.

(٣) Jevons: Introduction to the history of Religion. London 1896. p. p. 100—108

على الانتاج . ولا يمكن أن يتبادر إلى ذهنه أنه يستطيع الحصول على ما يريد بطريقة أخرى غير تلك الطرق التى تكلمنا عنها . ومن الغريب أنه إذا حصل اتفاقا وصدفة أن أنواع التواتم نمت وتكاثرت قبل أن تحتفل العشائر بطقوس أنتشيوما فانهم يعتقدون أن أسلافهم الذين يعيشون تحت الأرض المقدسة لا بد أن يكونوا قد قاموا بحفلات من هذا القبيل فى عالمهم ، وأن الأحياء يتمتعون بمزاياها ويجنون ثمارها وآثارها الطيبة (١) .

* * *

تنتهى الطقوس السابق ذكرها (طقوس الحفل الأول) باعلان حالة دينية شديدة الخطورة بين أفراد العشيرة لأن التوتم المقدس فى حالة تقوية . فيزداد الشعور الدينى ويتأجج وتضفى على العشيرة موجة من الحماس الدينى العنيف . ويظهر ذلك بوضوح من الوقوف على نظام التحريم البالغ حده الذى تفرضه طقوس الحفل الأول على أفراد العشيرة . فيلاحظ أن الأفراد لا يجرؤون على القرب من التوتم أو لمسه مع أنهم فى الأحوال العادية كانوا يستطيعون أن يأكلوا منه فى ظروف ومناسبات يحددها المجتمع . ولكن عقب القيام بطقوس أنتشيوما يحرم عليهم لمدة ما تناوله فى الاستهلاك اليومي . وقانون التحريم صارم جداً لا يحتمل استثناء لأنهم يعتقدون أن أى نكث أو مخالفة تبطل حصول النتائج الطيبة المرجوة من وراء القيام بالطقوس المشار اليها وتحول دون زيادة أنواع التواتم . وقد تؤثر تأثيراً مضاداً ، فيختفى النوع وينقرض من الوجود (٢) .

والأفراد الذين ينتمون الى تواتم أخرى غير التوتم المحتفل به لا يخضعون لقواعد التحريم التى أشرنا اليها . ولكن من الطبيعى أن تكون حريتهم فى تلك الفترات مقيدة وذلك لقداسة هذه الظروف وخطورتها فى حياة العشيرة . فيحرم عليهم أن يأكلوا الحيوان التوتمى جهرة ، لأن هذا الإجراء ينطوى على إهانة بالغة وعدم اكتراث لشعورهم الدينى . غير أنه يباح لهم أن يأكلوه سراً بدون أن يشعر بذلك أى فرد من أفراد العشيرة الذين ينتسبون إلى التوتم المحتفل به .

(١) E. Durkheim Les formes. (Eng. trans.) p. 331. sqq

(٢) B. Spencer. S. Gillen . The Arunta : vol I. p. 118.

بيد أن فترة التحريم التى أشرنا اليها لا تستمر إلى ما لا نهاية بل هناك حفل آخر يختمها ويعلن نهاية السلسلة الطويلة من طقوس أنتشيوما . أى لا بد من القيام بطقوس أخرى تختم تلك الفترة الشاذة غير العادية ، وتخفف كثيراً من وطأة نظام التحريم المفروض على الأفراد فى علاقاتهم بالفصائل التوتمية ، وتعطى لهم حرية أوسع فى التمتع بهـا واستخدامها فى شتى مرافق الحياة .

وتتلخص طقوس الحفل الثانى من حفلات (انتشيوما) فى أن يعين رئيس العشيرة يوما تاريخيا خطيراً فى حياة العشيرة وذلك بعد أن يطمئن إلى أن أفراد الفصيلة التوتمية قد تكاثرت ونضجت وبلغت أشدها واكتمل نموها . وفى اليوم المرسوم يخرج الأفراد فى جماعات منظمة لصيد هذا الحيوان ثم يعودون بصيدهم إلى مكان الحفل فيتولى الرئيس ذبح التوتم بعد قرع الطبول وقراءة الأوراد والتغنى بالأناشيد الدينية الموروثة التى تتضمن الاعتذار إلى الفصيلة المقدسة . ثم يتولى دهن أجسام رجاله بدماء التوتم ودهنه . وبعد طهى اللحم المقدس يأكل الرئيس والشيوخ منه أولا ثم يوزع الباقى على الأفراد ليأكل كل واحد منهم نصيبه من اللحم المقدس . وبعد الانتهاء من تلك الوليمة يزين الأفراد أنفسهم بشارات التوتم وألوانه ومميزاته . ويقلد الرئيس التوتم فى مظاهره وأوضاعه ويكاد يبدو أنه التوتم ذاته . ويقضى الجمع الحاشد الليل طوله فى الغناء والرقص ويتذاكر الأفراد فيما بينهم القصص التى تواترت إليهم عن آباء التوتم وعن نضال الأسلاف فى سبيل استئناسه ودجنه والانتفاع به منذ أقدم العصور . وتتكرر هذه الطقوس بضعة ليال إلى أن يحدد الرئيس انتهاء موسمها طبقاً للتقاليد الاجتماعية الموروثة [١] .

فكأن الحفل الثانى من طقوس « انتشيوما » عبارة عن وليمة جمعية أساسها الاشتراك فى أكل لحم الحيوان المقدس الذين كانوا يلتمسون زيادته

---

(١) E. Durkheim : Les formes, (Eng. trans. p. 247. 335.

هذا وفى كتاب (The Arunta) الذى سبق الإشارة إليه كثير من الصور والألواح التى توضح شيوخ المشائر فى أزياء التوتم ، وتمثلهم فى أثناء القيام بالطقوس التى نحن بصدد الحديث عنها ص ٢٨٦ و ٢٩٦ ، الجزء الأول .

وتكاثره فى الحفل الأول ؛ فكانت عشائر الكنجارو تقدم أضاحيها فى هذا الحفل الأخير من حيوان الكنجارو ، وكانت عشائر الضب تقدم أضاحيها من الضب ، وعشائر (Dieri) تقدم أضاحيها من الثعابين لأنها تعتقد أنها منحدرة من أصل ثعبانى مقدس ، وتقدم عشائر (kaitish) أضاحيها من الكائنات البحرية لأنها تعتقد أنها منحدرة من نوع معين من السمك .

* * *

هذا وصف مجمل للحفلات التى تنطوى عليها «طقوس أنتشيوما» . والغريب كما يبدو في هذه الطقوس أن رجال العشيرة هم عباد التوتم وهم الذين يقدمونه أضحية مقدسة ، وهم الذين يأكلونه . فكأنهم وآلهتهم يشتركون فى وليمة دينية لها طابع خاص ويرجى منها نتائج هامة . ولما كان الأفراد يعتقدون أنهم بفضل هذه الطقوس يضمنون الحصول على أمداد مستمرة من الحيوان المقدس وبدونها يختفى ذلك الحيوان من الوجود ، فكأنهم فى ضوء هذا الاعتبار ، يشتركون فى صنع آلهتهم وفى بعث الحياة فيها من حين لآخر . وهذه نتيجة مستخلصة من ترتيب الحقائق والطقوس التى ذكرناها .

ويلاحظ كذلك فى مجموعة هذه الطقوس العناصر الأساسية لنظام دينى عظيم هو « نظام الأضحية والقرابين » . ولعل هذه الطقوس هى أول مظهر من مظاهر الطقوس الإيجابية ، وهى التى خلعت على نظام الأضحية صفة وضعية اجتماعية . فلم تعد التضحية هى تلك النظم السلبية التى تقوم فى إنكار الذات وفناء النفس وفى الزهد والتقشف والتصوف والانتحار ، ولكنها نظم وضعية إيجابية تتمثل منذ أقدم أشكالها فى تلك الولائم الجمعية المقدسة التى وصفناها . هذا ، وقد كان فى الكشف عن هذه الطقوس ما أفسد كذلك التفسير القديم لمعنى « الأضحية » إذ كان المفكرون السابقون يعتبرون الأضحية نوعاً من الضريبة تقدم إلى الكائنات المقدسة كالضريبة التى يدفعها الرعية للملوك والامراء [1] ولكن هذا التفسير الكلاسيكي لا ينسجم مع الخاصيتين

(١) E. B. Tylor Primitive Culture (5th edition, London 1929)
H. Spencer : The Principles of Sociology (London 1899), p. 2?

الجوهريتين اللتين يمكن الكشف عنهما فى طبيعة طقوس « الانتشيوما » وإحداها الوليمة الغذائية التى جوهرها الأكل ، وثانيتهما الاتحاد والمشاركة بين الأفراد والآلهة بتناول جزء من لحومها المقدسة [1] .

ولعل موضوع المشاركة أو الاتحاد بالإله واضح جداً فى طقوس انتشيوما. ذلك أن كل فرد من أفراد العشيرة التوتمية يحتوى فى تركيبه وفى داخليته على جوهر خارق للعادة ، وهو أسبق أجزاء الكائن وجوداً وهو الذى يزود الفرد بالقوى والفضائل ، ويحدد مركزه الاجتماعى والدينى ، ويحفظه على قدر استطاعته فى حيوية وشباب مستمر . وهذا الجوهر مزود بقوى وخصائص لا تقل فى خطرها وشأنها عن الاعتبارات التى ننسبها للروح فى عصورنا الحديثة . ولكن من سوء الحظ ، كما يعتقدون ، أن هذا المبدأ يضعف ويعتريه القدم والبلى بمضى الزمن وبسبب شقاء صاحبه وموته ، إذا لم يزود من حين لآخر بشىء أو بمادة قدسية تعيد إليه النشاط والحيوية وتضفى عليه الجدة والتألق حتى يستطيع أن يمد صاحبه بمظاهر الجهد والطاقة التى يحتاج إليهما فى أعماله اليومية . وفى ضوء هذه الأفكار يمكننا أن نلمس السبب الحقيقى للقيام بالطقوس التى وصفناها والدعائم الجوهرية التى تقوم عليها [2].

ذلك أن رجال التوتم لا يستطيعون أن يحتفظوا بمراكزهم الاجتماعية وبحياتهم إلا إذا أنعشوا باستمرار وجددوا بصفة دائمة المبدأ التوتمى الذى فيهم . ولما كانت المبادىء التوتمية تتمثل غالباً إما فى فصائل حيوانية أو نباتية فانهم يلجأون إلى الحيوان أو النبات المطابق ليطلبوا منه القوى الضرورية التى يحتاجون إليها لتجديد هذه المبادىء وإعادة الشباب إليها . فمثلا الفرد المنحدر من عشيرة « الكنجارو » يشعر تماما ويعتقد أنه كنجارو ، وأن هذه الصفة هى التى تحدد مركزه الاجتماعى والدينى . فلكى يحافظ على هذه الأوضاع ، يجب عليه أن يأكل من آن لآخر قليلا من لحم التوتم

(١) R. Smith, Lectures on the Religion of the Semites (London 1927) p. 315.

(٢) E. Durkheim, Les formes. (Eng. trans. p. 228, 229)

المقدس . فان جزءاً بسيطاً يكفي للتجديد والانتعاش طبقاً للقاعدة التوتمية المعروفة « الجزء يساوى الكل » [1] .

غير أن هناك فكرة دقيقة وخطيرة يجب الكشف عنها وملخصها أن التوتم هو معبود العشيرة وهو سر حيويتها وبقائها وهو رمزها وعلمها . فكيف يجرؤ أناس عاديون (علمانيون) على تدنيس هذا الشيء المقدس بذبحه وإراقة دمه وأكل لحمه ؟ ألا يبدو في هذه المعتقدات تناقض ملحوظ ؟ بالتعمق فى بحث طبيعة الحقائق نجد أن هناك طقوسا يمكنها مواجهة هذا التناقض ، ويمكن فى ضوئها تفسير اتصال الأفراد (العلمانيين) بالإله المقدس . لأن الإنسان العادى لايستطيع أن يتصل أو يلمس الكائنات المقدسة إلا اذا غير من طبيعته وعبر الحاجز الذى يفصلهما . ولذلك يجب عليه قبل أن يذبح الحيوان المقدس أن يزاول سلسلة طويلة من الإجراءات والاحتياطات الدقيقة التى من شأنها أن تخفف من وقع الاهانة التى تلحقه . ولعل أكثر هذه الطقوس شيوعا وأعمها هى تنظيم الانتقال من العلمانية والاتصال بالعالم القدسى على أساس إدخال العابد ببطء وبالتدريج فى دائرة الأشياء المقدسة . وعندما يتم هذا الانتقال بالتدريج وبصورة مخففة فان التدنيس لا يؤلم الشعور الديني ، ولذلك لا يعتبر تدنيساً حقيقياً ويتلاشى أثره بسرعة . وهذا ما يحدث في الحالة التي أمامنا بصدد حفلات « انتشيوما » فان موضوع السلسلة المعقدة من الطقوس التى تسبق اللحظة التى يقدم فيها التوتم أضحية

---

(١) يشرح العلامة دوركايم فى كتابه « الأشكال الأولى للحياة الدينية » العقيدة التوتمية التى مؤداها « أن الجزء يساوى الكل » بقوله إن العقلية البدائية تقبل فكرة قسمة الشيء المقدس . وأن كل جزء منه يبقى مساويا للكل فى خصائصه وفضائله . ويبقى مزوداً بالقوى القدسية والصفات الخارقة المزود بها الشيء ذاته . فمثلا القطرة الواحدة من دم التوتم تحوى جميع المبادىء القدسية الكامنة فى طبيعة التوتم . ويحكى دوركايم أمثلة كثيرة يتضح منها أن العقلية البدائية تعتقد أن الروح تنحل أو تتفكك إلى أجزاء كثيرة كأنها نسيج أو مركب يمكن فصل أجزائه ويبقى كل جزء من أجزاء الروح مساويا للروح كلها فى قدرتها العجيبة على التأثير فى عالم الحوادث

وقد أفاض العلامة الفرنسى (ليفى بروك) فى شرح هذه القاعدة وضرب لها أمثلة لا تحصى فى كتابه عن العقلية البدائية « La Mentalité Primitive Paris 1922 » .

مقدسة ، هو تطهير الأفراد الذين يشتركون بصورة إيجابية فى ذبحه أو يقومون بأدوار رئيسية فى طقوس التقديم . وتنصب هذه الطقوس بصفة خاصة على الرئيس الذى يجب أن يكتسب صفات دينية جديدة تسمو به إلى منزلة الأشياء المقدسة . فضلا عما يتمتع به قبلا من مركز دينى وروحى خطير .

ويعتقد التوتميون أنه بدون القيام بهذه الطقوس الانتقالية ، فان الحفلات الدينية لا تنتج الآثار الطيبة المرجوة فيها وقد تنقلب آثارها شراً وبيلا فتتآمر عليهم أرواح التوتم ، وتختفى فصائله وتنقرض من الوجود ، وتصيبهم الآفات ، وتتربص قوى الشر بهم الدوائر . ومن ثم تحدق الأخطار والكوارث بالمجتمع وتهدد كيانه وتشيع بين أفراده الاضطراب والفوضى . فتنهار دعائمه ويصبح أفراده فى موت محقق . ولا سبيل لإنقاذ المجتمع من محنته إلا بتقديم ضحايا آدمية تجل عن الحصر معظمها من الشيوخ والرؤساء . وهذه التصورات تدلنا دلالة واضحة على أن الأضحية فى عقلية هذه المجتمعات هى : طريقة أو منهج للتأمين على حياة المجتمع [1] وما كان المجتمع ليتساهل فى أمر الضحايا التى يفرض على الأفراد تقديمها أو الطقوس التى يتعين عليهم القيام بها حيال الشىء المقدس الذى يمثل المجتمع ، بل كان يسير على هذا المنهج مهما كلفه من ثمن . وليس أبلغ من أن يقدم المجتمع الإله نفسه أضحية باسم الصالح العام والمنفعة الاجتماعية [2] . وتدلنا هذه التصورات كذلك على أن شخصية المجتمع لم تكن غائبة عن تصور الأفراد ، بل كانت تبدو فى معظم الحالات أنها المحرك الأول والمنظم الرئيسى لكل الظروف والمناسبات التى يتعين فيها على الأفراد القيام بطقوس انتشيوما وتقديم الضحايا والقرابين من الأشياء المقدسة .

* * *

وفيما يتعلق بالقوى القدسية التى تتجه إليها طقوس « انتشيوما » فنجد أن الرجل البدائى نسب نفسه إلى الفصائل الحيوانية والنباتية واعتقد

(1) E. Westermarck, Origin and Development of the Moral Ideas. Tome I. p. 470 (trad. française 1928).

(2) A. M. Hocart, The Progress of Man, (London 1933), p. 246

أنه منحدر منها واتجه إليها بالعبادة وقدم لهـا القرابين وقام حيالهـا بطقوسه وحفلاته الدينية كما سبق أن فصلنا ذلك . ولعله رأى أن هذا النسب يحقق له الإجابة عن أول سؤال صدر منه منذ وجد على وجه البسيطة وهو كيف أعيش ، وكيف أحصل على كذا وكذا . . . حقا لقد كانت هذه الأسئلة هى شغله الشاغل . ولذلك اتجه نظره أول ما اتجه إلى أشياء تجيب رغباته فى سهولة ويسر ، وتحقق أمانيه فى الحصول على حوائجه المتواضعة . ولـكن لـما استقرت به الأمور والأحوال وحصل على قسط يرضيه ، بدأ ينظر فيما حوله نظرة مركزة وانتقل من السؤال عن « كيف أعيش » إلى السؤال عن لـماذا أعيش ، ولـماذا كانت الأمور والظواهر على ما هى عليه ولم تكن على صورة أخرى . أى أنه بدأ يفكر ويتلمس العلل والأسباب ويركز شعوره ويوجه انتباهه إلى أشياء أخرى بعيدة عنه . وهذا ما دعاه إلى أن يخلع صفة القدسية على قوى وكائنات ظن فيها أموراً خارقة . وقد عبر عن هذه القوى غير العادية وهذه الصفات الخارقة بلفظ « مانا mana » وهى كلمة معروفة عند معظم القبائل والشعوب القديمة [1] .

ولهذه التصورات أهمية بالغة لأنها تضع لنا أساس نظرية هامة عن العقلية البدائية ، وهى أن البدائيين يتصورون وجود قوى غير مادية وغير مرئية تعمل من وراء ستار . وهذه القوى تختلف باختلاف شدتها ونوعيتها ولـكنها لا تختلف فى جوهرها (وهو أنها غير مشخصة) . وقد لوحظت هذه الأفكار والتصورات بصفة أساسية فى جميع الطقوس الدينية لاسيما طقوس أنتشيوما . وانتشرت على نطاق واسع بين القبائل القديمة : فى استراليا وأمريكا وأفريقيا وجزائر الفلبين وميلانيزيا وبولونيزيا وفيجى وما اليها . . . وقد اختلف التعبير عن هذه القوى تبعاً لاختلاف اللغات واللهجات وزاد ذلك من صعوبة التمييز أو التعبير عنها فى مختلف الجهات . ولكن مهما كانت الاختلافات المحلية فان الفكرة الأساسية موجودة فى عقلية الجماعات القديمة ، ووجود القوى المشار إليهـا على الصورة التى أوضحناها ضرورة مسلم بهـا [2] .

---

(١) R. H. Codrington : The Melanesians. Oxford 1914, p. 118 sqq.

(٢) R. R. Marett : The Conception of mana in The Making of man ; Calverton : New York 1931, p. 660, 675.

وعندما تطور الإنسان وانتقل تباعا فى مدارج الارتقاء والحضارة ، تقلصت إلى حد كبير التصورات التى كان يحفظها فى ذهنه عن قوى ال (مانا mana) وضاق نطاقها بتقدم العلوم وخضوع الظواهر الكونية والاجتماعية لمبادىء العلية ، مما أوحى إلى الذهن النير إدراك أن القوى غير المشخصة التى أشرنا اليها إن هى إلا القوانين العلمية التى كانت تعمل من وراء ستار ولم تفهم على حقيقتها ، ولم تكتشف بعد ، نتيجة جهل المجتمعات الإنسانية الأولى وعدم إدراكها معقولية العالم واطراد النظام الكونى وارتباط الأسباب بالمسببات .

والذى نقرره فى هذا الصدد أن الإنسان الأول استطاع بتصوره وجود قوى (ال mana) أن ينتصر على الطبيعة انتصاراً ملحوظاً ، ويسيطر على كثير من مظاهرها ويسخرها لخدماته . وبذلك حقق كثيراً من مطالبه الأولية ورغباته الضرورية . وكان من نتيجة ذلك أن اتسع أمامه ميدان الفكر ووجد من وقته ما يتسع للتأمل والتحليل . فبدأ فى هذا الطور الجديد يلمس آلهته وكائناته المقدسة بعيداً عنه ، وفى عالم آخر غير ذلك العالم الذى انتصر عليه وسخره لخدماته . وهداه تفكيره إلى أن ينظر إلى السماء التى ظن أنها وطن هذه الكائنات المقدسة وشرع فى تصورها على الصورة التى ترضيه وتوافق عقليته . ولما كان الإنسان قد آنس فى نفسه القوة والسيطرة ، فان أقرب صورة صور فيها آلهته هى صورته القوية . ولذلك أدرك فى ذلك الطور أن آلهته تتجسد صورة آدمي جبار عنيد يتمتع بكثير من القوى الخارقة . ولذلك أسرف فى التقرب إليها بالعبادة وتقديم الضحايا والقرابين لأنه ظن أن لها كما له مطامع وملاذ يجب أن يشبعها وإلا تنكرت له وسامته سوء العذاب [1] .

وبتطور الزمن وارتقاء التفكير وما تبع ذلك من ارتقاء التصورات الدينية وسموها ، فقدت الكائنات المقدسة كثيراً من الشوائب المادية والصفات الأنسية . هذا إلى أن التطور العقلى وما صحبه من اتساع دائرة الكشف العلمى وظهور مرحلة القانون ونسبة الظواهر والقوى الطبيعية والكونية

(1) Bouché Leclercq : Du fonds Communs des Religions Antiques. (Paris 1900).

إلى أسباب وارتباطات علية ، كان له فضل كبير فى تهذيب التصورات الدينية وتجريدها من سذاجة المتأخرين وكان له أثرملحوظ فى تعيين مركز الانسان من الشيء المقدس ، ذلك الشيء الذى انتهى به التصور إلى حقيقة ذاتية روحية مجردة لاتشوبها الشوائب المادية أوالجسدية وترتفع فى ذاتها عن الصفات المشبهة.

* * *

وثمة نقطة هامة نستنتجها من دراسة القوى والكائنات التى تقدم لها طقوس انتشيوما . فإن البحوث التى قدمناها تدلنا بوضوح على أن هذه القوى والكائنات كانت مرتبطة منذ نشأتها وفى تطورها بأمور وأشياء اجتماعية . فكانت كما رأينا تتمثل فى صخور وأحجار وفصائل حيوانية ونباتية يظن أن المجتمع نفسه منحدر منها ويؤلف معها وحدة دينية واجتماعية : أى أنها تتمثل فى أشياء اجتماعية . وفى ضوء هذا الاعتبار فهى ليست إذن قوى وهمية أو خيالية . إنها قوى وضعية لا نشك فى وجودها [1] .

ولكن ما طبيعة هذه القوى والكائنات الوضعية ؟ من السهل أن نقرر أنها من طبيعة دينية قدسية لما أحاطها به الأفراد من ضرورة الاحترام والإجلال والاتجاه إليها بالعبادة والقيام حيالها بالطقوس التى شرحناها . بيد أن كلمتى « دينى وقدسى » غير محددتين علمياً ويكتنفهما الغموض اللغوى ، وهما من المصطلحات التى لم يتفق العلماء على تحديد مفهوماتها . ولذلك قد نكون على قدر كبير من الصواب إذا وصفنا القوى والكائنات المشار إليها بأنها من طبيعة تختلف اختلافا جوهرياً عن طبيعة الأفراد الذين يشتركون فى الاحتفال حيالها بالطقوس ويقدمون لها الضحايا والقرابين .

ولكن كيف توصل الأفراد إلى تصور قوى وكائنات تعتبر من طبيعة غير طبيعتهم وتختلف عنهم اختلافاً جوهرياً ؟؟

---

(١) Durkheim—Les Formes Elementaires de la vie Religieuse ; P. 488.

غنى عن البيان أن هذه القوى قد نشأت تلقائيا فى قلب الجماعة فهى ليست من عمل فرد معين أو بضعة أفراد . إذ لو كان الأمر كذلك لأصبحنا أمام عدد لا يحصى من القوى التى تختلف باختلاف الأفراد فى المجتمع الواحد ، وهذا غير موجود . ومن ناحية ثانية فان الفرد الواحد لا يقوى على أن ينشىء من تفكيره الخاص موضوعات تعتبر من طبيعة غير طبيعته ، لأنه بمفرده ليس فى حاجة إلى تصور مثل هذه القوى وليس مدفوعا بالدوافع والضرورات التى تدعوه الى خلقها .

إن قوى هذا شأنها إنما تنشأ من اصطلاح الأفراد جميعاً على وجودها ، وتنشأ من حاجتهم مجتمعين إلى خلقها وابتداعها . فتصور هذه القوى إذن ثمرة من ثمرات الحياة الجمعية ، والتزامات هذه الحياة هى التى ولدت فى شعور الأفراد وفى عقولهم تصور مثل هذه القوى أيا كانت طبيعتها . فهى نتيجة تصور العقل الجمعى وتفكيره فى مصاير أفراده ومبلغ حرصه على حياتهم لأن الحاجة أم الاختراع . وهى نتيجة اتفاق عقول الأفراد اتفاقا لا بالذات لأنهم لا يجتمعون لتعيين هذه القوى وإنما يجتمعون ليتذاكروا وجودها فيما بينهم وليؤكدوا ولاءهم وإخلاصهم لها .

إن قوى هذا شأنها لا يدرك الفرد نشاطها وحيويتها إلا فى أثناء قيامه حيالها بالإجراءات والطقوس التى شرحناها بالتفصيل . فيدرك فى هذه الظروف أنها حالّة فيه وتسيره ؛ ويجد فى قرارة نفسه أن قوى خفية تنازعه وشعوراً جمعياً يفيض عليه ؛ وأن انفعالات جمعية لم يحسها من قبل قد ملأت نفسه وغيرت من طبيعته ودفعته يشاطر المجتمعين فى حماسهم الدينى ، فينشد كما ينشدون ، ويغنى كما يغنون ، ويصلى ويرقص إذا رآهم يفعلون ذلك . ويخضع لكل الالتزامات التى تفرض عليه مدفوعا بدافع تلقائى . هذا الشعور الجديد أو الانفعال الذي لم يحسه من قبل ، لم يكن فى حقيقة الأمر شيئاً جديداً كل الجدة ، ولكنه كامن فى شعوره الباطن أو بعبارة أخرى موجود فى اللاشعور فى حالة كمون .

إن القوى والكائنات التى نحن بصدد الحديث عنها مهمتها الأساسية أن تدعو الأفراد بصفة تلقائية وبطريقة غير مباشرة إلى أن يجتمعوا ليتشاوروا فى مصائرهم . لأن الأفراد منذ وجودهم على ظهر البسيطة يلحظون أن النبات ينمو ثم يموت ، فهل له أن يولد من جديد ؟ والأنواع الحيوانية تختفى دائما بتأثير الموت الطبيعى ، فهل يمكن أن تتجدد وتعود إلى الحياة مرة ثانية ؟ هذا ، إلى أن النكبات والمصائب الطبيعية وقوى الشر والمرض والموت تقتفى أثرهم وتهددهم وتتربص بهم الدوائر . وغنى عن البيان أن هذه التقلبات فى الطبيعة وفى الحياة الاجتماعية تسبب أزمات داخلية لا حد لها فى شعور الأفراد وفى تفكيرهم . وكلما زادت الأزمات الخارجية ، تضاعفت الأزمات الداخلية والعقلية ، وسرت بين الأفراد تيارات من طبيعة أخرى غير الطبيعة الفردية لأنها لم تصدر عن نفس فردية ولكنها عن شعور الجماعة أو عقل المجتمع . هذه الانفعالات والأزمات تدفع الأفراد إلى الاجتماع ليتشاوروا فيما يجب عمله لتقرير مصائرهم . ومن الواضح أنه فى أثناء هذه الاجتماعات تسيطر عليهم أفكار واحدة تولد لساعتها وتسرى بينهم فتقبلها عقولهم جميعا بلا استثناء . وتبنى على هذه الأفكار معتقدات يؤمن بها الأفراد جميعا لأنها وليدة تفكيرهم مجتمعين . ولذلك لا يطول بهم الوقت كثيراً فى البحث عن علاج لحل أزماتهم الداخلية والخارجية لأنهم حتما سيجدون العلاج ما داموا يبحثون عنه مجتمعين .

نخلص من هذا التحليل الدقيق لطبيعة القوى والكائنات التى تقدم لها الطقوس إلى تقرير حقيقة هامة وهى أن القوى التى تنشأ فى جو الجماعة (أى فى اجتماع الجماعات) أيا كانت طبيعتها ، إنما تستمد حقيقتها من الحقيقة الاجتماعية وتستمد عقائدها وقوتها من إيمان الجماعة وفكر الجماعة .

وهذا انتصار علمى كبير فى محاولة تشخيص هذه القوى وتحليل موضوعيتها . وإذا كانت القوى المشار إليها فى تقلب أطوارها قد ارتبطت بمشيئات عالية ، فإن هذه المشيئات على فرض وجودها فى الواقع ، لا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا وجدت فى عقول الأفراد أولا . فهى إذن تعتمد فى إدراكها وتصورها على فكر المجتمع وعقله لأن هذا العقل هو منبع الشعور والعواطف والعقائد التى يدين بها أفراد المجتمع .

وهو المسئول عن قوة هذه العقائد وحيويتها ومدى مكانتها فى قلوب الأفراد ، وهو المسئول كذلك عن ضعفها وذبولها لأنه المرشد العام للأفراد والمسيطر على عقولهم الخاصة . وهم ، بتوجيهه ووحيه ، يسيرون طائعين أو كارهين على النظم والمعتقدات التى يرسمها لهم ويفرضها عليهم [1] .

وإذا كانت القوى والكائنات التى نتحدث عنها قد تطورت بتطور العصور أو بتطور المجتمعات فإنها لا تزال تحتفظ بطبيعتها وخصائصها المميزة وصفاتها الخارقة فهى لا تزال توصف بأنها من طبيعة تختلف عن طبيعة البشر والحوادث . فالتاريخ لم يغير الجوهر الذى ظل وسيظل هو هو لا يجوز عليه التغير بحال لأنه لا يتعلق بالماضى فحسب ، ولكنه فى حاضر مستمر . كما لا يجوز عليه العدم لأنه ليس من صنع فرد ولا بضعة أفراد ، إنه من خلق المجتمعات . بدون أى اعتبار لشرط الزمان والمكان . لأن هذه القوى والكائنات نشأت بنشأتها وستظل كذلك ما دامت المجتمعات الانسانية فى بقاء مستمر . أما إذا قدر لها أن تزول من الوجود فإن القوى المشار إليها ستلقى بالضرورة نفس المصير المحتوم .

ولكن إذا كان الجوهر فى ذاته لم يتغير وطبيعة القوى لم تتطور فما السر إذن فى المباينات البالغة حدها التى نلاحظها بين مختلف الأمم فيما يتعلق بالقوى والكائنات التى يقوم الأفراد حيالها بالطقوس ؟

الواقع أن الذى تطور وتغير هو تصور المجتمعات المختلفة لهذه القوى ولطبيعتها . فالتصورات الاجتماعية هى التى تطورت ، وطرق التفكير الاجتماعى فى هذا الموضوع هى التى اختلفت ، ووسائل التعبير عنه هى التى تباينت . وبعبارة أخرى يمكننا أن نقول إن الرموز والاصطلاحات التى اتفقت عليها المجتمعات للدلالة على القوى والكائنات المشار إليها وللتعبير عنها هى التى خضعت لقوانين التطور . وقد كان هذا التطور فى الرموز والاصطلاحات الاجتماعية بصدد القوى والكائنات التى شرحناها موضوع المادة الغنية التى شغلت أذهان العلماء والفلاسفة ، وموضوع كثير من الدراسات والبحوث الاجتماعية الطريفة.

---

(1) Durkheim—Les formes, p. 497, 498

مناخ غرب الدلتـــــا

الدكتور محمد محمود الصياد

يقع الاقليم موضوع الدراسة إلى الغرب من فرع رشيد، ويكون ساحل البحر المتوسط حده الشمالى، كما تكون حافة الصحراء الليبية حديه الغربى والجنوبى، ولهذا كان مناخه متأثراً بالبحر وبالصحراء معاً، وسنرى مبلغ تأثير هذين العاملين حينما نفصل الحديث عن عناصر المناخ المختلفة. وهناك عامل ثالث يرى الكثيرون أن له أثره فى تعديل مناخ الدلتا جميعاً وذلك هو تحول نظام الرى من رى حوضى إلى رى دائم وما تبع ذلك من تغير فى نظم الزراعة. ويذكر أوديبو بك « أنه لا يوجد أقل شك فى حدوث شىء من التغير فى مناخ الدلتا »[1] ولتدعيم هذا الرأى يذكر أن مقارنة متوسطات الحرارة فى القاهرة فى سنوات ١٧٩٨ — ١٨٠١ بمتوسطات سنوات ١٩٠٥ — ١٩٠٩ تثبت وجود نقص محسوس فى الحرارة مع ازدياد الرطوبة وكثرة الندى والضباب. ويعلل أوديبو بك هذا التغير بأنه حتى الحملة الفرنسية كانت الزراعة المصرية قاصرة على الحبوب وهى نباتات أوراقها غير عريضة فى الغالب، كما أن الأرض كانت تترك بوراً لفترة طويلة من السنة، أما الآن فيحدث العكس . . . فالقطن بأوراقه العريضة وتعاقب الزراعات فى الأرض على مدار السنة. كل هذا أدى إلى زيادة التبخر، وبالتالى زيادة الرطوبة النسبية، وكثرة الندى والضباب. ولعل مما يؤسف له عدم وجود الأرصاد الجوية المنظمة منذ زمن بعيد، ولهذا كان من الصعب إعطاء فكرة صحيحة عن هذا التغير المناخى ومداه.

---

(١) أوديبو بك (١٩٠٩) ص ٦٣ ؛ كذلك راجع صفحات ٤٨، ٥٣، ٥٨، ٦٢

[الجدول الأوّل]

المعدلات الشهرية لدرجات الحرارة

١ ـ الأسكندرية (كوم الناضورة)

		يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيه	يوليه	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفبر	ديسمبر
معدلات النهاية العظمى		١٨,٥	١٩,١	٢١,٢	٢٣,٥	٢٦,٢	٢٨,٢	٢٩,٦	٣٠,٤	٢,٢٩	٢٨,٤	٢٥,٠	٢٠,٦
معدلات النهاية الصغرى		١٠,٦	١١,٠	١٢,٨	١٥,٠	١٨,٠	٢٠,٨	٢٣,٠	٢٣,٦	٢٢,٦	٢٠,٢	١٦,٩	١٢,٦
معدلات المتوسط اليومى		١٣,٧	١٤,١	١٥,٨	١٨,١	٢١,٠	٢٣,٦	٢٥,٤	٢٦,٢	٢٥,٣	٢٣,٣	١٩,٩	١٥,٧
درجة الحرارة المطلقة	أقصى درجة	٢٧,٦	٣٣,٠	٣٩,٤	٤٢,٣	٤٣,٨	٤٣,٧	٣٩,٦	٤٠,٥	٤١,٣	٢٩,٩	٣٥,٣	٣٠,٩
	التاريخ .	١٩٤١/١٦	١٩٠٢/١٧	١٩٠١/٢٩	١٩٢٨/٢٣	١٩٤١/١٠	١٩١٥/١٦	١٩٤٠/١	١٩٢٠/٢٧	١٩٢٩/٢٧	١٩١٢/٣	١٩١٩/٣ ، ١٩٤١/٥	١٩٣٧/١٩
	أدنى درجة	٣,٣	٢,٨	٦,٥	٩,٦	١٢,٠	١٥,٠	١٧,٥	١٨,٠	١٥,٧	١٢,٢	٨,٠	٣,٠
	التاريخ .	١٩٢١/٣٠	١٩٣٤/١٦	١٩٤٣/٤	١٩١٣/٨،٧	١٩٠٥/٣ ، ١٩٣١/٦	١٩٠٣/١٦ ، ١٩٠٤/٢	١٩٠٣/٥،١	١٩٠٣/٣١	١٩١٠/٢٣	١٩١١/٢٠	١٩٠٨/٢٢	١٩٠٣/١٠

٢ — رشيد

معدلات النهاية العظمى	١٨,١	١٨,٤	١٩,٨	٢٢,٢	٢٤,٩	٢٦,٨	٢٨,٤	٢٩,٤	٢٨,٨	٢٧,٤	٢٤,٠	٢٠,٣
معدلات النهاية الصغرى	١٢,٣	١١,٩	١٣,٦	١٥,٧	١٩,٢	٢٢,٢	٢٤,٣	٢٤,٩	٢٣,٨	٢١,٦	١٨,٣	١٤,١
معدلات المتوسط اليومى	١٥,٢	١٥,٢	١٦,٧	١٩,٠	٢٢,٠	٢٤,٥	٢٦,٣	٢٧,٢	٢٦,٣	٢٤,٥	٢١,٢	١٧,٢
أقصى درجة	٢٤,٨	٢٦,٠	٣٣,٥	٣٦,٥	٣٩,٠	٣٩,٠	٣٧,٦	٣٨,٦	٤١,٤	٣٥,٥	٣٢,٠	٢٧,١
التاريخ	٩٣٦/٢٨٩	١٩٣٣/١٧	١٩٣١/١٤	١٩٣٦/١٢	١٩٣٥/ ١	١٩٣٦/١١	١٩٣٦/٢٩	١٩٣٦/١٥	١٩٢٩/٢٧	١٩٤٣/١٤	١٩٣٦/ ٧	١٩٣٧/١٩
أدنى درجة	٦,٥	٥	٦,٥	٩,٥	١١,٥	١٦,٧	١٨,٠	١٨,٧	١٦,٥	١٥,٥	٨,٨	٦,٣
• التاريخ	١٩٣٦/١٨	١٩٢٦/١٠	١٩٤٣/٢٠١	١٩٣٥/٢	بضعة أيام (١٩٣٧)	٩٣٦/١٠	١٩٤٠/١	٣٦/٣١،٣٠	١٩٣٦/٢٧	٤٥/٣١،٢٠	١٩٣٠/٢٧	١٩٣٦/٢١

٣ — دمنهور

معدلات النهاية العظمى	١٩,٦	٢٠,٤	٢٢,٨	٢٦,٨	٣٠,٣	٣٢,١	٣٢,٧	٣٢,٨	٣١,٥	٣٠,٠	٢٥,٨	٢١,٤
معدلات النهاية العظمى	٧,٥	٧,٩	٩,٦	١٢,١	١٥,٥	١٨,٢	٢٠,٠	٢٠,٤	١٨,٩	١٧,٠	١٣,٩	٩,٦
معدلات المتوسط اليومى	١٣,٦	١٤,٢	١٦,٢	١٩,٤	٢٢,٩	٢٥,٢	٢٦,٤	٢٦,٦	٢٥,٢	١٣,٥	١٩,٨	١٥,٥
أقصى درجة	٢٩,٠	٣٢,٠	٣٦,٠	٤١,٤	٤٦,٠	٤٢,٣	٤١,٠	٣٩,٠	٤٢,٦	٣٨,٦	٣٧,٨	٣٠,٩
• التاريخ	١٩٤١/٢٧	٤١/٢٢،١٩	٩٣١/١٥ ، ٩٤٠/٣٠	١٩٣٥/٣٠	١٩٤١/١٠	١٩٣٠،١٠	١٩٤٠/ ١	١٩٣٤/١٠	١٩٢٩/٢٧	١٩٤٣/ ٣	١٩٤١/ ٦	١٩٣٧/١٩
أدنى درجة	٣,٢	٢,٢	٤,٠	٦,٨	٨,٥	١٣,٠	١٤,٥	١٦,٨	١٤,٥	١٢,٠	٨,٤	٣,٥
• التاريخ	١٩٤٥/٣٩	١٩٣٤/١٦	١٩٢٣/ ٤	١٩٣٠/ ١	١٩٣٢/ ٣	١٩٣٣/ ٤	١٩٣٣/١١	١٩٣٣/ ١	١١٣٣/٣٠	١٩٢٩/ ٦	١٩٢٦/٣٠	١٩٣١/٢٧

٤ — ادفينا

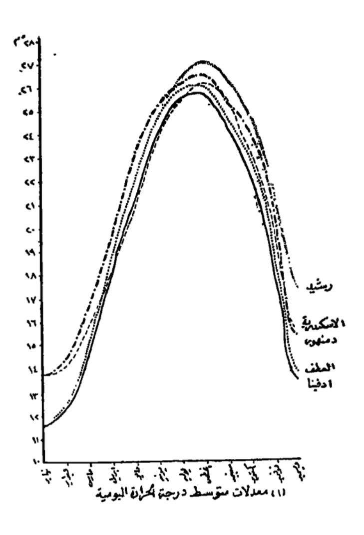
	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونية	يولية	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفبر	ديسمبر
معدلات النهاية العظمى	١٨.٨	١٩.٤	٢١,١	٢٤.٨	٢٨,٤	٣٠,٤	٣١,٣	٣١,٨	٣٠,١	٢٨,٧	٢٥,٠	٢٠,٧
معدلات النهاية الصغرى	٦,٧	٧,١	٩,٠	١١,٣	١٥,٢	١٨,١	٢٠,٤	٢٠,٤	١٨,٤	١٦,٣	١٣,٣	٨,٨
معدلات المتوسط اليومى	١١,٦	١٢,٣	١٤,٤	١٧,٦	٢١,٤	٢٤,٠	٢٥,٧	٢٥,٩	٢٤,١	٢٢,٠	١٨,٤	١٣,٦
درجة الحرارة المطلقة: أقصى درجة	٢٨,٠	٣٠,٤	٣٥,٦	٤٠,٩	٤٦,٤	٤١,٦	٤٠,٠	٣٨,١	٤١,٠	٣٨,٤	٣٧.٨	٢٩,٥
التاريخ	١٩٤١/١٧	١٩٤١/١٩	١٩٤٠/٣٠	١٩٣٥/٢٦	١٩٤١/١٠	١٩٣٦/١١	١٩٤٠/ ١	١٩٤١/ ٥	١٩٣٩/٢٩	١٩٤٣/ ٣	١٩٤١/ ٦	١٩٣٧/١٧
أدنى درجة	١,٠	٠.٥	٣,٥	٥,٢	٨,٠	١١,٨	١٤,٧	١٥,٦	١٣,٤	١٠.٩	٦,٦	٢,٥
التاريخ	١٩٣٧/ ٤	١٩٣٨/١٢	١٩٣٩/ ٩	١٩٣٥/٤ ١٩٣٨/٢	١٩٣٩/ ٢	١٩٣٣/ ٤	١٩٣٣/ ٥	١٩٣٣/٢٩	١٩٣٣/٣٠	١٩٤١/١٧	٢٨، ٣٦/٣٠	١٩٣٥/٢٣ ١٩٣٧/٢٨

٥ — العطف

	معدلات النهاية العظمى	١٩,٢	٢٠,٠	٢١,٩	٢٥,٤	٢٩,٠	٣٠,٦	٣١,٢	٣١,٧	٣٠,٢	٢٩,٢	٢٥,٢	٢١,٣
	معدلات النهاية الصغرى	٦,٩	٧,٩	٩,٦	١٢,٣	١٦,٣	١٩,١	٢١,٠	٢١,٣	١٩,٨	١٧,٧	١٤,٦	٩,٣
	معدلات المتوسط اليومى	١١,٦	١٢,٤	١٤,٩	١٨,٤	٢٢,٣	٢٤,٦	٢٦,٠	٢٦,٣	٢٤,٧	٢٢,٨	١٨,٨	١٤,٠
درجة الحرارة المطلقة	أقصى درجة	٢٩,٥	٣٠,٥	٣٥,٧	٣٩,٠	٤٥,٨	٤١,٣	٣٧,٤	٣٨,٩	٤٠,٧	٣٨,٥	٣٨,٢	٢٩,٠
	التاريخ	١٩٤١/٢٧	١٩٤١/٢٢	١٩٤٠/٣٠	١٩٤٢/١٨	١٩٤١/١٠	١٩٤٤/ ٧	١٩٤٠/ ١	١٩٤١/ ٥	١٩٣٩/٢٩	١٩٤٣/ ٣	١٩٤١/٧و٦	١٩٣٧/ ٩
	أدنى درجة	١,٦	٣,٤	٤,٥	٥,٧	٩,٠	١١,٦	١٧,٥	١٧,٠	١٤,٠	١١,٦	٧,٥	٣,٥
	التاريخ	١٩٤٢/١٣	١٩٣٨/١٢ ١٩٤٤/١٣	١٩٤٥/ ٨	١٩٤٣/ ٨	١٩٤٤/ ٥	١٩٤٤/ ٣	١٩٣٤/ ١	١٩٤٠/ ٥	١٩٤٢/٢٩	١٩٤١/٢٢	١٩٣٦/٢٨	١٩٣٥/١١

١ — الحرارة

يبين المنحنى البيانى رقم ٨ معدلات متوسط درجة الحرارة اليومية[١] . ومنه يظهر أن أقل الشهور حرارة هو شهر يناير إذ يبلغ معدل حرارته فى الاسكندرية ١٣٫٧° م وفى رشيد ١٥٫٢° م وفى دمنهور ١٣٫٦° م وفى ادفينا ١١٫٦° م وفى العطف ١١٫٦° م ، ثم تأخذ الحرارة بعد ذلك فى الارتفاع التدريجى ويكون هذا التدرج بطيئا فى شهر فبراير ثم يسرع فى مارس وما بعده حتى تصل درجة الحرارة حدها الأقصي فى شهر أغسطس فتصل فى الأسكندرية إلى ٢٦٫٢° م وفى رشيد إلى ٢٧٫٢° م وفى دمنهور إلى ٢٦٫٩° م وفى ادفينا إلى ٢٥٫٩° م وفى العطف إلى ٢٦٫٣° م ثم تأخذ بعد هذا فى الانخفاض .



(٨) معدلات متوسط درجة الحرارة اليومية

(١) راجع الجدول الأول .

هذه الأرقام تدل على مبلغ تأثر إقليم غرب الدلتا بالبحر فهى إذا قورنت بأرقام القاهرة التى تبعد عن الساحل بنحو ١٨٠ ك . م . نحو الجنوب ظهر أن بلاد الاقليم كلها أكثر دفئاً من القاهرة فى فصل الشتاء [١] ولقد عنى بدراسة العلاقة بين البحر المتوسط ودرجات الحرارة فى الاسكندرية بصفة خاصة المستر كريج [٢] بعد أن لاحظ أن درجة الحرارة فى الاسكندرية أعلى منها فى القاهرة فى فصل الشتاء رغم أن الأولى أكثر شمالية من الأخرى ، ولكنه لم يعرف بدقة إلى أى حد يبلغ تأثير البحر ، وكل ما عرف هو أن التيار الهوائى الذى يمر على الماء بسرعة يمثل حرارة الماء [٣] ولذا فيمكن أن نتوقع أن تكون حرارة الاسكندرية قريبة من حرارة البحر فى الأشهر التى تهب فيها تيارات الهواء من البحر المتوسط . ويظهر الجدول الثانى هذه العلاقة بوضوح

[الجدول الثانى]

العلاقة بين حرارة البحر والهواء فى الاسكندرية

	فبراير	مايو	أغسطس	نوفمبر
متوسط حرارة البحر °م	١٨,٠	١٩,٥	٢٦,٢	٢٢,٠
متوسط حرارة الهواء °م . .	١٤,١	٢١,٠	٢٦,٢	١٩,٩
زيادة حرارة البحر عن حرارة الهواء	+٣,٩	- ١,٥	صفر	+٢,١

وتتضح العلاقة بين حرارة الماء والهواء من دراسة الجدول الثالث وهو خاص باتجاهات الرياح فى الاسكندرية .

(١) معدل متوسط الحرارة فى القاهرة فى شهر يناير ١١,٦°م

(٢) كريج (١٩١٣) ص ١٠٢ ، (١٩١١) ص ١٠

(٣) راجع شو ، لفرت (١٩٠٨) ص ١٦

[الجدول الثالث]

اتجاهات الرياح فى الاسكندرية

الاتجاه	فبراير		مايو		أغسطس		نوفمبر	
ب . غ	١٩٫٦		١٨٫٠		٤٤٫٠		١٣٫٤	
ب	١٢٫٧	٤٣٫٢	٢١٫٦	٧٠٫٠	٣٢٫٢	٨٦٫٦	١٥٫٧	٥٦٫٤
ب . ش	١٠٫٩		٣٠٫٩		٩٫٩		٢٧٫٣	
ش	٦٫٤		٧٫٤		٠٫٦		٩٫٥	
ق . ش	٨٫٦		٦٫٤		٠٫٢		٠٫٨	
ق	٧٫٨	٢٦٫٧	٢٫٥	١٠٫٠	٠٫٤	١٫٣	٤٫٣	١٥٫٤
ق . غ	١٠٫٣		١٫١		٠٫٧		٥٫٣	
غ	١٤٫٧		٦٫٠		٧٫٧		٧٫٢	
سكون	٩٫٠		٦٫١		٣٫٨		١١٫٠	

يظهر من هذا الجدول أن الرياح الغالبة على الاسكندرية فى كل فصول السنة هى الرياح الشمالية وتزداد نسبتها كثيراً فى فصل الصيف فتصبح ٨٦٫٦ ٪ ولذا فليس من الغريب أن يكون متوسط حرارة المدينة فى الصيف هو متوسط حرارة ماء البحر الواقع فى شمالها (٢٦٫٠° م للبحر والمدينة) .

أما فيما يختص بشهر فبراير فان حرارة البحر تزيد فى المتوسط بنحو ٣٫٩° م عن حرارة الساحل ، وهذا يرجع إلى وجود الانخفاضات وما يترتب عليها من رياح جنوبية ترتفع نسبتها الى ٢٦٫٧ ٪ وتجلب معها الى الشمال الهواء الذى برد بالاشعاع فى الصحراء الجافة الواقعة الى الجنوب .

وفى مايو يحدث العكس إذ تنخفض درجة حرارة البحر فى المتوسط بنحو ١٫٥° م وهذا لا بد من إرجاعه أيضا إلى الرياح الجنوبية التى وان كانت نسبتها لا تزيد على ١٠ ٪ إلا أنها تصبح رياحا ساخنة ترفع درجة الحرارة فى الساحل عن درجة حرارة البحر .

من كل هذا يظهر أن حرارة البحر هى العامل الضابط لحرارة الاسكندرية وأن تكن هناك عوامل تؤثر فى حرارة البحر وحرارة الساحل على حد سواء .

ولما كانت الحرارة فى غرب الدلتا بصفة عامة تنحرف عن معدلها فى نفس الاتجاه الذى تنحرف فيه حرارة الاسكندرية عن معدلها فيمكن أن نتخذ الانحرافات فى الاسكندرية على أنها تمثل الانحرافات فى جهات الاقليم موضوع الدراسة لقربه منها . ويمكن أن نخرج من هذا بالنتيجة التالية وهى : « أن انحراف متوسط الحرارة عن معدلها لأى شهر فى أى منطقة من غرب الدلتا إنما يضبطه انحراف متوسط حرارة البحر المتوسط عن معدلها الفصلى » .

ومما تجدر ملاحظته أن أقصى درجة حرارة وأدنى درجة تصل إليها القاهرة تسبق الاسكندرية بنحو ١٥ يوما ، وأن دمنهور تسبق الاسكندرية بنحو ١٢ يوما ، وأن الاسكندرية تسبق البحر بنحو عشرة أيام . أى أن حرارة البحر تتأخر عن حرارة اليابس . وهذا يرجع الى بطء الماء نسبياً فى فقده للحرارة إذا قورن باليابس . وهذا التأخير نفسه هو الذى يحفظ حرارة البحر مرتفعة حينما تأخذ حرارة اليابس فى الانخفاض حتى يعود تأثير الرياح الجنوبية ويتغلب أحيانا على تأثير البحر .

ويحدث أعلى متوسط يومى للنهاية العظمى فى أغسطس ويبلغ ٣٠,٤° م فى الاسكندرية ، ٢٩,٤° م فى رشيد ، ٣٢,٨°م فى دمنهور ، ٣١,٨°م فى ادفينا ، ٣١,٧°م فى العطف فى حين أنه يصل فى القاهرة الى ٣٥,١°م . ويحدث أدنى متوسط للنهاية الصغرى فى يناير فيبلغ ١٠,٦°م فى الاسكندرية ، ١٢,٣°م فى رشيد ، ٧,٥°م فى دمنهور ، ٦,٧°م فى ادفينا ، ٦,٩°م فى العطف .

وأعلى درجات الحرارة التى سجلت فى اقليم غرب الدلتا هى ٤٣,٨°م فى الاسكندرية ، ٤٦,٠°م فى دمنهور ، ٤٦,٤°م فى ادفينا ، ٤٥,٨°م فى العطف. وكان ذلك كله فى يوم ١٠ مايو سنة ١٩٤١ أثناء مرور انخفاض ضحل على الدلتا أدى الى أن ترتفع درجة الحرارة حوالى ١٤°م فى خلال ساعات معدودة ثم انخفضت بنفس السرعة بعد مرور الانخفاض

وأقل درجة حرارة سجلت فى الاسكندرية هى ٢,٨°م ، فى ١٦ فبراير سنة ١٩٣٤ ، وفى رشيد ٠,٥°م فى ١٥ فبراير سنة ١٩٣٦ ، وفى دمنهور ٢,٢°م في ١٦ فبراير سنة ١٩٣٩ ، وفى ادفينا ٠,٥°م فى ١٢ فبراير سنة ١٩٣٨ ، وفى العطف ١,٦°م فى ١٣ يناير سنة ١٩٤٢

٢ – الضغط الجوى والرياح

يتعرض غرب الدلتا كغيره من جهات مصر الشمالية لتأثير الانخفاضات الجوية التى تمر بالبحر المتوسط آتية من الغرب فتؤثر فى طقس الجهات التى تمر بها فى جنوب أوروبا وشمال أفريقيه . ويوجد نوعان من الانخفاضات يؤديان فى فصل الربيع إلى هبوب الرياح الجنوبية الجافة التى تعرف باسم « الخماسين »[1]. ويمر النوع الأول بالبحر المتوسط ، ويمر الآخر بالصحراء، ويمكن تعيين مراكز النوع الأول نظراً لوجود كثير من المحطات المتيورولوجية على ساحل البحر وفى جزره، أما النوع الثانى فمن الصعب تعيين مركزه وكثيراً ما يصل إلى مصر بمجرد تكونه ، وتحديد موقعه قبل وصوله إلى مصر أمر استنتاجى محض إذ لا توجد لدينا محطات الأرصاد الكافيه فى الصحراء إلى الغرب من واحة سيوه .

ويذكر المستر « ستون » أن عدد الانخفاضات الخماسينية التى سجلت فى مدة ١٦ سنة كانت ١٨٥ انخفاضاً موزعة كالآتى :

فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيه
٤١	٤٤	٤٨	٣٤	١٨

وتظهر هذه الأرقام أن الانخفاضات تبلغ نهايتها فى شهر أبريل إذ أن متوسط ما يمر منها فى هذا الشهر ثلاثة انخفاضات . وتتوقف الانخفاضات حوالى منتصف يونيه حيث تأخذ الأحوال الصيفية تسود . ويزيد عدد الانخفاضات البحرية عن الصحراوية ، فبينما يصل عدد الأولى إلى ٩٨ لا يزيد عدد الأخرى على ٨٧ انخفاضاً فى نفس المدة .

---

(١) ستون (١٩٢٣) ص ١

وفى الشتاء يرتبط مرور الانخفاضات بهبوب رياح جنوبية باردة يصحبها أحيانا أحوال خماسينية كالجفاف أو التحمل بالغبار. وتسود الرياح الجنوبية الباردة فى الغالب فى يناير وفبراير لمدة أسبوع أو نحوذلك حينما يوجد ضغط مستقر ينحدر من مصر إلى البحر المتوسط الشرقى. وفى شهر فبراير بخاصة نجد أن كل الانخفاضات الخماسينية تمر على طول البحر المتوسط. وكلما أوغلنا فى الربيع يأخذ عدد الانخفاضات الصحراوية فى الزيادة حتى نجد أن عددها فى مارس يساوى عدد الانخفاضات البحرية. ثم تكون لها السيادة فى شهرى أبريل ومايو [1].. أو بمعنى آخر نجد أن الانخفاضات فى هذا الفصل من السنة تأخذ طريقاً أكثر جنوبية من طريقها فى الشتاء. ولا تستمر الرياح الجنوبية الحارة التى تسببها الانخفاضات فى شهر فبراير لأكثر من يوم واحد فى الغالب. ولكنها تمتد إلى يومين أو ثلاثة أيام بعد شهر فبراير. ويستمر الطقس الحار يوما واحداً أثناء مرور ٤٠ ٪ من الانخفاضات ولمدة يومين أثناء ٣٠ ٪ ولمدة ثلاثة أيام أثناء ١٣ ٪ ولمدة أربعة أيام أثناء ٩ ٪ منها.

من هذا يظهر أن أقليم غرب الدلتا يتعرض فى فصلى الشتاء والربيع للانخفاضات الآتية من الغرب مارة على البحر المتوسط أحيانا وعلى الصحراء أحيانا أخرى [2]. أما فى الصيف فيتميز نظام الضغط الجوى فى مصر بصفة عامة بوجود ضغط عال على الصحراء يأخذ فى الانخفاض من الغرب إلى الشرق [3] ويستمر ثابتاً هكذا فى الغالب وبذلك يسود نوع ثابت من الطقس يمتاز برياحه الشمالية الباردة ودرجة رطوبته المرتفعة وخاصة على السواحل [4].

---

(١) راجع ستون (المصدر السابق) ص ص ٢ — ٨. يصف انخفاضا صحراويا مر بمصر فى ١ ، ٢ أبريل سنة ١٩٢٢ وكان مركزه أول الأمر واحة سيوه ، ويتتبع سيره فى مصر وفلسطين والعراق.

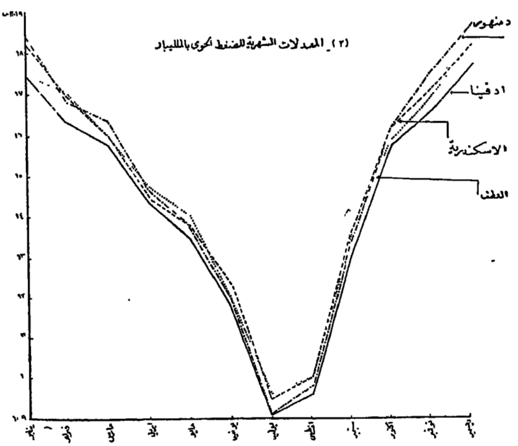
(٢) عن هذه الانخفاضات: نشأتها وحركتها وآثارها، راجع محمود حامد محمد (١٩٣٠) ص ص ١٥ — ٢٧

(٣) محمود حامد محمد (١٩٢٥) ص ٢

(٤) راجع ستون (١٩٢٤) وكريج (١٩٠٩).

(١) معدلات الضغط الجوى :

يبين المنحنى البيانى رقم ٢ المعدلات الشهرية للضغط الجوى الموحد أى المصحح لصفر سنتجراد ومتوسط الجاذبية[1] . ويتبين منه أن أعلى ضغط يحدث عادة فى يناير أو ديسمبر فيبلغ أقصاه فى الاسكندرية فى الشهرين على حد سواء (١٠١٨,٢ مليبار) ويبلغ أقصاه فى دمنهور وأدفينا والعطف فى شهر ديسمبر (١٠١٨ر٨ و ١٠١٧ر٨ و ١٠١٨ر٢ مليبار على التوالي) ثم يأخذ الضغط فى الانخفاض تدريجياً حتى شهر أبريل ثم يبطىء الانخفاض فى مايو ولكنه سرعان ما ينخفض ليصل إلى حده الأدنى فى يوليه فيصبح



فى الاسكندرية ١٠٠٩ر٥ مليبار وفى دمنهور ١٠٠٩ر١ مليبار ، وفى أدفينا ١٠٠٩ر١ مليبار وفى العطف ١٠٠٩ر٦ مليبار وأعظم تغير فى المتوسط الشهرى

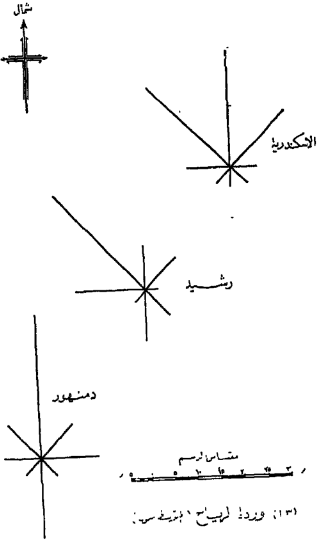
(١) الجدول الرابع خاص بالمعدلات الشهرية للضغط الجوى والرياح وعلى أ-ا-٨ رسم هذا الشكل والأشكال التى تليه خاصة بالرياح .

من شهر إلى الشهر الذى يليه يكون من أغسطس إلى سبتمبر فيصل فى الاسكندرية إلى ٣,٥ وفى دمنهور إلى ٣,٦ وفى أدفينا إلى ٣,٥ وفى المطف إلى ٤,٣ مليبار .

(ب) الرياح :

١ — اتجاه الرياح :

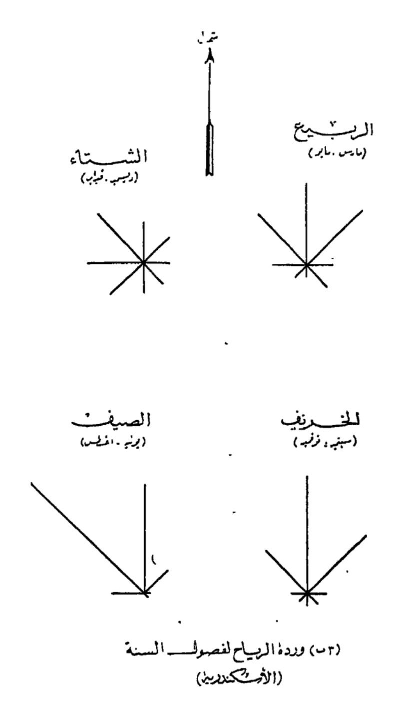
اتجاه الرياح فى اقليم غرب الدلتا بين الشمال والشمال الغربى فى العادة ويظهر هذا واضحاً فى شكل ١٣ حيث نجد أن الرياح الشمالية تمثل ٢١,٥ ٪



(١٣) وردة الرياح (المتوسط السنوى)

من مجموع الرياح التى تهب على الاسكندرية طول العام والرياح الشمالية الغربية ٢٤,٥ ٪ وفى رشيد تصل النسبة المئوية للرياح الشمالية الغربية إلى ٢٩,٣ ٪

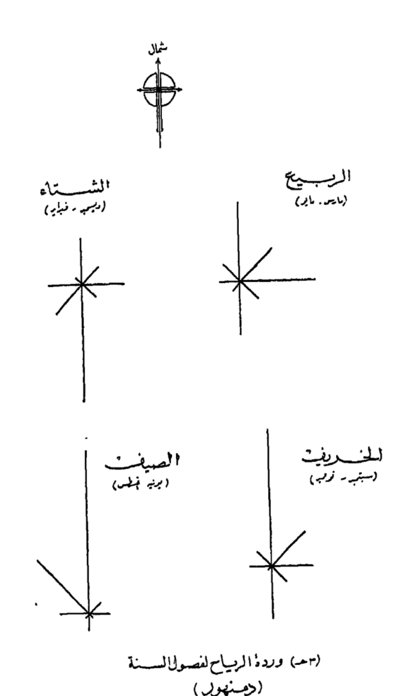
وفى دمنهور تصل نسبة الرياح الشمالية إلى ٤ر٢٠ ٪ وفى أدفينا تصل نسبة الرياح الشمالية الغربية إلى ١ر٢٣ ٪ وتصل نسبتها فى العطف إلى ٢ر٢٩ ٪



(٣ب) وردة الرياح لفصول السنة
(الاسكندرية)

وإذا درسنا اتجاهات الرياح فى فصول السنة المختلفة نجد أنها تكون أقرب إلى الشمال أو الشمال الشرقى فى الربيع والخريف فى الاسكندرية ودمنهور ، وأميل إلى الشمال الغربى فى رشيد وأدفينا والعطف .

والرياح الجنوبية والشرقية لا تسود عادة فى فصل الصيف ولكنها كثيرا ما تهب فى فصل الشتاء نظراً لمرور الانخفاضات بالبحر المتوسط

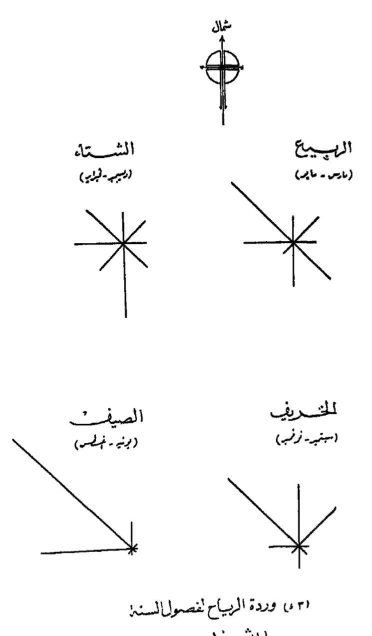


(٣ هـ) وردة الرياح لفصول السنة
(دمنهور)

وكثيراً ما يستمر هبوبها بضعة أيام ويظهر أثرها واضحاً فى دمنهور ورشيد .

وتتأثر درجة الحرارة بهذه الاتجاهات المختلفة للرياح[1]. ويمكن تلخيص هذا الأثر فيما يلي :

ا — الرياح الشمالية (ب) والشمالية الغربية (ب . غ) باردة على مدار السنة على عكس الرياح الشمالية الشرقية (ب . ش) الدافئة نوعا طول العام .



(٣) وردة الرياح لفصول السنة
(رشيد)

(١) راجع مقال بلبس (١٩١٣) ص ١٧٧

[الجدول الرابع]

المعدلات الشهرية للضغط الجوى والرياح

١ — الاسكندرية

المعدلات		يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
الضغط الجوى		١٠١٨,٢	١٧,٠	١٦,٠	١٤,٣	١٣,٨	١٢,٣	٩,٥	١٠,٠	١٣,٥	١٦,٢	١٧,٢	١٨,٢	١٠١٤,٧
سرعة الرياح كم/س (١٩٠٣—١٩٤٥)		١٥,٨	١٦,٤	١٦,٣	١٥,٥	١٤,٠	١٥,٣	١٦,٢	١٤,٩	١٣,٩	١١,١	١٢,٠	١٢,٨	١٤,٤
النسبة المئوية لاتجاه الرياح (١٩٢٠—١٩٤٥)	ب	٩,٧	١٢,٧	١٧,١	١٧,٤	٢١,٦	٢٨,٠	٢٨,٣	٣٢,٠	٣٨,٨	٣٦,٨	١٥,٧	٩,٣	٢١,٥
	ب ش	٧,٩	١٠,٩	٢٠,٢	٢٥,٨	٣٠,٩	١٨,٨	٨,١	٩,٩	١٩,٧	٣٠,٨	٢٧,٣	١٠,٣	١٨,٤
	ش	٦,٧	٦,٤	٨,٧	٧,٥	٧,٤	٢,٧	٠,٥	٠,٦	١,٩	٥,٣	٩,٥	٧,٧	٥,٤
	ق ش	٧,٢	٨,٦	٨,٢	٨,٣	٦,٤	٢,٦	٠,٢	٠,٢	١,٤	٤,٨	٥,٨	٧,٥	٥,١
	ق	٧,٩	٧,٨	٣,٩	٣,٠	٢,٥	٠,٥	٠,٢	٠,٤	١,١	٢,٨	٤,٣	٩,٦	٣,٧
	ق غ	١٦,٩	١٠,٣	٤,٤	٢,٨	١,١	٠,٧	٠,٤	٠,٧	١,٠	١,٩	٥,٣	١٤,٨	٥,٠
	غ	١٥,٨	١٤,٧	١٠,٤	٨,٦	٦,٠	٦,٥	١٠,١	٧,٧	٣,٨	٣,٩	٧,٢	١٢,٢	٨,٩
	ب غ	١٦,٣	١٩,٦	٢٠,٠	٢٢,٠	١٨,٠	٣٥,٦	٥٠,٩	٤٤,٥	٢٧,١	١٣,٨	١٣,٤	١٣,٠	٢٤,٥
	سكون	١١,٦	٩,٠	٧,١	٦,٤	٦,١	٤,٦	١,٣	٣,٨	٥ ٢	٩,٩	١١,٥	١٠,٦	٧,٥

٢ — رشيد [1]

المعدلات		يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
قوة الريح ٨ — صباحا (١ — ١٢) [2]		٢,٧	٣,٠	٢,٨	٢,٨	٢,٣	٢,٦	٢,٧	٢,٥	٢,٣	٢,١	٢,٣	٢,٢	٢,٥
النسبة المئوية لاتجاه الرياح (١٩٣١—١٩٤٠)	ب	٦,٣	٥,١	١٠,٨	٨,١	١٢,٩	١١,٣	٦,٠	١٢,١	٢٣,٥	١٧,٢	١٣,٥	٦,٠	١١,١
	ب ش	٦,٣	٥,٨	٩,٧	١٠,٠	١٣,٨	٤,٨	١,٥	١,١	٥,٨	١٨,٣	١٥,٩	٧,١	٨,٣
	ش	٣,٤	٤,٦	٦,٩	٧,٠	٦,٧	٤,٠	٠,٣	٠,٦	٣,٠	٢,٨	٥,١	٣,٣	٤,٠
	ق ش	١٠,٠	١١,٥	١٠,٦	١٠,٤	١٠,٨	٣,٠	٠,٣	٠,٣	١,٠	٦,٨	٩,٢	١٠,٨	٧,١
	ق	٢٧,٦	٢٤,٥	١٧,٣	١٤,١	٥,٦	٣,٢	٠,٠	١,٢	٤,٥	١٤,٤	١٣,٤	٢٧,٨	١٢,٨
	ق غ	١٠,٠	٧,٤	٤,٥	٣,٣	١,٤	١,٣	١,٦	٢,١	٣,٧	١,٩	٦,٠	١٢,٠	٤,٥
	غ	١٣,٩	١٨,٣	١١,٣	١٥,٠	١٣,٥	٢٢,٢	٣٢,٦	٢٠,٣	١٣,٣	٤,٢	٧,٩	١١,٦	١٥,٣
	ب غ	١٤,٤	١٦,٨	٢٢,٨	٢٨,٤	٢٩,٩	٤٦,٢	٥٢,٢	٥٤,٦	٣٩,٥	٢١,٥	١٤,٩	١٠,٣	٢٩,٣
	سكون	٨,١	٦,٠	٦,١	٣,٧	٥,٤	٤ ٠	٥,٥	٧,٧	٦,٧	١٢,٩	١٤,١	١١,٦	٧ ٦

(١) هذه المحطة لا يقاس فيها الضغط

(٢) بمقياس بوفورت

٣ — دمنهور

	المعادلات	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
	الضغط الجوى	١٠١٨,٤	١٦,٨	١٦,٣	١٤,٧	١٣,٨	١٢,٠	٩,١	٩,٨	١٣,٤	١٦,٢	١٧,٦	١٨,٨	١٠١٤,٧
	قوة الريح ٨ صباحا (٠ — ١٢)	٢,٤	٢,٤	٢,٦	٢,٨	٢,٤	٢,٢	٢,٣	٢,١	١,٩	١,٩	٢,٠	٢,٣	٢,٣
النسبة المئوية لاتجاه الرياح (١٩٢١ — ١٩٤٥)	ب	٧,١	٧,٩	١٢,٣	١٨,٠	٣٦,٠	٣٣,٨	٣٧,٧	٢٧,٢	٣٣,٣	٢٥,٤	١٦,٩	٨,٩	٢٠,٤
	ب.ش	٧,٧	٧,٦	١٥,٥	١٤,٧	١٧,٥	١١,٩	٦,١	٧,٠	٩,٧	١٨,٢	١٥,٩	١١,٩	١٢,٠
	ش	٩,٠	١١,٨	١٦,٢	١٩,٢	٢٠,٣	١٠,٥	١,٣	٣,٢	٣,٩	١٢,٧	١١,٤	٨,٧	١٠,٧
	ق.ش	٥,٨	٨,٨	٦,٨	٦,٧	٦,٣	٠,٨	٠,٤	١,٣	٣,٣	٧,١	٥,١	٤,٠	٤,٧
	ق	١٦,١	١٧,١	١٠,٨	٦,٦	٤,٠	٢,٥	٠,٨	٢,٨	٣,٠	٦,١	٨,٠	١٦,٢	٧,٨
	ق غ	٣٨,٢	٣١,١	٣٠,٣	١٠,٢	٦,٠	٤,٢	٧,١	٧,٣	١٢,٢	١٤,٠	٢٠,٩	٣٥,١	١٧,٢
	غ	٨,٩	١٢,١	٩,٨	١٣,٤	٩,٩	١٥,٦	٢٥,٨	٢٤,٣	١٤,٩	٩,٥	١١,٣	١٠,٨	١٣,٩
	ب غ	٤,٦	٢,٦	٦,٦	١٠,٨	٩,٤	١٩,٦	٢٩,١	٢٠,٤	١٧,٩	٧,٠	٩,٢	٢,٥	١٢,٠
	سكون	٢,٦	١,٠	١,٧	٠,٤	٠,٦	١,١	١,٧	١,٥	١,٨	٠,٠	١,٣	١,٩	١,٣

٤ — ادفينا

	المعادلات	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
	الضغط الجوى	١٠١,٧٥	١٦,٣	١٥,٨	١٤,٣	١٣,٤	١١,٨	٩,١	٩,٦	١٣,١	١٥,٨	١٦,٦	١٧,٨	٠٠١٤,٣
	قوة الريح ٧ ص ٠ — ١٢	١,٣	١,٣	١,٥	١,٧	١,٦	١,٧	١,٨	١,٥	١,٢	١,٠	١,٠	١,٠	١,٤
النسبة المئوية لاتجاه الرياح (١٩٢١ — ١٩٤٥)	ب	٢,٤	٤,٨	٨,٩	١٣,٦	١٧,٣	١٦,٨	١١,٩	١٤,٠	١٦,٧	١٢,١	٨,٧	٤,٠	١٠,٩
	ب.ش	٢,٤	٥,٤	١٠,٣	١٣,٦	١٦,٨	٦,٨	١,٦	٢,٣	٥,٨	١٢,١	١١,٣	٥,٦	٧,٨
	١١	١,٦	٣,٠	٦,٤	٧,٣	٥,٨	٢,٤	٠,٢	٠,٣	٠,٥	٣,١	٣,٥	٢,٠	٣,٠
	ق.١١	٣,٢	٤,٥	٤,٤	٤,٤	٣,٠	١,٠	٠,١	٠,١	٠,٤	١,٩	٢,٣	٢,٩	٢,٤
	ق	٥,٧	٤,٧	٣,٠	٣,٢	١,٥	٠,٤	٠,٢	٠,٤	١,١	٢,٥	٢,٣	٣,٩	٢,٣
	ق.غ	١٦,٠	١٠,١	٤,٤	٢,٨	١,٢	٠,٤	٠,٩	١,١	١,٨	٢,٩	٦,٣	١٣,٤	٥,١
	غ	١٦,٠	١٣,٢	١١,٩	١٠,٤	٧,٧	١١,١	١٥,٩	٩,٦	٥,٢	٤,٩	٧,٥	١٠,٨	١٠,٤
	ب.غ	١٠,٧	١١,٨	١٩,٣	١٨,٨	٢٢,٩	٣٩,١	٥١,٢	٤٢,٦	٢٦,٦	١٢,١	١٠,٩	١٠,٠	٢٣,١
	سكون	٤٢,٠	٤٢,٥	٣١,٤	٢٦,٢	٢٣,٦	٣٢,٠	١٨,٠	٢٩,٦	٤١,٧	٤٨,٤	٤٧,٢	٤٧,٤	٣٥,٠

٥ — العطف

المعادلات		يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
الضغط الجوى		١٠١٧,٥	١٧,١	٢٦.٠	١٤.٧	١٤,٠	١٢,٠	٩,٦	١٠,٠	١٣,٤	١٥,٩	١٧,١	١٨,٢	١٠١٤,٦
قوة الريح ٨ ص (٠ — ١٢)		٠,٦	٠,٧	١,٠	١,١	١,١	١,٢	١,٢	١,٠	٠,٩	١,٨	٠,٧	٠,٥	٠,٩
النسب المئوية لاتجاه الرياح (١٩٤١ — ١٩٤٥)	ب	٤,٣	٧,٣	١١,١	١٦.٥	١٨,٣	١٧,٦	١٣,٨	٨,٩	١٢,٦	٧,٧	١٠,٠	٥,٢	١١,١
	ب.ش	٤,٣	٦,٠	١١,١	١٨.٦	١٨,٦	٩,٤	٣,٢	٢,٧	٥,٨	١٤,٠	١٤,٠	٧,٨	٩,٦
	ش	٠,٥	٢,٠	٣,٢	٥,٠	٣,٥	١,٣	٠,٠	٠,	٠,٢	١,٠	١,٥	١,٧	١,٧
	ق.ش	٢,٤	٣,٢	٤,٠	٣,٣	٢,١	١,٢	٠,٣	٠.٠	٠,٨	٢,٠	١,٤	٣,٨	٢,٠
	ق	٣,٨	٢,٧	١,٩	١,٢	٠,٩	٠,٢	٠,١	٠,١	٠,٧	١,١	١,٣	٢,٨	١,٤
	ق.غ	١١,٨	٦,٥	٥,٠	٣,٦	١,٩	٢.١	١,٩	٢,٦	١,٠	١,٦	٤,٧	٧,٦	٤,٢
	غ	٤,٥	٤,٩	٤,٧	٣,٩	٢,٠	٢,٣	٢,٦	٢.٥	١,٨	١,٦	٢,٤	٤,٨	٣,٢
	ب.غ	١٢,٠	١٢,٩	٢٠,٢	٢٣,٨	٢٣,٤	٤١,٩	٩٣,٧	٥٦,٩	٤٤,٥	٣١,١	١٦,٢	١٤.٢	٢٩,٢
	سكون	١٦,٤	٥٤,٥	٣٨,٧	٢٤,١	٢٩,٣	٢٤,٠	٢٤,٤	٢٦,٣	٣٢,٦	٣٩,٩	٤٨,٥	٥٢,١	٣٧,٦

ملاحظة : اتجاه الرياح (الساعة ٨ + ١٤ + ٢٠)

٢ — أما الرياح الجنوبية (ق) فلها أثر كبير فى الحرارة فى فصل الربيع إذ تكون رياحا دفيئة للغاية ، أما في الخريف فهى أقل دفئاً ، وقليلا ما تهب هذه الرياح فى الصيف .

٣ — الرياح الجنوبية الشرقية (ق . ش) لهـا أثرها الواضح فى الحرارة فى فصل الربيع ولاتهب هذه الرياح فى الصيف أو الخريف .

٤ — الرياح الجنوبية الغربية (ق . غ) الدفيئة في الربيع والخريف لهـا تأثير عكسى فى الشتاء إذ تصبح رياحا باردة .

٥ — الرياح الشرقية (ش) دفيئة بصفة عامة ويزداد دفئها فى الربيع .

٦ — الرياح الغربية (غ) دفيئة نوعاً إلا فى فصل الربيع حيث تكون رياحا ميالة الى البرودة .

ويوضح الجدول الخامس متوسط الانحراف عن درجة الحرارة العادية لكل اتجاه من اتجاهات الرياح (متوسط عشر سنوات) .

[الجدول الخامس]

العلاقة بين اتجاهات الرياح وانحراف درجة الحرارة عن معدلها

الفصل / الاتجاه	ب ١	ب ش ١	ش ٥	ق.ش ٣	ق ٢	ق غ ٤	غ ٦	ب.غ ١
الشتاء	−٠.٣	+٠.٤	+١,٧	+١.٥	+٢.٠	−٠.٧	+٠.٢	−٠.٢
الربيع	−٠.٩	+٠,٣	+٣.٨	+٤,٠	+٦,٢	+٣,٣	+٠.١	−٠,٨
الصيف	−٠.٤	+٠,٣	+١,٨	—	—	-	+٠,٣	٠,٠
الخريف	−٠.١	+٠.٦	+٣,٢	—	+٢٨	٠.٤	+٠,٨	٠,٠

٢ — سرعة الرياح :

تقدر شدة الريح بطريقتين ، إما على مقياس مخصوص يسمى بمقياس بوفورت Beaufort وأرقامه محصورة بين (٠ — ١٢) أو بالكيلومترات فى الساعة [١] . والطريقة الأولى هى المستعملة فى كل مراصد الاقليم موضوع الدراسة ماعدا مرصد كوم الناضورة بالاسكندرية حيث نستعمل الطريقة الأخرى التى تمتاز بدقتها فى حين أن أرقام طريقة بوفورت إنما هى أرقام تقريبية محضة . ولهذا كان اعتمادنا فى دراسة سرعة الرياح على أرقام محطة كوم الناضورة بصفة أصلية وعلى أرقام المحطات الأخرى بصفة إضافية.

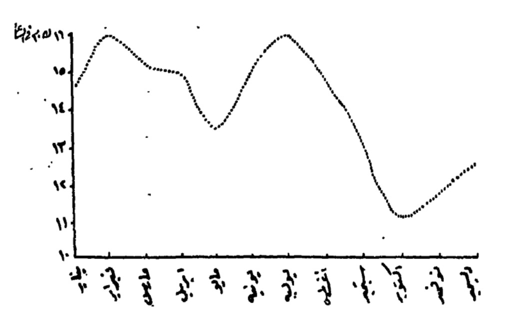
ويبين الجدول الرابع والمنحنى البياني رقم ٤ معدلات متوسط سرعة الريح ومنه يظهر أنها تبلغ أقصى قوتها عادة فى شهور فبراير ومارس ويولية فتصل فى الاسكندرية الى ١٦,٤ ؛ ١٦,٣ ، ١٦,٢ ك م . فى الساعه على الترتيب . وأقل متوسط لسرعة الرياح يكون عادة فى شهر أكتوبر فتصل سرعتها

(١) راجع كتاب « تعليمات لراصدى الظواهر الجوية (الميتورولوجيا) فى القطر المصرى والسودان » (١٩٣١) ص ٢٥ وما بعدها — ولدراسة العلاقة بين التقديرين راجع محمود حامد محمد (١٩٢٧) ص ١٣٨

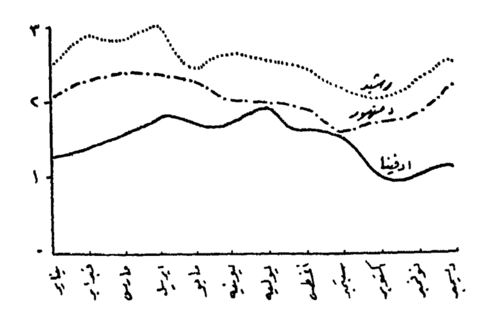
فى الاسكندرية الى ١١ر١ ك . م . فى الساعة فى المتوسط وفى رشيد الى ١ر٢
وفى دمنهور إلى ٩ر١ وفى أدفينا الى ١ر٠ بمقياس بوفورت .

الاسكندرية

(٤ ا) معدلات متوسط سرعة الرياح (ك.م فى الساعة)



(٤ ب) معدلات متوسط قوة الرياح (٠-١٢)



والطقس الهادىء يكون فى الخريف والشتاء وقد حدث فى ديسمبر سنة ١٩١٥ أن مرت فترة ١٥ يوما متعاقبة كان الطقس فيها هادئاً حتى لقد كان يخيل للانسان أنه لا توجد رياح إطلاقا . وكان حوض البحر المتوسط فى هذين الأسبوعين منطقة ضغط عال بطىء الانحدار جداً . ثم تلا هذه الفترة الهادئة الطقس أيام عاصفة .

والسرعة العظيمة للرياح أكثر حدوثا عادة فى الشتاء وفى أوائل الربيع ، وأكبر سرعة سجلت للرياح فى مصر هى ١١٩ ك م . في الساعة وكان ذلك فى مدينة الاسكندرية فى ٢٦ يناير سنة ١٩٠٨ حين هبت عاصفة شديدة من الشمال الغربى مكثت يومين كاملين ، كان متوسط سرعة الرياح فى مجموع ساعات كل يوم نحو ٦٠ ك . م . فى الساعة الواحدة وهو أقصى ما سجل للآن فى جميع المراصد وكان سبب حدوث العاصفة مرور انخفاض عميق بشكل غير عادى بالقرب من الاسكندرية [1] .

أما فصل الانواء gales فيمتد من نوفمبر إلى مايو . ونقصد بلفظ « نوء » هنا الرياح التى تتجاوز سرعتها ٥٠ ك . م . فى الساعة وتستمر على هذه السرعة مدى ساعة على الأقل ويحدث حوالى ٥ أنواء كل سنة يكون معظمها فى ديسمبر ويناير وفبراير . وهذا الشهر الأخير هو أكثر شهور السنة عواصف . وتبين الأرقام التالية عدد الأيام التى حدثت فيها الأنواء فى مدى عشرين سنة (١٩٢٤ — ١٩٤٣) .

اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	المجموع
١	١١	٢٠	٢١	٢٩	١٢	٦	٢	١٠٢

ويبلغ عدد الأنواء التى استمرت أكثر من ١٢ ساعة متتابعة فى نفس المدة ١٨ موزعة كما يلى :

نوفمبر	ديسمبر	يناير	فبراير	المجموع
١	٤	٣	١٠	١٨

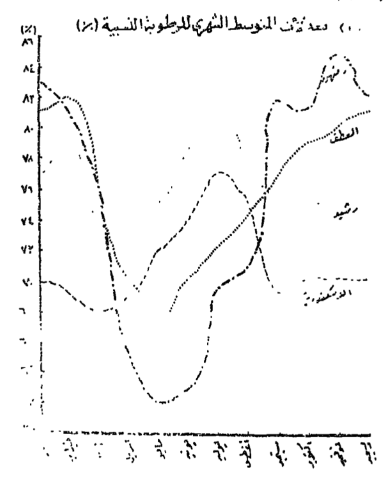
(١) محمود حامد محمد (١٩٢٥) ص ١١ ، (١٩٢٧) ص ١٤٠

وتهب هذه الأنواء فى العادة من الجنوب الغربى . ويلاحظ فى الدورة اليومية للرياح أنها تكون بطيئة ثم تأخذ سرعتها فى الزيادة ابتداء من شروق الشمس حتى تصل إلى أقصاها فى الثالثة مساء ثم تهبط سريعاً حتى الساعة التاسعة مساء . وتستمر بعدها هادئة حتى الصباح .

٣ — الرطوبة النسبية والمطر

(ا) الرطوبة النسبية :

يظهر من الجدول السادس ومن الرسم البيانى رقم ٥ أن الرطوبة تختلف باختلاف موقع المنطقة من الساحل فبينما تبلغ أقصاها فى الصيف (يوليه) وأدناها فى الربيع (مارس) والخريف (سبتمبر) فى الاسكندرية ورشيد وهما مدينتان ساحليتان نجد العكس فى دمنهور والعطف الواقعتين بعيداً عن الساحل إذ تبلغ الرطوبة أقصاها فى أواخر الخريف وأوائل الشتاء (نوفمبر وديسمبر) وتصل إلى حدها الأدنى فى أواخر الربيع وأوائل الصيف (مايو) .



[الجدول السادس]

المعدلات الشهرية للرطوبة النسبية والمطر

١ — الاسكندرية

		يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيه	يوليه	أغسطس	بتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
المتوسط الشهرى للرطوبة النسبية ٪		٦٩	٦٨	٦٨	٦٩	٧٢	٧٤	٧٧	٧٥	٦٩	٦٩	٧٠	٧٠	٧١
المطر (١٨٨٤ — ١٩١٥)	عدد أيام: ٠,٢ م.م على الأقل	١٠,٣	٦,٩	٤,٠	١,٤	٠,٧	٠,٠	٠,٠	٠,١	٠,٢	١,٥	٥,٩	٩,٩	٤٠,٩
	١,٠ م.م على الأقل	٧,٤	٤,٨	٢,٦	٠,٨	٠,٥	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,١	١,٠	٤,٣	٧,٥	٢٩,٠
	كمية المطر (م.م): المتوسط الشهرى م.م	٤٩	٢٤	١٠	٣	٢	٠,٠	٠,٠	٠,٠	١	٦	٢٣	٥٦	١٨٤
	أقصى كمية فى يوم واحد	٤٧,٠	٣٢,٣	١٨,١	٣٠,٠	١٠,٨	١,٥	رذاذ	١٠,٠	١٢,٤	٢٧,٤	٦٢,٤	٥٥,٠	—
	التاريخ	٣/١٩١٦	١٢/١٩٠٨	١/١٩٤١	١٩/١٩٠٩	٣/١٩٣٤	٥/١٨٨٨	بعض أيام فى بعض السنوات	٢٨/١٩٤٤	٣٠/١٨٨٦	٢/١٨٩٩	٥/١٩٣٨	٢٠/١٩١٤	—

٢ — رشيد

المتوسط الشهري للرطوبة النسبية ٪		٨٠	٨٠	٧٧	٧/	٧٨	٧٩	٨١	٧٩	٧٤	٧٤	٧٦	٧٨	٧٨
المطر (١٩١٢ — ١٩٣٨) عدد الأيام	١٫٠ م م على الأقل	٩٫٢	٠٫٧	٢٫٩	١٫١	٠٫٣	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	١٫٠	٤٫٨	٧٫٦	٣٣ ٩
	٠٫١ م م على الأقل	٧٫٤	٥٫٦	٢٫٢	٠٫٧	٠٫٢	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٨	٣٫٧	٦٫٢	٢٦٫٨
كمية المطر (م م)	المتوسط الشهري م م	٤٦	٣٤	١٢	٣	١	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٧	٢٢	٤٨	١٧٣
	أقصى كمية في يوم واحد	٤١٫٣	٣٩٫٣	٢٧٫٨	١٦٫٠	١٣٫٠	رذاذ	٠٫٠	٠٫٠	١١٫٦	٠٫٤٩	٢٥٫٠	٤٦٫٤	—
	التاريخ	١٧/٤	٢٨/٢٣	٢٢/٦	٢٧/٨	٣٤/١٣	٢١/٦	—	—	٢٨/٢٧	٢٧/٣٧	٢٧،٢٩	١٧ ٢٣	—

٣ — دمنهور

المتوسط الشهري للرطوبة النسبية ٪		٨٣	٨١	٧٦	٦٦	٦٣	٦٤	٧٠	٧٢	٧٥	٨٠	٨٥	٨٣	٧٥
المطر (١٩٠٠ — ١٩٤٥) عدد الأيام	١٫٠ م م على الأقل	٧٫٣	٥٫٦	٣٫٠	١٫٣	٠٫٥	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫١	١٫١	٣٫٢	٦٫٦	٢٨٫٧
	٠٫١ م م على الأقل	٥٫٣	٤٫٤	٢٫٢	٠٫٨	٠٫٣	٠٫	٠٫٠	٠٫٠	٠٫١	٠٫٨	٢٫٣	٤٫٤	٢٠٫٦
كمية المطر م م	المتوسط الشهري	٢٤	٢١	١٠	٤	٣	٠٫٠	٠٫٠	١	٠٫٠	٤	١١	٢١	٩٩
	أقصى كمية في يوم واحد	٥٤٫٥	٢٥٫١	٢١٫٠	٤١٫٨	٣٤٫٢	رذاذ	٠٫٠	٢٠٫٤	٢٫٥	٣٧٫٠	٢٧٫٥	٥٢٫٨	—
	التاريخ	٨/٢٦	١٣/٢٢	١٧/١٠	٩/١٥	١٥/١٣	/٣٦، ٣٣ ٤٢	—	٤٤/٢٨	١٨ ٢٥	٣٧/٢٧	٢٥/١٧	٥/١٨	—

٤ — ادفينا

	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيه	يوليه	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
المتوسط الشهري للرطوبة النسبية ٪	٧٩	٧٨	٧٤	٧٠	٦٨	٧٠	٧٣	٧٣	٧١	٧٤	٧٨	٧٩	٧٤
المطر ١٩٣٣ — ١٩٤٥ عدد الأيام ٠,١ م م على الأقل	٧,١	٦,٥	٣,١	٠,٩	٠,٦	٠,٠	٠,٠	٠,١	٠,٢	٢,٠	٤,٥	٧,١	٣٢,١
عدد الأيام ١,٠ م م على الأقل	٦,٤	٥,١	٢,٤	٠,٨	٠,٥	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,١	١,٩	٤,٠	٦,٥	٢٨,٦
كمية المطر: المتوسط الشهري م م	٣٦	٣٧	١١	٣	٤	-	٠	٠	٠	١٠	١٧	٤١	١٥٩
أقصى كمية في يوم واحد	٢٣,٠	٣٥,٠	١١,٥	٦,٠	١٣,٨	رذاذ	رذاذ	١,٥	٢,١	٤٢,٠	٢٢,٣	٣٤,٣	—
يوم أقصى مطر: التاريخ	٢٨ ١٣	٤٣/٢٣	٤٥/٢٢	٣٤/١٧	٣٤/١٣	بضعة أيام في سنوات مختلفة	٤٢/٢	٤٤/٢٨	٣٨/٢٧	٣٧/٢٧	٣٨/٦	٤/٤٤	—

٥ — العطف

	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيه	يوليه	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
المتوسط الشهري للرطوبة النسبية ٪	٧٩	٨٠	٧٤	٧	٦٦	٦٧	٧٠	٧٤	٧٤	٧٧	٨٠	٨١	٧٤
المطر ١٩٠٣ — ١٩١٤ و ١٩٢٨ — ١٩٤٥ عدد الأيام ٠,١ م م على الأقل	٦,٦	٤,٥	٢,٠	٠,٨	٠,٣	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,١	١,٠	٢,٩	٥,٢	٢٣,٤
عدد الأيام ١,٠ م م على الأقل	٦,٠	٤,٢	١,٨	٠,٧	٠,٣	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٩	٢,٧	٤,٨	٢١,٤
كمية المطر: المتوسط الشهري م م	٣١	٢٤	١١	٤	٣	٠	٠	٠	١	٧	١٤	٢٦	١٣١
أقصى كمية في يوم واحد	٣٣,٠	٣٨,٠	٣٥,٠	٢٦,٠	١٣,٨	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٢٠,٢	٣٤,٠	٢٩,٢	٣٢,٠	—
يوم أقصى مطر: التاريخ	٨/٣٦	١٢/١٨	٧/٣	٩/١٩	٩/١٤	—	—	—	٣٨/٣٦	٣٧,٢٧	٦ ٢٥	٣٠/١٠	—

محطات للمطر فقط

المحطة	البيان													
كوم الطرفاية (١٩٢٨—١٩٤٥) عدد الأيام	٠٫١ م م على الأقل	٦٫٢	٣٫٥	١٫٠	٠٫٤	٠٫١	٠٫٠	٠٫٠	٠٫١	٠٫٠	٠٫٩	٢٫٩	٤٫٦	١٩٫٧
	٠٫١ م م على الأقل	٦٫٢	٣٫٥	١٫٠	٠٫٤	٠٫١	٠٫٠	٠٫٠	٠٫١	٠٫٠	٠٫٩	٢٫٩	٤٫٥	١٩٫٦
كمية المطر م م	المتوسط الشهري م م	٥١	٣٤	٨	٢	١	-	٠	٠	٠	٤	١٩	٤٤	١٦٣
	أقصى كمية في يوم واحد	٤٩٫	٣٥٫٠	٢٥٫٠	١٠٫٠	١٢٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٤٫٠	٠٫٠	١٥٫٠	٢٥٫٠	٤٠٫٠	—
	التاريخ	٣٠/٢١	٣٤/٢	٣٨٫١	٢٩/٢٠	٣٤/١٣	—	—	٤٤٫٣٠	-	١٩/ ٧	٣٢/١٧	٣٤٫٢٩	—
خامات الطاهرة (١٩٢٨—١٩٤٥) عدد الأيام	٠٫١ م م على الأقل	٦٫٢	٤٫٤	١٫١	٠٫٤	٠٫٢	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٥	٢٫٨	٥٫٤	٢١٫٠
	٠٫١ م م على الأقل	٦٫٢	٤٫٤	١٫٠	٠٫٣	٠٫١	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٥	٢٫٩	٥٫٤	٢٠٫٧
كمية المطر م م	المتوسط الشهري	٥١	٣٥	٦	١	١	-	٠	٠	٠	٨	٢٥	٥٠	١٧٧
	أقصى كمية في يوم واحد	٤٨٫٠	٣٣٫٠	٢٢٫٠	٦٫٠	٧٫٠	٠	-	٠	٠	٣٠٫٣	٣٠٫٠	٨٤٫٥	—
	التاريخ	٣٠/٢١	٤١/٢٨	٤١/ ١	٤٣/ ٥	٣٤/١٣	—	—	—	—	٢٩/١٧ ٢٧/٢٧	٤٥/٢٩	٢٥٫٢٩	—
طلمبات الموصل (١٩٢٨—١٩٤٥) عدد الأيام	٠٫١ م م على الأقل	٧٫٢	٥٫١	١٫٤	٠٫٥	٠٫٣	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٨	٣٫٦	٦٫١	٢٥٫١
	١٫٠ م م على الأقل	٦٫٨	٤٫٧	١٫٤	٠٫٥	٠٫٣	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٨	٣٫٦	٦٫٠	٢٤٫١
كمية المطر (م م)	المتوسط الشهري	٤٣	٢٥	٥	٢	٢	٠	٠	٠	-	٦	٢٢	٣٧	١٤٢
	أقصى كمية في يوم واحد	٦٠٫٠	١٨٫٠	١٠٫٠	٩٫٥	١٣٫٠	(. . . . رذاذ . . . . . .)				٣٨٫٠	٤٢٫٠	٤٢٫٠	—
	التاريخ .	٣٠/٢١	٣٧/١٦	٣٩/١	٣٤/١٧	٣٤/١٣	١٩/٤٫٣	٣٩/٢٨،١٢	ضمة أيام في سنوات مختلفة		٣٧٫٢٧	٣٢/٥	٤٤/١	

(تابع) محطات للمطر فقط

		يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيه	يوليه	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفبر	ديسمبر	السنة
كفر الزيات ١٩٠٣ — ١٩١٤ / ١٩١٥ — ١٩٢٨	[illegible] ٠,١ م.م على الأقل	٣.٧	٣.١	١,٦	٠,٥	٠.٤	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,١	٠.٧	٢,٢	٣,٣	١٥.٦
	[illegible] ١,٠ م.م على الأقل	٣.٢	٢,٩	١,٤	٠.٥	٠,٣	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٦	١,٩	٣.١	١٣,٩
	المتوسط الشهري	١٨	١٤	٨	٢	٣	٠	٠	١	٢	٥	٩	١٤	٧٦
	أقصى كمية في يوم واحد	٢٣.٨	١٨.٠	١٨.٠	١٩,٠	٢٨,٢	٠,٠	٠,٠	٣٤,٥	٦٠,٠	٣٨,٥	٢٥,٠	٢٠,٠	—
	التاريخ	١٩/١٧	٢٣/١	١٥/٢٩	٢٧/١٠	٤٥/١٥	—	—	٤٤/٢٨	١٨,٢٣	٢٧/٢٧	١٤/٥	١٤/٢٠	—
[illegible] (١٩٠٣ — ١٩١٤)	[illegible] ٠.١ م.م على الأقل	٧.١	٥.٥	٤.٠	١,٦	٠.٧	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٢	١,٤	٣.٦	٧.١	٣١,٢
	[illegible] ١.٠ م.م على الأقل	٦ ٥	٥.٠	٣.٢	١,٣	٠,٦	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٠	١,٢	٢.٩	٥.٨	٢٦.٥
	المتوسط الشهري	٢٧	٣١	١٢	٧	٢	٠	٠	٠	٠	٧	١٤	٢٥	١٣٥
	أقصى كمية في يوم واحد	٤٦.٢	٣٠.٥	١١,٥	١٧.٥	٥,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٣	٢١.٨	٢٨,٠	٢٧.٢	—
	[illegible]	٨/٢٦	٤/١٣	١٠/١١	٩/١٥	٧/٦	—	-	—	١٠/١٩	٥/١٠	١٣/٢٢	٥/١٨	—

المحطة	البيان														
شبراخيت (١٩٠٣ — ١٩١٤)	عدد الأيام	١,٠ م.م على الأقل	٦٢	٤.٩	٣,٥	١,٢	٠,٧	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٠	١,٥	٢.٧	٦.٢	٢٦.٩
		١,٠ م.م على الأقل	٥,٣	٤.٤	٣.١	١.١	٠.٧	٠,٠	٠.٠	٠.٠	٠.٠	١.٢	٢.١	٥.٠	٢١.٩
	كمية المطر م م	المتوسط الشهري	٢٢	١٧	١١	١٠	٤	٠	٠		٠	٧	٧	٢٢	١٠٠
		أقصى كمية في يوم واحد	٤١,٠	١٨.٠	١١,٢	٣١.٥	١٤.٠	٠,٠	٠.٠	٠,٠	ردذ	١٩.٣	١٠.٥	٢٧.٨	—
		التاريخ	٨/٢٦	١٢/١٨	١٠/١١	٩/١٥	١٠/١٤	—	—	—	١١/٢٠	١١/٢٠	١١/٧	٥/١٠	—
حوش عيسى (١٩٠٣—١٩١٤) (١٩٢٨—١٩٣٧)	عدد الأيام	١,٠ م.م على الأقل	٤,٠	٣,١	١.٣	٠,٨	٠.٦	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠.٦	٢.٣	٤.٠	١٦.٧
		١,٠ م.م على الأقل	٣.٧	٣,٠	١,٢	٠,٧	٠,٦	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠.٦	٢.١	٣.٨	١٥.٧
	كمية المطر م م	المتوسط الشهري	٢٠	١٧	٥	٦	٢	٠	٠	٠	٠	٧	١١	١٩	٨٧
		أقصى كمية في يوم واحد	٣٥.٠	٢٥,٠	١٣,٠	٣٥,٠	٨.٠	٠	٠	٠,٢	٠,٢	٣٨,٠	٢٢.٠	١٩.٢	—
		التاريخ	٨/٢٥	٢٧/٢١	٥/٢١	٩/١٥	٣٤/١٤	—	—	٧/٢٧	٧/٢٧	٢٧/٣٧	٦/٢٦	١٢/١٥	—
إيتاي البارود (١٩٠٣—١٩١٤)	عدد الأيام	١,٠ م.م على الأقل	٣,٥	٣,٤	١.٧	١.٠	٠,٣	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠.٠	٠.٣	١.٨	٣.٨	١٥,٨
		١,٠ م م على الأقل	٣,٠	٣,٠	١,٧	٠.٩	٠,٣	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠.٠	٠,٣	١.٦	٣.٣	١٤.١
	كمية المطر م م	المتوسط الشهري	١٩	١٤	٩	٧	٢	٠	٠	٠	٠	٢	٨	١٦	٧٧
		أقصى كمية في يوم واحد	٤٠.٠	٢٦,١	١٢,٠	٢٩.٥	٢٠,	٠	٠	-	٠	١٥.٠	١٤.٦	١٧.٠	—
		التاريخ	١٠/١٨	١٤/٢٣	١٠/٨	٩/١٩	١٠ ١١	—	—	—	—	٦/٢٠	١٣/٢٣	٩ ١٥	—

(تابع) محطات للمطر فقط

المحطة			يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيه	يوليه	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
كفر بولين (١٩٠٣—١٩١١)	عدد الأيام	٠٫١ م.م. على الاقل	٣٫٥	٢٫٤	٢٫٤	١٫٣	٠٫٩	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٤	١٫٦	٣٫٤	١٥٫٩
		١٫٠ م.م. على الاقل	٢٫٨	١٫٧	١٫٩	١٫٠	٠٫٨	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٣	١٫٥	٢٫٨	١٢٫٨
	كمية المطر م.م.	المتوسط الشهرى	١٦	١٠	٩	٩	٣	٠	٠	٠	٠	٢	٥	١١	٦٥
		أقصى كمية فى يوم واحد	٥٫٠	١٦٫٥	٣١٫٢	٣١٫٢	٦٫٦	٠	٠	٠	رذاذ	١٤٫٠	١٥٫٨	٤٩٫٠	—
		التاريخ . .	٨/٢٦	١٢/١٨	١/٢٣	٩/١٩	١٣/١٦	—	—	—	١٠/١٩	٧/٢٢	١٣/٢٢	٤/٢	—
القطاطبة (١٩٠٣—١٩١٤)	عدد الأيام	٠٫١ م.م. على الاقل	٣٫١	٢٫١	١٫٧	١٫٥	٠٫٨	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٥	٠٫٨	٢٫٥	١٣٫٠
		١٫٠ م.م. على الاقل	١٫٦	١٫٢	٠٫٦	١٫٠	٠٫٥	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٣	٠٫٥	١٫٥	٧٫٢
	كمية المطر م.م.	المتوسط الشهرى	٦	٤	٣	١	١	٠	٠	٠	٠	١	١	٥	٢٢
		أقصى كمية فى يوم واحد	٧٫٠	٧٫٠	١٢٫٠	٢٥٫٠	٤٫٥	٠	٠	٠	رذاذ	٠٫٢	٢٫٥	٨٫٥	—
		التاريخ . .	٤/١٦	٤/١٤	٨/٢٣	٩/١٩	١٣/١٦	—	—	—	١٣/٢٦	٦/٢٤	٨٢/٠	١١/٢١	—

فاذا أخذنا المنطقة الساحلية نجد أن أقل متوسط شهرى للرطوبة يحدث فى الاسكندرية فى مارس فيصل إلى ٦٨ ./. وفى رشيد فى سبتمبر فيصل إلى ٧٤ ./. . وهذا يرجع إلى الرياح الجنوبية الجافة المرتبطة بالانخفاضات التى تمر فى تلك الأثناء من جهة وإلى سيادة الرياح الشمالية الغربية من جهة أخرى (الاسكندرية ٢٠ ./. فى مارس ورشيد ٣٩,٥ ./. فى سبتمبر) وبالرغم من وقوع هاتين المدينتين على الساحل فقد يحدث أحيانا فى أثناء فصل الربيع أن يصبح الهواء جافاً للغاية ، فمثلا حدث فى الاسكندرية فى ١١ مارس سنة ١٩١٥ أثناء مرور انخفاض خماسينى ، أن سادت رياح جنوبية شديدة الحرارة مما أدى إلى انخفاض درجة الرطوبة النسبية دفعة واحدة إلى ٢ ./. ولكن بمجرد مرور الانخفاض وتحول الرياح إلى شمالية ارتفعت نسبة الرطوبة إلى ٨٨ ./. فى أقل من ساعتين . وكان هذا مصحوباً بانخفاض فى الحرارة مقداره ١٧° م .

أما فى المناطق البعيدة عن الساحل فتصل الرطوبة إلى حدها الأدنى فى شهر مايو فتصبح فى دمنهور ٦٣ ./. وفى العطف ٦٦ ./. ثم تأخذ بعد ذلك فى الزيادة حتى تصل إلى ٨٥ ./. فى دمنهور فى شهر نوفمبر وإلى ٨١ ./. فى العطف فى شهر ديسمبر ؛ والفرق بين أعلى متوسط وأدنى متوسط للرطوبة هو ٢٢ ./. فى دمنهور ، ١٥ ./. فى العطف ، ١١ ./. فى أدفينا ، ٧ ./. فى كل من الاسكندرية ورشيد . أى أنه يقل كلما اتجهنا نحو الساحل . وأعلى متوسط شهرى سجل فى غرب الدلتا هو ٨٩ ./. فى دمنهور فى فبراير سنة ١٩٣٢ وأقل متوسط هو ٥٥ ./. فى الاسكندرية فى مارس سنة ١٩٠٠

(ب) المطر :

يوجد فى العادة اختلاف كبير بين كمية المطر التى تسجلها المحطات المختلفة فى الدلتا بصفة عامة رغم تقاربها وذلك لأن معظم الأمطار يسقط بفعل الزوابع الرعدية ؛ فاذا اتفق أن كانت الزوبعة شديدة الغيث انهمر المطر مدرارا ، حتى أن مقدار ما يتساقط منه أثناء زوبعة واحدة من تلك الزوابع ليفوق

ما يهطل من المطر فى شهر كامل أو شهرين أحيانا ، وبهذا تتأثر المعدلات الشهرية للمطر تأثراً ظاهراً بالكمية التى تتساقط أثناء زوبعة قوية : كما تتفاوت أيضا الكميات السنوية للمطر من عام لآخر .

وتعتبر الاسكندرية أغزر جهات مصر مطراً رغم أن متوسط المطر السنوى فيها ١٨٤ م . م . فقط ويقل المطر تدريجياً كلما تركنا الساحل فمتوسطه السنوى فى دمنهور ٩٩ م م . وفى حوش عيسى ٨٧ م . م . وفى كفر بولين ٦٥ م . م . وفى الخطاطبة ٢٢ م . م ويبدأ موسم المطر أولا فى الغرب ثم ينتقل مركز ثقل المطر تدريجياً نحو الشرق كلما تقدمنا فى فصل الشتاء . فالاسكندرية يبدأ موسم مطرها عادة فى أوائل سبتمبر ويبدأ موسم دمهور فى أوائل أكتوبر بينما يتأخر فى الخطاطبة إلى نوفمبر .

يبين الجدول السادس والرسم البيانى رقم ٦ المتوسط الشهرى للمطر فى محطات الأرصاد بغرب الدلتا ويظهر منه أن شهور الصيف جافة تماماً ، ففى مايو تأخذ أحوال الجفاف تسود حتى تبلغ أقصاها فى يوليه الذى لم يسقط فيه شىء من المطر إطلاقا فى أى جهة من جهات الاقليم موضوع الدراسة اللهم إلا رذاذ بسيط فى الاسكندرية يسقط أحيانا قليلة .

يبدأ فصل المطر بسيطاً فى شهر سبتمبر على وجه العموم ، ثم تتزايد كميته بسرعة فتصل إلى نهايتها العظمى فى شهر ديسمبر فى الاسكندرية (٥٦ م.م.) ورشيد (٤٠ م . م .) وفى شهر يناير فى البلاد الواقعة إلى الجنوب منهما فى دمنهور (٢٤ م.م.) وفى حوش عيسى (٢٠ م م.) والخطاطبة (٦م م) ثم تأخذ بعد هذا فى التناقص التدريجى حتى تتوقف فى بداية شهر مايو تقريباً .

والبيان التالى يعطى مقدار المتوسط السنوى للأمطار بالمليمتر لمحطات المطر فى غرب الدلتا :

الاسكندرية	١٨٤	كوم الطرقابة	١٦٣	طلمبات الطلمبات	١١٧
رشيد	١٧٣	طلمبات البوصيلى	١٤٢	كفر الدوار	٧٦
أدفينا	١٥٩	العطف	١٢١	أبو حمص	١٣٥
دمنهور	٩٩	شبراخيت	١٠٠	حوش عيسى	٨٧
ايتاى البارود	٧٧	كفر بولين	٦٥	الخطاطبة	٢٢

ولقد كانت أمطر السنوات فى الاسكندرية هى سنة ١٨٩٧ حيث بلغ مجموع ما سقط فيها من المطر ٣٢٦ م. م. وأجفها سنة ١٩١٥ التى سقط فيها ٨٥ م م فقط ويبين الجدول السابع أكبر ما تساقط من كميات المطر فى يوم واحد فى عدة محطات إبان فصول السنة المختلفة ، كما يبين أيضاً عدد الأيام الممطرة (٠٫١ م ٠ م على الأقل) فى كل فصل .

الجدول السابع

عدد أيام المطر وأكبر ما تساقط من كمياته فى غرب الدلتا

المحطة	أكبر ما تسجل من المطر فى يوم واحد			عدد الأيام الممطرة فى كل فصل			مجموع أيام السنة
	الخريف سبتمبر/نوفبر	الشتاء ديسمبر/فبراير	الربيع مارس/مايو	الخريف سبتمبر/نوفبر	الشتاء ديسمبر/فبراير	الربيع مارس/مايو	
الاسكندرية	٦٢٫٤	٥٥٫٠	٣٠٫٠	٥	٣٠	٤	٢٩
رشيد	٤٩٫٠	٤٦.٤	٢٧٫٨	٤	٢٠	٣	٢٧
أبو حمص	٢٨٫٠	٤٦.٢	١٧ ٤	٤	١٧	٥	٢٦
العطف	٣٤٫٠	٣٨.٠	٣٥٫٠	٤	١٥	٣	٢٢
شبراخيت	١٠٫٥	٤١.٠٠	٣١٫٥	٣	١٥	٥	٢٣
دمنهور	٣٧٫٠	٥٤.٥	٤١٫٨	٣	٤	٣	٢٠
كفر بولين	١٥.٨	٤٩.٠	٣٠.٢	١	٧	٤	١٣
الخطاطبة	٥.٢	٨.٥	٢٥.	١	٤	٢	٧

يظهر من الجدول أن أكبر كمية من المطر سجلت فى يوم واحد هى ٥٥ ملليمتر فى الاسكندرية ، وكان ذلك فى ٢٠ ديسمبر ١٩١٤ ، كذلك يتضح أن عدد الأيام الممطره يقل كلما اتجهنا من الشمال الى الجنوب ، ومن الغرب الى الشرق ، فبينما نجد عددها فى الاسكندرية ٢٩ يوما نجده فى دمنهور ٢٠ يوما وفى كفر بولين ١٣ يوما وفى الخطاطبة سبعة أيام ، وبينما نجده فى أبو حمص ١٦ يوماً نجده فى العطف ٢٢ يوما فقط مع أنها أكثر شمالية من أبو حمص

ومعروف أن توزيع سقوط المطر بشكله العادى عند ما تمر المنخفضات الجوية فى الجزء الشرقى من البحر المتوسط ويلاحظ أنه يتدرج سقوط

المطر فى فصل الصيف نظراً لهبوب الرياح التجارية الشمالية الغربية على مصر طول هذا الفصل ؛ ولو أنه قد يحدث أن تسقط الأمطار أحياناً بصفة خارقة للعادة ؛ كما حدث فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٠٧ إذ سقط فى الاسكندرية ملليمترين وفى دمنهور ملليمتر واحد .

أما أمطار العواصف الراعدة، وهى تمثل معظم المطر الساقط ، فيغلب سقوطها غداة مرور الانخفاضات الجوية فوق الدلتا نفسها . وقد تحدث على أثرها ظواهر جوية عنيفة وتشاهد تغيرات فجائية سريعة ، وفى الغالب يسقط الجزء الأكبر من المطر فيما بين منتصف الليل والثامنة صباحا ؛ وبخاصة فى فصل الشتاء . أما فى الربيع فيسقط المطر غالباً بعد الظهر .

والخلاصة أن مناخ غرب الدلتا يتأثر بموقعه من البحر والصحراء ويظهر هذا الأثر واضحاً فى درجات الحرارة التى يبدو أن انحراف متوسطها عن المعدل الشهرى يرتبط بانحراف متوسط حرارة البحر المتوسط عن معدلها الصيفى . كذلك يتوقف نظام الضغط والرياح على نظام الانخفاضات الجوية التى تغزو مصر من الغرب فى جميع فصول السنة تقريباً ماعدا فصل الصيف مارة على البحر أحياناً وعلى الصحراء أحيانا أخرى .

أما الرطوبة فانها تختلف فى جهات الاقليم باختلاف الموقع بالنسبة للبحر فالجهات الغربية منه تزيد رطوبتها النسبية فى فصل الصيف وتقل فى فصل الشتاء بعكس الجهات المتاخمة للصحراء فان رطوبتها تزيد فى أواخر الخريف وأوائل الشتاء وتقل فى أواخر الربيع وأوائل الصيف . ويبدأ موسم المطر فى شهر سبتمبر حيث تسقط كمية قليلة منه ، ولكن تلك الكمية تأخذ فى التزايد حتى تصل الى حدها الأقصى فى شهر ديسمبر أو يناير ثم تأخذ فى التناقص التدريجى حتى تنعدم فى بداية مايو تقريباً . ويلاحظ أن البلاد الغربية فى الاقليم أكثر مطراً من البلاد الواقعة فى الشرق . كذلك يقل المطر من الشمال الى الجنوب حتى تنتهى إلى الصحراء الجافة .

ملحق

محطات الأرصاد الجوية ومحطات المطر

فى الدلتــا الغربيــة

١ — محطات الأرصاد

المحطة	الدرجة	سنوات الرصد	خط العرض	خط الطول	الارتفاع فوق سطح البحر (متر)
الاسكندرية (كوم الناضورة)	الثانية	١٩٠١—١٩٤٥	٣١° ١٢'	٢٩° ٥٣'	٣٢
رشيد	الثالثة	١٩٢٩—١٩٤٥	٣١° ٢٤'	٣٠° ٢٥'	٢
دمنهور	الثالثة	١٩٢٩—١٩٤٥	٣١ ٢	٣٠ ٢٨	٦
أدفينا	الثانية	١٩٣٣—١٩٤٥	٣١ ١٨	٣٠ ٣١	٣
العطف	الثانية	١٩٣٤—١٩٤٥	٣١ ١١	٣٠ ٣١	١٠

٢ — محطات المطر

المحطة	سنوات الرصد	خط العرض	خط الطول	الارتفاع
طلمبات البوصيلى	١٩٢٨—١٩٤٥	٣١° ٢٠	٣٠° ٢٤'	٢
طلمبات الطلمبات	١٩٢٨ — ١٩٤٥	٣١ ١٨	٣٠ ٠٤	١
كوم الطرفاية	١٩٢٨—١٩٤٥	٣١ ١٤	٣٠ ٠٩	٢
كفر الدوار	١٩٠٣—١٩١٤ ١٩٢٨—١٩٤٥	٣١ ٠٨	٣٠ ٠٨	٣
حوش عيسى	١٩٠٣—١٩١٤ ١٩٢٨—١٩٣٧	٣٠ ٥٤	٣٠ ١٨	٥

ملاحظة : كانت توجد محطات أخرى للمطر فى أبو حمص وشبراخيت وإيتاى البارود وكفر بوبى والخضاطة ولكنها أغلقت فى سنه ١٩١٤

مراجع البحث

1. Audebeau Bey : 1909 "Etude hydrographique et agricole sur la région des bararis". Bull. de l'institut d'Egypte; 5eme série, t. III. Ann. 1909.

2. Bliss E.W : (1913) "Correlation of temperature and wind Direction". Cairo scientific journal (C.S.J.).

3. Craig, J. I.: (1909) "Types of Weather in Egypt". C. S. J., 1909

4. Craig, J. I.: (1911) "Notes on temperature at Alexandria". C.S.J., 1911.

5. Craig, J. I.: (1931) "Effect of the Mediterranean Sea on temperature in Egypt". C. S. J. 1913.

6. Shaw, W. N. & Lemfert, R. G. K.: (1908) "The Life History of Surface Air Currents" London, 1908.

7. Sutton, L. J : (1925) "A Barometric Depression of the Khamsin Type". Physical Dept. Paper No. X. Govt Press. Cairo

8. Sutton L. J.. (1924) "The Upper Currents of the Almosphere in Egypt and The Sudan". Physical Dept. Paper No. 17.

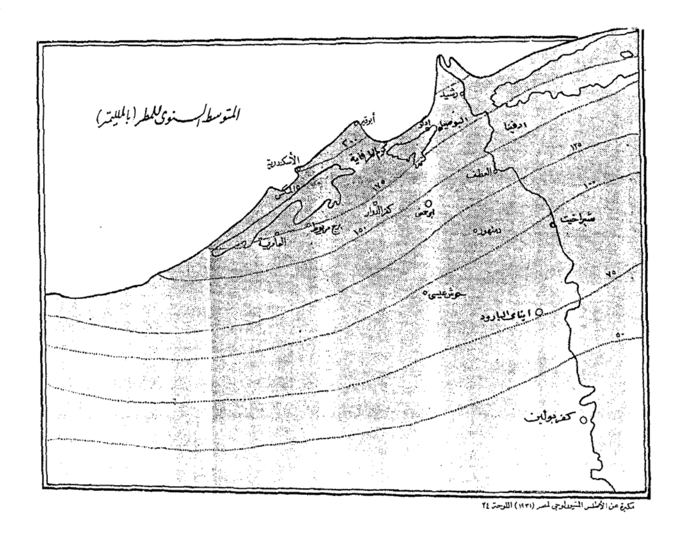
9. Mahmoud Hamed Mohomad: (1927) "The Climate of Alexandria". Physical Dept. Paper. No. 19.

١٠ — محمود حامد محمد (١٩٢٧) : « الظواهر الجوية فى القطر المصرى » المطبعة الرحمانية .

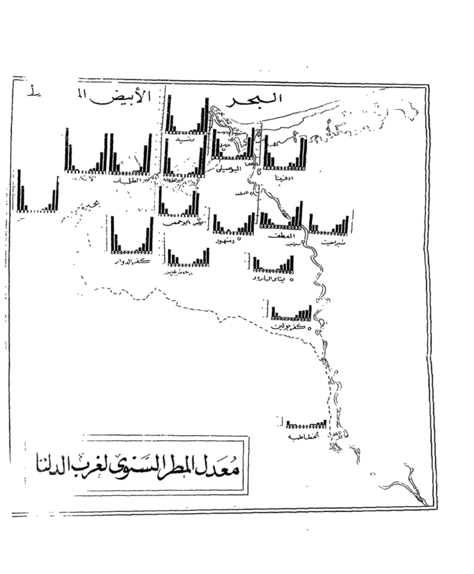
١١ — محمد حامد محمد (١٩٣٠) : « تغيرات الجو فى مصر — سببها والتنبؤ بها » المطبعة الرحمانية .

١٢ — وزارة المالية — مصلحة الطبيعيات (١٩٣١) « كتاب تعليمات لراصدى الظواهر الجوية (الميترولوجيا) فى مصر والسودان » .

١٣ — وزارة الحربية — مصلحة الأرصاد الجوية (١٩٥٠) « المعدلات المناخية للعناصر الجوية للمملكة المصرية » .



مكبرة عن الأطلس المتيورلوجي لمصر (١٩٣١) اللوحة ٢٤


البحر
الأبيض
رشيد
البوصيلى
ادفينا
الطابيه
كوم حمادة
أبو حمص
دمنهور
المطف
شبراخيت
كفر الدوار
ايتاى البارود
كفر بولين
الخطاطبه
معدل المطر السنوى لغرب الدلتا

بعض بذور الشخصية المصرية
فى الأدبين القـديم والوسيط

للدكتور عبد اللطيف حمزة

— ١ —

ظهر الشعر العربى أول ما ظهر فى نجد ، لم يكد يتجاوز نجداً إلى غيرها من أقطار الجزيرة العربية إلا نادراً . فكان الشعر لا يزور الحجاز إلا فى أوقات الحج ، أو عندما يقصد الشعراء إلى الأسواق الأدبية والتجارية المعروفة . وكان الشعر لا يظهر فى الحيرة إلا عندما يلم الشعراء بأمراء تلك البلاد يلتمسون عندهم المال والشهرة ، وكان الشعر لا يظهر فى أطراف الشام إلا عندما يقصد الشعراء إلى أمراء غسان . هذا كله فى الجاهلية . أما فى الاسلام فقد مد الشعر رواقه غربا إلى الحجاز وشرقا إلى العراق . وأما مصر والشام وفارس وغيرها من بلاد الشرق الإسلامى فلم تكد تعرف الشعر العربى إلا عندما يفد شعراء العرب المشهورين إليها من نجد أو العراق أو الحجاز طمعاً فى نيل جوائز الأمراء والعظماء .

وحين زالت الدولة الأموية وأدال الله لبنى العباس عظم شأن الشعر العراقى ، وتضاءل إلى جانبه سلطان الشعرين النجدى والحجازى .

ثم ظهر فى الشام كبار الشعراء من أمثال أبى تمام والبحترى . وعلى يد هذين الشاعرين وأمثالهما من الفحول سلمت للشام زعامة الشعر العربى إلى حين .

ثم ظهرت الخلافة الفاطمية فى مصر ، وتلتها السلطنة الأيوبية التى دحرت الصليبيين فى الشرق ، ثم السلطنة المملوكية التى طردت آخر صليبى من الساحل

وكان لها فضل آخر على الاسلام ، هو أنها صدت المغول . وحمت بذلك الحضارة الاسلامية من أن تزول من الوجود ومنذ يومئذ سلمت الزعامة السياسية والأدبية لمصر . وإذ ذاك تهيأت القاهرة لما تهيأت له غداة في القرون الثلاثة الأولى من حمل لواء الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية. وأصبحت مصر بحكم موقعها الجغرافي بين الشرق والغرب عاصمة لعالم الاسلامى كله ، حتى ظهر الأتراك العثمانيون وقضوا على كثير من معالم هذه الحضارة الاسلامية في مصر ، كما قضوا على كثير من معالم الحضارة البيزنطية في قسطنطينية. فلم تجد الحضارة البيزنطية بدا من الهرب إلى إيطاليا . كما لم تجد الحضارة الاسلامية بداً من الاختفاء في مكمن يقيها ذلك الخطر ، ويذود عنها الموت وهذا المكمن الذى اختفت فيه هو الأزهر .

وبقيت كل من الحضارتين السابقتين في مكمنها إلى أن أتيح لها الظهور، فظهرت وأشعلت مصابيح النهضة في الشعوب التى اختفت عندها طول هذه المدة . ومن هنا بدأت النهضة الأوروبية حياتها في إيطاليا ، ومنها انتقلت إلى أوربا . كما استأنفت النهضة الاسلامية حياتها في القاهرة ، ومنها انتقلت إلى الشرق العربي كله .

ليس معنى ذلك أن مصر بقيت منذ الفتح العربي إلى ماقبل ظهور الدولة الفاطمية وهى لا تعرف الشعر الذى يبين عن شخصيتها ويعبر تعبيراً ماعن مزاجها وطبيعتها.

كلا — فالحقيقة أن مصر نعمت في أثناء تلك المدة التى سبقت العصر الفاطمى بطائفة من الشعراء ظهروا في عصر الولاة ، ثم في عصر الدولتين الطولونية والاخشيدية . وغاية مافى الأمر أن شخصية مصر في الشعر — على وجه أخص — لم تكن واضحة كل الوضوح في أثناء تلك الحقبة التى سبقت عصر الدولة الفاطمية.

— ٢ —

فما الذى منع من ظهور هذه الشخصية المصرية في الأدب أو الشعر طيلة ذلك الوقت ؟

الحق أنه منع من ذلك أمور كثيرة أهمها في نظر المؤرخ الأدبي ما يلى :

أولا — عظم الميراث الأدبي الذى ورثته البيئات الاسلامية المختلفة ،

والنظر إلى هذا الميراث الضخم القديم على أنه شيء مقدس أو كالمقدس .

ونحن نعرف أن هذا الميراث الأدبي يتألف في جملته من أشياء أهمها عنصران : هما القرآن الكريم ، والشعر العربي القديم . وقد كان كل عنصر منهما ضخما مقدساً بحيث طغى طغياناً مبيناً على كل بيئة من البيئات الاسلامية على اختلافها ، وكاد يمحو كل شخصية من شخصياتها .

وحتى الأدب العربي الحديث ، في كل بيئة إسلامية قريبة أو بعيدة ، لا يزال خاضعاً لتأثير التراث الأدبي الاسلامي الذى نتحدث عنه .

ثانياً — تبعية الأقاليم الاسلامية تبعية سياسية للحكم الاسلامى ، إما فى مكة ، وإما فى دمشق ، وإما فى بغداد . وبدهى أن تكون هذه التبعية حاجباً يحجب تلك الأقاليم ، ويحول بينها وبين إظهار شخصيتها — على الأقل — فى الأدب الذى يقال باللغة العربية .

ثالثاً — غلبة اللغة العربية على جميع اللغات الأصلية فى أكثر البيئات التى فتحها الاسلام . ونخص بالذكر منها مصر . فقد كان من العجيب حقاً أن تغزو اللغة العربية هذا القطر ، وتكتسح أمامها اللغة القبطية واللغة اليونانية ، وهما اللغتان اللتان كانتا بمصر عند وصول العرب إليها .

ولو عاشت اللغتان القبطية واليونانية إلى جانب العربية لكان أمام المصريين نماذج أدبية مختلفة يمكن أن تحتذى فى الشعر ، أو تحتذى فى النثر ، أو تحتذى فى التفكير . ولكن سلطان العربية والقرآن كان أقوى من كل سلطان كائناً ما كان .

تلك أمور ثلاثة حالت دون إظهار الشخصية الأدبية الفنية فى كل إقليم من الأقاليم الاسلامية . وثم أمور أخرى تضافرت كذلك على إخفاء الشخصية الاقليمية سنشير كذلك إلى شيء منها .

وللمؤرخ الأدبي أن يبذل جهده في البحث عن الشخصية المصرية للأدب المصرى فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، فلن يعثر من دلائل هذه الشخصية إلا على القليل الذى لا ينهض بها ، ولا يكفى لإثباتها . ذلك أن طبيعة العرب المحافظة

من ناحية ، والطابع الخالد الذى أعطاه القرآن للغة العربية من ناحية ثانية ، تعاونا معاً على تبلور الشعر العربى فى صيغه المعروفة . وظهر ذلك جليا فى تعريف ابن خلدون للشعر العربى ، وذلك فى فصل من فصول مقدمته ، يحلو للمؤرخ أن يعرض له فى الكلام عن الشخصية الاقليمية من حيث هى ، وعن العوائق الكبيرة التى حالت دون ظهورها فى الأدب الاقليمى من حيث هو .

— ٣ —

قال ابن خلدون فى كلمة له بعنوان « فصل فى صناعة الشعر ووجه تعلمه » :

« الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى ، مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على أساليب العرب المخصوصة . وقولنا الجارى على أساليب العرب المخصوصة فصل له عما لم يجر منه على أساليب العرب المعروفة ، فانه حينئذ لا يكون شعراً ، إنما هو كلام منظوم . . . وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناهم من شيوخنا فى هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبى والمعرى ليس من الشعر فى شىء ، لأنهما لم يجريا على أساليب العرب . . . الخ » .

ويستطيع المؤرخ الأدبى أن يتأمل كلام ابن خلدون، ويطيل فيه التفكير. كما يستطيع بعد ذلك أن يوجه هذا الكلام فى تعريف الشعر العربى توجيها قد يفيد فى إثبات هذه القضية التى نشرحها . وهى قضية الأدب الاقليمى كيف اختفى قرونا كثيرة كان فى أثنائها سلطان الشعر العربى قويا إلى هذا الحد .

وهذا هو ابن خلدون يذهب فى مقدمته إلى أن تعلم الشعر يحتاج إلى أمرين لا ثالث لهما . هما الملكة الشعرية أولا ، وقدر كبير من أشعار العرب يحفظه من يريد تعلم الشعر العربى بعد ذلك .

والأمر الأخير هنا هو الأهم ، لأنه أمر مكتسب . وفيه يرى ابن خلدون أن لكل فن من الكلام أساليب تختص به ، وتوجد فيه على أنحاء مختلفة :

فالرثاء — مثلا — يكون فى الشعر العربى فى قالب من هذه القوالب ، أو طريقة من هذه الطرق :

(١) فهو إما أن يكون باستدعاء البكاء، كما فى قول الشاعر :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يغض ماؤها عذر

(٢) أو باستعظام الحادث ، كما في قول الشاعر :

أرأيت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادى ؟

(٣) أو بتسجيل المصيبة على الطبيعة ، كما فى قول الشاعر :

منابت العشب لا حام ولا راعى مضى الردى بطويل الرمح والباع

(٤) أو بالإنكار على من لم يتفجع من الجمادات ، كما فى قول الشاعر :

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

(٥) أو بتهنئة شيعة المتوفى بالراحة من ثقل الجهد الذي كان يكلفها به ، كما فى قول الشاعر :

ألق الرماح ربيعة بن نزار أودى الردى بغريقك المغوار

فماذا نتج عن كل ذلك فى الأدب ؟

نتج عنه أن وقف الشعر العربى عند أنماط خاصة من القول ، وصيغ فى قوالب خاصة من الفن لم يتجاوزها إلى غيرها ، بحيث بقيت هذه الأنماط والقوالب متحجرة أو كالمتحجرة ، ومقدسة أو كالمقدسة . وحين أراد الشعراء أن يبذلوا شيئا من الجهد بذلوه فى أمر واحد فقط هو اللفظ . وبذلك صار الشعر العربى كله فيما بعد صورا وزخارف ووشياً وزينة وترصيعاً وتصنيعاً . أى أن مجهود الشاعر العربى انصرف إلى الشكل حيث وجد فيه متسعاً للحرية وبذل الجهد . ولم يستطع هذا الشاعر العربى أن يتصرف فى القوالب الفنية ، أو فى طرق الأداء الفنى من حيث هو ، لأن هذه الطرق قد اتخذت لنفسها الصورة الأخيرة التى لها ، وحُرم على الشعراء منذ ذلك الوقت تحريما باتاً أن يضيفوا إلى هذه القوالب الفنية قالباً جديداً ، أو يسلكوا بالأداء الفنى طريقاً جديداً . وبلغة الفقهاء — أقفل النقاد فى وجه الشعراء « باب الاجتهاد

الفنى » . من أجل ذلك رأينا أن شاعراً كالمعرى — وقد كان ينتظر منه أن يكون مجدداً فى الشعر العربى — لم يكد يمضى فى طريقته العقلية فى الشعر حتى أدرك أنه يبتعد بذلك عن « عمود الشعر العربى » . كما أدرك أنه إذا كان له أن يجتهد فى ميدان الشعر فليكن ذلك عن طريق اللفظ . ومن ثم أخذ يدرب نفسه ، وينفق غاية جهده ، ويظهر براعته فى التلاعب بالألفاظ حتى وصل بهذا التلاعب إلى حد الشعوذة الفنية ، والإغراب اللفظى ، والتعقيد المعنوى ، وغير ذلك مما يظهر ظهوراً واضحا فى « الفصول والغايات » ، وفى ديوانه المعروف « باللزوميات » .

كل ذلك عاق الشعر العربي عن التجديد ، وجعل بينه وبين التطور الطبعى سداً منيعاً من التقاليد . وأكثر من ذلك وأخطر منه فى نظر المؤرخ الأدبى أنه جعل ظهور الشخصية الاقليمية فى الأدب مستحيلا أول الأمر . فاذا ظفرنا ببعض مظاهر الشخصية الاقليمية فى بيئة من البيئات الاسلامية فلن تكون هذه المظاهر كثيرة من جهة ، ولن يكون الوصول إليها عملا سهلا من جهة ثانية . وتلك هى النتيجة الأخيرة التى تكلفنا من أجلها ما تكلفنا من الجهد فى كتابة السطور السابقة كلها.

— ٤ —

على أن هذه المحافظة الفنية الأدبية من جانب العرب لم تكن آثارها وقفا على الشعر أو النثر ، بل تجاوزتهما كذلك إلى النقد الأدبى . فقد كان من نتيجة هذه المحافظة أن أصبحت القواعد الأجنبية التى وصل إليها الأوربيون فى النقد الأدبى غير صالحة لتطبيقها على شعرنا العربى ، ولو فى نطاق الجزء المشترك بين النقدين الشرقى والأوربى ، وأعنى به الجزء المتصل بالذوق العام فيما يسمى الشعور بالجمال .

بل إن هذه المحافظة الفنية من جانب العرب بقيت آثارها واضحة إلى العصر الذى نعيش فيه . فنحن حين نهضنا نهضتنا الأخيرة فى أوائل القرن التاسع عشر ، ونفضنا عن أنفسنا غبار الماضى العتيق فى عالم الأدب ، ورغبنا فى حياة أدبية

جديدة لم نفعل أكثر من أننا أقمنا صرح الشعر المصرى الحديث على أساس من القواعد القديمة . أو القوالب الموروثة التي وضعها لنا ابن خلدون أما الشعر الجديد بالمعنى الصحيح فقد ظهر أول ماظهر في بيئات لم تقع تحت سلطان الشعر العربي القديم ، ولا وقعت تحت سيطرة الحكم الاسلامى فى أثناء تحولها الى هذا الجديد . ومن هذه البيئات الشام ولبنان ، يوم كانت الأخيرة بنوع خاص متأثرة بالثقافة الأوربية وحدها فترة من الزمن . ومن تلك البيئات بيئة المهجر فى أمريكا، وهى بطبيعتها بعيدة كل البعد عن كل أثر شرقى أو عربى أو إسلامى .

ولكن على الرغم من هذا وذاك فما زلنا نقول بوجود الشخصية الاقليمية، ومازلنا نعتقد أن لهذه الشخصية بذوراً مدفونة في تربة الإقليم الذى يتميز بها، وأن هذه البذور بقيت مختفية فى هذه التربة الاقليمية ، كامنة فى نفوس أهلها أزمانا طويلة ، حتى أتيحت لهـا فرصة الظهور ، فظهرت ونمت ، وتم نماؤها بظهور القوميات الحديثة .

— ٥ —

وأما من حيث الشخصية المصرية بنوع خاص فان التاريخ يثبت لنا وجودها على مر العصور ، إذ يقول المؤرخون :

« إن كل ماأحرزه المصرى القديم من عادات وفن ودين إلى الفتح الاسلامي قد أسلمه برمته إلى مصر الاسلامية . اللهم إلا اللغة والدين . على أن الأولى (يعنى اللغة القبطية) بقيت على قيد الحياة إلى أن اندثرت فى أواخر القرن السابع الهجرى . أما الدين المصرى القديم فقد ظهر عليه الدين المسيحى . والواقع أن معظم الطقوس الدينية فى مصر الحديثة ترجع فى أصلها إلى مصر القديمة . وهى تعتبر فى الدين الاسلامي بدعا . ومن المدهش أننا نجد فى اللغة والتراكيب بعض ألفاظ وتعاريف مصرية محضة لا توجد فى أى بلد من البلدان الاسلامية [1] .

(١) سليم حسن : العادات المصرية القديمة الباقية إلى الآن فى مصر الحديثة ، ص ٣ ، وراجع مجلة جمعية محبي الفن القبطى . المجلد الثانى سنة ١٩٣٦

ونحن حين نتتبع أقوال العلماء الأثريين ممن كتبوا فى تاريخ مصر القديم من أمثال الدكتور سليم حسن والفيلسوف الفرنسى جوستاف لوبون، والفيلسوف الأمريكي (ول ديورنت) فى كتابه « قصة الحضارة » . نقول : حين نقرأ هذه الكتب وأمثالها نجد فى تضاعيفها اعترافا واضحاً بهذه الشخصية المصرية التي أظهرت فى الأدب والعلم والفن والعبادة ، بل فى كل مظهر من مظاهر الحياة العامة .

ونحن نعرف أن أسهل طريقة لدرس الحياة المصرية هى تقسيم التاريخ المصرى إلى عصور أهمها :

مصر القديمة ، ومصر الاسلامية الوسيطة ، ومصر الاسلامية فى العصر الحديث .

أما مصر القديمة فقد تحدث عنها العلماء والفلاسفة الذين أشرنا إليهم . ولا بأس هنا من الاشارة العابرة إلى طائفة يسيرة من آرائهم فى هذا الموضوع . ومنهم الأستاذ سليم حسن وهو خير من وصف مصر القديمة من المؤرخين المصريين ، وربما كان خير من كتب عنها فى العالم كله الى اليوم . وصفها من حيث الدين فذكر عبادة الشمس عند قدماء المصريين وقال : إن لهذه العبادة بقايا لم تزل بيننا إلى يومنا هذا . وقد ضرب لنا الأستاذ حسن سليم أمثلة كثيرة :

منها حلف المصرى بالشمس فى بعض القرى المصرية ، كما فى قول بعضهم (وحياة الشمس الحرة) ، وقول بعضهم (وحياة اللى تشوفني ولا أشوفهاش) — يريد بذلك إله الشمس ، وقول بعضهم فى أقصى الصعيد (وحياة البهية عندما تطلع من جبلها) — إشارة إلى الشمس عندما تشرق من جبل كان يعتقد المصريون بوجوده فى الجهة الشرقية ، وكما يحدث من بعض سكان الصعيد فى قرية (أبى تيج) من شكواهم إلى الشمس عند الخوف من الرؤى المزعجة ونحو ذلك . وكما نري في صعيد مصر كذلك من انتشار عادة الوشم فى الأذرعة بقرص الشمس الخ . . .

ولا غرابة فى ذلك وعبادة الشمس أمر توحي به البيئة المصرية . والشمس فى سماء مصر صافية كأحسن ما يكون الصفاء ، نافعة كأقصى ما يكون النفع . وربما كان لذلك صلة ما بصفة من صفات العقل المصرى والخلق المصرى ، ونعنى بها صفة (الوضوح) والبعد عن التعقيد والخفاء والغموض والبعد كذلك عن الروحانية الشديدة التى ترى فى بعض الشعوب ، وربما كان ذلك سبباً فى حب المصريين للنور ، وخوفهم من الظلمة حتى شاع بينهم دعاء أحدهم لمن مات من أهله أو صحبه : (نور الله قبره) .

أما العالمان الآخران جوستاف لوبون ، وول ديورنت ، فقدذهبا إلى أن المصريين قوم عمليون لا خياليون ، وإلى أنهم يتصفون بالصبر والطاعة والخضوع للأنظمة والقوانين . ومن ثم بقى المصرى القديم يحمل الأعباء الثقيلة في حياته ، ولكنه لم يستشعر قط ثقلها طول حياته . وكان له تعلق شديد بالحياة ، واستمساك قوى بها . وربما كان ذلك نتيجة لاعتقاده فى (الخلود) بعد الموت . وربما كان اعتقاده هذا نتيجة من نتائج التعلق بالحياة فى نفس الوقت . ومن ثم مال المصرى القديم كذلك إلى اللهو ، وعنى بالحفلات الدينية وغير الدينية ، وعنى كذلك بالولائم والشراب والاستمتاع بالدنيا قبل مجىء الموت .

واتفق العالمان كذلك على وصف المصرى القديم بأنه مادى . وذهبا إلى أن القانون اليهودى مستمد من القانون المصري . ونظرا إلى موسى عليه السلام على أنه تلميذ مصرى قبل كل شىء . ومع هذا وذاك فقد كان القانون المصرى القديم موضع إعجاب الأمم القديمة كلها ، وكان أثره باديا فيها جميعها ، وبه وبغيره من مظاهر الحضارة القديمة أصبح المصريون أساتذة الأغريق وأئمتهم وقدوتهم فى أكثر ما يتصل بالحضارة الإنسانية فى العصر القديم .

وفى وصف عقلية المصرى القديم بأنها عقلية مادية نفعية ، قال (ول ديورنت) فى كتابه الذى سبق الاشارة اليه :

« وصف أفلاطون الآثنيين بأنهم محبون للمعرفة . ووصف المصريين بأنهم محبون للثروة . ولعل فى هذا الوصف كثيراً من المغالاة دفعت إليها

النعرة الوطنية . ولكننا لا نعدو الحقيقة إن قلنا إن المصريين هم أمريكيو العالم القديم . فهم قوم مولعون بضخامة الحجم ، يحبون المباني الضخمة الكبيرة . وهم مجدون نشيطون ، جماعون للثروة ، عمليون حتى فى خرافاتهم الكثيرة عن الدار الآخرة . . . وإذا نظرنا إلى آثارهم بدا لنا أنهم قوم واقعيون ، لا يعنون بالسخافات التى لا صلة لها بالأمور الدينية ، ولا يقدرون الحياة تقديراً أساسه العاطفة » [1] .

والحق — لقد كان لذلك كله ظل واضح فى الأدب :

من ذلك أن القصص المصرى القديم كان واقعياً فى أكثره ، وكان يخلو من العواطف والأخيلة بالقياس إلى قصص الأمم الأخرى . ومن المحقق أن المصرى القديم لم يعرف العواطف الحارة ، ولا المشاعر العميقة ، ولا الألم ، ولا الحزن ، ولا الحرمان .

ومن ثم عجز الشعر المصرى القديم عن أن يكون فى عواطفه (كسفر أيوب) أو (مزامير داود) أو (شعر دانتى) أو (شعر ملتون) أو (كتب الڤيدا) وغير ذلك من نتاج اليهود حيناً ، والهنود حيناً آخر .

وما حاجة مصر إلى مثل هذا ؟ ما دامت شمسها ساطعة ، وفيضان نيلها منظما ، وعيشها رتيباً ، وأمورها جارية فى هدوء عظيم ، كهدوء هذا النهر الذى يغذى الأرض بمائه وغرينه ؟

أجل — لا محل للثورة النفسية أو الحرمان النفسى فى شعب هذه حالته ، ولا محل للأحزان النفسية القاتلة ، ولا للمحن الفتاكة المدمرة . ومن ثم كان الموت وحده الشيء الذى شغل أذهان المصريين القدماء ، ففكروا فيه ملياً ، وبنوا حضارتهم فى أكثرها على أساسه .

« وإذا كان المصرى القديم لم يعرف الألم فى أشد حالاته ، فهو لم يعرف الحب فى أشد حالاته أيضاً . ولم يكن ارتباط الرجل بالمرأة عندهم أكثر من عمل سيولوجى لا يشوبه الخيال ، ولا تخالطه العواطف القوية . ومع ذلك فقد

(١) ول ديورنت (قصة الحضارة) الترجمة العربية ، ص ١٠٠

كانت الرابطة الزوجية غاية فى اللطف . ولكنها غاية فى الهدوء فى نفس الوقت . وكانت المرأة مساوية لزوجها . وكان حب الزوجة لزوجها إنما يقوم على قاعدة الاشتراك فى المصلحة الخ »[1] .

بهذه الطريقة المتقدمة مضى كل من (ديورانت) و(جوستاف لوبون) يصف عواطف المصريين . وانتهيا من ذلك إلى أن أشد عاطفة كانت عندهم إنما هى عاطفة حب الوطن ، حب وادى النيل الذى أسموه دائما (الأرض كلها) ، كأنه لا دنيا سواها ولا عالم غيرها[2]. وإذ يصف الأدب المصري القديم هذه العاطفة الوطنية فثم نرى انفعالا شديداً ، وحرارة عالية لا نجدها فى الأنواع الأخرى من أنواع الشعر المصرى .

« وإذا كان المصرى القديم قد استشعر السأم من سهوله الوضاءة ، وشمسه المشرقة ، فانه قد جهل الأحلام المخيفة التى تنشأ على سواحل المحيطات الموحشة ذوات الشفق الأغبر ، والسماء الحالكة ، والأجواء المتقلبة . فعاش المصرى القديم لا يتذوق مرارة الانفعالات التى تأتي من التفكير فى الفراق الأبدى ، ولا يعرف مرارة الحرمان التى تأتى من عدم الحصول على الرزق . وحتى الموت أصبح لا يخيفه ولا يزعجه مادام القبر فى نظره هو « المسكن الطيب » ، والمقبرة فى رأيه هى « المدينة الخالدة » ، وأوزيريس إله الموتى هو « السيد الربانى للصمت »[3] .

هكذا غاض الألم ، وبردت العواطف ، وقلت الحرارة فى أدبنا المصرى القديم . مع أن الألم والحب والحزن فى الحقيقة ينابيع النبوغ الأدبى ، ومصادر الصفاء الروحى ، والسمو النفسى عند أكثر الأمم التى تؤثر الروح على المادة فى عالمنا هذا !

مهما يكن من شيء فتلك صورة المصرى القديم من حيث المزاج والأخلاق ، ومن حيث الفن والأدب ومن حيث الدين والعادات . وهى صورة توحى الى القارىء بأنها قريبة من الحقيقة الملموسة . وذلك أن كثيرا من ملامحها لم يزل باقيا إلى اليوم .

(۱) ، (۲) ، (۳) جوستاف لوبون (مصر القديمة) الترجمة العربية ، ص ۱۱۱

(وبعد) فنريد فى هذه السطور الباقية لنا أن نتعرف إلى شيء ولو قليل من تلك الملامح التى يتميز بها طابعنا المصرى فى العصور الوسطى بعد إذ فرغ العلماء الذين أشرنا اليهم من بيان هذه الملامح للطابع المصرى فى العصور القديمة . ولعل من الباحثين فيما بعد من يلذ لهم أن يتتبعوا هذا البحث حتى يصلوا به إلى العصر الذى نعيش فيه .

— ٦ —

سبق لى فى كتابى (الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبي والمملوكى الأول) أن عالجت فى مقدمته موضوع الشخصية المصرية. فوجدتها متأثرة بعوامل ثلاثة وهى : البيئة ، والموقع الجغرافى ، والأجناس التى اشتركت فى تكوين الشعب المصرى منذ نشأته .

فأما من حيث (البيئة المصرية) فقد ثبت للباحثين أن مصر هبة النيل. وكل مافيها وفى المصريين من عمل هذا النهر العظيم . فاليه يرجع الفضل فى استقرار الحياة المصرية على جانبي الوادى .

وأما (الموقع الجغرافى) الذى امتازت به مصر فله الأثر كل الأثر فى تكييف الحضارة المصرية ، بل الحضارة الانسانية. ذلك أن الحضارات القديمة كانت منفصلة بعضها عن بعض تمام الانفصال ، ثم لم تحدث المعجزة الكبرى باتصال هذه الحضارات بعضها ببعض إلا بفضل مصر ، وعن طريق الموقع الجغرافى الذى امتاز به ذلك القطر .

وإذا أردت أن تعرف الوسيلة التى تمت بها هذه المعجزة التى نشير اليها ، أو تدرك كنه الطبيعة المصرية التى جاد بها الموقع الجغرافى الممتاز الذى ننوه به، فاعلم أن هذه الوسيلة والطبيعة إنما هما « الذوق » . فبه أصبح على مصر فى مكانها الذى تتوسط فيه بين الشرق والغرب أن تختار من تلك الثقافات التى التقت بها ، أو الحضارات التى استقرت عندها ما يحلو لها ، ويتفق ومزاجها . وذلك ما فعلته (هليوبوليس) فى مصر الفرعونية ، وما فعلته (الاسكندرية) فى العهدين الاغريقى والرومانى ، وما فعلته (القاهرة) فى عهد الاسلام .

وأما من حيث (الأجناس البشرية) فقد اتفق الباحثون على أن المصريين من الجنس الحامى أو الإفريقي ، لا من الجنس السامى ، ولا من الجنس الآرى. ثم اختلطت بالمصريين الأقدمين أجناس شتى منها السامي ومنها الآرى . ونشأ عن ذلك شعب له مميزات خاصة ، هو الشعب المصرى.

فأما الأجناس السامية التى اختلطت بمصر فأهمها العرب . وكان لهؤلاء تأثير ثقافى أعظم من تأثيرهم الجنسى. وأما الأجناس الآرية فأهمها الاغريق والرومان والفرس . ولكن ثبت أن تلك الأجناس الآرية كلها كانت فى مصر منفعلة أكثر منها فاعلة . فدل ذلك على ثبات الشخصية المصرية، وأن لها طابعا لم يتغير فى جوهره بتغير الأجناس الطارئة عليه .

والناظر من خلال الزمن البعيد إلى الطابع المصرى الذى يتمتع بكل هذا الخلود يرى له صفات كثيرة ، من أظهرها السهولة والدماثة ، ومن أظهرها كذلك الاستقامة ،ثم منها الوضوح والبساطة ، ومنها عدم الرغبة فى التعمق ، والزهد كذلك فى التأمل ، ثم منها الميل الى النظام والوحدة . ولكن خير ما يمتاز به الطابع المصرى — كما قلنا — هو حسن التذوق .

ولكل واحدة من تلك الصفات التى نذكرها ظل واضح فى الأدب المصرى فى العصور الوسطى، فقد كان أدباً يميل الى الوضوح ، والبساطة، ولا يميل الى التعمق الفكرى أو الفلسفة، ولا يمتاز كذلك بصدق الشعور وحرارة العاطفة. ذلك من حيث المعانى والعواطف. أما من حيث الأسلوب أو الصياغة فقد تأثر الشعر المصرى بأمرين لا ثالث لهما : هما محاكاة المصريين للمشارقة من ناحية ، وظهور (ديوان الانشاء) فى ديار مصر من ناحية ثانية . وهذان الامران هما المسؤولان — فى نظر المؤرخ الأدبى — عن جنوح الأدب المصرى الوسيط إلى الزينة والزخرف ، وعنايته باللفظ عناية تتفوق على العناية بالمعنى . ومع هذا وذاك فان مصر لا يمكن أن تقاس فى ميلها الى الزينة اللفظية بغيرها من الأقطار الاسلامية ، ونخص بالذكر منها الشام والعراق فقد فتن هذان القطران العظيمان بالبديع منذ ظهر ابن العميد ، وبديع الزمان ، والحريرى ومن اليهم . ثم بلغت هذه الزينة اللفظية أوجها — كما قلنا — على يد أبى العلاء المعرى .

أجل — لم تعرف مصر في الزينة إلا على يد القاضي الفاضل . وقد كان هذا الرجل غريباً عن مصر من جهة ، وكان ثمرة الحضارة الفاطمية المعقدة من جهة ثانية . وكانت له سطوة أدبية عظيمة ، ونفوذ سياسي كبير استطاع بهما أن يؤثر على المزاج الأدبي في مصر ردحاً كبيراً من الزمن . فاستحالت الكتابة الرسمية والشعر المصري على يده وأيدي تلاميذه من بعده إلى لوحات فنية ، تزدحم فيها الألوان والأصباغ ، ويتكامل فيها الفن الذي يشبه فن السجاد . ولكن المعنى قل أن يضيع مع ذلك في غمرة هذه الألوان الكثيرة ، والزخارف العديدة ، والخيوط المتشابكة .

وعلى المؤرخ الأدبي هنا ألا تفوته هذه الملاحظة ؛ وهي أن هذا الكاتب النابه — ونعني به القاضي الفاضل — قد استطاع أن يضيف إلى (علبة الألوان الفنية) لوناً يتفق والطبيعة المصرية — وبنوع خاص بعد أن خضع المصريون طويلا لاستبداد الحكومات الأجنبية . وهذا اللون هو (التورية) . ويسمى في بعض الكتب البلاغية القديمة باسم (التوجيه) . وهذا اللون في نظري نتيجة أمرين لا ثالث لهما : (أولهما) استبداد الحكومات الأجنبية كما عرفنا . (وثانيهما) تنوع الثقافات الاسلامية ، وبلوغها مبلغاً من الغنى والثروة أتاح الفرصة للأدباء والكتاب ، فأحالوا مصطلحات العلوم المختلفة إلى مادة أدبية ، وإلى أدوات فنية ، أكثروا منها في شعرهم ونثرهم كثرة جعلتهم يعرفون بها في عصر من عصور الأدب العربي يمكن أن يطلق عليه اسم (العصر الفاضلي) .

ثم لا ننسى أن (التورية) أو (التوجيه) فتح للمصريين باب النكتة التي اشتهروا بها في عصورهم المختلفة ، وأن هذه النكتة المصرية نفذت إلى الأدب المصري عن هذه الثغرة ، وأصبحت متنفس الشعراء والكتاب وراحتهم من ثقل الاستبداد الذي أشرنا إليه .

وندع الزينة اللفظية جانباً ، وننظر فى بعض الموضوعات الشعرية فى العصر الوسيط ، كموضوع الغزل . فماذا نرى ؟

نرى غزل الشعراء فى تلك العصور غزلا ماديا خالصاً . ليس فيه أثر للنحب ، ولا للحزن ، ولا للألم ، ولا للفراق الأبدى ، ولا للصفاء الروحى ، ولا للدموع الغزيرة ، ولا للشعور الفياض أو العاطفة الملتهبة . كله غزل بجسم المرأة ، وكله وصف لمفاتنها الخارجية . وقد يتغزل الشاعر فى الغلمان ، حتى ليصدق على مصر الاسلامية الوسيطة ما قيل من قبل عن مصر الفرعونية القديمة من أنها لم تعرف الاحساسات العميقة التى تجعل من المصرى إنسانا يتدفق حياة وحساسية .

انظر إلى الشعراء الفاطميين على وجه العموم، وانظر إلى شعراء بنى أيوب كالعماد الاصفهانى ، وابن سناء الملك ، والبهاء زهير ، وجمال الدين بن مطروح . وانظر إلى الغزل فى الشعر المملوكى تجده شعراً ماديا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، خلوا من حرارة المشاعر التى نجدها فى أشعار الأمم الأخرى . ووقتئذ نحكم بأن الطبيعة المصرية القديمة هى الطبيعة المصرية الوسيطة ، وأن الشخصية المصرية القديمة هى الشخصية المصرية الوسيطة لم تتغير كثيراً بتغير الدول والعصور .

ومثل الغزل فى هذا الباب غيره من موضوعات الشعر المصرى الأخرى لا نجد مشقة ما فى أن نطبق عليه القاعدة السابقة عينها ، حتى ليدهشك حقا أن تجد من الشعراء المصريين فى بعض قصائد الرثاء من يبدأون المراثى بالغزل ! . وأكثر ما يكون ذلك فى رثاء الجوارى بنوع خاص . وعندى أنه ليس ثم برهان على مادية الشعر المصرى وبعده عن الروحانية فى الواقع أقوى من برهان كهذا .

ستقول : وأين التدين المصرى ؟ وأين الشعر الصوفى ؟ ، ولم لا تدخله فى الاعتبار الفنى أو النقدى ؟

وإننى بالرغم من تدين المصريين من جهة ، وبالرغم من الروحانية التى انغمس فيها كل من ذى النون المصرى وعمر بن الفارض وأمثالهما من جهة ثانية أنظر الى هذا الشعر الصوفى نظرتى إلى البديع أو الزخرف فى الأدب المصرى . فلا أرى أنهما يمثلان طبيعة المصريين بالمعنى الصحيح ، ولا أرى أنهما يدلان على نفسيتهم دلالة لا تقبل التجريح . بل أرى الشعر المصرى الوسيط يدور فى فلك من الموضوعات التقليدية القديمة ، كما أرى النثر المصرى الوسيط يفعل مثل ذلك . وبقى كل من الشعر والنثر على تلك الحال حتى قيض الله لمصر أداة جديدة حلّت محل أخرى قديمة ، ودافعاً جديداً أخذ مكان دافع آخر قديم . هذه الأداة الجديدة والدافع الجديد هو (الصحافة) التى حلت فى الأدب الحديث محل (ديوان الانشاء) فى الأدب الوسيط . فأصبحت هذه الصحافة هدفاً للكتاب المحدثين وغاية لهم ، كما كان (الديوان) أمنية الكتاب الأقدمين وأكبر آمالهم . وأصبح النموذج الأدبى الجديد يتأثر بهذه الدوافع الجديدة التى منها الصحافة . وفى تلك اللحظة فقط كتب التجديد الصحيح للآداب الاقليمية كلها فى العالم الاسلامى . وكانت القوميات الحديثة عاملا قويا من عوامل التجديد والنضوج ! فأعانت على ظهور الشخصيات الاقليمية عامة ، وظهور الشخصية المصرية خاصة ، وذلك على النحو الذى نكشف عنه فى بحث آخر إن شاء الله .

(تم الطبع فى ١١ من شعبان سنة ١٣٧٣
١٤ من أبريل سنة ١٩٥٤)
محمد زكى خليل
مدير مطبعة جامعة القاهرة

(مطبعة جامعة القاهرة ٤٢٧/١٩٥٣/٥٦٠)

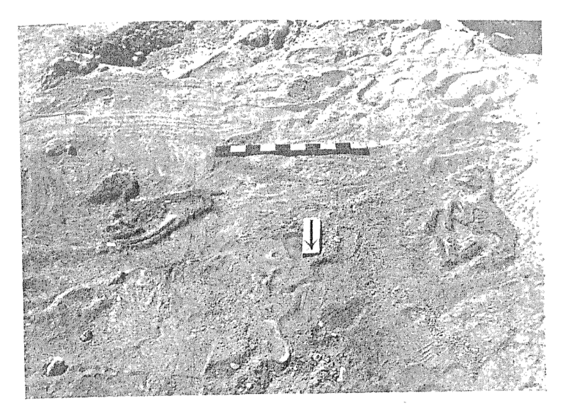


Fig. 2

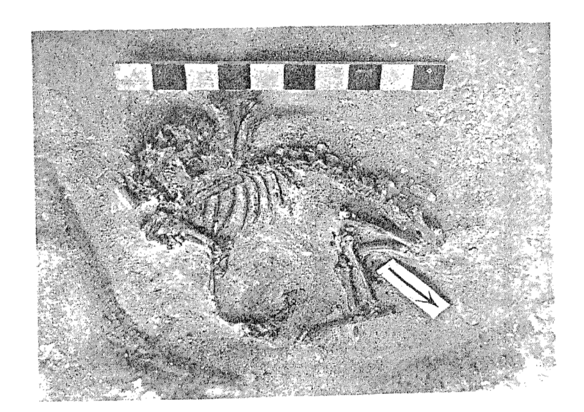


Fig. 3

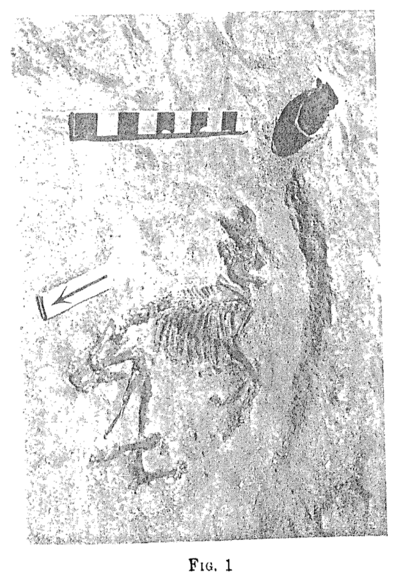


Fig. 1

PRELIMINARY NOTICE ON GAZELLES FROM PREDYNASTIC WADI DIGLA

BY

Y. SHAWKI MOUSTAFA, Ph.D. (Harvard),

Lecturer on Vertebrate Paleontology, Faculty of Science, Cairo University

The animals of the Wadi Digla Predynastic Cemetery recovered in the season of 1952-1953 and submitted to the writer for investigation by Professors Moustafa Amer and Ibrahim Rizkana belong to the artiodactyl group of the Gazellinae, Coues, as suggested by the nature of the horn cores and the flattened roof of the skull (Fig. 1). The hypsodont nature of the upper and lower teeth, and the presence of frontal appendages immediately behind the orbits, as well as the details of the dental structure in the available material strongly suggest that the Wadi Digla Cemetery artiodactyls belong to the Asian and African Genus *Gazella*, Blainville. Specific designation is deferred at the time being, awaiting a thorough investigation of all the available material.

The Predynastic animals were buried each in a grave of its own, (Fig. 2) and it is probably true that the Predynastic Man killed the gazelles, either by neck twisting, or by making an incision in the neck between the second and third cervical vertebrae (Fig. 3). The latter feature is clearly demonstrated in one of the better-preserved specimens. However, that all the gazelles were killed in this manner is not at all certain. In any case, the gazelles were definitely intentionally "sacrifised" before burial.

SCHULTZ, J. R. . . . 1938 : "A Late Quaternary Mammal Fauna from the Tar Seeps of McKittrick, California" Carnegie Inst. Washington, Contr. Paleontology, No. 487, pp. 111–217 ; Pl. 17 and 12 text-figures.

STUDER, T. . . . 1901 : "Die prähistorischen Hunde" Abhandl. Schweiz. Paläont. Ges., Bd. XXVIII.

ZITTEL, K. A. VON . 1925 : "Text-book of Palaeontology", Vol. III. Revised by Max Schlosser ; English Translation revised, with additions, by Sir Arthur Smith Woodward.

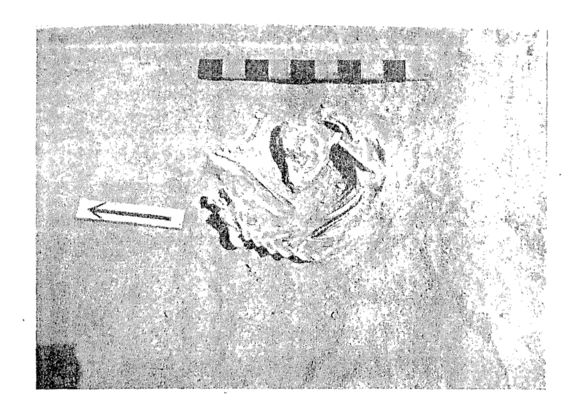


Fig. 1.

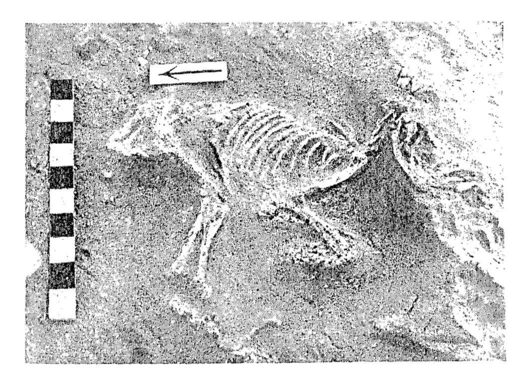


Fig. 2

C.—The Season of 1951-1952

(Discovered by Professors Amer and Rizkana)

A third domesticated dog (fig. 2) was unearthed in what is now known as the Digla Cemetery one-half mile south of the Maadi Cemetery (*cf.* Rizkana, 1952, p. 6). The right mandibular ramus with the first and second molars in place, the posterior half of the left ramus of the lower jaw, with the last premolar and the first and second molars *in situ*, and a few fragmentary limb bones point to the fact that the Digla Cemetery animal is none but *Canis familiaris*, and very probably *C. f. aegyptica*. This individual, however, was larger in size than that found in the Maadi Cemetery and Settlement, and about the same in size as that found in the Heliopolis burial ground.

By virtue of its association with the Predynastic Man both in the Settlement and Cemeteries in the Maadi Area, *Canis familiaris aegyptica* is believed to have been fully domesticated (the domestic species of dog *C. familiaris* first appears during the Neolithic period—Zittel, 1925, p. 67). However, the Maadi variety of dog was probably closer to the semi-wild condition than any of the hitherto-known varieties of the early domesticated dogs.

References

MOUSTAFA, Y. SHAWKI, 1952 : "A Predynastic Domesticated Dog", Bull. Inst. Fouad I du Désert, Vol. II, No. 1, pp. 102-104.

IN PRESS : "Siluroid Fish Remains from Near Wadi Hoff, Egypt". *Ibid.*

IN PRESS : "Predynastic Fish Offerings", Annales Service Antiq. de l'Egypte.

RIZKANA, I. . . . 1952 : "Centres of Settlement in Prehistoric Egypt in the Area between Helwan and Heliopolis". Bull. Inst. Fouad I du Désert, Vol. II, No. 2 pp. 1-15.

ramus bears all three molars in addition to the three incisors and canine.

The skeletal anatomy of the Maadi Predynastic Cemetery dog proves that it is identical with that of the Hiliopolis Predynastic burial grounds (Moustafa, 1952). A remarkable feature in the mandible of the Maadi dog is its noticeable thickness and prominent convexity below the first lower molar. This feature is a reminder of a similar feature in the wolves of the ice age, as, for example *Canis latrans orcutti* Merriam (Schultz, 1938, p. 165, Pl. 5, Fig. 2) from the tar seeps of western North America, The presence of such feature in the Predynastic dogs of Egypt seems to be a retained character from the proposed ancestor of the domesticated dog, the wolf.

The Maadi Cemetery individual was rather small in size, although it was a full-grown adult at the time of its death, as suggested by the full eruption of the third lower premolar and the worn condition of the talonids of the lower molars.

The presence of the same kind of dog in the Predynastic Cemetery (1947-1948) and Settlement (1932-1933) establishes, beyond any doubt, the relationship between the residential quarters and burial grounds of the period.

It is the writer's conviction that the domesticated dogs of the Maadi Predynastic Settlement and Cemetery (and probably that of Heliopolis, the skull and mandible of which are poorly known) deserve a subspecific distinction from the hitherto-known subspecies of *Canis familiaris* (*cf.* Studer, 1901). The new subspecific name *Canis familiaris aegyptica* is here proposed for the Predynastic dogs of Maadi, and probably that of Heliopolis. The subspecific characters of *C. f. aegyptica* are the wolf-like thickening and convexity of the mandible below the first lower molar, the week development of the sagittal and lambdoid crests, and the small development of the supraoccipital processes of the frontals.

I.—The Predynastic Dogs of Maadi

The account of the Predynastic dogs of Maadi given below is based on material discovered during the seasons of 1932-1933, 1947-1948, and 1951-1952. This material consists of :—

A.—The Season of 1932-1933

(Discovered by Professor Moustafa Amer)

An extraordinarily well-preserved cranial portion of an animal which has long been thought that a beaver, a misinterpretation justified by the absence of teeth (Professor Rizkana; personal communication). This specimen was found detached in the Maadi Predynastic Settlement. At first sight this cranium suggested itself to belong to the genus *Canis*, and upon comparison with the material from the Maadi Cemeteries (see below), they were found to be identical in all respects.

The specimen measures approximately 10 cm. in length, and the individual to which it belonged was most probably young. This is suggested by the open sutures between the individual bones, particularly those of the basis cranii between the basi-occipital and basisphenoid, and between the latter and presphenoid. The lambdoid crest is not yet completely fused with the surrounding cranial elements.

B.—The Season of 1947-1948

(Discovered by Professors Amer and Rizkana)

The remains of a domesticated dog, *Canis familiaris*, were unearthed from what is now known as the Maadi Predynastic Cemetery (Fig. 1). These remains include an almost complete skull with the full complement of teeth on the left side and only six teeth on the right. The latter include the three incisors, first premolar, half of the third premolar, and the first molar. With this skull were found the two mandibular rami, eight vertebrae, the two scapular blades, and the left humerus. On the right mandibular ramus, the three incisors, canine, second and third premolars, and the first two molars are in place. The left mandibular

A CONTRIBUTION TO THE KNOWLEDGE OF ANIMAL LIFE IN PREDYNASTIC EGYPT

BY

Y. SHAWKI MOUSTAFA, Ph.D. (Harvard),

Lecturer on Vertebrate Paleontology, Faculty of Science, Cairo University

---

INTRODUCTION

In recent years there has been an awakening to the importance of the remains of animals found in association with the Pre-dynastic Man, not only because of their biological significance, but also because they throw a great deal of light on everyday life at such remote time, as well as on the geographical, sociological and climatological conditions of the period.

During the past two years, the writer has had the opportunity to study some of the animal remains of the Heliopolis Predynastic Cemetery (Moustafa, 1952) and material collected from a site near Wadi Hoff (Moustafa, in press). In June of this year, through the courtesy of Professor Moustafa Amer, Director of the Egyptian Antiquities Department, and Professor Ibrahim Rizkana of the Faculty of Arts, Cairo University, the writer had the opportunity to examine the remains of animals recovered from the Maadi cemeteries and settlement in the past two decades. The collection includes the complete and partial skeleton of fishes, birds, and mammals, besides a few doubted reptilian specimens.

The following account is based on some of the better specimens of dogs discovered by Professors Amer and Rizkana. The remainder of the material will be the subject of further publication in the near future.

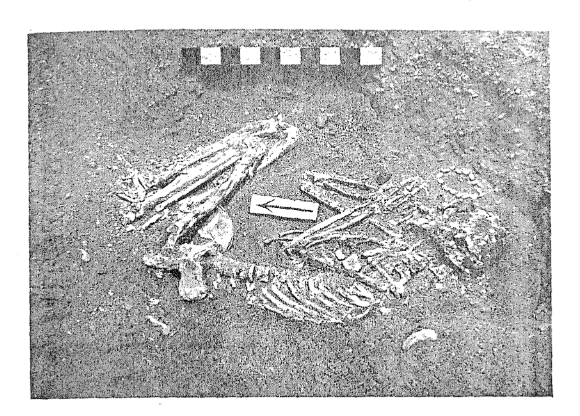


Fig. VIII.—Grave No. 430 showing shell necklace in front of skull.



Fig. IX.—Grave No. 257 showing vases, shell beads between the arms, and a Nile shell behind skull.

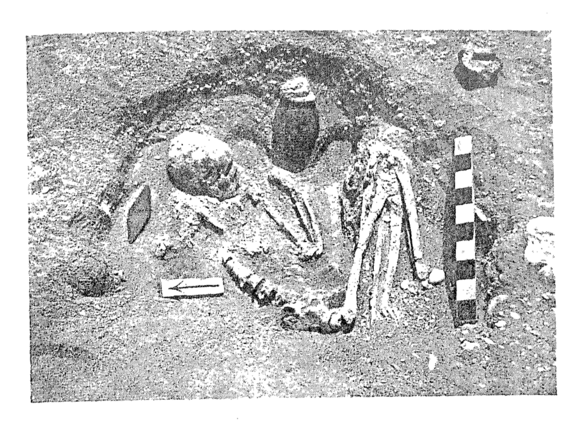


FIG. VI.—A tomb-group; notice the pot with lime stone lid on the left side of the skull and the rhomboid slate pallette on the right side. Grave No. 529.



FIG. VII.—Grave No. 307 showing pot with a sherd as lid and flint blade at the back of the skull.



FIG. IV.—Skeleton of a gazelle.

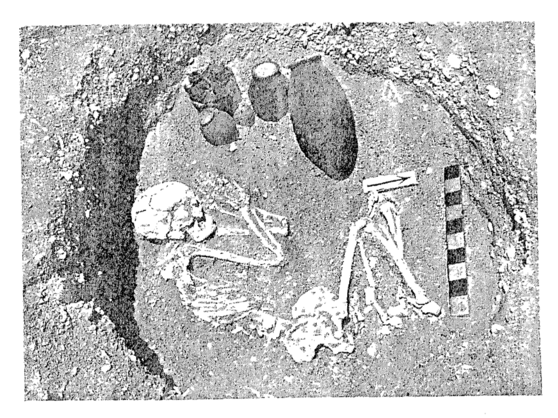


FIG. V.—A tomb-group; notice the huge long ovate red smooth vase with flat base. Grave No. 206.



Fig. II.—A usual contracted burial. Grave No. 426.

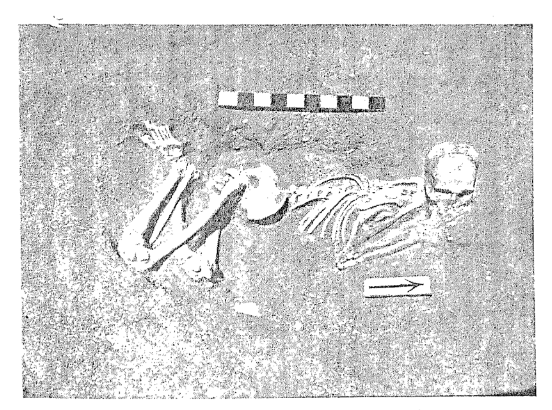


Fig. III.—Semi-extended position. Grave No. 198.

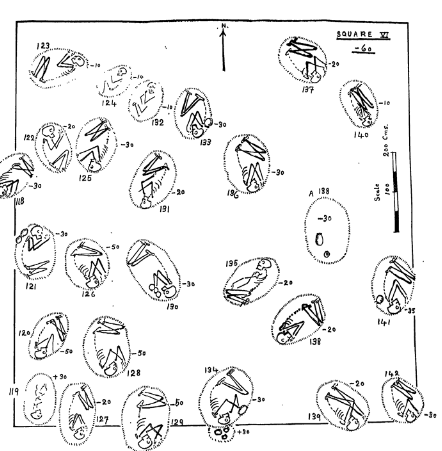


FIG. I.—A specimen square showing body attitude, direction of head and face, and depth of pits. The level of the burials is 60 cms below surface; the depth of pits is between 10 and 50 cms under this level.

existing on the east side of the Delta in the Cairo area and extending from Helwan in the south to Maadi and Heliopolis in the north. It has thrown a good deal of light on the cultural history of the Delta in those early times, and has once again strengthened the view of the cultural superiority of the north before the rise of the Dynasties.

three knobs lying between the two lines. Pot marks are not non-existent; but they are rare and are all different. In several cases the pots had lids on; these are either of stones, (Fig. VI) or simple sherds (Fig. VII); conical cups also served as lids [1].

The flint implements found include blades and knives, (Fig. VII) and scrapers of tabular flint; there are also flakes with serrated edges. The flint industry is based on the blade technique. In that it resembles the flint industry of Maadi. The implements, however, are few in number, and are not to be seen in all the graves.

Apart from the small alabaster vase found last year, no stone vases were found [2]. Other stone objects include Rhomboid palettes (Fig. VI), some hollowed through use, and a trapezoidal palette with bevelled edges; all are made of slate. The ornaments include bracelets and necklaces made of shells (Figs. VIII and IX) and carnelian and coloured stone beads. Beads made of bone were also found. Traces of malachite and manganese do exist in some graves. However, copper and objects of copper are absent. Nile shells are to be seen in most of the graves; they are frequently placad near the hands and head, but sometimes at the back of the skeleton (Fig. IX). One of the shells has its sharp edge cut, a phenomenon that has been observed in Maadi. That the shells, or at least some of them, were used for mixing paint is highly probable. The traces of manganese referred to here were found in one of these shells. In the graves of the First and Second Dynasty found by Mr. Zaki Saad at Helwan one of the Nile shells bears traces of red and black colours.

That the new site at Wadi Digla is important cannot be doubted. It is a new link in the chain of Predynastic sites

---

(1) Oswald Menghin and Mustafa Amer: The Excavations of the Egyptian University in the Neolithic Site at Maadi (First Preliminary Report, Season 1930-31, Cairo, 1932, p. 29, Plate XXXVII (4-6).

(2) Ibrahim Rizkana: Centres of Settlement in Prehistoric Egypt in the area between Helwan and Heliopolis: Bull. Inst. Fouad I du Desert, Vol. II, No 2, 1952, p. 126, Pl. V A.

The animals were buried each in a grave of its own, and it is probable that the gazelles were killed before being buried by making an incision in the neck (Fig. IV), a feature which is clearly demonstrated in one of the better preserved specimens. However, that all the gazelles were killed in this manner is not at all certain. In any case the gazelles were definitely intentionally "sacrificed" before burial. It is worthy of note that all the gazelles, except one, were placed in the graves with their heads towards the south, and six of them had pottery vases buried with them.

The remains of the dog were identified by Dr. Shawky Moustafa as those of the domesticated dog Canis Familiaris, specimens of which were discovered by us in the Predynastic cemetery of Maadi in 1947, as well as in the Predynastic cemetery of Heliopolis in 1950 ([1]). The Wadi Digla dog was found buried in a grave of its own with its head towards the south, and with its feet and mouth facing west. With it was placed a pot, showing no doubt, that the Predynastic man worshipped, the animal, most probably because of its function as a watch or guard ([2]).

In some of the human graves traces of matting and animal skins have been found; and some anatomical abnormalities can be clearly discerned. In one case the right thigh bone was broken, and the bones united so badly that they showed a thickening in the middle, and caused an undoubted shortening of the man's right leg.

In addition to the ceramic wares mentioned in the first season's report, rare specimens of red globular vases with ear handles, black smooth bottle-shaped vases with very narrow necks, and very small red vases no doubt used for cosmetics, have been found. In one of the graves was found a long ovate red smooth vase with flat base, the largest discovered in the whole cemetery (Fig. V). Another peculiar type is represented by a red ovoid vase showing two lines of inprinted neck decoration, and

([1]) Moustafa, Y. Shawki: "a Predynastic Dog", Bull. Ins., Fouad I du Desert, Vol. II, no. 1, 1952, pp. 102-104.

([2]) See separte report in this bueletin pp. 207 etc.

On the eastern side of this group of graves was found a line of limestone blocks, probably denoting some kind of boundary. Besides the stones marking the edges of certain graves, stones were sometimes found in the graves themselves placed beneath the head of the deceased and no doubt serving as head-rests. Burnt stones from hearths in the settlement were very often utilised; but no traces of the settlement have, so far, been found.

The skeletons (Fig. I) were in the usual contracted position (Fig. II) with the hand sopposite the face and the knees near the elbows. In a few cases, however, the bodies were placed in a semi-extended position (Fig. III). As mentioned in the First Season's Report (1), the majority of the heads were towards the south and the faces towards the east. A good number, however, has the head towards the north, and the face either towards the east or towards the west. Cases with the head directed towards the east or the west are not unknown. Mention may also be made of cases in which the body was placed on its back with its face upwards, or placed with the chest and the face downwards. But all these attitudes are very rare.

The fourteen animal skeletons discovered in the cemetery were all found in this western portion of the cemetery. Of these thirteen belonged to gazelles and one to a dog. Dr. Y. Shawki Moustafa to whom the animals were submitted for investigation believes that the gazelles belong to the Artiodactyl group of the Gazellinae, Coues, as suggested by the nature of the horn cores and the flattened roof of the skull. Preliminary examinatin suggests that they belong to the Asian and African Genus Gazella, Blainville (2).

(1) Mustafa Amer and Ibrahim Rizkana: "Excavations in Wadi Digla: First Season's Report (1951-52)", Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad I University, Vol. XV, Part 1, May 1953, pp. 97-100, Cairo 1953.

(2) See separate report in this bulletin, p. 213.

EXCAVATIONS IN WADI DIGLA

Second Season's Report (1953)

BY

MUSTAPA AMER and IBRAHIM RIZKANA

The second and final season's excavations in the Predynastic cemetery of Wadi Digla lasted four months, covering the period from the end of March until the end of July 1953. The work of surveying and field-drawing was done by Mr. Mahmoud Kamel Hassan of the Faculty of Arts, Ibrahim University, and the study and examination of the animal bones were kindly made by Dr. Y. Shawki Moustafa of the Faculty of Science, Cairo University.

The work was continued in the western portion of the cemetery ; nearly 3,000 square metres were excavated, in which were discovered some 270 human graves and eight animal burials. The whole area excavated during the two seasons, therefore, covers about 4,500 square metres or over one acre of land, lying on a spur in the midst of the mouth of the Wadi, with its long axis running from east to west. In the whole area 468 human graves and fourteen animal burials were excavated, inspite of the fact that a big part of the site was destroyed during the last World War. Traces of this destruction are seen in the remains of trenches, mud-brick walls, and huge deep holes. Some of the graves discovered were either partly or totally destroyed ; a good number, however, escaped destruction, and was found intact. There is evidence that the cemetery originally covered a bigger area, and there are signs that it may have extended further towards the west, and that part of it, at least, was covered up by the thick deposits brought in the past by the torrential waters from the upper reaches of the Wadi. At present fields occupy this spot and the soundings made failed to produce any concrete results.



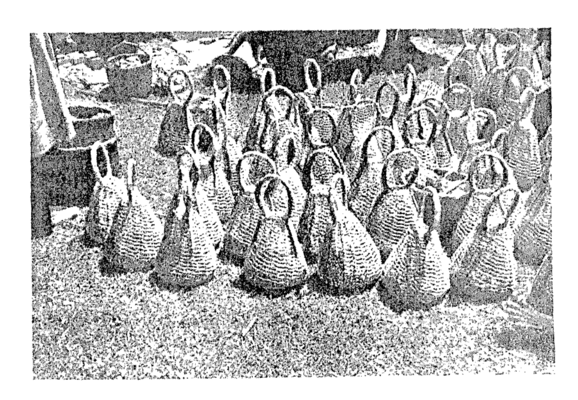
Common Types of pottery.



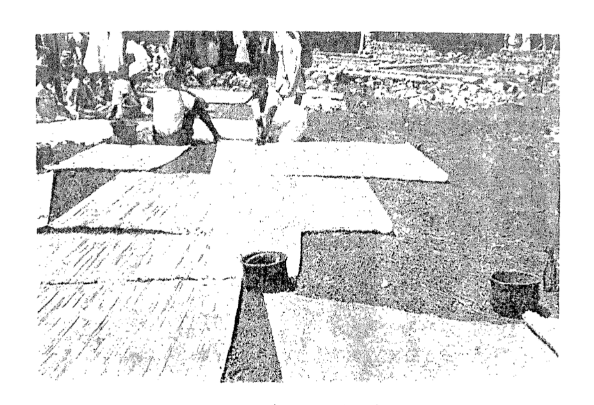
An unusually big type of pottery is seen in this photograph.



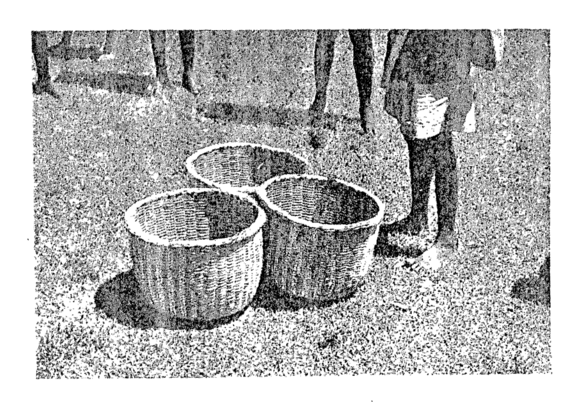
Baskets full of flour and cereals.



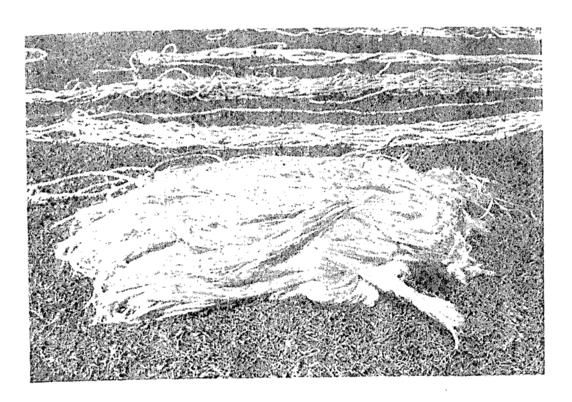
Another type of baskets.



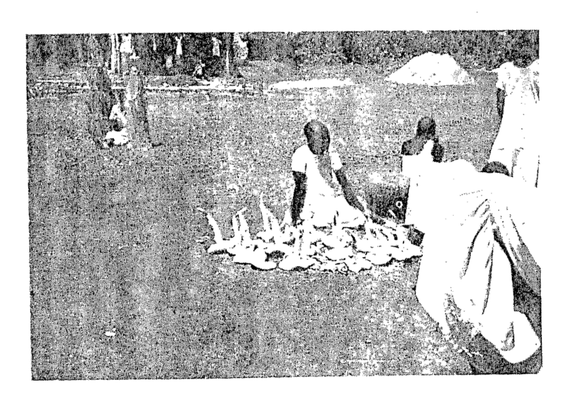
Floor mats spread on the ground and offered for sale.



A Common type of baskets.



Sisal Fibres from which ropes are made



Two bundles of grass which is used for rope-making are seen of the top left corner of the photograph

There is also the pottery craft. Though it is practised everywhere in Kavirondo, yet it is limited to certain localities chiefly because suitable clay is only to be found in a few parts of the country. The clay needs to be of the right variety, otherwise the pots soon crack and break.

When the right clay is procured, it is moulded carefully into a pot, which may be of almost any shape or size. The most popular is a large round one suitable for carrying either beer or water.

After the moulding is completed, the pot is left in the sun for about a day to dry. Then before the clay is too hard, the potter takes a sharp stick or a needle and makes a pattern on it according to her fancy as ornamentation, after which she rubs it with a rounded stone until it is perfectly smooth and shiny. She next fetches wood and makes a really hot fire in which she plunges the pot, covering it with fuel until it is entirely buried in the glowing fire.

It remains in the fire for about an hour and this is uncovered, whereupon dry cow-dung is heaped on top of it. This burns slowly and causes the pot gradually to change its colour. It is revolved by means of a long stick until the whole surface becomes black. It is then removed from the flames and left to cool. When quite cool it is rubbed and polished until the final result is a strong and handsome pot into which boiling water can be poured without causing it to crack.

Finally there is the men's handicraft to consider, and this also is one which is full of possibilities, for the Luo can produce really fine pieces of carving out of very inadequate materials.

There are several different trees, the wood of which is used in the carving, and these grow on the mountain side or by the rivers. The chief articles made are dishes of various kinds, spoons, sticks and little statuettes of native women and warriors; all of which can be sold for a good price and for which there is always a ready market both among Europeans and natives.

When the grass is perfectly dry it is all tied neatly together and then comes the lengthy performance of weaving it into rope. Almost every Luo woman is an expert at this, and many of them can even plait ropes in the dark, their hands being accustomed to the task. You will often see them sitting on the ground in their huts, with one end of the rope in their hands, while the other end is held by their big toe. Or you may see them walking about holding the grass under their arms, plaiting as they go.

After the plaiting is completed the work is by no means ended. All the rope must now be carefully trimmed with a knife or a piece of sharp tin in order to cut away any rough and untidy ends of grass. It is then wound into neat bundles and is ready for use.

The rope, as has already been indicated, is put to a variety of uses. It is an essential commodity in the thatching of the grass huts in which the Luo live. It is also needed in the erection of the reed fences which surround the group of huts owned by a certain family. Again it is used to tie up any kind of baggage and is a useful substitute for a more costly leather strap.

A better kind of rope is made from sisal and women are adepts at its making. This plant is much produced in East Africa, but although most of the product is exported, a part of it is consumed in rope making.

Another interesting way in which indigenous grasses can be utilised is making floor mats. This is again a woman's handicraft which is practised everywhere by the Luo. One often sees these mats in the native markets spread on the ground and offered for sale.

Another useful craft, popular chiefly among the girls is that of basketry, and they are able to produce baskets of all shapes and sizes. Some are made of grass, while others are constructed from indigenous reeds of various kinds and the results are usually very handsome as well as useful.

SOME LUO HANDICRAFTS

BY

M. MITWALLY

It was stated in a previous paper that the Luo tribes of East Africa live in Nyanza Province round the Kavirondo gulf of Lake Victoria. They form the bulk of population in certain locations, namely Alego, Gem, Asembo, Kadimu, Kano, Samia, Sakwa, Uyoma and Seme, whereas in the other locations of the province they form but a small minority.

As to their handicrafts the Luo have not a great variety. But although not extensive these handicrafts make a very interesting study, and in all those which they attempt they are able to attain a high standard of proficiency, in spite of the limited materials they use.

Both men and women have their own peculiar handicrafts, but the women have the greater variety.

The most popular handicraft is that of rope-making, largely because it is an industry which can be put to countless different uses. It is practically used in every Luo hut. But the making of it involves long and tedious hours of labour.

It is made from an indigenous grass which grows in certain parts of Kavirondo. It is found in damp places, usually on the steep sides of the mountains. It is not cut with a knife or sickle, but is pulled out by the roots. It is then carried home in large bundles and laid out in the hot sun for a few days to dry. Each evening it must be gathered in, for heavy rain or dew can quickly spoil it.

Les Temps ግዚያት : gezii̯āt ; ou ጊዜያት : gīzēi̯āt

Les Temps du passé ኃላፊ : ጊዜያት : halāfī gīzēi̯āt

Tiret ጭረት : ṭcherat

Titre : voir En-tête

Trait d'union ንኡስ : ጭረት : ne'ūs ṭcherat

Le Verbe ግሥ : gess

Verbe actif ገቢር : ግሥ : gabīr gess

Verbe auxiliaire የግሥ : ረዳት : i̯agess raddāt ; ou ረዳት : ግሥ : raddāt gess

Verbe avoir የመኖር : ግሥ : i̯amanōr gess

Verbe être የመሆን : ግሥ : i̯amahōn gess

Verbe intransitif የማይሸገር : ግሥ : i̯ammai̯šāgar gess

Verbe passif ተገብሮ : ግሥ : tagabrō gess

Verbe principal ማሰሪያ : አንቀጽ : māsarii̯ā anḳaṣ

Verbe transitif ተሻጋሪ : ግሥ : tašāgārī gess

Le Vocatif ሰሚ : ባለቤት : samī bālabēt

La Voix active ገቢር : ግሥ : gabīr gess

La Voix passive ተገብሮ : ግሥ : tagabrō gess

Virgule ንኡስ : ሠረዝ : ne'ūs saraz

Présent የአሁን ፡ ግዚያት ፡ i̯a'ahūn gezīi̯āt

Le Pronom ተውላጠ ፡ ስም ፡ tawlāṭa sem

Pronom démonstratif አመልካች ፡ ተውላጠ ፡ ስም ፡ 'amalkātch tawlāṭa sem

Pronom interrogatif መጠይቅ ፡ ተውላጠ ፡ ስም ፡ maṭai̯i̯eḳ tawlāṭa sem

Pronom personnel ምድብ ፡ ተውላጠ ፡ ስም ፡ meddeb tawlāṭa sem

Pronom possessif አገናዛቢ ፡ ተውላጠ ፡ ስም ፡ 'agannāzābī tawlāṭa sem ; ou ዝርዝር ፡ ተውላጠ ፡ ስም ፡ zerzer tawlāṭa sem

Pronom réfléchi ድርብ ፡ ተውላጠ ፡ ስም ፡ derreb tawlāṭa sem

Pronom relatif አዛማጅ ፡ ቅጽል ፡ 'azzāmāğ ḳeṣel

La Proposition ሐረግ ፡ harag ; ou ዐቢይ ፡ ሐረግ ፡ 'abii̯ harag

Sous-entendu ውስጠ ፡ ታዋቂ ፡ wesṭa tāwāḳī ; ou ውስጠ ፡ ቀሪ ፡ wesṭa ḳarī

Le Subjonctif አዋዋይ ፡ አንቀጽ ፡ 'awāwāi̯ 'anḳaṣ

Substantif verbal ሳቢ ፡ ዘር ፡ sābī zar

Suffixe ባዕድ ፡ መድረሻ ፡ bā'ed madrašā

Le Sujet ባለቤት ፡ bālabēt

Sujet et attribut ባለቤትና ፡ አንቀጽ ፡ bālabetennā 'anḳaṣ

Superlatif አበላላጭ ፡ ደረጃ ፡ 'abbalālāṭch darağā

Syntaxe አገባብ ፡ 'aggabāb

Syntaxe des adjectifs የቅጽል ፡ አገባብ ፡ i̯aḳeṣel 'aggabāb

Syntaxe des adverbes የተውሳከ ፡ ግሥ ፡ አገባብ ፡ i̯atawsāka gess 'aggabāb

Syntaxe des prépositions የመስተዋድድ ፡ አገባብ ፡ i̯amastawādded 'aggabāb

Syntaxe des pronoms የተውላጠ ፡ ስም ፡ አገባብ ፡ i̯atawlāṭa sem 'aggabāb

Tableau d'analyse ዝርዝር አፈታት ፡ zerzer 'affatāt ; ou የአፈታቱ ፡ አርእስት ፡ i̯a'affatātū 'ar'est

Les Numéraux cardinaux መደበኛ ፡ ቍጥር ፡ madabañā ḳweṭer

Les Numéraux ordinaux ሕገኛ ፡ ቍጥር ፡ heggañā ḳweṭer

Parenthèse ቅንፍ ፡ ḳennef

Le Parfait የሩቅ ፡ ኅላፊ ፡ j̭arūḳ halāfi

Le Participe ቦዝ ፡ አንቀጽ ፡ bōz 'anḳaṣ

Participe passé ኅላፊ ፡ ቦዝ ፡ halāfi bōz

Participe présent ትንቢታዊ ፡ ቦዝ ፡ tembītāwī bōz

Les Parties du discours የንግግር ፡ ክፍሎች ፡ j̭anegeger keflotch

Passé ኅላፊ ፡ ግዚያት ፡ halāfī gezij̭āt

Passé indéfini የዋህ ፡ ኅላፊ ፡ j̭awāh halāfī

Les personnes (par exemple : lère personne) መደብ ፡ (አስረጅ፡፡ አንደኛ ፡ መደብ ፡) madab (asrağ : 'andannā madab)

La Phrase ንኡስ ፡ ሐረግ ፡ ne'ūs harag ; ou ዐረፍተ ፡ ነገር ፡ 'arafta nagar

La Phrase complexe ድርብ ፡ ዐረፍተ ፡ ነገር ፡ derreb 'arafta nagar

La Phrase simple ነጠላ ፡ ዐረፍተ ፡ ነገር ፡ naṭalā 'arafta nagar

Plan d'analyse écrite የአፈታት ፡ ምሳሌ ፡ j̭a'affatāt messālē

Poème ቅኔ ፡ ḳenē

Point ሙሉ ፡ ነጥብ ፡ mūlū naṭb

Point d'exclamation ትእምርተ ፡ አንክሮ ፡ te'merta 'ankerō

Point d'interrogation ትእምርተ ፡ ጥያቄ ፡ te'merta ṭej̭j̭āḳē

Points de suspension ይዘት ፡ j̭ezat

Point-virgule ነጠላ ፡ ሠረዝ ፡ naṭalā saraz

Ponctuation ሥርዓተ ፡ ነጥብ ፡ ser'āta naṭb

Positif ተነጻጻሪ ፡ ደረጃ ፡ tanaṣāṣārī daraǧā

Positif et négatif አዎንታና ፡ አሉታ ፡ 'awōntānā 'alūtā

Le Possessif ዘርፍ ፡ አያያዥ ፡ zarf 'aj̭āj̭āž

Préface መቅድም ፡ maḳdem

Préfixe ባዕድ ፡ መነሻ ፡ bā'ed manāššā

Préposition መስተዋድድ ፡ mastawādded

L'Illatif አስረጅ ፡ መፃምር ፡ (ምክንያታዊ ፡ መፃምር ፡) 'asrağ maṣāmer (mekneiātāwī maṣāmer)

L'Imparfait የቅርብ ፡ ኀላፊ ፡ iakerb halāfī

L'Impératif ትእዛዝ ፡ አንቀጽ ፡ te'zāz 'ankaṣ

Indéfini ያልተወሰነ ፡ iāltawassana

Indicatif ዐቢይ ፡ አንቀጽ ፡ 'abii 'ankaṣ

Infinitif አርእስት ፡ 'ar'est

Interjection ቃለ ፡ አጋኖ ፡ kāla 'aggānnō

Interrogation ቃላተ ፡ ጥያቄ ፡ (መጠይቃን) ፡ kālāta ṭeiiākē (maṭaiiekān)

Introduction መግቢያ ፡ magbīiā

Lecture ምንባብ ፡ menbāb

Masculin ተባዕታይ ፡ ጾታ ፡ tabā'tāi ṣōtā

Le Mode infinitif ንኡስ ፡ አንቀጽ ፡ ne'ūs 'ankaṣ

Modèle de Conjugaison የግሥ ፡ ሙሉ ፡ እርባታ ፡ iagess mūlū 'erbātā

Les Modes ስልቶች ፡ (፬ቱ ፡ የግሥ ፡ ስልቶች ፡) seltōtch ('arattū iagess seltōtch) ; ou የግሥ ፡ ስልቶች ; iagess seltōtch

La Négation et l'Affirmation አሉታና ፡ አዎንታ ፡ 'alūtānnā 'awōntā

Le Neutre ግዑዝ ፡ ጾታ ge'ūz ṣōtā

Le Nom ስም ፡ sem

Nom abstrait የነገር ፡ ስም ፡ ianagar sem

Nombre des noms (singulier et pluriel) ቁጥር ፡ (አንድና ፡ ብዙ ፡) kuṭer ('andennā bezū)

Nom collectif የጥቅል ፡ ስም ፡ iaṭekel sem

Nom commun የወል ፡ ስም ፡ iawal sem

Nom de matière የቁሳቍስ ፡ ስም ፡ iakwasūkwes sem

Nominatif ባለቤት ፡ ሙያ ፡ bālabēt mūiiā

Nom propre የተጸውዖ ፡ ስም ፡ iataṣawe'ō sem

Deux points ድርብ : ሠረዝ : derreb saraz

Emploi adverbial du participe ተውሳከ : ግሥ : ሲሆን : tawsāka gess sīhōn

En-tête (: titre) አርእስት : (በጽሕፈት : ሥርዓት :) 'ar'est (baṣehfat ser'ār)

Erratum የገድፈት : ማረሚያ : i̯agedfat mārramīi̯ā

Espèces d'adjectifs የቅጽል : ዓይነቶች : i̯aḳeṣel 'āi̯natōtch

Espèces d'interjections የቃለ : አጋኖ : ዓይነቶች : i̯aḳāla 'aggānno 'āi̯natōtch

Espèces de noms የስም : ዓይነቶች : i̯asem 'āi̯natōtch

Espèces de pronoms የተውላጠ : ስም : ዓይነቶች : i̯atawlāṭa sem 'āi̯natōtch

Espèces de verbes (: voix) የግሥ : ጠባይና : ዓይነት : i̯agess ṭabai̯nnā 'āi̯nat

Exemple አስረጅ : (አጅ) 'asraġ ('aġ)

Exercice መልመጃ : malmaġā

Féminin አንስታይ : ጾታ : 'anestāi̯ ṣōtā

Formation des adjectifs የቅጽል : አመሠራረት : i̯aḳeṣel 'ammasarārrat

Formation des adverbes የተውሳከ : ግሥ : አመዳደብ : i̯atawsāka gess 'ammadādab

Formation des prépositions የመስተዋድድ : አመዳደብ : i̯amastawādded 'ammadādab

Le Futur ትንቢታዊ : ጊዜያት : tenbītāwī gīzēi̯āt (ou ግዚያት : gezīi̯āt)

Le Génitif ዘርፍ : ሙያ : zarf mūi̯ā

Génitif objectif የተሳቢ : ዘርፍ : i̯atasābī zarf

Génitif subjectif የባለቤት : ዘርፍ : i̯abālabēt zarf

Les Genres ጾታ : (የተፈጥሮ : ጾታ :) ṣōtā (i̯atafaṭero ṣōtā)

Genre commun የወል : ጾታ : i̯awal ṣōtā

Guillemets ትእምርተ : ጥቅስ : te'merta ṭeḳs

Complément direct ተጠቃሽ : (ርቱዕ :) ተሳቢ : taṭaḳāš (retu') tasābī

Complément indirect ኢርቱዕ : ተሳቢ : 'īretu' tasābī

Les Compléments ተሳቢ : tasābī

Le Conditionnel ምክንያታዊ : አዋዋይ : meknei̯ātāwī 'awāwāi̯

La Conjonction መስተፃምር : mastaṣāmer

Conjonction adversative አፍራሽ : መስተፃምር : 'afrāš mastaṣāmer

Conjonction cumulative አጫፋሪ : መስተፃምር : 'aṭchāfārī mastaṣāmer

Conjonction de coordination ወደረኛ : መስተፃምር : wadarañā mastaṣāmer

Conjonction de subordination ጥገኛ : መስተፃምር : teggañā mastaṣāmer

Conjugaison እርባታ : 'erbātā ; ou (: du verbe) የግሥ : አረባብ : i̯agess 'arrabāb

Conjugaison du verbe "Avoir" የመኖር : ግሥ : እርባታ : i̯amanor gess 'erbātā

Conjugaison du verbe "Dire" የማለት : ግሥ : እርባታ : i̯amālat gess 'erbātā

Conjugaison du verbe "Être" የመሆን : ግሥ : እርባታ : i̯amahōn gess 'erbātā

Conjugaison simple የዋህ : እርባታ : i̯awāh 'erbātā

Contenu አርእስተ : ነገር : 'ar 'esta nagar

Coordination አጫፋሪ : 'aṭchāfārī ; ou አዳጋሚ : 'addāgāmī

Le Datif ተቀባይ : taḳabbāi̯

Défini የተወሰነ : iatawassana

Définition générale ጠቅላላ : መግለጫ : taḳlāllā maglaṭchā

Degrés de comparaison des adjectifs የማነጻጸር : ደንብ : i̯amānaṣāṣar danb

Degrés de comparaison des adverbes የማወዳደር : ደረጃ : i̯amāwwadāddar daragā

Adjectif numéral አኃዝ ፡ ቅጽል : 'ahaz kẹṣel

Adjectif qualificatif የዓይነት ፡ ቅጽል : ia 'ainat kẹṣel

Adjectif simple (Angl. proper adjective) የወገን ፡ ቅጽል : iawagan kẹṣel

Adjectifs numéraux et quantitatifs የአኃዝና ፡ የመጠን ፡ ቅጽል : ia 'ahazennā iamaṭan kẹṣel

Adjectif verbal መስተጻምራዊ ፡ ቅጽል : mastaṣāmerāwī kẹṣel ; ou ሳድስ ፡ ቅጽል : sādes kẹṣel ; ou ግሳዊ ፡ ቅጽል : gessāwī kẹṣel

Adverbe ተውሳከ ፡ ግስ : tawsāka gess

Adverbe interrogatif መጠይቅ ፡ ተውሳከ ፡ ግስ : maṭaiiek tawsāka gess

Adverbe simple የዋህ ፡ ተውሳከ ፡ ግስ : iawāh tawsāka gess

Adversative አፍራሽ : afrāš ; ou ተቃራኒ : takārānī

Alternative አማራጭ : 'ammārāṭch

Analyse des conjonctions የአፈታቱ ፡ አርእስት : ia'affatātu 'ar'est

Analyse des noms የስሞች ፡ ዝርዝር ፡ አፈታት : iasemotch zerzer 'affatāt

Analyse des phrases ዐረፍተ ፡ ነገርን ፡ መተንተን : 'arafta nagaren matantan

Analyse des pronoms የተውላጠ ፡ ስም ፡ ዝርዝር ፡ አፈታት : iatawlāṭa sem zerzer 'affatāt

L'Article (Section) አንቀጽ ፡ (ክፍል ፡) 'ankaṣ (kefel)

Attribut አንቀጽ ፡ (ግስ ፡) 'ankaṣ (gess)

Le Cas ሙያ : muiiā

Cas régime ተሳቢ ፡ ሙያ : tasābī muiiā

Classification des adverbes የተውሳከ ፡ ግስ ፡ ክፍሎች : iatawsāka gess keflotch

Comparatif አብላጭ ፡ ደረጃ : 'ablāṭch darağā

Complément analogique ቢተኛ ፡ (ዘመዳዊ ፡) ተሳቢ : bētanā (zamadāwī) tasābī

DE CERTAINS TERMES TECHNIQUES EN LANGUE AMHARIQUE

PAR

MURAD KAMIL

Dans ce Bulletin de la Faculté des Lettres vol. XIV, Part. I, Mai 1952, Le Caire 1952, j'ai publié les termes techniques que nous avons pu étudier au cours des réunions de l'académie que j'ai constituée à Addis-Abéba.

Les termes d'arithmétique étaient rassemblés dans la section I, les termes de géométrie pratique dans la section II.

Je publie ici la section III concernant les termes de grammaire. La plupart de ces termes étaient employés par Blata Marsee Hazan Walda Qirqos dans sa grammaire amharique የአማርኛ : ሰዋስው : (ịa'amāreñā sawāsew) parue à Addis-Abéba à l'imprimerie "Berhanenna Salam". Cette grammaire est la seule grammaire officielle employée dans les écoles d'Ethiopie. Elle existe en plusieurs éditions.

III.—La Grammaire

ሰዋስው : sawāsew

Abréviation ምኅጻረ : ቃል : mehṣāra ḳāl ; ou

ከፊለ : ቃል : kafīla ḳāl

Accusatif ጠቃሽ : አመልካች : taḳeš 'amalkātch

Adjectif ቅጽል : ḳeṣel

Adjectif démonstratif አመልካች : ቅጽል : 'amalkātch ḳeṣel

Adjectif descriptif የግብር : ቅጽል : ịageber ḳeṣel

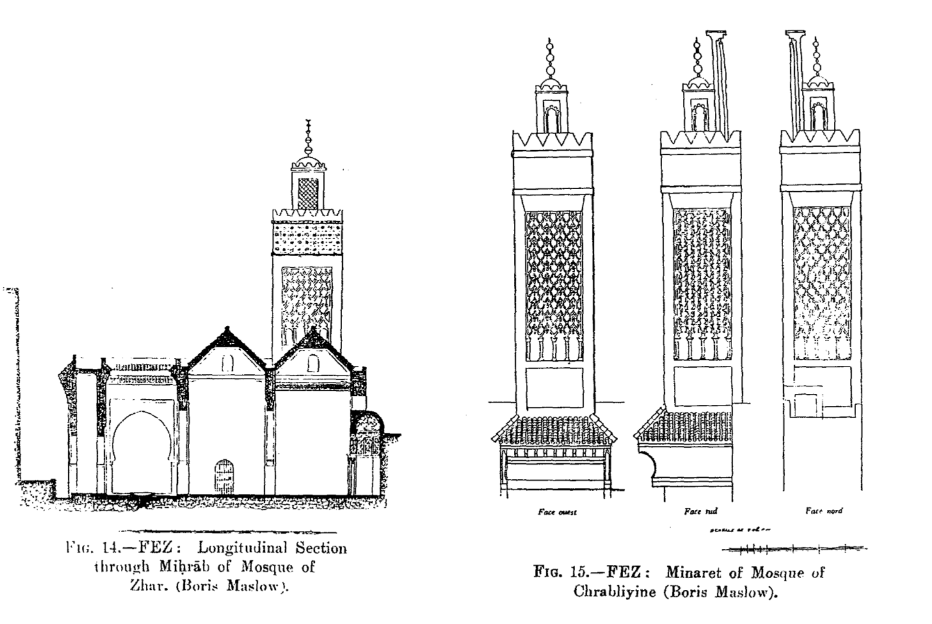


FIG. 14.—FEZ: Longitudinal Section through Miḥrāb of Mosque of Zhar. (Boris Maslow).

FIG. 15.—FEZ: Minaret of Mosque of Chrabliyine (Boris Maslow).

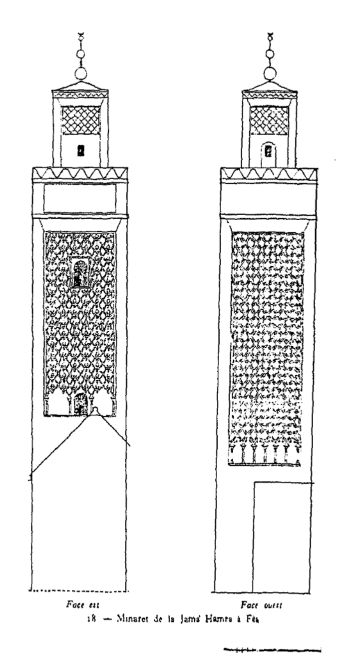


Fig. 13.—FEZ: Minaret of Mosque of Ḥamra (Boris Maslow).

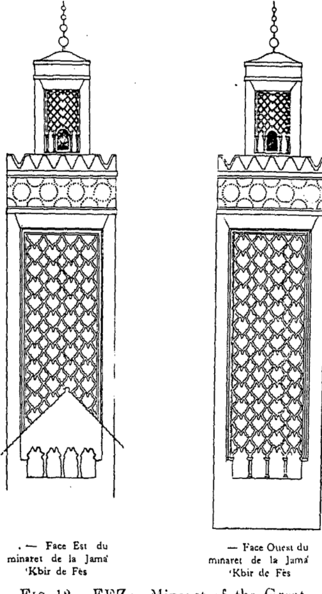


FIG. 12.—FEZ: Minaret of the Great Mosque (Boris Maslow).

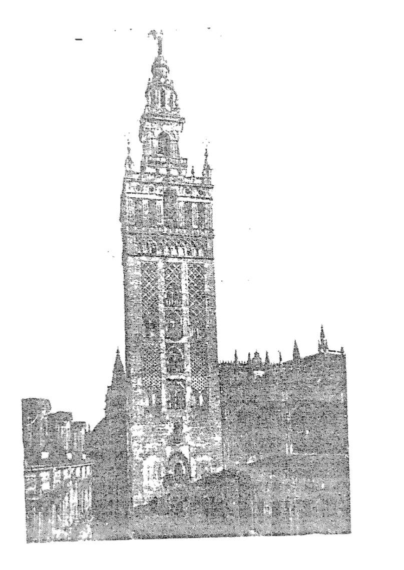


Fig. 10.—SEVILLE: Giralda; Minaret of the Great Mosque at Seville

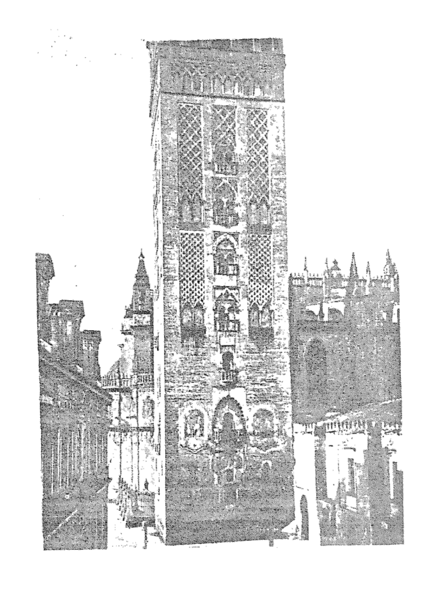


Fig. 11.—Giralda, Minaret of the Great Mosque at Seville. (Glück and Diez)

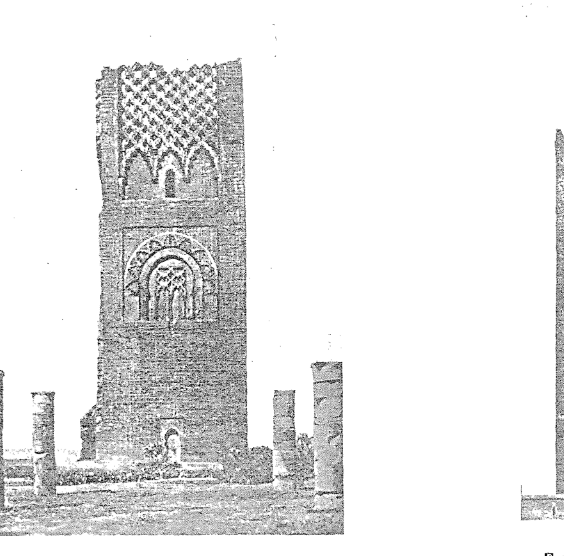


Fig. 8.—Rabāṭ: Minaret of Ḥassan (From Marçais)

Fig. 9.—The Minaret of Kutubiya at Merrakesh (Springer)

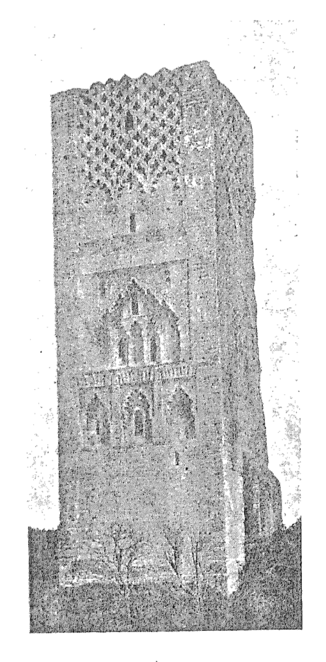


Fig. 7.—RABĀṬ: Minaret of Ḥassan,
North Face. (Marçais)

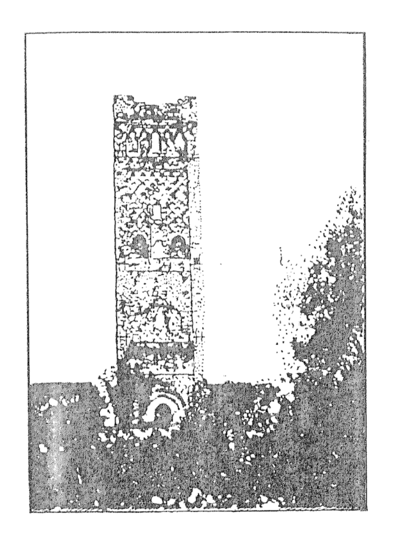


Fig. 6.—TLEMCEN: The Minaret.

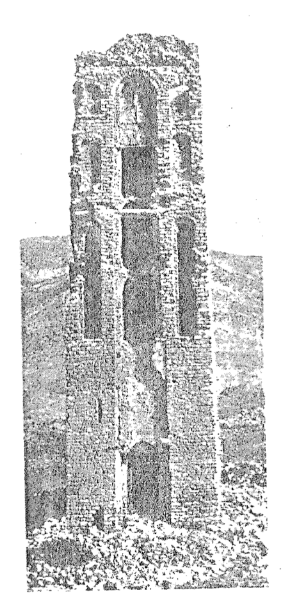


Fig. 5.—Minaret of Qal'a
of Beni-Ḥammād
(from Marçais)

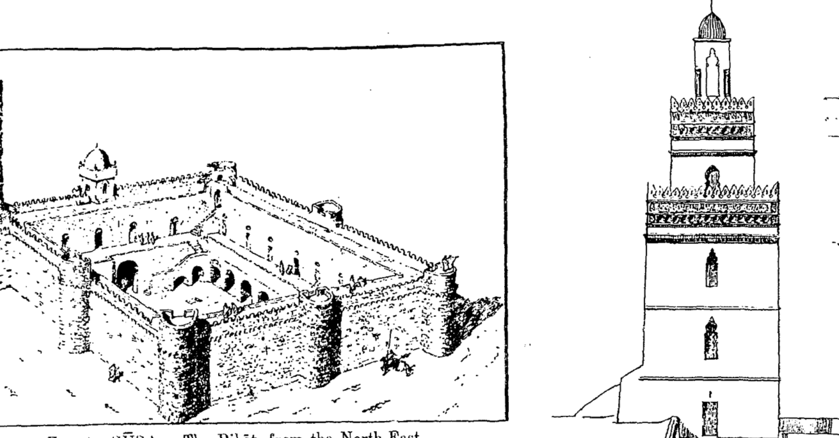
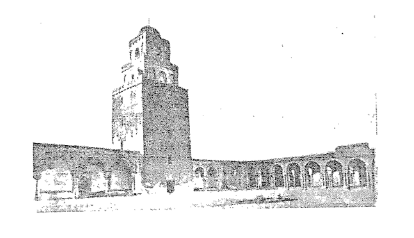


Fig. 3.—SŪSA: The Ribāṭ, from the North-East (From Marçais, Manuel).

Fig. 4.—SFAX: Minaret of Great Mosque (From Marçais, op. cit.)

PLATES



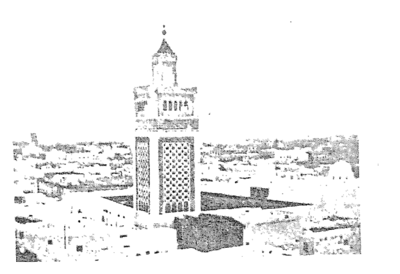
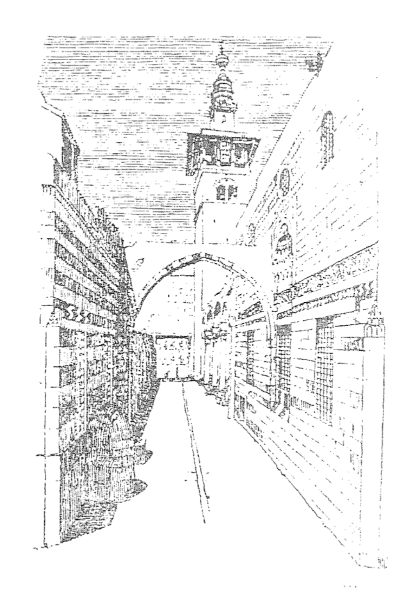


Fig. 1.—Minarets of Mosques of Zitūna, Tūnis and the Great Mosque at Qairawān.



(Briggs)

Fig. 2.—Damascus: The Great mosque. The ʿArūs Minaret.

Other examples of minarets of the same form are found in the Jama' Hamra [1], Jama' ez-Zhar [2] (759 H.—1357 A. D.), Jama' Chrabliyīn [3] at Fez (Merinide XIV) and restored by Moulay Slimān (1792-1823).

The just mentioned types of minarets represent the most decorated and embellished with deeply shaded network of squared and lozenged decorations and also with scallopped and horse-shoe arches. More recent minarets are found in several towns of Morocco, Fez, Tetouan, Tanger, etc.

The type found in Algeria is represented by that of Tlemcen and other minarets, dated XIII-XIV A. D. They are embellished with bold decoration of network in relief. A Moorish aspect is found also in the minaret of the great mosque of Al-Manṣūra erected by a Merinide (701-1302).

So the square form of minarets was the predominating type in all western countries of North Africa and Andalusia. Later on, at XVI A.D., an octagonal tower appeared This is considered by Saladin as a result of Hanafite influence.

---

(1) Boris Maslow Figs. 17, 18, pp. 60-61.
(2) Boris Maslow p. 70, Pl. XXXII, p. 65 and Fig. 23.
p. 71, Pl. XXXIII.
(3) Boris Maslow Pl. XXXIV. Figs. 68 and 69 (p. 78, Fig. 26).

BIBLIOGRAPHY

1. Basset. H. et Terrasse H. :—
Tinmel (Sanctuaires et Forteresses Almohades), ap. Hesperis, 1924.
Le Minaret de la Kotoubiya, ap. Hesperis. 1925.
2. Boris Maslow, Les Mosquées de Fés et du Nord du Maroc. (Belgique 1934).
3. Creswell, K.A.C. Early Muslim Architecture, Vol. II.
4. Encyclopédie de l'Islam, Tome III, Paris. 1936.
5. Kühnel, Maurische Kunst.
6. Marçais, G.: Manuel d'Art Musulman. Vol. I. Paris, 1926. and Marçais et W., Les Monuments Arabes de Tlemcen.
7. Saladin, Bull. Arch. 1904.
8. Terrasse. L'Art Hispano-Mauresque.
9. Thiersch. H., Pharos, Leipzig-Berlin, 1909

The minaret of Ḥassan is built of regular courses of stone while the mosque at Seville is constructed in brickwork. This last minaret is the tower of the cathedral now called "The Giralda". The base of the Qaṣba at Merrākesh is of ashlar masonry with angles in brickwork, while the upper part surmounting the base is in brickwork.

Most of the minarets of North Africa are decorated with lozenged network design called "Derj or Ktef" (1) surmounted by a horizontal frieze of coloured mosaics.

A series of minarets were built at Fez and Northern part of Morocco. They are well described by Boris Maslow. Of these mosques was the great mosque at Tāẓa (2), founded by the Almohade 'Abd Al-Mu'min (1152–1163) and enlarged by the Merinide Abu Ya'qūb and restored by Abu 'Inān. It is considered as the best example in North of Morocco after Al-Qarawiyīn. It is also of a square tower form, slightly tapering at its top ending with a crenellation. Above this huge tower is another smaller one serving as lantern, ended also with crestings and capped by a shallow dome. This lantern has an arched opening.

The great mosque at Fez (3), founded by Al-Amīr Abu Yūsuf (674 H.—1275 A.D.). The square minaret is placed at the S.W. angle of the edifice. Eastern and western faces of minaret are decorated with lozenged network (Derj ou Ktef à double Boujat). The South face is decorated with a rectangular panel with interlacings of simple "Derj or Ktef" supported by two lobed arches. Also the northern face is decorated the same (Pl. XXIII, phot. 47, Boris Maslow).

(1) Boris Maslow, Les Mosquées de Fès et du Nord du Maroc. (Belgique 1934).

(2) Plan Fig. 5, p. 18 (Mosquée Almohade) and Fig. 6 plan de la Jamaʿ Kbir de Taza (Mosquée Mérinide).

(3) Boris Maslow, p. 38, Figs. 12, 13, pp. 48-49.

The minaret of the mosque at Tinmal (1) was a tower of a rectangular form measuring (9·50 m. × 5·50 m.) rising behind the mihrab.

The works of Ya'qūb Al-Manṣūr as we are told by Al-Qirṭās (2) (date is given as 1195 and corrected in Al-Istibṣār to 1196) :—

1. Mosque of Ḥassan with its minaret at Rabāṭ.

2. Al Qaṣaba at Merrākesh.

3. Giralda at Seville.

4. Al-Kutubiyah at Merrakesh (which began during the time of 'Abd Al-Mu'min).

Although the minarets of these mosques were built by the same prince, yet they differed in decoration. The minaret of mosque of Ḥassan at Rabāṭ is of the form of a square tower standing in the middle of the N.W. façade, lapping (3) on the outer north-western wall.

Most of the minarets of N. Africa have got a lantern at their summits called "Azri". The minaret of Qarawiyīn is an exception: it has no lantern. It is also noticed that the proportions of height to width is 4 times in nearly all these minarets, only the Kutubiya at Merrakesh (4) is 5 times and so appeared elegant and tall minaret.

---

(1) Cf. H. Basset et H. Terrasse, Tinmal (Sanctuaires et Forteresses Almohades), ap. Hesperis, 1924, pp 9-91 and Marçais, Manuel Fig. 180. p. 325.

(2) Qirṭās, ed. Tornberg, p. 179, in fine. [L'année 593 commence 25 Novembre 1196. Sur cette chronologie. cf. Henri Basset et Terrasse. le Minaret de la Kotoubiya], ap. Hesperis, 1925.

(3) Harçais, Manuel. plan Fig. 182, p. 330, the minaret Fig. 183. p. 332 and p. 328 and Qirṭās, éd. Tornberg: Lt.-Colonel Dieulafoy. la mosquée d'Hassan, ap. Memoires de l'Academie des insc. et b. lettres XLII, pp. 167-315.

(4) Marçais, Manuel, p. 334.

In the period from XIth to XIIIth centuries A.D., Islamic Spain and the Berbers of North Africa were ruled by several Empires [1]. Al-Manṣūr, the minister succeeded to be the founder of a new dynasty called "Ṭaïfas". He was followed by the 'Abbadids of Seville 1042–1091 under the rule of Al-Mu'taḍid and Al-Mu'tamid. Ibn Tachfin, afterwards succeeded to the throne and founded the Almoravid's Empire. Morocco was the capital and Extreme Maghrib, central Maghrib up to the limits of Algeria were governed by this dynasty. Also Islamic Spain at the beginning of the 12th century was ruled by the Almoravids. Al Mahdi ibn Toumer succeeded to found the Almohade's Empire and Tinmal was the capital.

Of the mosques belonging to this period which were constructed in Algeria are the following:—

The great mosque al Algeria [2], to which a square minaret was added during the XIVth century at the N.E. corner. The great mosque at Tlemcen [3], built 530/1135 and had a square minaret built 70 years after the construction of the mosque proper (as considered by Marçais, whereas date is given by Qirṭās as 548–1153 and constructed by 'Abd Al-Mu'min).

During Almohade's Period, 'Abd-Mu'min ordered the construction of the minaret at Merrakesh [4], which was finished by Ya'qūb Al-Manṣūr in the year 1196. Tinmal's minaret was also built during Almohade's by 'Abd Al-Mu'min in 548 (1153) and at the same time he ordered the construction of the mosque at Taza which reached its present form during the 13th century.

(1) Marçais, G., Manuel d'Art Musulman Vol I. Paris 1926, Chap. IV p. 293.

(2) Marçais, Manuel, p. 306, plan Fig. 166 p. 307.

(3) Cf. W. et G. Marçais, Les Monuments Arabes de Tlemcen, pp. 140 ss and Marçais, Manuel, p. 313.

(4) The first Kutubiya at Merrakesh constructed by 'Abd El-Mu'min was destroyed and he ordered to rebuild the second minaret which was completed by Ya'qūb Al-Manṣūr at 1196.

Marçais [1] has published accounts of the remarkable minaret of the great mosque of Sfax, which may be earlier, as Creswell suggests, than the minarets of the Fāṭimid Mosque of Al-Hākim in Cairo.

This suggestion would be valid if the minaret of Sfax can be attributed to the Berbers of the Ṣanhaja period, presumably the Zīrid branch. They ruled at Qairawān, first as governors for the Fāṭimids after the departure of Al-Mu'izz for Cairo in 362 H. and later as an independent dynasty until (972) middle of the 12th century. The minaret is composed of three storeys, all square, of which the lowest is very massive and is decorated by bands of simple horizontal mouldings. At the top of this storey is a dog-tooth moulding, then a base band and then two friezes, the first composed of shallow saucers and the second of a Kūfic inscription, the whole crowned by an open-work cresting. Above this is a second storey, much less in height, crowned by a similar frieze and cresting. The whole is surmounted by a square lantern with a pointed fluted dome and a scallopped arched opening in the middle of each face. This upper storey has an engaged column at each corner.

The minaret of the Qal'a at Beni Ḥammād is considered as the only Fāṭimid example still existing. It was erected in 393 (1001) and damaged in 1152 by the Almohades [2]. It is of the form of a vertical square tower. The south façade is divided into three vertical divisions (strips); the central division is wider than the laterals. The middle vertical strip is composed of a vertical arched recess with an entrance at the bottom, surmounted by five arched recesses.. Each of the two flanking strips is composed of vertical semi-circular elongated niche surmounted by two arched recesses decorated with ceramics of a Mesopotamian influence.

---

[1] Manuel d'Art Musulman: L'Architecture, I. pp 162-5 and Fig. 91.

[2] Saladin, Bull. arch., 1904, p. 243 and the following pages; and Marçais, G.: Manuel d'Art Musulman: Paris 1926, p. 102.

VIIIth century A.D., was the minaret of the mosque of Zeituna at Tunis, *i.e.* before its restoration in the XIXth century. The ancient reproductions (1) represent a square lower storey without ornaments surmounted by an upper octagonal one of smaller section. Round this upper storey, which appears as a collonaded gallery, runs a platform. This upper storey is believed to have been repaired in 1653.

'Abd El-Raḥmān I, born in 113 (731), was the founder of the reigning dynasty of Andalusia. He was an Umayyad refugee from Syria, and his entourage was mostly of Syrian origin.

It was 'Abd El-Raḥmān III (Al-Nāṣir), who erected a new stone minaret at Cordova in 340 H. (951/2). It was of the square type and had two independent staircases, one in the eastern and the other in the western half. The position of the minaret was almost the same as that at Damascus, except that the minaret at Cordova is placed to the west of the corresponding axis, drawn from the centre of the minaret to the centre of the transept, instead of being immediately to the east of it.

The minaret of Al-Nāṣir was severely damaged by the great storm of 1589. The shaft of this minaret still exists inside the lower part of the present Campanile (2). Al-Idrīsi (548 = 1154) gave a brief description of this minaret. It was considered as a model for other following minarets built in Seville and Morocco.

The manār of the mosque of the Ribāṭ at Sūsa 206 H. (821/2) stands at the S.E. corner rests upon a small platform, 75 cm. higher than the rest of the roof. It is crowned by a small square lantern. It probably served a double purpose ; to give the call to prayer and to sound the fire alarm at night. The Ribāṭ was a small fortified barracks built on the frontier of the territory of Islam and garrisoned by volunteers. Men attached to a Ribāṭ was called murābiṭīn.

(1) Reprod. K. d. O. IX : Kühnel, Maurische Kunst (VI).
(2) See Terrasse, L'Art Hispano-Mauresque, pp. 80-82

MINARETS IN NORTH AFRICA AND SPAIN

BY

Dr. KAMAL EL-DIN SAMEH

After the conquest of Egypt, 'Amr proceeded to invade Barqa and made peace with the inhabitants in A.D. 642. No permanent conquest was made until 50 H. (670).

'Uqba ibn Nāfi' was appointed over the Maghrib by Mu'āwiya, so he invaded Ifriquiya and founded Qairawān. Date of completion of mosque of 'Uqba at Qairawān as given by Baladhuri who quoted Waqidi, is given as 55 H. (674/5).

The present minaret of the great mosque at Qairawān corresponds to that described by Al-Bakrī and it was built by order of the Khalif Hishām, son of 'Abd El-Malik, the Omayyad Khalif (105-9 H.) (724-727/8). This minaret is composed of three receding storeys, all square, the first being 18·87 m. in height, the second 5 m. and the third 7·50 m. The lowest storey is about 10·60 m. square at the base and tapers slightly upwards. Although these dimensions, measured by Creswell, correspond to those given by Al-Bakri, nevertheless, the first believes it possible that the minaret really dates from Ziyādat-Allah in 221 (836). In my opinion, the lower storey dates 105 (724) and the upper two storeys of later dates 221 (836).

The minaret of Qairawān was merely a continuation of Syrian tradition and had no connection with the Pharos as Thiersch (1) tried to prove.

Minarets in North Africa were given the term "Sawma'a". Another second Sawma'a in North Africa dating IInd century H.—

(1) H. Thiersch, Pharos, Leipzig-Berlin, 1909, pp. 123-126.

39. Niebuhr's Travels through Arabia, Edinburgh, 1792.

40. R. Chandler. Travels in Asia Minor. London, 1775

41. Letters of a traveller on the various countries of Europe, Asia and Africa, edit, by A. Thomson, London, 1798.

42. R. R. Madden, Travels in Turkey .... Egypt, London, 1827.

43. S. Rogers, Epistles in verse, 2 Italy. London, 1828.

44. The Polite Traveller, London, 1783.

45. Charles Augustus, Travels in North America ... 1839.

46. P. Cavendish, The World ... 2 vols. London, 1819.

47. New Voyages and Travels, edited by Sir Richard Phillips, ol. 1-9, 1819-23.

48. A Collection of Modern and Contemporary Voyages and Travels, published by Sir R. Phillips, 1805-10.

49. Robert Walpole, Memoirs relating to European and Asiatic Turkey, edited from manuscript Journals, London, 1817.

50. R. Walpole, Travels in various countries of the East .... 1820.

51. Catalogue des Livres de Geographie, d'Histoire, Voyages, etc Composant la Bibliotheque de Feu. M.J.—B. Eyries, Paris, 1846.

52. John Pinkerton, A general Collection of the best and most interesting voyages and travels in all parts of the World, 17 vols., London, 1814.

53. John Hamilton Moore, A New and Complete Collection of voyages and travels .... London, 1785.

54. R. Kerr. A General History and Collection of voyages and travels. 18 vols., London, 1824.

55. The General Catalogue of the Royal Geographical Society, London.

56. William Mavor, Historical account of the most celebrated voyages and travels, 25 vols., 1796-1810.

57. The Edinburgh Review (1802-1850).

58. The Quarterly Review (1809-1850).

59. The Eclectic Review (1805-1850).

60. The British Review and London Critical Journal (1811-15).

61. Annual Register (1779-1850).

16. J. L. Lowes, The Road to Xanadu. New York, 1944.

17. H. Darbishire. Keats and Egypt in Review of English Studies, Vol. III, No. 9.

18. C. B. Tinker. Nature's Simple Plan, Princeton, 1922.

19. H. N. Fairchild, The Noble Savage. New York, 1928.

20. W. C. Brown. English Travel-Books and Minor Poetry about the Near East, 1775-1825 in the Philological Quarterly, Vol. 16.

21. N. W. Frantz: The English Traveller and the Movement of Ideas, 1660-1732. Lincoln, Nebraska, 1932-33.

22. E. Pons, Le Voyage, Genre Litteraire au XVIII Siecle. Bulletin de la Faculte des Lettres de Strasbourg, 1926.

23. A. S. Collins, The Profession of Letters, London, 1928.

24. F. L. Lucas. The Decline and Fall of the Romantic Ideal,. Cambridge, 1936.

25. Alex-Comfort, The Novel and our Time, London, 1948.

26. J. Lackington, Memoirs (Seventh Edition, London M. D. CCXCIV).

27. J. P. Malcolm, Anecdotes of the Manners and Customs of London during the 18th Century, London, 1808.

28. R. Southey, Letters from England, 1807.

29. W. Robert's Memoirs of the Life and Correspondence of H. More, 1834.

30. W. West, Fifty Years Recollections of an old Bookseller, York, 1835.

31. Dibdin, The Library Companion, 2 vols. London, 1824.

32. Boswell. The Life of S. Johnson, 1791.

33. J. J. Halls, The Life and Correspondence of Henry Salt, 2 vols.. London, 1834.

34. Hugh Murray, Morality of Fiction, or an enquiry into the tendencies of fictitious narratives, Edinburgh, 1805.

35. W. Butterworth, Three Years sf a Minor, Leeds, 1826.

36. H. Salt, Voyage to Abyssinia, London. 1814,

37. J. Forbes, Oriental Memoirs, London, 1813.

38. G. F. Lyon. A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20. London 1821.

novelist, could be easily applied to the writer of Travels as he was appraised at the time. "The other qualities which he needs, besides descriptive power, are a sense of dramatic construction, the power of exact observation and of drawing conclusions, trained intelligence, and a knowledge of the detail involved" (1).

BIBLIOGRAPHY

1. Oliver Elton, a Survey of English Literature, 1780-1830, 2 vols. 1912.—A Survey of English Literature, 1830-1880, 2 vols., 1920.

2. Cambridge History of English Literature., Vol. 14.

3. W. E. H. Lecky, History of England in the 18th Century, 1878.

4. M. D. George, England in Transition, London, 1931.

5. J B. Botsford, English Society in the 18th Century, as influenced from overseas, N.Y., 1924.

6. E. S. Roscos, The English Scene in the 18th Century, L. 1912.

7. A. E. Richardson, Georgian England (1799-1820), L. 1931.

8. W. E. Mead, The Grand Tour in the 18th Century, New York, 1914.

9. C. E. C. Hussey, the Picturesqne, New York, 1927.

10. B. S. Allen, Tides in English Taste, -1619-1850, 2 vols. (Cambridge, Mass., 1937).

11. R. A. Aubin, Topographical poetry in XVIII Century England, New York, 1936.

12. A. M. Dobbs, Education and Social Movements, 1700-1850 (London, 1919).

13. G. E. Fussell and Constance Goodman, Travel and Topography in 18th Century England. The library, X,.1929.

14. L. H. Cust, History of the Society of the Dilettanti, London, 1914.

15. H. G. Fordham, The Road Books and Itineraries of Great Britain. 1570-1850, Cambridge 1924.

(1) The quotation, which refers to the modern novelist is taken from Mr. Alex. Comfort's 'The Novel and our Time', Phoenix House Limited. London. 1948, p. 60.

Mills (1822), where the author was trying 'to give a light and elegant account of the revival of letters and art in modern Europe' (1).

In 1812, the '*Quarterly Review*' wonders that the form had not been used in poetry before Lord Byron; and states that few books were 'so extensively read and admired as those which contain the narratives of intelligent travellers' (2). It, also, compares the travel-book to the epic, proclaiming that 'the Odyssey is formed exactly of such materials' (3). Later, the *Eclectic Review* compares it favourably with the novel as 'an agreeable after dinner companion' (4).

From all this, we see that the age was propitious to the production of Travels, that they were produced in great abundance, and regarded by both producer and consumer as a definite form of literary expression. We can, also, see that as such it flourished with great abundance roughly between 1780 and 1850; and that it can be safely regarded as one of the most popular forms of prose-writing in the period. That a few travel-books were produced whose interest was almost purely informative does not invalidate our generalization which is that 'entertainment' was always an aim with the generality of travellers. So they wrote almost always with that in view; and their writings exhibited such diversity as is found only in 'works of the imagination (5). In fact, one tends to think that such qualifications as are generally attributed to writers of these latter works would necessarily form part of the equipment of the authors of Travels in the period of this study. I find, for example, that the following quotation, taken at random from a recent work and referring to the modern

(1) The Travels of Theodore Ducas, in various countries of Europe at the Revival of Letters and Arts, edited by Charles Mills, London, 1822. See also, Quarterly Review, Vol. 28, p. 366.

(2) Vol. VII, p. 191.

(3) Ibid.

(4) N.S. (Nov 1820), Vol. XIV, 302.

(5) Edinburgh Review, Vol. 60, p. 125.

that a journal 'should be what that name implies—a record of daily impressions' all emphasis is obviously laid on the narrative (1).

Anecdotes, involving the delineation of characters, were another aspect of form which was regarded by some as 'the most delicate part of a traveller's task' (2). For in relating his adventures, he was expected to describe 'men as well as man' (3). This came into prominence in the second quarter of the 19th century, when in some cases, the traveller gave his narrative the form and the spirit of the novel.

The subjectivity or the objectivity of the traveller was, also, considered; and, 'in the intermediate space' between these two poles, he was to arrange 'his stores of criticism, narrative, history, sentiment, or science, or whatever else he can collect for display' (4).

In fact, the travel-book was subjected to critical examination in almost all its aspects; its future and every new development that it made was noted down and sufficiently discussed (5). For instance, the political consciousness, which the travellers acquired only in the early decades of the 19th century, was noted as a 'most gratifying proof of the progress of political knowledge' (6) and rightly attributed to the French Revolution.

Moreover, the travel-book had become so familiar a form of expression that it was sometimes used as a vehicle to convey ideas outside the sphere of travel. An example of these 'Voyages imaginaires' was the Travels of Theodore Ducas, by Charles

(1) *Edinburgh Review*, Vol. 60, pp. 125, 126.
(2) *Edinburgh Review*. Vol. I (1802), p. 165.
(3) Ibid
(4) *Quarterly Review*. Vol. 103 (1858), p. 348.
(5) See an interesting article on the merits and future of travel-books in *Edinburgh Review*, Vol. VIII, Part I (1812), pp. 113-117.
(6) Quarterly Review, Vol. 22 (1813), p. 109.

grounds that they possess 'a bloom and vividness which tardy recollections hardly ever can bestow'. Such narratives, compared with general statements of facts, are 'what pictures are to plans'. In each instance, where the former gains in individuality, it also gains in vividness and force; 'it conveys less knowledge of the whole, but a more lively comprehension of a particular part'. Finally, we are told that nothing can equal the pleasure 'which we derive from being able to station ourselves in imagination by the side of the traveller, and witness the identical scene and circumstance which is called into being by his pen or pencil (¹).

Not only in the contents, but also in the form of the travel-book did the age show a lively interest. This again points to and emphasizes the fact that it was regarded as literature. The 'narrative', which was an inseparable part of most books of travels, was regarded as an important component which should be preserved in its integrity at all costs. Even in the works of scientific travellers, it was desirable that the details of science should not be interwoven with the general narrative; for it was observed that 'breaking the thread of the story necessarily lessens the general interest' (²).

Its absence, as in the French traveller Volney, was very much regretted; and the systematic 'fullness and method' with which information was conveyed did not compensate for the lack of these 'picturesque and dramatic qualities of narrative ... which ... bestow a powerful interest on the romantic adventures and relations of Bruce' (³).

The best mode of conveying information about human life and manners seemed to be by 'a narrative of such events as have actually taken place', whereby '... the deficiencies of personal observation can be completely supplied' (⁴). In the insistence

(¹) *Edinburgh Review*, Vol. 60 (1834), pp. 125 and 126.
(²) *Quarterly Review*, Vol XVIII, p. 308.
(³) *Edinburgh Review*, Vol. 25. (1815), p. 417.
(⁴) Hugh Murray, *Morality of Fiction*... Edinburgh, 1805, pp. 3 and 4.

have 'all the simplicity of Culliver, with the advantage which truth always carries over fiction' ([1]). And the ideal traveller was one who could work in the dual capacity of a labourer who 'brings the stones from their native seat', and the architect who 'works them into the regular building' ([2]). Information, as the prerequisite of this class of books was gradually superseded by other functions as the age advanced. But even as early as 1811, the *British Review* divides books of travels into six classes, three of which are not noted for information; and states that 'perhaps two-thirds of books of voyages and travels consist as in the other departments of literature, of works which ... afford neither description nor amusement' ([3]).

But a study of the *Edinburgh Review*, at three distinct stages of its career, will be illuminating. In 1810, we are told that more readers and writers of travels have a taste for the useful rather than for the wonderful ([4]). In 1824, the same paper regards travels which abound with such information as 'works of science and philosophy', and suggests that books of travels, by giving us the first impressions of the traveller in their freshness and simplicity should "excite us to follow out the train of feeling and reflection into which they lead us..." ([5]).

In 1834, the *Edinburgh Review* prefers such books as are mere records of the traveller's feelings and adventures to those which are merely descriptive of places visited. As to travels of information, they are dismissed, in an Aristotelian vein, as works which "have deviated from their true province and are no longer good of their kind". The same article goes further to limit the scope of the travel-book to 'the impressions of the moment' and justifies the probable inaccuracy of such impressions on the

([1]) *Quarterly Review*, Vol. XVII, p. 464.
([2]) *Edinburgh Review*, Vol. 15 (1810), p. 367.
([3]) Vol. I (1811), p. 175.
([4]) Vol. 15, p. 368.
([5]) Vol. 41 (1824), pp. 31 and 32.

With such a conception, it was habitual to expect from the travel book elements which other forms of literature provided, and to compare it with them from this point of view. As early as 1783, we are told that it provides us with instruction and amusement when young, and, when old, 'we draw from it solid reflections on the vanity and instability of all human concerns' ([1]). It is often contrasted with 'romance', for here, indeed, are 'none of those lofty flights of imagination—which lead men into the paths of error and folly' ([2]). It was what the age classed as 'polite literature', productive of *rational entertainment*, as well as information ([3]).

But mere information was not all that the readers demanded; a good traveller should combine the vivacity of first impressions with the accuracy of minute examination, and be able to place 'a nation strongly individualized by every mark of its mind and disposition, in the midst of ancient monuments, clothed in its own apparel engaged in its ordinary occupations and pastimes amidst its native scenes—like a grand historical painting with appropriate drapery, and with the accompaniments of architecture and landscape, which illustrate and characterize, as well as adorn' ([4]). That books of travels were, no longer, regarded as mere repositories of facts is implied in an analogy which the Eclectic Review draws between them and 'some of the retail shops which exhibit an imposing show of articles tastefully arranged in the window, and on the counter, to tempt even those who need not purchase, and to amuse such as cannot' ([5]). The model travel-book should

---

([1]) Polite Traveller, Vol. I, London, 1783, Preface ix.

([2]) Ibid. pp. v and vi.

([3]) See: *Letters of a traveller in the various countries of Europe Asia and Africa*, edited by A. Thomson, London, 1798, Letter I, p. I.

Also H. Salt: *Voyage to Abyssinia in 1809–1810*, London, 1814. Preface.

Also: *The Life and Correspondence of Henry Salt* ... by J. J. Halls. 2 vols., London, 1834, Vol. I, p. 390.

([4]) *Edinburgh Review*, Vol. 22 (1813), p. 205.

([5]) *Eclectic Review*, Vol. III, Part 2, p. 367.

'people read travels as they read romances, for the interest of the narrative, for the emotions they give rise to,—in short for anything but information' (1). A few years afterwards the *Edinburgh Review* refers to books of travel as 'a class of literature', and makes several comparisons between their contents and the contents of novels and poems (2). But nothing can be more emphatic than the *Dublin University Magazine* writing in 1843 'that the only variety this walk of literature—for it has regularly become such—presents, is in the character and position of the traveller himself' (3).

That books of travel were regarded by the age as a form of literary expression is implied negatively in the travellers' prefaces, where many apologise for their work being published and 'claim no literary merit' (4). Reviewing the Travels of J. Campbell, the *Quarterly Review* in 1815 found it necessary to state, at the outest, that the book made 'no pretensions to literature' (5). In such books as did not adhere much to the popular form, but were 'intended only to detail facts in the plainest manner, without attempt at embellishment', it is significant that the author should hope 'to escape without very severe comment from the examination of the critic' (6).

(1) Vol. 22 (1829), p. 490.
(2) Vol. 60 (1834), p. 125.
(3) Vol. [illegible] (1843), p. [illegible]
(4) See: James Forbes, *Oriental Memoirs*, Vol. I, London, 1813, Preface.
(5) The form which the travel-book, almost always, took was either the Letter or the 'Diary'. To emphasize that intimate and personal note, however feigned it may be, travellers found it necessary to preface their books with such apologies. They often stated that they had kept their diaries with no intention of publishing them had it not been for the 'solicitations of friends'. 'Such a statement', comments a contemporary traveller, 'meets with as much credit as the laboured impromptu of wit: or with the professions of diffidence made by a practised speaker', Charles Augustus, Travels in North America in 1834, 35, 36 (1839), Preface V.
(5) *Quarterly Review* Vol. 13, p. 309.
(6) Preface to a *Narrative of Travels in North Africa*, [illegible] L[illegible] (1821).

hastened the travel-book to its end was the appearance of new guide-books. There is, naturally, a marked difference between this category of books and travels; but, in the enthusiasm which their first appearance caused, they must have slackened the demand for Tours and Travels. This will appear a natural process, if we consider that the staple function of all travel-writing is to provide us with information, however little it may be. The modern guide-books did this in a manner superior to many nondescript Tours; for, in them, information was laboriously collected, carefully condensed, and methodically arranged for use' (1).

III

How was this vast library of Travels regarded by both its writers and its public? We tend to think of travel-books that do not belong to our time as historical references and to resort to them, whenever we do, in their capacity as such. This is an injustice engendered, perhaps, by a misconception of the nature of these travel-books. That they give information is a fact; but this did not make their readers regard them as histories, blue-prints, or guide-books any more than we regard as such T. E. Lawrence's *Seven Pillars of Wisdom*, Doughty's *Arabia Deserta*, or D. H. Lawrence's *Twilight in Italy*. In fact, the travel-book of the first half of the 19th century was regarded as a literary genre, which occupied a distinctly high place among other forms of literature. As such, its form and its content, what it ought, and what it ought not to be, the changes that occurred in it, its ethics, and its relation to other forms of writing:—all these aspects of the travel-book were amply discussed and delineated by contemporary critics.

There is plenty of evidence that this was so. In 1829, for example, we find the *Oriental Herald* stating emphatically that

(1) Quarterly Review, Vol. 103, p. 353.

years ago the journey from London to Inverness' [1]. And the Quarterly Review finds it difficult 'indeed to bring that numerous and increasing body, the authors of books of travel under a simple classification' [2].

Thus, the stream continued to flow; while men and women of every description, and with or without talent, if they could not in all cases earn a living or make a future, were always sure of 'paying the expenses of their journeys by recording the ordinary incidents of travel' [3].

It was not until, perhaps, the late fifties that the volume of travel-writing began to decrease. The stream is, then, found to 'flow with a languour which shows that it has slackened' [4]. It is not that readers had become less curious, but they were more exacting. With an accumulated wealth of Tours and Travels at his disposal to consult about most lands and peoples, and capable himself of making such tours easily with comparatively less expense, the common reader became more fastidious. And the Tourist, addressing himself to such a reader, was handicapped in more than one way. With the labour of his predecessors before him in abundance to compare with his own observations, and with readers who are either familiar with the countries described, or who will soon have an opportunity of testing his fidelity, he was forced to ascertain 'not what his first impressions were, but what they ought to have been and what emotions they ought to have excited' [5].

The golden era of travel-writing was thus coming to an end; for, instead of spontaneity, which is an essential prerequisite of this branch of literature, we begin to notice 'a certain amount of disingenuousness and affectation' [6]. Another thing which

(1) Quarterly Review, Vol. 76 (1854). pp. 490-491.
(2) Ibid.
(3) Quarterly Review. Vol. 103 (1858). p. 348.
(4) Quarterly Review. Vol. 103 (1858), p. 247.
(5) Quarterly Review. Vol. 103, p. 356.
(6) Ibid.

number of persons are constantly engaged and ready to engage' (1). The keeping of a journal, with a view to its publication, was becoming a fashion, not only with literary adventurers, but also with 'diplomatic agents, commercial adventurers, safe attendants on the march of armies and even the mere rovers for amusement' (2). Taking into account the vast literature of travel which had been produced over a period of thirty years, and also the great amounts which were likely to be written, the same paper looks forward 'with compassionate dismay to the condition of our inquisitive great grandson, with respect to that department of reading' (3). In 1815, the *British Review*, referring to the subject writes:—

> "... whether the increase of voyages and travels maintain a due proportion to the increased number of voyagers and travellers we shall not pretend to determine ... but the chief ambition of our times among literary adventurers seems to be to print a book ... and we do not much like to receive an account of an author's feats before he has well recovered from the fatigue of his travels and changed his dress ..." (4).

In 1818, the *Eclectic Review* writes of the 'extreme facility with which "Journals", "Letters" and "Tours" are fabricated' (5). Treating of travel-books in his *Library Companion*, Dibdin finds himself 'launched into an interminable ocean' (6). In 1835, the *Journal of the Royal Geographical Society* writes: 'Never perhaps were books of travels so much read as now' (7). In 1845, we are told that the transit from New Bond Street to the Bazaar of Constantinople or the Pyramids 'is as readily made as was sixty

(1) Eclectic Review, Vol. VIII, Part I (1812), p. 11.
(2) Ibid.
(3) Eclectic Review, Vol VIII (1812), Part I, p. 113.
(4) British Review, Vol. 6, p, 156.
(5) Eclectic Review, N.S., Vol. IX, p. 470.
(6) T. F. Dibdin, The Library Companion ... etc., 2 vols., London, 1824, Vol. I, p. 367.
(7) Vol. 5, p. 347 (in an interesting article entitled: "On Picturesque Description in Books of Travels").

[illegible] and the existence of travel-[illegible]. A man [illegible] [illegible] earn his living by making it his work to put together scenes of travel which he had collected from travel-accounts and diaries (1).

The demand was incessant; in fact, (as Robert Heron says) all 'was called for, and eagerly read' (2). By 1806, English travellers had described Europe 'without so much variety of style, and with so much minuteness of details, that they scarcely left anything new to be either said or sung from Petersburgh to Naples' (3).

Throughout the period, contemporary periodicals abound with reviews of books of travel; and where Keats's *Endymion* would occupy only three pages, a review of Clarke's or Valentia's Travels would take four times as much space. If the press may be regarded as index to the time, there can be no doubt that travel-literature occupied a high place among other forms of writing. There is scarcely a single number of the 'Quarterly' the 'Edinburgh', or the 'Eclectic' Reviews, to mention only a few, all through their careers until the middle years of the century, which does not review at least one book of travels. We can hardly say the same about any other form of prose writing which the age produced. This 'vast library without a Haklyut' (as Professar Oliver Elton calls it) very much engaged the interest of contemporary reviewers. They were fully aware of its vastness; and remarks taken at random will help to show the extent of this interest.

In 1812 the Eclectic Review writes, 'It is evident, that travelling with a view to the publishing of travels is becoming a regular department of employment, in which a considerable

(1) See W. West, *Fifty Years Recollection of an Old Book-seller*, York, 1835, p. 71.

(2) Robert Heron's Translation of Niebuhr's '*Travels through Arabia*', Edinburgh, 1792, i, viii.

(3) *Edinburgh Review*, April 1806, p. 35.

popularity of travel-books and its causes, the '*Annual Register*' writes :—

> "Books on travel are read with as much relish as ever, though the number of publications of that sort might well be supposed to have satiated the public curiosity. There is scarcely a part of Europe into which the travels of several of our ingenious countrymen have not been published. The travels of foreigners have all been translated into English. Polite education, the love of variety, the pursuit of health, have rendered foreign lands and foreign customs familiar to our countrymen of higher ranks. The immense extent of our commerce has communicated a considerable share of the same knowledge to all degrees. However, a desire of comparing our own observations with those of others, will make the demand for these books, perhaps, greatest with those, who have actually visited the countries described by every new writer of travels. This accounts for the reception of books of travel, in which they are multiplied, and the sameness of the objects which they describe" (1).

That books of travel or abbreviations and collections of these books sold well is certain. Lackington states that Dr. Hawkesworth received 26,000 for his compilation of voyages (2) In speaking of Hawkesworth's collection of voyages to the South Seas, Dr. Johnson remarked that anything which pertained to travel or exploration would probably achieve financial success (3). Dr. Johnson himself sold four thousand copies of his *Journey to the Hebrides* during its first week (4).

This, to some extent accounts not only for the great library of travels, in which the age abounds, but also for the appearance of professional traveller-writers, numerous translations of foreigu

(1) *Annual Register*, 1773 : 271.
(2) *Memoirs*, op. cit. 221.
(3) Boswell, pp. 247, 248. *The Life of S. Johnson*, 2 vols., 1791.
(4) Letters from Miss H. More to Mrs. Guatkin, 177[illegible] in W. Robert's *Memoirs of the Life and Correspondence of Hannah More*; 1834, i. 32.

side by side with history books. They were almost the only sources for the study of men and manners in foreign societies; and Lackington, commenting on this, wrote "The reading and studying of history, voyages, and travels, will no doubt contribute much to that useful kind of knowledge, but will not alone be sufficient". Later on, as in someone like E. Warburton (author of the *Crescent and the Cross*, 1845), we find that the traveller writes chiefly to instruct and entertain such men and women of the working classes as were unable otherwise to enjoy the pleasures of foreign travel. In the general movement for the diffusion of knowledge, it was natural, therefore, that the travel-book should have its share and achieve more popularity.

II

That the writing of travels increased from the last quarter of the 18th century onwards may be well expected as a result of such motives and forces as we have summarily surveyed. The expression of a native propensity (1), a channel for the newly released energies, a means for satisfying a revived curiosity and also for enabling the mind to travel both in space and in time, useful and entertaining, the travel-book became a fashionable form of expression.

The body of work produced is impressive, and contemporary references to the travel-book provide us with ample testimony of its popularity and importance. The earlier numbers of the '*Annual Register*', for example, contain little reference to travel-books, but roughly from 1770 onwards there is scarcely a Register without some reference or another. In some cases, over a quarter of a whole Register is found to be taken up by episodes from, or accounts and reviews of books of travel. Of the subject of the

---

(1) The 'maladie du pays' was the name foreigners gave to the English love of travel early in the 18th century.
(See : 'Social England' by H. D. Traill : 6 vols. 1893-97. V. p. 345).

nature of the great bulk of English travellers. 'The surface of the globe had been levelled to all ranks and conditions of men', and they were emphatically described as 'a vast mass of the middle class society' (1).

Another factor for the popularity of travel-literature, which is closely connected with the appearance of the middle class traveller, was the change he helped to effect in the general tone of the travel-book. For, up to the fourth quarter of the 18th century travel-books in general were regarded as little more than mere repositories of facts. They consisted of informations and observations laboriously connected, and intended chiefly to add to the general stock of human knowledge (2). In most cases, they reflected the traveller's erudition, but hardly any attempt to entertain his reader. For example, it was habitual for 18th century travellers, especially when describing the remains of antiquity, to strew their pages with frequent references to the writers of antiquity and with abundant quotations from their works (3). Now, with the advent of the middle class traveller who was less culturally equipped (or at least differently so), we notice that the erudition which had characterized the travel-book began gradually to disappear. This naturally helped to make it less ponderous and more readable to a larger number of people than before. Indirectly, it also gave more room for entertainment in the travel-books of the period.

On the other hand, the fact that it conveyed information of various kinds gave the travel-book much prominence and popularity in an age which was both thirsty for knowledge and intent on spreading it. As early as 1790, books of travel were read

(1) *Quarterly Review*. Vol. 76 (1845), p. 492.

(2) See: *Cambridge History of English Literature*, p. 246.

(3) See: R. W. Frantz. *The English Traveller and the Movement of Ideas*, 1660-1732, Lincoln, Nebraska. 1932-33, E. Pons. Le Voyage. Genre litteraire au XVIII Siecle.

Bulletin de la Faculte des Lettres de Strasbourg, 1926.

Lackington thought he was disqualified to be a traveller on acc[illegible] the disadvantages he 'laboured under for want of hav[illegible] a proper education'; and he refers to the travellers of hi[illegible] as 'fortunate gentlemen' (1). But this was not the case, with many members of the new middle class, a few years after Lackington. We have several references to the fact that foreign travel was becoming one of the distractions of this large body of men to whom the Industrial Revolution had brought material welfare. So as early as 1808, we find the *Edinburgh Review* complaining that books of travel were written 'by any man who can hold a pen, or dictate to a writer,—without any previous knowledge of science, or history of policy, or of morals' (2). Referring to the travellers of the day, the *Quarterly Review* confesses that 'of most of them the education presents but little occasion for admiration' (3). Later, the same paper states that '... while in other nations travelling is limited to certain of the aristocracy ..., England sends forth intelligent travellers from almost every class and order of society (4). It adds, however, that many of them 'might far better have been treading their turnip fields, or superintending their warehouses at home' (5).

As the century advanced and neared its middle, the emergence of this large class of travellers became much more conspicuous. In 1839, the *Quarterly Review* makes the following interesting remark:— 'The youth who has been measuring yards of tape behind a counter, or squatting crosslegged upon a tailor's board may now revenge himself upon his betters by taking a measure of his own importance and of theirs, and cutting the one and the other into such dimensions as are most agreeable to his own vanity' (6). A short time later, there was no doubt as to the

-

(1) J. Lackington: *Memoirs* (1794), p. 273.
(2) *Edinburgh Review*, Vol. 12 (1808), p. 255.
(3) *Quarterly Review*, Vol, 22 (1813), p. 1[illegible]9.
(4) Quarterly Review, Vol. 38. (1828), p. 149.
(5) Ibid.
(6) *Quarterly Review*, Vol. 64 (1839), p. 65.

travel-literature and the Romantic Movement was one of action and reaction [1].

In addition to these factors, there were other forces which contributed largely to the popularity of travel. Among these we may notice the Napoleonic Wars which, by excluding the British from the Continent, gave (as the *Quarterly Review* observes) "a sudden fashion for foreign travel when the obstruction was removed [2]". Another factor lay in the facilities and comfort introduced by the steam vessel.

But of perhaps greater importance than these two was the Industrial Revolution. For until late in the third quarter of the 18th century foreign travel seems to have been the privilege of the aristocracy or the learned few. Thus we notice that the appearance of another class of travellers, less cultured and less privileged than these two, often called for comment. For example, the *Annual Register*, reviewing the travels of one Joseph Marshall in 1772 makes the following comment :—

> "If a traveller has chosen to oblige the world with his observations ... it is very little material whether the author is or is not a gentleman of good estate in any particular country of England" [3].

---

(1) For the relation between Bruce's Travels and Coleridge's *Kubla Khan* see: J. L. Lowes, '*The Road to Xanadu*' (New York, 1644), p. 377 Between Keats's *Endymion* and travellers' accounts of the monuments of Egypt, see *Review of English Studies*, vol III, No. 9. Jan. 1927, 'Keats and Egypt' by Helen Darbishire.

For similar relationships between travel-literature and the Romantic movement, see also :—

C. B. Tinker, *Nature's Simple Plan*, Princeton, 1922.

H. N. Fairchild, *The Noble Savage*, New York, 1928.

The Philological Quarterly, Vol. 16, 1937. p. 249.

English Travel-books and Minor Poetry about the Near East-1775-1825 by W. C. Brown.

(2) See *Quarterly Review*, Vol. 38 (1828). p. 149.

(3) *Annual Register*, 1772, p. 241.

is now looked upon to be as essential as ever a course of spring physic was in old times. Whilst one of the flocks of fashion migrates to the sea-coast, another flies off to the mountains of Wales ... : some to mineralogize, some to botanize ... all to study the picturesque, a new science for which a new language has been formed, and for which the English have discovered a new sense in themselves, which assuredly was not possessed by their fathers (1) ".

The result was a flow of travel-literature both in prose and in verse, which concentrated on natural scenery either for its own sake, for the picturesque, or the stimuli it gave to the writer's thought and emotions. By 1793, too many 'descriptive tours', it seems, had already made their appearance. For, following the publication of Wordsworth's *Sketches*, the *Monthly Review* made the following comment :

> 'More descriptive poetry. Have we not yet enough? Must eternal changes be rung on upland and lowlands, and cells, and dells and dingles? Yes: more, and yet more; so it is decreed (2) '.

And the stream continued to flow.

An importont ingredient in the general ferment of the pre-Romantic period, satisfying a craving for remoteness both in space and in time, the travel-book was, later, to receive impetus from the spread of 'romantic' ideals (3). Men travelled in search of these ideals, for love of the marvellous and the mysterious, to observe the noble savage, or meditate upon the ruins of empire. In fact, throughout the period, the relation between

(1) 2nd edition, London, 1808; i, 349-351.

(2) 2nd series, xii. (1793), 216, 217.

(3) The description of Swiss scenery in the *Nouvelle Heloise* gave rise to more than sixty accounts of travels in Switzerland which were published between 1750 and 1895.

See: Lecky, History of England in the 18th Century (1878). (1928 Edit. Vol. vii. p. 236).

encouragement in the last quarter of the 18th century. For with the improvements in roads and transport, as Fussell and Goodman describe in their valuable account of travel and topography in 18th century England, "people set out to see the country. While doing so, they recorded their impressions either in diaries or in letters to their friends, and quite a number of them published these observations at a late date" (1). The same authors point out that it was not till the last quarter of the 18th century that "travelling became rather popular and the writing of diaries of observations made upon the journey almost habitual" (2). Indeed, a study of their list of these diaries will show that the number of recorded tours made of Englishmen in the British Isles between 1775 and 1800 was almost three times what it had been between 1750 and 1775 (3).

It is difficult to separate the encouragement which facilities in transport gave to this love of movement from the new passion for the picturesque by which men were, at the same time, possessed. It was this passion which greatly nourished, for many years to come, the taste for travel both at home and abroad, and which gave birth to 'tourism' in its modern sense (4). A new type of traveller appears—he who travels for pleasure both at home and abroad, and, with the taste for scenery, goes in search of the romantic and the picturesque, Of such a traveller, Southey, in the 'Letters from England' (1807), gives the following account:—

> 'Within the last thirty years a taste for the picturesque has sprung up—and a course of summer travelling

---

(1) 'Travel and Topography in 18the Century England' by G. F. Fussell and Constance Goodman. *The Library* X, 1929, pp. 84, 85.

(2) Ibid.

(3) Ibid. (Between 1750 and 1775 the number was 32 tours; between 1775 and 1800 it was 86).

(4) "... Tourism, as known in modern times, had its rise in journeys, through the mountainous areas of England, Wales, Scotland, towards the end of the century". Sir H. G. Fordham, *The Road Books and Itineraries of Great Britain 1570–1850* (Cambridge 1924), Introduction X.

THE ENGLISH TRAVEL-BOOK (1780—1850) A POPULAR LITERARY FORM

BY

Dr. RASHAD RUSHDY

I

Apart from the greater popularity which the Grand Tour achieved in England towards the last quarter of the 18th century, foreign travel began to take on new forms, and also, to increase in volume

By the publications of various circumnavigators such as Dampier, Anson, and Cook, knowledge of the increased safety of navigation was also published. For the first time, 'many new bays and harbours and anchoring places were brought forward, where ships may be sheltered, and their crew find refreshments' (1). But, of perhaps more interest to us was the encouragement which the taste for travel-literature received from these publications. For, by firing the imagination and arousing the curiosity of the age, they rekindled a craving for that mixture of the unknown and the marvellous which they embodied and whose echo was to be found in every bosom (2). Thus, exciting "an almost universal interest in the perusal of voyages and travels", as Cavendish observes in his collection of travels, they consequently increased the popularity of and the demand for travel books (3).

But it was at home that the love of travel for pleasure and of Travel-literature as entertainment received the greatest

(1) *European, Magazine*, June, 1784, p. 428.
(2) See *Annual Register*. 1797, p. 594.
(3) Pelham Cavendish. *The World*. London 1819, Vol. ii, p. 5.

that the performers disguised their faces with paint. But Virgil's

> non aliam ob culpam Baccho caper omnibus aris
> caeditur et ueteres ineunt proscaenia ludi,
> praemiaque ingeniis pagos et compita circum
> Thesidae posuere, atque inter pocula laeti
> mollibus in pratis unctos saluere per utres.
> nec non Ausonii, Troia gens missa, coloni
> uersibus incomptis ludunt risuque soluto,
> oraque corticibus sumunt horrenda cauatis,
> et te Bacche, uocant per carmina laeta, tibique
> oscilla ex alta suspendunt mollia pinu (1).

seem to suggest masked performers.

Unfortunately, the fescennine verses that have come down to us are not extensive enough to enable us to judge their nature, and they are not in the saturnian, but in the trochaic metre (2). We have no evidence to decide the question whether the trochaic metre was borrowed with the fescennine verses from Etruria, or found its way from Greece to Rome in an early period, or whether it was a native Italian metre. Perhaps the trochaic was used in the fescennine only in a later period.

After the introduction of the Etruscan model of dramatic performances, the Romans discarded the fescennine and started producing a different genre of drama that Livy calls *Satura.*

(1) *Georg.* II, 381-390.
(2) *cf.* Suetonius, Jul. Vit. 51.
urbani, servate uxores, moechum caluom adducimus.
aurum Gallia affutuisti, hic sumpsisti mutuum.

by the history of Greek Old Comedy, where the artificial phallus, as part of the actor's uniform dress in the Fifth Century Athenian Comedy was familiar on the Attic stage. Cornford says (1): "The probable conclusion seems to be that it (*i.e.* Phallus) had been a traditional part of the actors' dress, as it is of the Phlyakes', and that Aristophanes, and perhaps Eupolis too, were trying to get rid of it, but did not altogether succeed. No doubt it was still popular with the less refined part of their audience, and it had behind it a religious tradition".

The fact that the Roman authorities turned to Etruria when they had to establish the *Ludi scaenici* presupposes a certain degree of familiarity with Etruscan dramatic art, and an assurance of its popularity with the Roman populace (2).

The *Versus Fescennini* must have been composed of songs, because that element though missing in the Etruscan performance was rather dominant in the Roman ones. These Fescennine verses were probably improvised, amoebaean, merry and personal.

We gather from Tibullus:

> agricola adsiduo primum satiatus aratro
> cantauit certo rustica uerba pede,
> et satur arenti primum est modulatus auena
> carmen, ut ornatos diceret ante deos;
> agricola et minio suffusus, Bacche, rubenti
> primus inexperta duxit ab arte choros.
> huic datus a pleno memorabile munus ouili
> dux pecoris curtas auxerat hircus opes (3).

(1) *The Origin of Attic Comedy.* Cambridge, ed. 2, p. 183.
(2) Hendrickson, *The Dramatic Satura*, A.J.P., Vol. XV, 1894, p. 5[illegible] says that "the Roman antiquarians were always tempted to de[illegible] whatever was obscure in their language and customs from Etru[illegible], but he does not account for the derivation of the word *histrio*.
(3) II 1 vss. 51-58.

may have taken place when the Fescennine freedom passed from villages and country districts to the active social and political life within the city of Rome. That this change had taken place in Rome at an early period is proved by the fact that libellous verses were forbidden by the laws of the Twelve Tables (1).

The derivation of the adjective *fescenninus* is given neither by Livy nor by Horace. The obvious explanation is to account for it as derived from the town Fescennium on the confines of Etruria near the ancient Falerii (2) and the modern Viterbo (3). Festus' statement (4), preserved by Paulus (5) "*fescennini versus qui canebantur in nuptiis ex urbe Fescennina dicuntur allati*" bears that explanation out. But Festus offers an alternative explanation when he adds to the above statement "*sive ideo dicti quia fascinum putabantur arcere*". This is indeed, as H. J. Rose says (6): "a hardly possible explanation" though it is widely spread (7). Scholars who adopt this view are obviously influenced

(1) *Sei quis occentasit, casmenue condisit, quod infamiam faxit flacitionemque alterei, fuste feritor.* cf. Cicero, *De Rep.* IV. 10. 12.

(2) *cf.* Virgil. *Aen.* VII. 695; Pliny. *Nat Hist.* III. 52.; Dionysius, I. 21 who says that the town existed in his time but its only historical importance is in its being supposed to have given its name to the Fescennines.

(3) Servius (*Ad Aen.* VII, 695) connects the Fescennine verses with a town in Compania. Lucan (II.368) suggests yet a third place of origin: the Sabine country.

nec soliti lusere sales, nec more sabino
excepit tristis conuicia festa maritus.

Beare (*The Italian Origin of Latin Drama*, Hermathena, No. LIV, 1939, p. 44) says "In all probability there were traditions of Fescennine performances in many of the country towns near Rome".

(4) Festus, p. 70.

(5) p. 85 M.

(6) cf. *A Handbook of Latin Literature*, ed. 2. 1949, p. 10.

(7) cf. *e.g.* W. Y. Seller, *The Roman Poets of the Republic*, Oxford, ed. 3. 1889) who says (p. 35, Note 2): "It seems more natural to connect the name of these verses, which were especially characteristic of the Latin peasantry, with fascinum (the phallic symbol) than with any particular town of Etruria, though the name of that town may perhaps have the same origin". This view is rejected by Walde A. (Lateinisches Etymologisches Wörterbuch. ed. 2, Heidleberg, 1938), p. 286.

stage the Romans reached when they began to produce *Saturae*. So far Livy's account of the origins of Latin drama agrees in the main with that of Valerius Maximus [1].

Horace in his famous account [2] of the origin of Roman drama says:

> Fescennina per hunc iuuenta licentia morem
> versibus alternis opprobria rustica fudit,
> libertasque recurrentes accepta per annos
> lusit amabiliter, donec iam saeuus apertam
> in rabiem coepit uerti iocus et per honestas
> ire domos inpune minax. doluere coruento
> dente lacessiti, fuit intactis quoque cura
> condicione super communi: quin etiam lex
> poenaque lata, malo quae nollet carmine quemquam
> describi; uertere modum formindine fustis
> ad bene dicendum delectandumque radacti.
> Graecia capta ferum victorem cepit et artes
> intulit agresti Latio: sic horridus ille
> defluxit numerus Saturnius et grave uirus
> munditiae pepulere; sed in longum tamen aeuum
> manserunt hodieque manent uestigia ruris [3].

He attributes the origin of the Fescennine verses to the festive meetings and exuberant mirth of the harvest time among a primitive, strong and cheerful race of husbandmen, and he points out how this rustic raillery gradually assumed the character of fierce lampoons and had to be restricted by law. Then he goes on to describe how it then changed its character from coarse and good-humoured bantering to libellous scurrility [4]. This

(1) cf. *De Spectaculis* II, IV.

(2) *Evist* II, I.

(3) *Ibid.* vss. 145-160.

(4) cf. *e.g.* the fragment, preserved by Aulus Gellius (V. 7. 8. 5), where Naevius makes a satirical allusion to some youthful adventure of Scipio Africanus:

> Etiam qui res magnas manu saepe gessit gloriose
> Cuius facta uiua nunc uigent, qui apud gentes solus praestat,
> Eum suus pater cum pallio uno ab amica abduxit.

them, and a professional class of actors sprang up to give performances as diverting as those of the Etruscans. Livy says that, thereafter, the young Romans began to imitate them and at the same time uttered jokes among themselves in rude verses, nor were their movements discordant with their word. When Livy says the young Romans imitated the Etruscan *Ludiones*, he means that they imitated the dance. But they could not dance to the tunes of the flute [1]. This needs professional dancers. Livy tells us that the native professional actors were called *histriones* from *ister*, the Tuscan word for player.

They no longer, as before, alternately threw off rude lines hastily improvised like the Fescennine verses, but performed *saturae* full of musical measures and songs which were now written out to go with the music of the flute, and with appropriate movement. No doubt the word '*motus*' here means, as in the two previous occurrences in the passages [2], dances. Then the dancing that was introduced by the Etruscans was imitated by both the young Romans and the professional actors, while dancing to the flute was performed only by the professionals.

The striking point about these native professional actors is that their performance contained songs while that of the Etruscan model had none. This is perhaps the explanation of Livy's stress on the words '*sine carmine ullo*'.

But the main difference between the Roman performances and the Etruscan lies in the words '*inter se*', as applied to the young men imitating the Etruscans and '*alternis*' as applied to the Fescennine verses. Here the personal element in the primitive Roman dramatic performances appears. This stage of development is looked down upon by Livy, as compared with the

(1) Beare, W. says ("Flute" is the conventional but inaccurate translation of *tibia*; "pipe" is better). *The Roman Stage*. 1950, p. 11, Note 1.

(2) cf, *saltantes haud indecoros motus* and *neo absoni a uoce motus erant*.

description of the *pompa* citing Fabius Pictor as his authority (1). In this *pompa* the sons of Roman citizens took part on horse and foot, followed by the charioteers, then bands of dancers arranged in three divisions according to age, and attended by flute and cithara players, then bands of actors burlesquing and ridiculing the dancers.

These two were accompanied by musicians. Then came the religious part of the procession.

Since the procession goes from the Capitol to the Circus, and the charioteers take part in it, the obvious conclusion is that all those who took part in it paraded by way of anticipation and had something to perform in the Circus. It is well to bear in mind here that the first stage in Rome was erected in the Circus (2). Mommsen says: "the multitude were probably left mainly to furnish amusement for themselves. Although musicians, dancers, rope-walkers, jugglers, jesters, and such like, would not fail to make their appearance in the occasion whether hired or not" (3).

Perhaps that was the case until the authorities wanted to make the *Ludus* more diverting and summoned players from Etruria. Livy goes on to say that *ludiones*, brought from Etruria, dancing not indecent movements to the tunes of the flute, gave performances in the Tuscan manner without any song and without action representing the song. Livy is reporting here the Tuscan not the Roman fashion. But the emphatic position of "*sine carmine ullo, sine imitandorum carminum actu*" gives us a glimpse of the character of the performances of the Roman *ludiones* before the introduction of the Etruscan influence.

They most probably gave performances with songs and actions representing and interpreting the songs. The Etruscan performance had a double influence. The young Romans imitated

(1) *Ant. Rom.* VII, 72.
(2) *cf.* Livy, VII, 3.
(3) *Rom. Gesch.* 1908, Vol. II, p. 97.

fabulam serere, idem scilicet—id quod omnes tum erant—suorum carminum actor, dicitur, cum saepius reuocatus uocem obtudisset, uenia petita puerum ad canendum ante tibicinem cum statuisset, canticum egisse aliquanto magis uigente motu, quia nihil uocis usus impediebat".

An examination of Livy's account of pre-Andronican drama will reveal the rôle of the Fescennine verses in the development of Roman Drama. The review starts with the statement that in the consulship of L. Sulpicius Peticus and C. Licinius Stolo (*i.e.* 364 B.C.), Etruscan *Ludiones* were summoned from Etruria to perform for the first time to appease the wrath of heaven.

This statement is confirmed by Plutarch's citation of Rufus who was a contemporary historian of Nero's reign ([1]). The fact that the Roman authorities summoned *ludiones* from Etruria to divert the mind of the populace, who had given way to superstitions under the pretence of appeasing the Gods ([2]) presupposes familiarity of the people with some such *ludiones*, and the popularity of some such *ludi* with them. The mere application of the word *ludiones* to the Etruscan players in Livy's account shows that *ludiones* were known in Rome before the introduction of the Etruscan influence. Plutarch, however, implies that there had been Roman players before the Etruscan players were summoned.

These Roman players performed in the *Ludi Romani*. The most important feature of the *ludi* in the early days was, as Livy says, the racing of chariots in the Circus. But preceding the circus games there was always a grand *pompa* from the Capitol to the Circus. Dionysius of Halicarnassus has left us a

([1]) cf. *Quaest. Rom.* 107.

([2]) For the frequency of the adoption of such methods, *cf.* Fowler, W. W. *The Religious Experience of the Roman People*. London, 1911, p. 263.

THE UERSUS FESCENNINI

BY

Dr. WAHEEB KAMEL

Livy, in his brief review of the early history of dramatic performances in Rome, provides us with the most detailed account, which has come down to us, of the steps taken by the Romans in their effort to establish a national theatre. He says (1): "et hoc et insequenti anno C. Sulpicio Petico C. Licinio Stolone consulibus pestilentia fuit. eo nihil dignum memoria actum, nisi quod pacis deum exposcendae causa tertio tum post conditam urbem lectisternium fuit. et cum uis morbi nec humanis consiliis nec ope diuina leuaretur, uictis superstitione animis ludi quoque scenici, noua res bellicoso populo—nam circi modo spectaculum fuerat—inter alia caelestis irae placamina instuti dicuntur, ceterum parua quoque, ut ferme principia omnia, et ea ipsa peregrina res fuit. sine carmine ullo, sine imitandorum carminum actu, ludiones ex Etruria acciti ad tibicinis modos saltantes haud indecoros motus more Tusco dabant. imitari deinde eos iuuentus, simul inconditis inter se iocularia fundentes uersibus, coepere; nec absoni a uoce motus erant. accepta itaque res saepiusque usurpando excitata. uernaculis artificibus, quia ister Tusco uerbo ludio uocabatur, nomen histrionibus inditum; qui non, sicut ante, Fescennino uersu similem incompositum temere ac rudem alternis iaciebant, sed impletas modis saturas descripto iam ad tibicinem cantu motuque congruenti peragebant. Liuius post aliquot annis, qui ab saturis ausus est primus argumento

(1) VII. 2. For a detailed analysis of this passage *cf.* W. Beare, *The Italian Origin of Latin Drama*, Hermathena, No. LIV 1939, pp. 30-53.

Nachtrag zu den Schrift über den aschyleische Trilogie. Frankfurt on Main, 1826.

Der Prometheus des Aeschylus (in Griechische Götterlehre II, 246 et seq.). Göttingen, 1859. Io (in Griechische Götterlehre, II, 246-278). Göttingen, Dieterich 1859.

Zur Trilogie des Prometheus (in Rheinische Museum, N. F., 16. Jahrgang, 147-152), 1861.

Erster Entwurf einer Abhandlung über des Aeschylus Prometheus (in Das Leben von Reinhard Kekulé, 459-488). Leipzig, 1880.

Wenig, K.: On the Prometheus of Aeschylus (in Listv filologicke, 161-173, 321-342).

Werkhaupt, G.: Promethes. Leipzig, 1914.

Wieseler, F.: Zu Aeschylos' Prometheus (in Philologus, Zeitschrift für das klassische Altertum, IX, 716-722), 1860.

Schedae criticae in Aeschyli Prometheum, 1860.

Adversaria in Aeschyli Prometheum Vinctum et Aristophanis Aves philologa atque archaeologica. Göttingen, 1843.

Wilamowitz-Moellendorff, U. von: Prometheus 566 et seq. (in Hermes, No. 145).

Winckelmann: Observationes in locos aliquot Promethei Aeschyli eiusdemque fabulae in germ. translatae spec. Salzwedel, 1834.

Witkowski, S.: Introduction and Notes to Prometheus (tr. J. Kasprowicz). Cracow, 1921.

Wlastoff, G.: Prométhée, Pandore et la légende des siècles (in Hesiod). St. Petersburg, 1883.

Yorke, E. C.: The Date of Prometheus Vinctus (in Classical Quarterly, 153-4), 1936.

Zacher, N.: Loki und Typhon (in Zeitschrift für deutsche Philologie, XXX, 3), 1896.

Zumfelde, J.: De Aeschyli Prometheo quaestiones. Göttingen, 1914.

Usener: Prometheus (in Götternamen, 217).
Die Sintflutsagen.

Valgimigli, M.: Ad Asschyli Prometheum 165 (in Bollettino di filologia classica, IX, 208-210).

Eschilo: la trilogia di Prometeo. Bologna. Zanichelli, 1904.

Valle, Della: Il Dono di Prometeo. Bari, Laterza, 1941.
Vandvik, Kirik: The Prometheus of Hesiod and Aeschylus. Upsala, 1943.

Vischer, Wilhelm: Über die Prometheustragödien des Aeschylos. Basel, 1859.

Völcker, Karl Heinrich: Die Mythologie des japetischen Geschlechts. Giessen, 1824. Mystische Geographie der Griechen und Römer I. Uber die Wanderungen der Io des Aeschylus' gefesselten Prometheus und die damit zusammenhäng, mythisch.—geograph. Gegenstände. Leipzig, Winter, 1832.

Voragine, Jacobus de: Pandora (in Legenda Aurea). Leipzig, Insel-Verlag, 1921.

Vreeken, W. A. L.: Prometheus Vinctus: studiosae iuventutis in usum, ed. Vreeken. Leiden, Brill, 1935.

Wachter, Wilhelm: Das Feuer in der Natur, im Kultus und Mythus, im Völkerleben. Wien, Hartkeben, 1904.

Wackernagel, J.: Sprachgeschichtliches zum Prometheus (in Verhandlungen der Versammlung deutscher Philologen, XLVI, 65), 1901.

Wagner, F. C.: De Aeschyli fabula Prometheo. Marburg, 1824.

Walz, P.: Note sur la composition de deux passages des Travaux et des Jours, v. 504-553 and 765-778 (in Revue des études anciennes, 205-211), 1904.

A Propos de l'Elpis hésiodique (in Revue des études grecques 49-57), 1910.

Weil, Henri: Eschyle: Prométhée 51 (in Revue de Philologie, 117), 1880. La Fable de Prométhée dans Eschyle (in Annuaire pour l'encouragement des études grecques, XX, 280-290), 1887.

Weise, F.: Zur Frage der Bühnenaufführung des äschyleischen Prometheus, 1908.

Weiske, B. G.: Prometheus und sein Mythenkreis. Leipzig, 1842.

Welcker, F. G.: Die äschyleische Trilogie Prometheus und die Kabirenweihe zu Lemnos. Darmstadt. 1824.

Thomsen, A.: Der Betrug des Prometheus (in Nordisk Tidsskrift for filologi, XV, iii-iv, 105-127), 1907.

Der Trug des Prometheus (in Archiv für Religionswissenschaft, 460-490), 1909.

Thomson, George: Notes on Prometheus Vinctus (in Classical Quarterly, 155-163), 1929.

Aeschylus: Prometheus Bound (in Journal of Hellenistic Studies, 300), 1933.

Thomson, J. A. K.: The Religious Background of Prometheus Vinctus (in Harvard Studies in Classical Philology, XXXI, 1-37), 1920.

Timm, G.; De Promethei 526-608, 1874.

Todd, O. J.; The Character of Zeus in Prometheus Bound (in Classical Quarterly, XIX, 61-68), 1925.

Todt, Bernhard; Prometheus (in Wochenschrift für klassische Philologie, VII, No. 34, Sp. 930-4), 1890.

Todt, L.: Bemerkungen zu Aeschylus' Prometheus (in Philologus, XLIV, ii, 376-377), 1890.

Toepelmann, Bernhardt: Commentatio de Aeschyli Prometheo. Adjecta est interpretatio eius fabulae germanica. Leipzig, Geuther, 1829.

Tommasini, V.: Note sul testo del Prometeo legato (in Studi italiani di filologia 443-446), 1905.

Tommasino, G.: Esame critico di alcune note ad Eschilo (Prometeo): contra un' ipotesi del Cosattini (in Atti della r. accademia di archeologia, II, 188-191). Napoli, 1910.

Tournier, Ed.: Sur Prométhée 43 (in Revue de Philologie, II, 176), 1878.

Türck, Hermann: Pandora und Eva; Menschenwerdung und Schöpfertum im griechischen und jüdischen Mythus. Weimar, Verus-Verlag, 1931.

Turyn,: Aeschyli Prometheus: fragm. 199. 6, 1928.

Uhlmann, N.: Zum Prometheusproblem (in Zeitschrift für die österreichischen Gymnasien, 328-332), 1919.

Unità, G. Eschilo. significato artistico e letterale del Prometeo legato. Roma, Nuova Rinerva, 1938.

Untersteiner, M.: Interpretando Eschilo: Prometeo (in Antiquitas, I, 2), 1946.

Stadmüller, H.: Emendationes at Titanomachiam (in Festschrift zur 36 Philologen-Versammlung zu Karlsruhe, 85 et seq.), 1882. Zu Aeschylus' Prometheus und zur neuesten Ausgabe dieses Dramas (in Blätter für d. bayer. Gymnasialschulewesen I, 16–20), 1894.

Stahe, J. M.: Zu Aeschylus' Prometheus (in Rheinische Museum XLIV, 628–631), 1885.

Stai, V.: De Vaniis gigantium formis in fabula et arte Graecorum, 1884.

Stark, Johann August: De Aeschylo et eius inpr. tragoedia quae Prometheus Vinctus inscripta est libellus. Göttingen, 1763.

Steusloff, B.: Zeus und die Gottheit bei Aeschylus. Lissa, 1867.

Stone, Edward D.: Iambic Exercises Based on the Prometheus Vinctus. Eton, Williams, 1878.

St. Pease: Prometheus and Tityos (in Classical Philology, 277–8), 1925.

Stumpo, B.: Nuove osservazioni sul Prometeò di Eschilo. Roma, Maglione, 1934.

Süsskand, A.: Aufführung des gefesselten Prometheus des Aeschylus auf der modernen Bühne (in Philologische Wochenschrift, XLVII, 999–1006, 1036–1039, 1067–1071), 1929.

Terzaghi, Nich.: Prometeo (in Estratto dagli studi religiosi, fasc. VI, 1903; I and II, 1904). Florence, 1904.

Contributo allo studio di un mitò religioso ellenico. Florence, 1094.

Monumenti di Prometeo (in Studi e materiali, III, 199 et seq.), 1905.

Eschilo: Prometeo (in Bollettino di filologia classica, XXII, 173–7).

Prometeo. Palermo, 1914.

L'Irreligiosità del Prometeò di Eschilo (in Mous I, 81–88).

Il Rito di Prometeo Prima di Esodio (in Atti dell' accademia di archeologia, 115–157). Napoli, 1916.

Teuffel, Wilhelm: Einleitung zur ... Feier des Geburtsfestes ... des Königs Wilhelm von Württemberg ... Beigefügt ist eine Abhandlung über des Aeschylos' Promethie und Orestie. Tübingen Universität, 1861.

Thomas, Eugène: Essai sur la géographie astronomique du Prométhée d'Eschyle. Montpellier, Boehm, 1856.

Les Fragments de la Prométhéïde d'Eschyle, 1856.

Schövuert, A : La Date du Prométhée enchaîné, 1943.

Schütt : De Promethei Aeschylei natura. Husum, 1842.

Schütz, Christian Godfried : De Lectione Aeschyli Prometheus Vinctus 425 et seq. Jena, 1781.

Schwartz, E.: Prometheus bei Hesiod (in Sitzungsberichte der preussischen Akademie der Wissenschaften, I, 133-148), 1915.

Schwartz, Paul: Die Darstellung des Zeus in Prometheus des Aeschylos. Salzwedel, 1875.

Séchan, Louis: Pandore, l'Eve grecque (in Bulletin de l'Association Guillaume Budé, No. XXIII, 3-36), 1929.

Les Noces de Thétis et de Pélée (in Revue des Cours et Conférences, XXXII, i, 673-688 ; ii, 330-340), 1931. Le Mythe de Prométhée. Paris, 1952.

Seelmann, F.: De Prometheo Aeschyleo. Dessau, 1876.

Seippel, G.: Die Typhonmythus. Greifswald, Dallmayer, 1939.

Seymour, Thomas Dale: On the Date of the Prometheus of Aeschylus (in Transactions of the American Philological Association, III, 111-124), 1879.

Siret, L.: Prométhée (in Revue archéologique, XIII, 132-5).

Skard, E.: A Remark on Prometheus 613 (in Symbolae Osloensis, 11-18). Oslo, 1949.

Smyth, Herbert Weir: Commentary on Aeschylus' Prometheus Vinctus in the Codex Neapolitanus (in Harvard Studies in Classical Philology, XXXII, 1-98), 1921.

Prometheus Vinctus (in Aeschylean Tragedy). California, 1924.

Sobolewski. S.: Ad Aeschyli Prometheum : annotationes criticae et exegeticae (in Journal du Ministère de l'Instruction Publique en Russie, XIV, 155-170, XV, 171-192).

Solmsen, Friedrich: Aeschylus: the Prometheia (in Hesiod and Aeschylus, 124-177). Cornell University Press, 1949.

Sorof, M.: De Ratione, quae inter eos codices recentiores, quibus fabulae Prometheus, Septem adversus Thebas, Persae continentur, et codicem Laurentianum intercedat. Berlin, Mayer und Müller, 1882.

Spindler, H.. Der Gigantenmythus in seiner älteren Überlieferung, 1888.

Salac, A.: The Myth of Prometheus and Pandora in Hesiod (in Listy filologicke, XLIV, 385-404). Title sometimes given as: "Hesiod's Myth of the Five Ages of Man".

Sanford, E. M.: The Battle of Gods and Giants (in Classical Philology, 52-7). Chicago, 141.

Sarasin, P.: Prometheus (Basel, Helbing, 1913; Berliner philologische Wochenschrift, 1914; Zeitschrift für das Gymnasialwesen, 1914).

Schaefer, Th.: Aeschylos' Prometheus und Wagners Loge (in Festschrift-45. Versammlung: Phil. 1-94).

Schmid, W.: Untersuchungen zum gefesselten Prometheus. Stuttgart, 1929.

Epikritisches zum gefesselten Prometheus (in Philologische Wochenschrift, 218-223), 1931.

Schmdt, C. P. Ch.: Udvalgte Stykker a Hesiodus: I. Zeus, II. Prometheus, III. Titankampen, IV. Pandora (in Opuscula philolog. ad Madvigium, 279-293), 1876.

Schmidt, J. H.: De Prometheo Vincto. Augsburg, 1831.

Schneider, C. E. C.: De Tempore quo Prometheum Vinctum Aeschylus scripserit, 1823.

Commentatio de Aeschyli Prometheo. Vratislav, 1829.

Schneider, Richard: Der Prometheus des Aeschylus. Duisburg, 1889.

Schoebel, Ch.: Le Mythe de la femme et du serpent: étude sur les origines d'une évolution psychologique primordiale. Paris, 1876.

Schoell, F.: De Pandora Hesiodi meletamata critica (in Satura philologa sauppio, 133-147), 1880.

Schömann, G. F.: Mantissa animadversionum ad Aeschyli Promethum. Greifswald, Koch, 1844 (Reprinted in Opuscula III, 81-94), 1858

Vindiciae Jovis Aeschylei. Greifswald. 1846. (Reprinted in Opuscula III, 95-119).

Über den Prometheus des Aischylos (in Opuscula III, 120-133).

De Pandora. 1853.

Noch ein Wort Über Aischylos' Prometheus. Greifswald, Koch. 1859.

Aeschylus, Prometheus 86 (in Philologus, 17. Jahrgang), 1861.

Les Origines du christianisme selon l'école de Tübingen : le Docteur Bauer et ses oeuvres (in Revue des Deux Mondes, XLV, 104-142). Paris, 1863.

Ribbeck, O.: Qua Aeschylus arte in Prometheo fabula diverbia composuerit. Bern, 1859.

Zu Aeschylus Prometheus 424 et seq. (in Rheinische Museum, N.F., 14 Jahrgang, 627). 1859.

Riccomagno, L.: Il Prometeo incatenato. Lanciano Carabba, 1937.

Richards, H.: On Prometheus Vinctus 1030 (in Classical Review, 393-7), 1902.

Richardson, L. D. J.: Three Notes: I. On Prometheus, 592 (in Hermathena LXXIII), 1949.

Ridgeway, William: On Aeschylus' Prometheus Vinctus 420 (in Transactions of the Cambridge Philological Society, II, 179-180), 1881-2.

Ritschl, Fr.: Caroli Reisigii emendationes in Aeschyli Prometheum (in Apparatus criticus et exegeticus in Aeschyli tragoedias, vol. I, XIX-XXXII, 1832; and in Opuscula I, 378-393).

Robert, C.: Pandora (in Verhandlungen der 48. Versammlung deutscher Philologen und Schulmänner in Hamburg, 53 et seq.), 1905. Pandora (in Hermes, 17-38), 1914.

Roehlecke, A.: Septem adversus Thebas et Prometheum Vinctum esse fabulas post Aeschylum correctas. Berlin, 1882.

Rombaut, L.: Het Prometheus-probleem. Gand, 1934-5.

Roscher, W. H.: Prometheus (in Ausführliches Lexikon der griechischen und römischen Mythologie). Leipzig, 1902-9.

Roscoe, Burton: Prometheans: Ancient and Modern. Putnam, 1933.

Roth, R.: Uber den Mythus von den fünf Menschengeschlechtern bei Hesiod und die indische Lehre von den vier Weltaltern, 1860.

Roussel, P.: Remarques sur les Suppliantes et le Prométhée d'Eschyle (in Revue de Philologie, 241-7), 1920.

Le Folklore dans Prométhée (in Revue des études anciennes, 229-232). Paris, Boccard, 1934.

Rudberg, G.: Aeschylea: Prometheus 88 et seq. (in Symbolae Osloensis, XVII, 1-8). Oslo, 1937.

Rutherford, W. G.: Prometheus 687 (in Three Emendations: Classical Review, 368), 1899.

Post, L. A.: Note on Prometheus 52 (in American Journal of Philology, 342-3). Baltimore, 1937.

Potter, Robert: Preface to Prometheus Vinctus, 1777.

Prabucki, J.: Meletematum in Aeschyli Prometheus specimen, 1835. De Prometheo Hesiodi. Vratislav, 1835.

Prentice, W. K.: Prometheus Bound of Aeschylus (in Classical Weekly, XV, 26-32).

Puntoni, Vittorio: Sulla Narrazione del mito di Prometeo nella Teogonia esioda (in Memorie della r. accademia delle scienze di Torino, II, 38, 443-459), 1888.

Pylarinos,: Prometheus Desmotes (in Philologische Wochenschrift, XLVIII, 942-4), 1928.

Quinet Edgar: De la Fable de Prométhée considérée dans ses rapports avec le christianisme (in Revue des Deux Mondes, XIII, 337-351). Paris, 1838.

Rackham, H.: Notes on Aeschylus, Prometheus Vinctus (in Classical Review, XLI, 9), 1927.

Raddatz, G.: De Promethei fabula Hesiodea et de compositione operum. 1911.

Rehm, A.: Prometheus Desmotes. München, 1926.

Reinach, Salomon: Aetos Prometheus (in Revue archéologique, X,ii, 59 et seq., 1907; reprinted in Margaret Frost's translation of Cults, Myths, and Religions).

Reinhardt, K.: Aischylos als Regisseur und Theologe. Bern, Francke, 1949.

Reinganum. Hermann: Über den die Irren der Io betraffenden Abschnitt der Schrift: Die aeschylische Trilogie Prometheus von Welcker (in Jahn's Jahrbücher II, 325-338). 1828.

Reisig, Karl: Emendationes in Aeschyli Prometheum (in Ritschl's Opuscula, I, 378-393, 1860, first published with Stanlii commentariis). Halaes, 1832.

Reuter, A.: De Promethei Septem Persarum Aeschyli fabularum codicibus recentioribus. Rostock, 1883.

Réville, Albert: Le Mythe de Prométhée et les études modernes sur l'humanite primitive (in Revue des Deux Mondes. XL, 842-871 15 aout). Paris. 1862.

Navarre, O.: De l'Hypothèse d'un mannequin dans le Prométhée d'Eschyle, ca. 1892.

Nestle, W.: Ein pessimistischer Zug in Prometheussage (in Archiv fur Religionswissenschaft. 378-381). Leipzig. Teubner. 1937.

Niedzballa: De Copia verborum et elocutione Promethei Vincti. Breslau, 1913.

Nöldeke, E. G. C.: Aeschyli Prometheus 49 emendatur. Marburg, 1845.

Oberdick, J.: Zum Prometheus des Aeschylus (in Wochenschrift für klassische Philologie, VII, 16, 445-6), 1890.

Orlando: Il Prometeo di Eschilo e il Prometeo della mitologia greca, saggio sulle origine e la transformazioni dei miti (in Rivista europea, N.S. XIII, 3, 1st of June). 1879.

Orsini, P.: Observations sur la mise en scène du Promothée enchaîné (in Mélanges Navarre, 495.510).

Otto, Guilel.: Quaestiones de Promethei Aeschyleae re scaenica. Berlin, 1872.

Overbeck: De Ione telluris non lunae dea. 1872.

Owen, John: The Prometheus Vinctus of Aeschylus (in the Five Great Sceptical Dramas of History, 1-106). London, 1896.

Paldamus, Hermann: Aeschyli Prometheus Vinctus 48-9. Greiswald, 1831.

Peretti, A.: Osservazioni sulla lingua del Prometeo (in Studi italiani di filologia classica, V, 165-231), 1927.

La Cronologia del Prometeo di Eschilo. Ravenna, 1927. Zeus und Prometheus bei Aischylos (in Antike, 1-39), 1944.

Picard, Ch.: Le Péché de Pandore (in Antiquité classique, 39-57). Louvain, 1932.

Pfleiderer, O.: Der Prometheus-Mythos (Vom Fels zum Meer, No. III. 272-6), 1881.

Platt, A.: Aeschylea: Prometheus Vinctus 49. 464 (in Journal of Philology, 332 et seq.), 1919.

Pohlenz: Die Prometheusgestalt bei den Griechen (in Humanistisches Gymnasium), 1930.

Porson, Richard: Adversaria, 1812.

On Schütz's edition (in New Review. I, ii), 1812.

Tracts, ed. Kidd, 1815.

Mistchenko, Th.: Notes sur divers auteurs: Aeschyli Prometheus 242 (in Revue de Philologie, 3ème livre, juillet, 268 et seq.), 1877.

Die Prometheus-Mythus in der Tragödie des Aeschylus: Eine historische literarische Untersuchung (in Russian), 1879.

Moeller, H.: Untersuchungen zum Desmostes des Aischylos. Greifswald, 1936.

Moller, E.: Aeschyli Prometheus Vinctus 266 (in Philologus. 8 Jahrgang, 753-5), 1853.

Muff, C.: Zwei Titanen, Prometheus und Faust. Halle, 1883.

Mullens, H. G.: Hercules Furens and Prometheus Vinctus (in Classical Review, 165-6). Oxford, 1933.

Prometheus in Cult, Legend, and Tragedy (in Transactions and Proceedings of the American Philological Association, XLV), 1938.

Date and Stage Arrangements of the Prometheia (in Greece and Rome, VIII, 160-171). Oxford. 1939.

Müller, Alfred Dedo: Prometheus oder Christus, die Krisis in Menschenbild und Kulturethos des Abenlandes. Leipzig, Mainer, 1948.

Müller, C. F.: Die scenische Darstellung des aeschyleischen Prometheus. Stade, 1871.

Myres, J. L.: The Wanderings of Io in Aeschylus: Prometheus 770-869 (in Classical Review, 2-4). Oxford, 1946.

Nauk, A.: Kritische Bemerkungen I: Aeschylus Prometheus 239, 655 et seq. (in Bulletin de l'Académie Impériale des Sciences de St. Pétersbourg, II, 317-8, 1860; Mélanges gréco-romains, II, 240-1).

Kritische Bemerkungen III: Aeschylus Prometheus 475, 941 (in Bulletin de l'Académie des Sciences de St. Pétersbour9, VI, 34-40, 56, 1863; Mélanges gréco-romains, II, 435-444 and 467).

Uber eine dem Hrn. A. von Hilferding gehörende griechisch. Handeschrift enth. Pindar's Olympische Oden und Aeschylos Prometheus und Sieben vor Theben (in Bulletin de l'Académie des Scineces de St. Pétersbourg. VI, 296-317, 1063; Mélanges gréco-romains. II, 487-518).

Kritische Bemerkungen V: Aeschyli Prometheus 38, 51 (in Bulletin de l'Académie des Sciences de St. Pétersbourg. XII, 494-6. 1868: Melanges gréco-romains. III. 26-28).

Kritische Bemerkungen VII: Aeschyli Prometheus 1 et seq., 88-91. 732. 101 et seq. (in Bulletin de l'Académie des Sciences de St. Pétersbourg. XXII. 76-83, 1877: Mélanges, gréco-romains, III. 29[illegible]

Martin, Thomas Henri: La Prométhéode (in Mémoires de l'Académie d Inscriptions et Belles-Lettres, XXVIII 2, 1-74). Paris, 1875.

Marx, Fr.: Aktaion and Prometheus (in Berichte über die Verhandlungen der Kgl. Sächs. Gesellschaft d. Wissenschaften, Philologie, etc., II. 101-123), 1906.

Matz, W.: Prometeo encadenado: Ensayo sobre la estructura dramatica y el ideario religioso de una tragedia griega. Madrid, Cruz y Raya, 1936.

Mavromichalis, C.: Représentation de Prométhée enchainé au théâtre d'Avenches. Juin 1946 (in Suisse contemporaine, 506-8), 1946.

Mayer, Max: Die Giganten und Titanen in der antiken Sagen und Kunst. Berlin, 1887.

Mazon, P.: Le Mythe des races (in Revue des études grecques, LIV), 1914.

Méautis, Georges: Le Mythe de Promethée. Neuchatel, 1919.

La Prométhéïde (in Eschyle et la trilogie). Paris, Grasset, 1936 (fifth edition).

Meineke, Aug.: Kritische Beiträge: Aeschylus Prometheus 319 (in Philologus, 15 Jahrgang. 139), 1860.

Kritische Bemerkungen über Aeschylus, IV: Zum Prometheus Vinctus (in Philologus, 19 Jahrgang, 193-246, 400), 1863. Bemerkungen zu Aeschylus: Prometheus (in Philologus, 20 Jahrgang, 51-75), 1863.

Meister, J.: Über den Prometheus des Aeschylus. Troppau, 1853.

Meister, Richard: Aeschyli Prometheus 39 (Tacit. Annal. I, 8, 280-2). Leipzig, 1874 (in Commentationes philologiae, Gratul. Schr. zum 25 Jahrgang, acad. Jubil. von G. Curtius, 280). Leipzig, 1874

Ménard, Louis: La Symbolique du feu (in Gazette des Beaux-Arts, XXXVI, 164-175). Paris, 1875.

Menard, Louis: Les Sources grecques du christianisme (in Revue bleue, XXI, 641-9). Paris, 1891.

Mess, A. von: Der Typhonmythus bei Pindar und Aeschylus (in Rheinisches Museum für Philologie, NF, LVI, ii, 167-172), 1901.

Meyer, P. J.: Aeschylii Prometheus Vinctus que in loco agi videatur. Bonn. 1861.

Milchhoefer, Arthur: Die Befreiung des Prometheus, ein Fund aus Pergammon. Berlin, Reimer, 1882.

Lawson, J.C.: Prometheus Vinctus 332-3 (in Proceedings of the Cambridge Philological Society, CLVII-CLIX).

Lawton, W.C.: The Prometheus of Aeschylus (in Atlantic Monthly, 62, 207-222), 1888.

Lebègue, Albert: Notes de mythologie grecque, I. Le Mythe de Pandore dans Hésiode (in Annales de la Faculté des Lettres de Bordeaux, 7ème année, série 2, 249-255), 1185.

Lenzi, A.: Il Mito del Prometeo di Eschilo. Spaleto, 1877.

Lincke, A.: Miscellanea: Prometheus 801 (in Philologus, 186-200), 1900.

Lindblom, J.: Job and Prometheus: A Comparative Study (in Mélanges, 280-7), 1939

Linde, A.: Der Ursprung des Fackellaufs und die Prometheussage (in Der Wagen, 136-140). Lübeck, 1937.

Lobel, E., E. P. Wegener, and C. H. Roberts: New Fragments from the Prometheus of Aeschylus (in Oxyrhynchus Papyri, XX). London, Egypt Exploration Society, 1952.

Loodts, M. Th.: Etudes des caractères dans le Prométhée d'Eschyle. Louvain, 1949.

Lowinski, Anton: De Emendando loco Promethei Aeschyleae 40 (in Zeitschrift für das Gymnasialwesen, 83 Bd., 531-535), 1861.

Ludovici, A. N.: Man's Descent from the Gods. Knopf. 1921.

MacRae, D. A.: The Date of the Extant Prometheus (in American Journal of Philology, 405-415, 473 et seq.), 1909.

Madvig, Joh. Nic.: Prometheus 460: Fragment Prometheus 74, 536 (in Adversaria critica ad scriptores graecos).

Macciotta, I.: L'Autenticità del Prometeo eschileo (in Dioniso, X, 83-101). Siracuse, 1947.

Manning, C. A.: The Prometheus and the Ion (in Classical Weekly, XI, 214-6).

Marbach, Oswald: Chor der Okeaniden beim Felsen des Prometheus nach Aeschylus (in Jahn's Archiv., 2 Jahrgang, 475 et seq.), 1833.

Marcowitz, W.: De Aeschyli Prometheo. Düsseldorf, 1865.)

Marot, K.: Kronos und die Titanen (in Studie e materiali, viii, 1-33). Bologna, 1932. (Also in Revue de l'histoire des religions, CXV, 108). Paris, 1937.

Konitzer. Th.: De Fabulae Prometheae in arte litterisque usu. Königsberg. 1885.

Körte, A.: Das Prometheusproblem (in Neue Jahrbücher fur das klassische Altertum. 201-213). 1920.

Kraft. F. R.: De Hominum peccatis quid Aeschylus nos doceat? 186[illegible].

Kramer, H.: Prometheum Vinctum esse fabulam correctam expos. 1878.

Kranz. W.: Gott und Mensch in Drama des Aeschylus (in Zeitschrift für die österreichischen Gymnasien), 1920.

Krappe, A. H.: Promethée (in Revue de l'histoire des religions, CXIX, 172-181). Paris, Leroux, 1939.

Kraus, A.: Der kaukasische Premetheus (in Antika, X, 78-82; XI, 88-91), 1889.

Kretschmer, P.: Die Strafe des Prometheus (in Wochenschrift für klassische Philologie, 237 et seq.), 1918.

Krügelstein, E.: Pauca de consilio Aeschyli in Promethei fabula componenda. Gotha, 1845.

Kuhl: Promethei Aeschylea stasimon alterum emendatur, ennaratur. Andernach, 1888.

Kussemahly, F.: Beobachtungen zum Prometheus des Aeschylus, 1888.

Evicala, Joh.: Zur Texteskritik des Aeschylus: Prometheus 356 et seq. (in Zeitschrift für die österreichischen Gymnasien, 10 Jahrgang, 605-6), 1859.

Lampredi, U.: Osservazioni critiche sul Prometeo (in Opere inedite e rare di Vincenzo Monti, vol. II).

Landberg, C. H.: Prometheus Vinctus 561-940 suethice redditi atque annotat. instructi, 1872.

Lang, Lorenz: Des Aeschylos Prometheus and Goethe's Faust, 1856.

Langlotz, E.; Epimetheus (in Antike VI, 1-14), 1930.

Lasaulx, E. von: Prometheus, die Sage und ihr Sinn. Wurzburg, 1843; Ratisbonne, 1854.

Lattanzi, G. M.: La Questione dell' autenticità del Prometeo legato (in Il Mondo Classico. 239-245) Torino, 1934.

Lawrence, J. B.: The Theology of Prometheus Bound (in Bibliotheca Sacra, 408-420). Oberlin, Ohio.

Kamerbeck, J. C.: Aeschylea: Prometheus 28 (in Mnemosyne. Bibliotheca Classica Batava, XIII, 73-80). Leiden, Brill, 1947.

Kan, J. B.: Epistula critica ad C. G. Cobet: Prometheus 256, 903 (in Mnemosyne IX, 192-200, 340-354), 1881.

Katterfeld: De Prometheo ternione Aeschyli (in Jahn's Jahrbuch Supplement, XIX, 406-436), 1853.

Kausche, W.: Mythologumena Aeschylea. Halle, 1888.

Keck. C. Heinrich: Der theologische Charakter des Zeus in Aeschylos, Prometheustrilogie. Glückstadt, 1851.

Die neueste Litteratur über Aeschylos Prometheus (in Jahrbücher für klassische Philologie, 81 Bd., 459-477; and Über Aeschylus Prometheus, 478-486), 1860.

Kerényi, Karoly: Prometheus, des griechische Mythologem von der menschlichen Existenz, 1946.

Keseling, P.: Ailchylos, Gefesselter Prometheus in Platons Protagoras und Gorgias (in Philologische Wochenschrift, 1469-1472), 1930.

Kiehl, E. J.: De Prometheo Aeschyli denuo edendo. Brill, 1850.

Kitto, H. D. F.: The Prometheus (in Journal of Hellenistic Studies, 14-20), 1934.

Knight, W. J. F.: Zeus in the Prometheia (in Journal of Hellenistic Studies, 51-4), 1938.

Knötel, A.: Die Sage vom Prometheus und seinen Brüdern nach ihrem Ursprunge und ihrer geschichtlichen Ausbildung (in Jahn' Archiv, 18 Bd., 206-242), 1852.

Köchly, H.: Uber Aeschylos: Prometheus. Zürich, 1859.

Kock, Theodor: Emmendationes Aeschyleae: Prometheus 188 et seq., 385, 883 et seq. (in Hermes XX, 288-311), 1885.

Koepp, F.: De Gigantomachiae in poeseos artisque monumentis u-u. 1883.

Kolisch, A.: Der Prometheus des Aeschyles nur zu verstehen aus der Eigenthümlichkeit seiner Entstehungsweise. Berlin. 1876.

Uber den Prometheus des Aeschylos (in Philologus, XLI, 227-241). 1882.

Wer löst die Fesseln des Prometheus? (in Zeitschrift für das Gymnasialwesen, XXXIII. 65 et seq.). ca. 1886.

Herter, H.: Okeanos (in Pauly-Wissowa-Kroll: Real Encyclopädie der klassische Altertumswissenschaft, 2349-2361), 1937.

Herwerden, H. van: Varia: Prometheus 291 et seq. (in Mnemosyne, Nov. Ser. V, 188-192), 1877.

Heydenmann, H.: Zeus in Gigantenkampf (in Hallesches Winckelmannsprogramm). Halle, 1876.

Hignard: Etude sur le mythe d'Io, 1868.

Hirst, E.: Aeschylus: Prometheus 801 (in Classical Review, XVIII), 1922.

Hoche, E.: Versuch einer Darstellung der Irren der Io, 1835.

Hoffmann, E.: Zu Aeschylos Prometheus (in Jahrbücher für Philologie, N. 131, vol. X, 670-4), 1886.

Hoffmann, Wilhelm: Schedae criticae ad tragicos Graecos: Prometheus 858 et seq. (in Jahrbücher für klassische Philologie, Bd. 85, 589-591), 1862.

Holle, Karl: Die Prometheussage mit besonderer Berücksichtigung ihrer Berarbeitung durch Aeschylos (in Virchow and Others, Sammlung wissenschaftlicher Vörtrage, Series XIV), 1879.

Hoppin, J. C.: Argos, Io, and the Prometheus (in Harvard Studies in Classical Philology, 335-345), 1901.

Houllevigne, L.: La Seconde légende de Prométhée. Paris, Le Temps, 9 Avril, 1914.

Housman, A. E.: Scholiast on Aeschylus' Prometheus Vinctus (in Classical Review II, 1, 2, 40 et seq.), 1888.

Huit, Charles: Le Prométhée d'Eschyle (in L'Instruction Publique, juillet-août). Paris, 1877.

Le Promethée (in l'Instruction Publique, mai). Paris, 1878. Encore un mot sur le Prométhée (in L'Instruction Publique, 8, 284-286, 300-302). Paris, 1879.

Jahn, O.: Prométhée, 1848.

Jebelev, S.: The Titan Japet (in Russian: Jasik, Liter. V, 19-28).

Jodl, Fr.: Die Prometheussage und ihre ethische bedeutung (in Ethische Kultur, N. V, VII, VIII, 33-5, 42-3, 52-3, 59-60), 1896.

Kaibel, Georg: Prometheus 978 et seq. (in Sententiarum libertertius, III: in Hermes, XIX, 246-263), 1884.

Kaiser, Johannes: Peleus und Thetis. Eine sagengeschichtliche Untersuchung. München, Beck, 1912.

Hartung: Prometheus (in Griechische Mythologie, I, 216 et seq.).

Haupt, Mor.: Aeschylus Prometheus 51 (in Observationes criticae, 57 et seq.). Leipzig, 1841.

In Scholia Aeschylea: Prometheus 793 (in Hermes IV, 433, 1870: and in Opuscula III. il. 310).

Haverfield: Note on Aeschylus' Prometheus 358 (in Classical Review. 98), 1897.

Hayn: De Rerum divinarum apud Aeschylum, ca. 1905.

Headlam, Walter: Aeschylea: Prometheus 118 et seq. (in Journal of Philology, XXX, 290-319).

Prometheus and the Garden of Eden (in Classical Quarterly, 63-71), 1934.

Heidler, Theodor: De Compositione metrica Promethei fabulae Aeschyleae. Breslau, Köhler, 1887.

Heimsoeth, F.: Prometheus 420, 543 (in De Interpolationibus commentatio altera. Bonn, 1868.

Prometheus 329, 354, and 295 (in Commentatio critica). Bonn 1866.

Prometheus 18, 66, and 1007; schol. Prometheus 103, 106, 385, 484, 895 (in De Diversa diversorum mendorum emendatione commentatio). Bonn, 1867-8.

Prometheus 849 (in De Interpolationibus commentatio tertia Bonn, 1871.

Prometheus 20, 472, 541, 706, 771, 872 (in Commentatio critica). Bonn, 1871.

Prometheus 36 et seq. (in De Interpolationibus commentatio IV). Bonn, 1872.

Prometheus 425, 706, 849 (in De Madvigii Hauniensis adversariis criticis commentatio altera). Bonn, 1872.

Prometheus 966-970 (in De Interpolationibus commentatio V) Bonn, 1873.

Hermann, G.: Aeschyli Prometheo Soluto, 1828 (Reprinted in Opuscula IV, 253-283), 1831.

De Erroribus Ionis Aeschyleae (in a treatise on the Aeschylean Trilogy), second edition 1838.

De Prometheo Aeschyleo. Leipzig, 1854 (and in Opuscula VIII 144-158), 1877.

Guarducci, M.: Il Mito di Pandora (in Studi e materiali, III, 14-30), 1927.

Leggende dell'antica Grecia relative all' origine dell' umanità e analoghe tradizioni di altri paesi. Roma, Bardi, 1927.

Gulick, C. B.: The Attic Prometheus (in Harvard Studies in Classical Philology, 103-114), 1899.

Haeberlin, Carl: Zu Aischylos: Prometheus 546 (in Philologus, No. 52, 615), 1894.

Hahn, A.: Die Aufeinanderfolge der Dramen in Aeschylos' Prometheustrilogie, 1905-6. (Selbstverlag).

Haines, C. R.: Notes on the Parallelism between the Prometheus Vinctus of Aeschylus and the Antigone of Sophocles (in Classical Review, 8-10), 1815.

Harman, E. C.: Prometheus Vinctus Represented and Explained. Arnold, 1920.

Harrison, Jane E.: Pandora (in Journal of Hellenistic Studies, XIX, 205 et seq.).

Pandora's Box (in Journal of Hellenistic Studies, XX, 99-114), 1900.

Prométhée et le culte du pilier (in Revue archéologique, nov.-déc., 429-431), 1908.

Harry, Joseph E.: A Misunderstood Passage in Aeschylus, Prometheus 119 (in Transactions and Proceedings of the American Philological Association, 64-71), 1901.

The Meaning of Prometheus 435 (in Transactions and Proceedings of the American Philological Association, XLV-XLVI), 1905.

Notes on Aeschylus' Prometheus 46 (in Classical Philology, No. IV, 469), 1907.

The Meaning of Prometheus 86.

Problems in the Prometheus of Aeschylus (in University of Cincinnati Studies, II, vol. III, Jan.-Feb., 1907; in Philological Review, 79-80, 1920).

A Proposed Restoration with a New Interpretation of Aeschylus' Prometheus 790-2 (in Classical Review, XXIV, vi. 174-8).

Prometheus (in Greek Tragedy, vol. I Aeschylus and Sophocles). New York, 1933.

Hartmann, J. J.: Ad Aeschyli Prometheum 354 (in Miscellanea Numismatica, XLV, 133 et seq.).

Freyer, Hans: Prometheus: Ideen zur Philosophie der Kultur. Jena, Diederichs, 1923.

Fritz, K. von: Pandora, Prometheus, and the Myth of the Ages (in Review of Religion, 227-260), 1947.

Fritzsche, Franz Volkmar: Aeschylea de versibus Promethei 20, 19, 52, 112 et seq., 115-119, 215, 315 et seq., 408 et seq., (in Miscellanea, 6-8). Rostock, 1882.

Fröreisen, Isaac: Argumenta zu Aeschylus' Prometheus, 1897.

Gadamer, H. G.: Prometheus und die Tragödie der Kultur (in Anales de filologia clasica, IV, 329-344). Buenos-Aires, 1947-9.

Gardner, Percy: A New Pandora Vase (in Journal of Hellenistic Studies, XXI, 1-9), 1901.

Gent, J. M. van: In Aeschylum: Prometheus 311 (in Mnemosyne VI, 443), 1857.

Gerhardt: Prometheus (in Mythologie, 128).

Gess, O.: Uber den Prometheus des Aeschylos (in Kirchliche Monatsschrift, I, 287-299). Halle, 1882.

Gietmann, Gerhard: Prometheus (in Klassische Dichter und Dichtungen), 1887.

Gilbert: Prometheus (in Griechische Götterlehre, 93), 1898.

Girard, P.: Sur un Passage interpolé du Prométhée d'Eschyle, 816-8, 823-843, 845, 875-6 (in Revue des études grecques, 149-188), 1899.

Le Mythe de Prométhée dans la poésie hésiodique (in Revue des études grecques, 217-230), 1909.

Godet, Frédéric: Le Prométhée d'Eschyle (in Le Chrétien évangélique, No. 26, 57-73), 1883.

Gow, A. S. F.: Elpis and Pandora in Hesiod (in Ridgeway Essays, 99-109).

Graf, A.: Prometeo nella poesia. Torino, 1920.

Gray, H.: On Prometheus, 425. 558. 568, 599 (in Review of Philology, 124-7), 192h.

Grazia, D. de: Il Mito e l'arte nel Prometeo di Eschilo, 1900.

Groenboom, P.: De Aeschyli Prometheo (in Mnemosyne, LV, 88-100), 1927.

Gruppe, Otto: Prometheus (in Griech. Kulte und Mythen, I, 131).

Fairfield, A. R. and D. W. Freshfield : The Wanderings of Io (in Academy, No. 375, 33 et seq.; No. 377, 68 et seq. : No. 378, 105 et seq.), 1879.

Farnell, L. R. : The Paradox of the Prometheus Vinctus (in Journal of Hellenistic Studies, 40-50), 1933.

Félix-Faure-Guyau, L. : Un Pressentiment païen du Calvaire : le Prométhée d'Eschyle (in Correspondant, XV, 3). Paris, 1914.

Feuerbach, A. : De Prometheo Aeschyli consilio atque indolo. Brunswick, 1853.

Fischer, F. : Nereiden und Okeàniden in Hesiods Theogonie. Halle, Jung, 1934.

Fischer, F. F. C. : De Deo Aeschyleo. Amsterdam, 1892.

Flach, Hans : Zur Prometheussage (in Neue Jahrbücher für Klassische Philologie, No. 123, 817-823), 1881.

Zum Prometheus des Aischylos (in Neue Jahrbücher für Klassische Philologie, No. 129, 827-831), 1884.

Flaxman, John : Compositions from the Tragedies of Aeschylus designed by John Flaxman. London, 1831.

Focke, F. : Aeschylos' Prometheus (in Verhandlungen der Versammlung deutscher Philologen, 48), 1929.

Aeschylos' Prometheus (in Hermes : Zeitschrift für klassische Philologie, LXV, 259-304), 1930.

Forschhammer, P. W. : Uber des mythische und geographische Wissen des Aeschylus (in Verhandlungen der 20. Versammlung deutscher Philologen und Schulmänner zu Frankfurt, 1862, 31-41. Leipzig, 1863. (Die Wanderungen der Io).

Die Wanderungen der Inachostochter Io, zugleich zum Verständniss des gefesselten Prometheus des Aeschylos erklärt. Kiel, 1881.

Foss, B : De Loco in quo Prometheus apud Aeschyli vinctus sit. Bonn, 1862.

Fränkel, Jonas : Wandlungen des Prometheus (Antrittsvorlosung gehalten am 6 november, 1909). Bern, Drechsel, 1910.

Franz, E. : Die Beziehungen der japetischen Mythologie zur griechischen. Bonn, Röhrscheid, 1932.

Frensdorff, E. : Sur le Prométhée enchaîné d'Eschyle (in Etudes sur Eschyle). Bruxelles, 1845-6.

Frey, Karl : Aeschylus Studien. I. Prometheus. Bern. Jent and Reinert, 1879.

Defontenay, Paul : Prométhée (in Etudes dramatiques, 187-236). Ledoyen, 1854.

Delff, H.K.H. : Prometheus, Dionysos, Sokrates, Christus (in Beiträge zur Religionsgeschichte). Gotha, 1877.

Devatani, N. : La Figure du tyran dans le Prométhee d'Eschyle (in Comptes rendus de l'académie des sciences de Russie, IV, 70-4), 1929.

Diestel, L. : Die Sintflut und die Flutsagen des Altertums. 1871.

Dollinger : Heidenthum und Judenthum. Regensberg. 1859 (on Io).

Donnoni, P. : Il Significato del Prometeo di Eschilo (in Ann. Lyc. Cinn. Vitt. Ph. II, Napoli, 1934-5 ; Il Mondo classico, 236, Torino 1935).

Dressler, M. : Prometheus (in Preuss. Jahrbücher, Bd. 96, II, 193-202).

Duncan, Raymond : Les Grands crucifiés : conférence à l'Université Philosophique, le 16 mars, 1919). Paris, 1919.

Düntzer, H. : Über den Prometheus Desmotes des Aeschylus (in Jahrbücher für klassische Philologie, No. 143, 737-750), 1892.

Earle, M. L. : Prometheus 129 (in Classical Review, 20-22), 1900. Miscellania Critica Prometheus 2 (in Transactions and Proceedings of the American Philological Association, XXVIII-XXIX). 1902.

Egmont, Gabriel Trarieux d' : Prométhée ou le mystère de l'homme. Paris, Adyar, 1947 (3ème édition).

Eitrem, S. : De Prometheo (in Eranos, Mélanges, Rudberg, 14-19), 1946.

Elmsloy : On Blomfield's edition (in Edinburgh Review, Nov., XVII, 211 et seq.) 1810.

On Blomfield's edition (in Edinburgh Review, Nov., XIX, 64 et seq.), 1811.

Endert, J. van : Die Prometheussage, in Lichte der Offenbarung betrachtet. Köln, Bachem, 1865.

Engelmann, R. : De Ione commentatio archaeologica. Halle, 1868 (*Cf.* Jahrbücher des kaiserlichen d. archäelog. Institut, XVIII, 37 et seq.).

Errante, V. : Prologo e parodos del Prometeo eschileo (in Cult. V, 433-442).

Caesar, Jul.: Reply to Schömann (in Zeitschrift für das Altertum, 113-114), 1845.

Zu Aeschylus Prometheus 49, 209, 259 et seq., 313, 386, 493 et seq. 574 (in Philologus, 13 Jahrgang, 608-611), 1858.

Der Prometheus des Aeschylos; zur Revision der Frage über seine theologische Bedeutung. Marburg, 1860.

Cammelli, C.: La Figura di Oceano nel Prometeo legato di Eschilo (in Atene e Roma, N.S., IG, 31-68), 1928.

Campbell, Lewis: The Intention of Aeschylus in the Prometheus Trilogy (in Academy, No. 271, 43 et seq.), 1877.

Carrière, M.: Prometheus (in Deutsche Museum, 14 et seq.), 1855.

Case, Janet: On Prometheus Desmotes 980-1 (in Classical Review, 99-100), 1904.

Cobet: De Locis quibusdam in Aeschyli Prometheo et scholiis antiquis ad hanc tragoediam (in Mnemosyne, Bibliotheca Philologica Batava, XIV, 121 et seq.), 1886.

Coleridge, S. T.: Lecture on the Prometheus of Aeschylus, 1825.

Coman, J.: L'Authenticité du Promethée enchaîné d'Eschyle. Bucharest, 1943. Titanul Prometheu. Bucharest, 1935.

Conradt, C.: Die Abteilung lyrischer Verse in griechischen Drama und seine Gliederung nach der Verszahl, I Heft: Aeschylus' Prometheus und Perser. Berlin, Weidmann, 1879.

Über die zahlenmässige Grundlage in Plane des aeschyleischen Prometheus (in Verhandlungen der 33. Versammlung deutscher Philologen in Gera, 137-141). Leipzig. 1879.

Cosattini. A.: Nota di Prometeo 886-7 860-1 vulg. (in Rivista di Pilologia, 336-7), 1906.

Croiset, M.: Le Mythe de Pandore (in Revue des cours et conférences, 5 mars, 5 et 20 mai). 1914.

Csengeri, J.: Les Traductions en hongrois du Prométhée depais 1783 (in Egyetemes philologiai közlöny, 601-629), 1901.

Cunerth, J. C. G.: Jupiter Aeschylus. Görlitz, 1818.

Delineatur Prometheus, Okeanus, etc. 1821.

Darenberg et Saglio: Prométhée (in Dictionnaire des antiquités grecques et romaines, article by J. Toulain).

Declercq. M.: Origine et evolution du mythe de Promethee dans l'antiquite grecque. Louvain, 1942-3.

Bellmann. C. F. A.: Dissertationis de Aeschyli ternione Prometheo, particula prior, c. 1830. De Aeschyli ternione Prometheo liber duo, 1839.

Bergk. Theod.: Lösungen VII. Zur Prometheussage (in Philologus, Bd. XXXII, 673-8), 1873.

Bikélas, D.: Sur une Traduction néo-hellénique du Prométhée et sur la métrique contemporaine (in Annuaire de l'association pour l'encouragement des études grecques en France, IX, 97-105), 1875.

Birt, Th.: Aeschylus und sein Prometheus, oder die Erziehung Gottes (in Humanistisches Gymnasium, 124-134). Leipzig, Teubner, 1932.

Blomfield: On Samuel Butler's Edition (in Edinburgh Review, Oct. XV, 152), 1809.

On Samuel Butler's Edition (in Edinburgh Review, Jan. XVI, 315-320), 1810.

On Samuel Butler's Edition (in Edinburgh Review, Feb. XIX, 477-502), 1812.

On Stanley's Aeschylus (in Museum Criticum, III, 250-4), 1812.

Bock, M.: De Aeschylo poeta orphico et Orpheo pythagorico. Jena, 1914.

Bogner, H.: Die Stellung des Zeus in Prometheus Desmotes (in Philologus, 469-470). Leipzig, 1933.

Böklen, E.: Die Sintflutsage: Versuch einer neuen Erklärung (in Archiv fur Religionswissenschaft, VI, ii, 97-150).

Bonnard, A.: La Révolte de Prométhée et le devenir de la justice (in Suisse contemporaine. 417-422). Lausanne, 1946.

Borgeaud, W.: Le Déluge, Delphes et les Anthestéres (in Museum Helveticum, 205-250). Basel, Schwabe, 1947.

Bosurgi, Dominico: Il Fato e la libertà ùmana nel Prómeteo legato di Eschilo (in Il Fatalismo e il sentimento della libertà morale, IV). Catania, Giannotta, 1892.

Brunnhofer, Hermann: Die Geographie von Centralasien in den Irren der Io in Aeschylus' Prometheus (in Des Verf. Einzelbeiträge zur allgemeinen u. vergleichenden Sprachwissenschaft IX, 134-142). Leipzig, 1890.

Bussler, E.: Die Reihenfolge der Tragödien in Aeschylos Prometheia (in Jahrbücher für klassische Philologie, No. 147, 276-282). 1893. Job und Prometheus. 1897.

Adams, S. M.: Hesiod's Pandora (in Classical Review, 193-6), 1932. The Four Elements in the Prometheus Vinctus (in Classical Philology, 97-103), Chicago, 1933.

Aleati, B.: Idee religiosi e morali nel frammenti eschilei (in Rendiconti dell' instituto Lombardo, LXXIV, 616-624). Milano, Noepli, 1940-1.

Alexanderson, A. M.: Ofversigt af Prometheus-mythen. Upsala, 1870.

Allen, F. D.: Prometheus and the Caucasus (in American Journal of Philology, No. 49, 51-61), 1892.

Allen, J. T.: The Romantic Aeschylus (in Transactions and Proceedings of the American Philological Association, XLIII), 1914.

Aly, W.: Zu Prometheus (in Rheinisches Museum für Philologie, 414 et seq., 1914; Berliner philologische Wochenschrift, 417-423), 1914.

Andrieux: Le Prométhée enchainé d'Eschyle (in Revue encyclopédique, mai V, 442-469), 1820.

Anonymous: Observationes in Aeschyli Prometheum eiusdemque fabulae in germ. translatae specimen. Salzwadel, 1834.

Anonymous: L'Irreligiosità del Prometeo di Eschilo (in Rivista di antichità, 81-9), 1923.

Anonymous: Le Prométhée d'Eschyle (in L'Instruction publique, VII, 754-5, 770). Paris, 1878.

Arbusov: Prometheus (in Russian) 1856.

Bacon J. R.: Three Notes on Aeschyylus' Prometheus Vinctus (in Classical Review, 115-120), 1928.

Buenteli, M.: Le Mythe de Prométhée (in Revue occidentale, 19 et seq.). Paris, Crès, 1914.

Bailey, John: Prometheus (in the Continuity of Letters). Oxford, 1923.

Bapp, K.: Prometheus, ein beitrag zu griechischen Mythologie (in Osterprogram. des Gymnas. zu Oldenburg), 1896.

Baumann, E. D.: Der Wahnsinn der Io (in Archiv für Geschichter der Medizin, XXX, 307-314). Leipsig, Barth, 1932.

Bayne, Th.: The Wanderings of Io (in Academy, No. 373, 566 et seq.).

Brother in relation to Zeus. The Demiurge, however, was originally understood by many to represent Man on two planes of existence: Archetypal Man, the creator of the cosmos, and the earthly Adam, the founder of the human race.

The great mystery of antiquity is that the fertility hero was at once the Arch-Sinner and the Friend of Man and that the story of the creation did not call for universal rejoicing but was the basis of the first tragic pattern. That the Evil Principle was one and the same as the Good Principle cannot be explained unless we re-examine the mythical symbols of the ancients in the light of their fundamental religious beliefs.

minor variations in the cultures of the ancient world. The fertility cycle is the cycle of the creation. Consequently, the Demiurgic functions of Prometheus so insisted upon in all post-Aeschylean literature, vase-paintings, and monuments are inherent in his myth, and not accretions of a later age. It was the progress of monotheism that robbed Prometheus, and the fertility hero in general, of his creative functions and transferred those functions to the Allfather, reducing the role of the Titan in the creation to the Theft of Fire and the animati n of an already existing cosmos. Plato is the best example of this deviation. Creative Mind is a late development in the history of ideas; to the ancients the formula was Creative Love.

To the ancients the creative Demiurge was always the True Son of Apsu or primordial waters; he was always described as a "sinner", and always portrayed as a mutilated hero, whose sufferings called for universal compassion (*Ezekiel*, 8,14). The Eagle devouring him was the zoomorphic symbol of the female principle of generation, or the female Demiurge, whom he himself impregnates, though occasionally it appears as the symbol of the male principle of generation itself. Astronomically the seat of the female Demiurge was Sirius whose cycle was connected with the descent of maximum heat and with the Flood. The seat of the female Demiurge was sometimes Venus and sometimes the Moon.

In pre-Hellenic civilizations, highly advanced in monotheism, the Idea was enthroned before Matter. It was, therefore, possible for the Demiurge to be the True Son or the Younger Brother of the Allfather, symbolizing the inferior phallic nature of the All-father himself. In the more dialectical religion of the Greeks, the emergence of Zeus from brute irrational Matter is a late development. By insisting on the anteriority of the Titans to the Olympians, the sinning Demiurge, while still remaining in name the Son of Iapetus, a reminder of his origin, Greek theogony did not permit him to occupy the place of the Son or the Younger

another source, the cycle of the Bright Yima is another offshoot of the cycle of the sinning god (1). Yima's epithet is the Friend of Man, and he is the founder of civilization (agriculture, metalurgy, medicine, etc.). The cycle of Mithra, also called the Friend of Man, is another but more archaic variant on the same theme.

Conclusion

The foregoing observations are not intended to constitute a study in etymology. They are merely notes in comparative mythology. They show that the basic facts in the myth of the Titan Prometheus, or the Son of Iapetus, are contained in the archetypal pattern of the fertility cycle which repeated itself with

= "The fair Yima, the good shepherd of high renown in the Airyana Vaego, by the good river Daitya, called together a meeting of the excellent mortals." *Vendidad,* Fargard II, *Zend Avesta*, Part I, *Sacred Books of the East*, vol. IV, pp. 10–21, Darmesteter. The issue of these meetings is the Flood episode and the mutilation of Yima. Punishment by sawing suggests that Yima passed through the tree phase and is reminiscent of Hesiod's ambiguous account of the torture of Prometheus, which some give as a shaft driven into him, while others give as the Titan being driven into a pillar. The Vedic Yama is called the First Man, the Avestan, the First King ; both are manifestations of the Demiurge.

(1) The fair Yiman seems to be a manifestation of the (Semitic?) Sohayl Yaman, probably the basis of the suffering sinner Salomoneus chained in Hades with Tityos, Sisyphus, etc. (Aeneid VI), himself a form of the Hebrew Seihor, *i.e.* Sirius, the Biblical name for the Nile and the star of the Nile *vide Encyclpédie française*, article : Sirius). His persistent appellation in Arabic literature as Ashar betrays his Asar (Osiris), and therefore Sirius, origin. An extant Arabic form of Sohayl is Sohayr. This identifies Seihor-Sohayr-Sohayl, whose epithet is Yima or Yama or Yaman, as one with the Arabic Shi'ra, or frankly Sirius (also *cf. Kings* I, 11, 5). In another system he is identified with Canobus or Canopus, the central star of Navis Argo (*vide* Lane's *Lexicon*, article : Sohayl). But the two dogs of Yama and the traditional derivation of Canobus itself from the Phoenician Hanobeach, the Dog, suggest that Canis Major was the origin of the Demiurge. As for Yima or Yiman or Yama if he is a variant on the (Semitic?) Yam, meaning Water, Sea, probably Okeanus, this establishes the descendance of the Demiurge Sohayl-Sohayr-Seihor, ultimately Sirius, from Apsu. It is not impossible that a cult of Asar-Ammon was the basis of this concordance.

hordes. When the Iranians came into conflict with the neo-Babylonians, about the time of the composition of the Gathas, the Serpent Izi, like Dumuzi, had for millenniums been the national fertility hero of Babylonia, and his latest manifestation was the Biblical fiend Nimrod.

The ambivalence in the character of the fertility hero is preserved, however, in the Avestan cycle of Yima or Yiman, the Vedic Yama, later known as Jemschid the (Bright Yima). We can see that the cycle of Yima was a variant on the archetypal fertility cycle because it follows closely the essential pattern in all its details. Yima was the Demiurge who defied Ahura Mazda, increased generation in the world and stretched the fertile cosmos by "three thirds". In his wrath, Ahura Mazda called a meeting of the gods in which it was decided that the creation should perish by the Flood. Thereupon, Yima ordered a great ark to be constructed, called the Vara, wherein all the elements of life were preserved; and when the Flood came, which was a Flood of snow, the human race was saved. Yima was punished for his pride, self-deification, and revolt against the will of Ahura Mazda. He was sawn into two by the fiend Azi himself at the order of Ahura Mazda. His symbols of fertility were the Sword and the Ring, and his peculiar form of mutilation seems to have been known in other ethnic centres (1). Though coming from

(1) "13. Then I (*i.e.* Ahura Mazda) warned the fair Yima, saying: 'O fair Yima, son of Vivanghat, the earth has become full of flocks and herds, of men and dogs and birds and of red blazing fires, and there is no more room for flocks, herds and men'.

"14. Then Yima stepped forward, towards the luminous space, southward to meet the sun (*cf.* the heliac rise of Sirius to meet the sun and the ascension of Prometheus towards the sun), and afterwards he pressed the earth with the golden ring, and bored it with the poniard speaking thus:

"'O Spenta Aramaiti (the earthgoddess), kindly open asunder and stretch thyself afar, to bear flocks and herds and men'.

"21 (42). The Maker, Ahura Mazda, of high renown in the Airyana Vaego, by the good river Daitya, called together a meeting of the celestial gods.

Professor Louis Gray has already suggested that the cycle of Azi is at the basis of the Promethean cycle, but did not explore this possibility any further (1). It will be noted, however, that in every case the fiend is an offshoot of the Babylonian Izi or Itsi, centre of the Izdubar legend of the Flood, whose seat was Sirius. In the story of Harut and Marut we are told that the names of the two fallen angels in Babylonia were Azabia and Azabeel, which brings us nearer in the story of the creation to the root of the fertility principle in the ancient world, Azi or Izi, the basis of the more famous suffering deities Asar (Osiris) and Dumuzi (Thammuz) (2). He is the Son; he is the Serpent; he is the symbol of the male principle of generation. The root is equally the fundamental element in the female principle of generation: Ast (Isis), Istar, Ishtar, Astarte, Ashtaroth. She is the Sister of the sinning god, and one of her zoomorphic symbols is the Snake (cf. the Semitic Hawwaa = Eve, Hayya = Snake, Hayaah = Life).

Thus, at one stage of his career, the Demiurge and Thief of Fire, whose tragedy was originally the subject of universal compassion, became in Iran a thoroughly evil entity. In the strict dualism of the Zoroastrian system the episode of the Thief of Fire became distinct from that of the Fire-giver. The Theft of Fire was interpreted as an encroachment of Darkness, symbolized by the Serpent, on the empire of Light, and was therefore identified with the activities of the Evil One. The benevolence of the Evil Principle was lost partly because the sharp Zoroastrian dualism allowed no room for such a synthetic concept of a divinity who is mixture of Good and Evil, and partly because the Serpent became so involved in the polities of the Iranian

(1) *Foundations of Iranian Religion.*

(2) *Cf. The Book of Enoch*, VI, 7, where the two fallen angels are Samyaza and Azaël or Azazel as in LXIX, 2; *cf Genesis*, VI, 4 and 5: in the Talmud they are Ouza (*alias* Schemhezaï and Azaël as in *Talmud Babli*, "Nidah", 61 and "Yoma, 67". The name of the temptress in Rabbinic literature is Istehar, the Ishtar of *Gilgamesh*.

5

In Iranian sacred literature there is another parallel cycle, stemming from the same common root, which developed independently. It is the story of the mountain-chained Thief of Fire, the Serpent Azi. It has its Vedic antecedents in the story of the Serpent Ahi, and the name of the Serpent yields other variants such as Aji and Ashi in Pahlavi literature (1). The cycles of Haurvatat and Amervatat and of Meshya and Meshyana, though essentially fertility cycles, preserve no trace of binding or mutilation. In Iran, the binding was reserved for the Thief of Fire who is not a sinning hero in the Greek sense, but a dark and fiendish entity, called the emissary of Ahriman to ravage the world of man. Azi stole the fire of the clouds from the god of Lightning, Attar (the Vedic Indra), to stop the rain and to starve the "Aryan nations". Thus he is not a fire-giver but a fire-extinguisher. Another standing description of him is that he stole "the light which cannot be forcibly seized", the light of the Aryan nations. He was, therefore, identified with the political enemies of Iran, one after the other, particularly with the Turanians and with the neo-Babylonians. He is overthrown and bound in chains by the legendary national hero either on Mount Demavand, the loftiest peak of Mount Berezaiti, now Al Burz or the Caspian Caucasus, or in Bawri, *i.e.* Babylon, and usually in a cave. In either case, there is the character of the Iranian Herakles, called Kheresaspa, who sleeps on the slopes of the mountain until the end of time, when he shall rise, not to liberate the chained fiend, but to smite him to death and thus free the world finally from disease, old age, and death, restoring the eternal spring of the Golden Age.

---

(1) In Firdausy's epopee, the *Shahnamah*, Azi appears as Zohak and in Arabic literature as Al Asdihaq or as El Dahhak. In many Iranian sacred texts Azi acquired the epithet Dahaka, probably a regional name, which explains the later corruption of Azi Dahaka into the other distant variants.

them is redundant. But this assumption is unfounded, since the real reason for this transposition is that both Haurvatat and Amervatat, like Prometheus and Epimetheus, are two aspects of the Demiurge, one on a cosmic, the other on a human, scale. Hence the frequent confusion of their functions which was common even in Greece. As for the birth of the Demiurge, the same principle operated everywhere. In Greece out of the blood dripping from Uranus' removed genitalia sprang the Titans, one of whom created the human race. In Egypt it was the spittle of Ra and in Vedic literature it was the seed of Prajapati.

The object of all this grand preparation is the appearance of that be-all and end-all of the creation: Man. Meshya, scholars of Indo-European languages tell us, simply means Man. He is the basis of the Teutonic "Mensch" and its derivatives. His counterpart in Hebrew is Meshyah or Messiah who, in Manichaean literature, is described as the Man of Light created by God to combat Satan but was defeated in the first round. Meshya is Man Anthropos, Primal Man, Al Insan ul Qadeem of the Gnostic-Manichaean school. The Avestan Meshya never appears in Iranian sacred literature as a proper name, but always as a common, generic noun, signifying Man. In such a system, Prometheus is Archetypal Man while Epimetheus is the Earthly Adam. Prometheus is Pro-Meshya and Epimetheus is Epi-Meshya. They are two aspects, if not etymologically, at least functionally of Dumuzi, the True Son of Apsu. The Avestan Meshya was the first to produce fire with the fire-stick (1).

(1) Another inventor of fire in the sacred literature of Iran is Hoshyang the Paradhata, but he produced fire with flint and not with the fire-stick. Again Hoshyang had to cope with a Serpent in order to produce fire, for it was by throwing a stone at the Serpent that the stone struck against another stone and produced the first spark. Herzfeld classifies Hoshyang the Paradhata as a Scythian fertility hero (*cf.* Herodotus' Protothyes) and calls him a foreigner in Iran. As a Paradhata he is equally the Son of Athwya or of Aptya or the Son of Water, the legendary ancestor of the Iranians, another Son of Apsu or Son of Iapetus.

Prometheus as lord of the netherworld is no exception ([1]). With Amervatat is associated the Tree of Gaokerena ([2]), a tree whose fruit gave immortality and drove away old age, which places him in the position of Adam. As water divinities, both Haurvatat and Amervatat are descendants of Apsu, or of the House of Athwya, as the Avesta would call it. This links them up with the other sinning gods, the suffering fertility heroes of the ancient world.

By transposing all the available motifs in the cycle of Harut and Marut and in that of Khordad and Mordad we are thus able to form an idea of the substance of the lost Avestan story of Haurvatat and Amervatat and to see the bearings of all three on the myth of Prometheus and Epimetheus. Arabic sources concentrate on the fall through the temptress Venus, and therefore show more interest in the cycle of Epimetheus and Pandora. Parsee sources emphasize the role of the Demiurge in the creation as well as in the communication of fire to man. Hence they deal more with the cycle of Prometheus.

This enables us to see that the story of Haurvatat and Amervatat is not really lost. We still have it in Avestan literature in the story of Gayo Mart or Maratan or simply Marut. In other words, while Parsee sources show Haurvatat-Khordad-Harut as the Demiurge and the creator of the first pair Meshya and Meshyana, Avestan literature attributes this role to Amervatat-Mordad-Marut. The Iranian story of the creation corresponds closely to the well-known pattern common to all the extinct cultures of the past. The sweat of Ahura Mazda falls down on earth and out of it is born Maratan, the titanic Demiurge. The seed of Maratan falls down on earth and out of it are born Meshya and Meshyana, the Iranian Adam and Eve. Darmesteter concludes that "Le mythe de Gayomart et celui de Meshya, primitivement parallèles, ont été subordonnés l'un à l'autre" ([3]). The assumption is that one of

([1]) Plato, *Gorgias*. Loeb, vol. V. pp. 519 et seq.
([2]) *Bundahish*, 19, 19 : 42. 14 ; 59, 5.
([3]) *Ormazd et Ahriman*. p. 29. Paris, Vieweg-Franck. 1877.

call them Khordad and Mordad, give them a Promethean etymology. They connect Khordad with fire and explain him as the Lightgiver (Khor-dad) (1). They have a special kind of fire which they call Ader Khordad as in the *Zerdusht Namah*, a special festival which they call the Day of Khordad or the Day of Illumination on which Zarathustra embraced the faith. But above all it was the day of the creation of the cosmos as well as the day of the creation of the first pair, Meshya and Meshyana, the Iranian Adam and Eve. This association of Haurvatat-Khordad-Harut with the story of the creation reveals the sin of this Titan or fallen angel: it is the sin of the Demiurge. His association with the descent of fire and light establishes his identity as the Firebringer. It is not a coincidence that Firdausy writes in the *Shahnamah* that "the faith in hearts was lit from the sun" (2). As for Amervatat-Mordad-Marut, Darmesteter's commonly accepted etymology is: ameretata = a-mereta-tat = non-mortuus, *i.e.* immortality. Thus, if Khordad is the giver of Light, Mordad is the giver of Immortality. The former corresponds to Lucifer (lux-ferrere = light bringer), the latter to Adam. As Darmesteter puts it: "L'étymologie populaire ne pouvait voir que *du mort* dans Murdad, comme elle n'avait vu que *du feu* dans Khordad" (3). Still better is Qazweeny's: "Amurdad est Azrael qui motiones sedat et animas a corporibus separat. Eum enim animas corporibus solvere credunt Persarum magi". The cthonic functions of every fertility hero has already been noted, and

(1) Hyde, *Religio Persarum*, 2nd ed., p. 243; *cf.* Anquetil, *Zend-Avesta*. II, p. 24, note 1; *cf.* Persian Dictionaries of Johnson and Peninsky.

(2) Edition Maecan, 1993. 3.

(3) *Haurvatat et Amervatat*, infra p. 61: *cf.* D'Herbelot. *Bibliothèque orientale*: Anquetil, *Zend-Avesta*, II, 174. Darmesteter accepts the popular Hordad as Immortality but rejects the popular Khordad as light. Instead, he gives Health and Immortality: Health = (Zend) haurva, (Sanskrit) Sarva, (Latin) Salvus yielding servus; *cf.* Meillet, *Trois conférences sur les Gathas*, p. 67, Paris Geuthner, 1925; Söderblom, *Manuel de l'histoire des religions*, p. 372, Paris, Leroux 1925.

the Cup of the Holy Grail. Vases, caskets, and coffers abound in mythology and folklore. They all stand for the Virgin of the World who is herself the incarnation of the gnosis as Plutarch tells us in *De Iside et Osiride* (352, a, b).

It is noteworthy that the accounts of Arab scholiasts are merely intended to be footnotes to the Qoran which briefly states that Harut and Marut were two (fallen) ministers of God (chained) in Babylon for teaching magic to men and for separating husbands from their wives. We know from Propertius that from the passionflower of Prometheus a magic potion was extracted for the "sundering of lovers" (1). The motifs of the Cave and of the Dog occur at the end of the story of Harut and Marut, yet they are not worked out to anything effective. But, above all, their story acquires added significance when, at the end, we see them jubilant in their chains : on hearing of the appearance of the Prophet Mohammed, they are assured that their days of suffering are over. In this tradition Mohammed is the Deliverer who fulfils the office of Herakles and the unbinding of Harut and Marut corresponds to the unbinding of Prometheus.

German scholarship has identified the Harut and Marut of Arabic literature with Haurvatat and Amarvatat of Iranian literature (2), but Darmesteter thinks differently (3). We have already seen how the theme and sequence of their story are identical with those of the story of Prometheus and Epimetheus. The Arabic Mared = Titan or Giant, and Yatamarrad = to Rebel or Mutiny, are direct derivatives from Marut. Nimrod belongs to the same cycle, and Babylonian archæology tells us that his seat was Sirius. The Parsees, who have the same pair and

(1) *Elegies*, Bk. I. xii, 5-10 (Loeb, p. 33).

(2) *Zeitschrift der Deutschen morgenlaendischen Gesellschaft*. IV, 368 : cf. Adolphe Lods. "La Chute des anges", paper read before the Congrès d'Histoire du Christianisme, tome I. pp. 29-54, Paris 1928 ; Sidersky in his *Origines des légendes musulmanes*. Paris, Geuthner. 1933, pp 22-5, is also alive to this connexion.

(3) *Haurvatat et Amerratat*. Vieweg-Franck. Paris, 1875.

It is obvious that the Prometheus-Epimetheus pattern is repeated in the story of Harut and Marut, though the setting and the values are strictly monotheistic. The complaint of the angels of the misdeeds of men preserves the wrath of the Olympians against the human race, though the Almighty of monotheism is more compassionate than the Allfather of polytheism, and therefore does not work to blast mankind. The particular relish with which lady Venus and her ravishing raiments are described preserve the Hesiodic account of Pandora and her sumptuous dress woven by Athene. In fact the *dédoublement* of Venus and her Maid echoes a tradition in which sometimes Athene and sometimes Aphrodite is associated with Pandora (in Hesiod both). The binding in Babylon preserves the binding on Caucasus, and the unceasing torture is the same, though the methods are different. In fact, the raising of the temptress to occupy her place in the starry heavens intimates that she originally descended from the abode of the gods and that, like Pandora, she was commissioned by the Almighty to waylay Harut and Marut. The Cup of Venus is a variant on the pithos of Pandora, preserving the very ancient Methe element in the cycle. The *dédoublement* of the temptress as Venus and her Maid is probably a device to cope with the *dédoublement* in Harut and Marut. Even Hermes continues to play the part of the Messenger more than a thousand years after Aeschylus.

The Theft of Fire, as we have seen before, at one stage passed from a purely physical fertility symbol to a more abstract symbol of creativity, and came to mean the theft of the gnosis, *i.e.* superior wisdom and forbidden revelation. This passage is akin to the passage from the Tree of Life to the Tree of Knowledge. Similarly, the Cup, which once stood for the female principle of generation, came in the advanced symbolism of the Gnostics to mean initiation into the gnosis. The Cup, the Pithos, and the Coffer, were interchangeable, and to the same order of symbolism belonged the Cup of Venus, the Cup of Apollo in which Herakles crossed the Ocean to deliver Prometheus, the Cup of Jemschid,

Avesta, but the Yasht telling their story is lost. Apart from the fragmentary liturgical incantations which vaguely reveal that they are water divinities, nothing useful could be gathered about them. Variants on their names are Haurot and Maurot [1]. It is, however, through Arabic mythographers and through Parsee religious literature that we are able to reconstruct their story.

In Arabic religious literature the following story is told about two fallen angels named Harut and Marut: Harut and Marut were formerly two members of the celestial host who surpassed all other angels in piety. When the angels complained to the Almighty of the misconduct of mankind, He defended it by saying that the imperfections of the human race are all due to its composition out of base clay, and that the angels themselves would do no better if they were made of the same stuff. At this, the angels protested their infinite loyality to God. To put them to the test, the Almighty chose the best two among them, Hàrut and Marut, clothed them in flesh, and sent them down on earth to rule mankind. Once on earth, Harut and Marut resisted temptation for a short while, but finally succumbed when they saw a lady named Venus, the cunningst pattern of excelling nature, with her Maid whose splendour shines afar. To seduce them, Venus came bearing a Cup of Wine, of which they tasted and through which they fell. Their cardinal sin was idolatry. Thus their power to ascend to the empyreum deserted them. Thereupon, the Almighty sent Idris (the Hermes of Arabic literature) to them, with the choice between punishment on earth until the end of time and punishment everlasting in hell. They chose the former, being the shorter, and were subsequently chained to two mountains in Babylon and incessantly whipped with iron rods. As for Venus, she was raised by the Almighty to occupy the place assigned to her among the stars [2].

(1) Georges Dumezil: "Les Fleurs Haurot-Maurot et les anges Haurvatat-Amervatat", *Revue des études arméniennes* 1926, VI, pp. 42-70.

(2) Al Kisaiy. *Tales of the Prophets*: Al Thalaby, *Tales of the Prophets.*

lonians, and in this manner the founder of the human race too [1]. She was the object of contest between Zeus and Prometheus, or rather between the superior and the inferior natures of the Allfather himself. The story of the creation, before it was that of the Fall of Prometheus, was that of the Fall of Zeus through Prometheus and his own self-binding and self-mutilation. The suicide motif, as Diodorus has shown, is latent in the myth of Prometheus.

4

There still remain several motifs in the myth of Prometheus which cannot be obtained from the sacred literature of Egypt or Babylonia. They are supplied by the sacred literature of Iran. Here we are drawing nearer to the Greek myth, not only chronologically but also linguistically. The impact of the Persian wars in which Aeschylus and his generation were actively involved had a noticeable influence on the development of the myth of Prometheus. Yet there are indications that the cultural transfusion from Iran into Greece began as early as the ninth century B.C., sometime between Homer and Hesiod.

The Avesta and its Pahlavi derivatives are probably the richest known doscuments dealing with the story of the chained Titan. The names of two closely related divinities, always mentioned together, Haurvatat and Amarvatat, occur in the

---

(1) In one tradition Poseidon, not Oceanus played the part of Apsu, the Greek Iapetus: he engendered a monster (*cf.* Prometheus as the Serpent), to whom Hesione, daughter of Laomedon, King of Troy, was to be sacrificed by her father, in order to avert the ravages inflicted on his land by the monster (*cf.* Io, daughter of Inachus, King of Argos, being driven away by her own father from Argos as a sacrifice, so that the curse on his land may be lifted and the Argives may have the seed of fire; Io was then metamorphosed into a heifer pursued by the myriad-eyed Argos, the monster of Zeus). This shows the identity of Hesione and Io. Laomedon himself was involved in a cheating episode, for it is said that he employed Poseidon and Apollo to build him a wall then swindled them out of their wage, which caused Poseidon to send his sea-beast against his land.

When Io is told by Prometheus that she is to be, after the fourteenth generation, the mother of the "son mightier than his sire", who is to deliver the Titan from his chains and might even depose Zeus if the Titan does not come to Zeus' help, we immediately realize that Io is the same as the Nereid Thetis, and that the "son mightier than his sire" is Herakles himself. The persons of the Promethean drama are all members of the same family.

Thus the Babylonian fertility cycle helps us to learn a few more facts about the origins of Prometheus. It establishes his relations to the Flood hero and clears up his obscure descendance from Iapetus and his family ties with the Oceanides. They are all the issue of Apsu, which explains why the Oceanides are all Nereids or fresh-water nymphs. It traces back to its sources his function as Creator of Men. This function, though not discussed in Hesiod and Aeschylus, nevertheless asserts itself in the accounts of classical and post-classical mythographers so strongly that we cannot in any way leave it out of the picture.

A closer scrutiny of *Prometheus Bound* will reveal that Prometheus was a Creator of Men even in Aeschylus, through his wife Hesione. For the Chorus of Oceanides says: "and this strain that now cometh to mine ears is the opposite to that wedding song I sang around thy bath and thy couch in pleasure at the nuptials, when, having won Hesione with wedding-gifts, thou didst take to thyself her, my sister, as thy wedded wife". The wedding-gifts the Oceanides are referring to are no doubt a euphemism for the gift of all gifts, the Gift of Fire, which is the force of generation. If so, it is possible to reconstruct the main lines of the lost *Prometheus Firebringer*. With the fire he stole from the gods, the male Demiurge (Prometheus) animated or impregnated the female Demiurge (Hesione) to engender the human race. For this he was bound. Hesione herself, pursued by the lust of Zeus, becomes the Virgin Cow, Io, mother of the

a

This supplies many features in the myth of Prometheus, features that are missing in the story of Osiris. It was in Babylonia, where the indomitable waters of the Tigris and the Euphrates continued to ravage the land, that the legend of the destruction of mankind by the Flood flourished most. It was from Ziondsouddu via the Medic Diocides that Deukalion arose.

The Son of Iapetus also took his name from the Son of Apsu. The importance of this can only be realized if we bear in mind that Apsu is the Greek Oceanus, father of the Oceanides. This makes the Son of Iapetus actually the Son of Oceanus and therefore brother to the Oceanides, including his wife Hesione, the female Demiurge. It is precisely the relation of Osiris to Isis and of Thammuz to Ishtar or Astarte.

In Aeschylus, who knew his symbols well, all the dramatis personnae of the Promethean tragedy are members of the same household. Hephaestus, a fire-divinity, is another phase of the Demiurge himself. He claims kinship in plain words addressed to Kratos and Bia. The question: "why Oceanus ?" becomes answerable. Oceanus, being Apsu, is Iapetus, the father of Prometheus and of the Oceanides, his compassionate sisters, of whom Io is one, for Io is the same as Hesione. When Prometheus tells Io that she is the daughter of Inachus, he means of Okeanus. When the Oceanides bewail the fate of their hapless sister Hesione, Io immediately makes an appearance. The words of the Chorus are the stage-direction announcing the coming of Hesione herself, an indispensable stage-convention practiced from the earliest times until the present day, for lack of a better means, to introduce the persons of the drama, not to each other, but to the public (1).

(1) The same technique is adopted by Aeschylus throughout: Hephaestus, Bia, and Kratos, call each other by name; the coming of the Oceanides is announced by Prometheus (*P.B.*, 113–126) who introduces them to the public (*P.B.*, 136-144); Oceanus introduces himself (*P.B.*, 298-9), but the arrival of Hermes is announced by Prometheus (*P.B.*, 941-3).

After the god Ea had created humanity(1)
And imposed on it the cult of the gods.

He is a seer; he is a god of magic; but above all he is the saviour of the human race from destruction by the Flood. Like the "crafty" son of Iapetus, Ea's standing epithet is the "Intelligent" or the "Understanding", an epithet coupled with his name even since the days of Sumeria In the different epics of the Flood, from the *Izdubar Legend* (2) to *Gilgamesh* (3), Ea betrays the confidence of the gods and divulges to the Flood hero the design of the gods to obliterate the human race, ordering him to build an ark wherein to collect all the seeds of life. The name of the Flood hero may have been Zioudsouddu (Zisouddou) or Khasisatra or Utanapishtim or Xsouthros, according to the passage from Ayran to Semitic dynasties and vice versa, but his relation to Ea is always the relation of Deukalion to Prometheus. The name of Ea himself may have changed from empire to empire, yet he is always the Creator of Men and the Founder of Civilization. Above all he is a water divinity or rather the Son of Water. For in the pantheon of Mesopotamia the son always replaced the father in position as well as in functions. He is always the son of "Ap", the Sanskrit for Water. He is always a variant on Thammuz or the True Son of Apsu. Herzfeld's identifications show that the Iranian Son of Athwya belongs to the same cycle, being the Son of Aptya or simply the Son of Water. Ea is also identified with Oannes the fish-god of whom Berosus tells us on the authority of Apollodorus, that he was the first to teach the Chaldeans the arts and the sciences, particularly the art of writing. As a water divinity his representation is the fish-man. Ea is a stage of the Son of Apsu or the Son of Water, and, therefore, a stage of the suffering sinner, Thammuz, the Babylonian Osiris.

---

(1) *Enuma Elish*, Sixth Tablet, Dhorme *Religions de Babylonie et d'Assyrie*, pp. 31 et seq.

(2) *Assyrian Biscoveries* by George Smith.

(3) Fr. Dhorme.

with Erichthonius [1], Thetis with Achilles [2], Isis with the child of the Queen of Byblos [3]. Herakles, too, cremated himself to become immortal. But the complete shift from the primitive association of fire with the fertility functions on a physical plane to the advanced interpretation of fire as the symbol of the creative functions on a spiritual plane only began with Plato and his derivatives.

3

The Egyptian elements in the myth of Prometheus form only the substratum. Much of the scaffolding seems to have come from other ethnic centres, especially from Mesopotamia.

The Babylonian Demiurge, Thammuz, is in most respects the counterpart of the Egyptian Demiurge, Osiris. His name is Dumuzi-Apsu or the True Son of Apsu, which brings us nearer to the Hesiodic *cliché:* "the Son of Iapetus". Apsu is the Greek Okeanus, the primordial subterranean fresh waters that encircle the earth. In the many shifting dynasties of Sumeria, Akkadia, Babylonia, Assyria, and Chaldea, partly Aryan or Scytho-Medic and partly Semitic, Apsu often changed his name. He was supplanted by EA or the "House of Water" whose other name was Enki, or the "Master of the Earth". This Enki-Ea was a culture divinity, patron of the artisans, especially the potters, and founder of civilization. He was the Demiurge whose epither in the *Enuma Elish*, the Assyrian Poem of the Creation, is the "Creator of Men". Even when he was replaced in Babylonia by his son Marduk, Ea continued to play the part of the Demiurge. When Marduk wanted to create his first man, Lullu, he appealed to his father for aid, and it was Ea who kneaded the clay with the blood of the immolated Kingu, enemy of the sons of primordial chaos:

> With his blood he created humanity,
> Imposed on it the cult of the gods and liberated the gods.

[1] Hom. the *Hymn to Demeter*, 231-262.
[2] Apollonius Rhodius, IV, 865 et seq.; Apollodorus, III, 13.
[3] Plutarch, *De Iside et Osiride* 16.

creative functions could not have arisen unless they were latent in the myth of Hermes. Two concepts split the world during the Messianic Age, from Plato to the official triumph of Christianity, namely those of Prometheus Demiurge and of Hermes Demiurge. To the former adhered the worshippers of the archetypal Osiris and his fertility compeers; they were the potters, the peasants, and the slaves of the ancient world to whom the act of creation always brought mutilation in its trail, and represented a form of Fall from the passive innocence and the inert bliss of the Golden Age. To the latter adhered the masters in general, who rallied around Gnosticism in every form it took, for to them the gnosis and every mode of creative activity were means of salvation. Their Demiurge was not a suffering sinner but the blessed Logos, the "Mind of my Mind and Soul of my Soul" as the Allfather puts it.

In both cases the Demiurge was one of the two natures of Tehuti, the good Thoth or the evil Osiris, and his seat was invariably Sirius or Canis Major. The Greeks called the good Thoth Hermes because their astronomical symbols were different from those of the Egyptians. They identified functions and not astral bodies. The canicular origin of Hermes, definitely established in Plato [1], is at least as old as Hesiod and the Homeric Hymns.

Long before Aeschylus the Theft of Fire had come to mean the theft of the gnosis, by which mortals were raised to divine status. It is implied in the stories of the burning of infants by benevolent deities to confer on them immortality, as did Demeter

(1) "At the Egyptian city of Naucratis, there was a famous old god, whose name was Theuth; the bird which is called the Ibis is sacred to him, and he was the inventor of many arts, such as arithmatic and calculation and geometry and astronomy and draughts and dice, but his great discovery was the use of letters". *Phaedrus* 274 c, 275 e: *Cf. Philebus* 18 b; this Theuth was rebuked for his inventions by Ammon, head of the gods

he stole to man, Hermes hid the kine in a manger by the river Alph, beyond the reach of man. But it is precisely because Prometheus and Hermes did opposite things that they must be understood to belong to the same cycle. It is the cycle of the Demiurge in which Hermes represents the superior Logos of Zeus, while Prometheus represents his inferior generative nature.

(d) *The Canicular Origin:* There is nothing in Greek mythology to explain why Hesiod's Hermes gave Pandora a "dog's mind and the heart of a thief", and the explanation might lie in Hermes' own canine origin. The dog, a rare animal in Greek mythology, is repeatedly associated with the son of Maia (another Virgin cow), in the Homeric *Hymn to Hermes*: "On his long-wandering, neither Man nor God had met him; since he killed Apollo's kine, Nor house-dog barked at him on his road". Again, Apollo exclaims: "And what is strange, the author of this theft hath stolen the fatted heifers every one, But the four dogs and black bull are left: Stolen they were last night at set of sun".

There are several other minor correspondences between the myth of Prometheus and that of Hermes such as the reference to a possible punishment by binding in the cycle of the latter, his association with a cave, and intimation to his former cannibalistic habits and the passage to the phase of cooked meat (1). But most important of all is the emergence of Hermes as a full-fledged Demiurge in neo-Platoniam, in the literature of Hermes Trismegistus, and throughout the Gnostic tradition. There he is frankly equated with Thoth and all the creative functions of Prometheus are transferred to him, including the creation of the cosmos and of Pandora. But there the creation is ennobled, spiritualized and carries with it no sense of sin or of suffering. It is performed by order of the Allfather and with his full consent. Such

(1) Before Hermes stole the kine, he was "Seized with a sudden fancy for fresh meat" (*Cf.* cannibalism in the Osiris tradition which also seems to be of the canine root).

ascension. Another representation of flames is the "heifers with crooked horns", equally the zoomorphic symbol of the female Demiurge whom we later come across in the concept of the Virgin Cow, typified by Io. The metamorphosis of Zeus into a bull (Prometheus) to impregnate the Virgin Cow (Io) illustrates the place of this emblem in the cycle of the Demiurge. Hermes the thief was the patron of thieves.

(b) *The Fire-stick and the Arts:* Hermes' invention of the fire-stick is not couched in symbolic language but is described with precision and in detail. The conclusion is : "This glory and power thou dost from Jove inherit, to teach all crafts upon the earth below". Of Prometheus Aeschylus says: "All arts to mortals known are from Prometheus".

(c) *Partition of the Sacrifice:* The immolation of the bull in sacrifice to Zeus features in both cycles of Hermes and Prometheus. So does the partition of the sacrifice. Yet Hermes and Prometheus proceeded differently. Once Hermes stole the oxen of the sun, he invented the fire-stick and produced fire to roast two of those oxen: "Then he drew the fat spoils to the more open station of a flat smooth space, and portioned them; and when He had by the lot assigned to each a ration. Of the twelve Gods, his mind became aware of all the joys which in religion are". This is exactly the opposite of what Prometheus did. In the partition of the immolated bull he cheated the gods in favour of mortals. It is not unlikely that the Hesiodic reference to Prometheus cheating Zeus over his share of the sacrifice represents the loose end of a forgotten tradition in which Prometheus, like Hermes, did not steal fire from the sun, but stole Apollo's kine. Considering that Prometheus himself was the immolated bull, the allegory reveals that the Demiurge gave more of himself to mortals than he did to the immortals, an allusion to the preponderance of the lower nature in the fertility hero. On the other hand, Hermes, a trickster and a cheat all along, devoutly observed the forms of worship and only played fair when it was a question of the offerings. While Prometheus gave the kine or the fire

The Greeks, while adopting the fertility pattern common to all the ancient world, applied it to a different system of astronomical symbolism where Sirius plays no vital part as it did in countries that owed to it their floods and its canicular heat.

2

The Homeric *Hymn to Hermes* contains all the evidence we need to prove that the Greeks, as early as the Homeric age, knew two thieves of fire, one blithe and benign, Hermes, the other a suffering sinner, Prometheus-Tityos.

Most of the principal features of the myth of Prometheus occur in the myth of Hermes. Those features are: (*a*) the Theft of Fire, (*b*) the Invention of the Fire-stick and of the Arts and Sciences, (*c*) the Partition of the Sacrifice, (*d*) the Canicular Origin:

(a) *The Theft of Fire:* If Prometheus was "the crafty son of Iapetus", so was Hermes, to use Shelley's translation "A schemer subtle beyond all belief" and "A night-watching and door-waylaying thief, Who 'mongst the Gods was soon about to thieve, and other glorious actions to achieve". The very day he was born, Hermes went up like Prometheus to the empyrean heights and stole, not Apollo's fire, but Apollo's cattle. Like the Prometheus of the *Protagoras*, he was tried by Zeus and the Olympians, but was saved by his wit and wily talk. The stealing of Apollo's kine, if properly interpreted, stands for the stealing of Apollo's fire. Before the horse, an Aryan animal, was introduced, Apollo was not a charioteer drawn by fiery-footed steeds, but a waggoner drawn by oxen. The kine as symbol of fire still survive in such metaphors as "fire grazes", common to some languages such as the spoken Arabic of Egypt: "el nar ter'a". The cycle of the bull itself is even more intimately connected with the birth of the cosmos, an emblem of the male Demiurge who is usually immolated and mutilated as in the Mithraic tradition. The bull is typified by Prometheus himself. So much for the broad-fronted oxen of the Sun which Hermes stole on his [illegible]

Such are the facts related to Sirius whose extraordinary lustre led Aristarchus of Samos to call it another sun, and caused no less a philosopher than Kant himself to regard it as the central pivot of the entire universe.

As Zeus and Prometheus, and for that matter the Olympians and the Titans, represented different entities in the higher and lower natures of the supreme Deity himself as he presented himself to the Greek mind, so were Seth and Osiris two aspects of the same divinity, Sirius, the most powerful potentate in ancient Egypt, at least under the New Kingdom. The bewilderment of the Egyptologist between a fully benign Seth and an evil Seth illustrates this ambivalence in the character of the deity whose seat was the Dog-star. The fully benign Seth is Manetho's Sothis or Thoth enthroned as the supreme Deity. The evil Seth suggests that Seth himself, by etymology cognate with "set" meaning fire, at one stage of his career performed the same fertility functions attributed to his younger brother Asar or Osiris. The same ambivalence may be illustrated by the opposite applications of the fundamental root of all divinity in the ancient world. Whether his name be Set or Sothis or Thoth or Tehuti or Tat, the evil Sirius is the basis of the Semitic Shaytan (*i.e.* Satan) and of the Indo-European Titanos, whose etymology cannot be construed [1]. The good Seth, on the other hand, is traceable in words like Zeus, Theos and Deus. Deus and Diabolus, we know, stem from the same root, and the same ambivalence attaches itself to the Daevas, who are in Vedic literature benign deities but are diabolical entities in Iranian religion. The same applies to Daemons. Like Seth, Osiris also reveals this dual status. Asar is the Serpent; he is the Son of Ra. The Serpent and the Son are the same figure. The Vedas give us the evil Asuras who militate against the Daevas as the Titans militated against the Olympians; but the Avesta gives us an Ahura of an elevated nature who exterminates evil by exterminating the Daevas [2].

---

[1] Jane Harrison, *Prolegomena*.

[2] This is fully discussed by Herzfeld in his *Zoroaster*.

Dog or the Bird, it is almost invariably a case of stealing fire, very often from the sun and for the benefit of mankind. The Winged Hound or Flying Griffin of Aeschylus combines both in one (1).

The survival of the term "canicula", expressing the period of maximum heat, is by itself sufficient to prove that the heliac ascension of Canis Major during the summer solstice was directly associated with the descent of that heat on earth. So is the testimony of ancient writers who sang of Sirius such as Homer, Hesiod, Horace, Virgil, and Manilius (2). There was also a strong tradition that the rise of Sirius brought along with it diseases and epidemics (3).

(1) Salamon Reinach: "But in primitive mythologies, the eagle was the bird who mounted to the sun and took fire from it to give to man; on the other hand, the eagle was immune from thunderbolts, and was nailed to the summits of buildings to serve as a lightning conductor Hence the name of the eagles (*aetoi*) given to the pediments of Greek temples; hence also the legend of Prometheus, which corresponds to the following ingenuous dialogue: 'Why was this eagle crucified?' 'To punish him for stealing fire from heaven'. Originally, the legend was that of the eagle's chastisement. When for the eagle, *prometheus* (the far-seeing, a name given to the eagle as a bird of augury), men substituted the Titan, Prometheus, the eagle remained in the legend, but as executioner instead of victim". *Orpheus*, p. 90, Liveright, New York, 1930. Reinach's theory that Prometheus and his Eagle are the same figure is also expounded in his *Cults, Myths and Religions*, "Aetus Prometheus". Though it is substantially correct, this theory in Reinach does not repose on the plausible interpretation of the primitive fertility symbol as the anthropomorphic representation of the male genitalia being devoured by their zoomorphic representation. In Vedic literature the Eagle Cayatri steals the fire from the sun.

(2) *Cf.* Plutarch. *op. cit.*, XI, 1, 2; XIV, 7; XVIII, 1; XXI, 2; XXII, 3; LXI; LXXI, 3. Hesiod, *Works and Days*, 413 et seq., Loeb, p. 33; *loc. cit.*, 584 et seq., Loeb, p. 47; *The Shield of Herakles*, 145 et seq., Loeb, p. 231; *loc. cit.* 397, Loeb, p. 247; *vide* Pluche, *Histoire du ciel*, tome I, pp. 40 and 50, Paris 1778.

(3) In Theon of Alexandria, the canicula began twenty days before the rise of Sirius and ended twenty days after it, a period which brought rabies to dogs and fever to men.

those phenomena occurred [1]. It is my contention that this heliac flight of Sirius was the basis of the story of Prometheus the Firegiver climbing up to the empyreum and lighting his torch from the wheels of the Sun's chariot. It is equally the basis of the story of Deukalion and the destruction of mankind by the Flood and of all other stories constructed on the same pattern. In Egypt, where the Nile was controlled as early as the third millennium B.C., the cycle of the flood ceased to be associated with the destruction of mankind. Sirius came to be regarded as the seat of the benign deity Thoth who is Tehuti, the Dog, regulator of Egyptian agriculture. But in Mesopotamia, where the ravages of the deluge never ceased to be experienced annually, the Flood legend was more strongly connected with the destruction of mankind. Its centre was also Sirius, called Izi, patron of the potters and brick-layers in whose honour his devotees held a Torch Festival in the month of the Canicula, similar to the Prometheia in Athens which took place in autumn, in the month of Pyanopsion, the rain season, close to the Hephaestia as Demosthenes tells us [2].

The ethnological work of Sir James Frazer and Edward Tyler on the origin of fire in the lore of primitive races, as well as in the more advanced systems of mythology, has shown that the descent of the First Fire on earth is consistently ascribed to the activities of a fire-stealing Dog or a fire-stealing Bird. Within the canine group, the Coyote, the Fox, and the Jackal are all possible variants. Of the Bird species, the Eagle, the Vulture, and the Bat are the most common types. But whether it be the

(1) Camille Flammarion, in his *Les Etoiles*, pp. 471-2 (Paris 1882), has pointed out that since 3285 B.C., when Sirius regulated the Egyptian calendar, it has altered its cycle. Canis Major no longer rises in the summer solstice but at the end of August. Nevertheless, our almanacs still indicate that the canicula falls between the 3rd of July and the 11th of August, a period which has no relation with the present reign of Sirius.

(2) Langdon. *The Babylonian Calendar.*

in an irrational cosmos as well as its complete mastery over the situation symbolized in the chaining of the Titans. In this respect Plato's Idealism is more Egyptian than Greek and, therefore, more advanced in monotheism.

The Egyptian origins of the story of Prometheus may be confirmed by the interpretation given to it by Diodorus Siculus who gives the following account:

> While Osiris and his army were thus employed, the Nile, they say, at the time of the rising of Sirius, which is the season when the river is usually at flood, breaking out of its banks inundated a large section of Egypt and covered that part where Prometheus was governor; and since practically everything in this district was destroyed, Prometheus was so grieved that he was on the point of quitting life wilfully. Because its water sweeps down so swiftly and with such violence the river was given the name of Aëtus (*i.e.* Eagle); but Heracles, being ever intent upon great enterprises and eager for the reputation of a manly spirit, speedily stopped the flood at its breach and turned the river back in its former course. Consequently certain of the Greek poets worked the incident into a myth, to the effect that Heracles had killed the eagle which was devouring the liver of Prometheus. The river in the earliest period bore the name Oceanê, which in Greek is Oceanus; then because of this flood, they say, it was called Aëtus, and still later it was called Aegyptus after a former king of the land (Bk. I, § 19, 1-4, Loeb vol. 1, pp. 59-61).

The Evhemeristic school, to which Diodorus belonged, generally rationalized religion by reducing divinities to historical persons and explaining myths by natural phenomena. In spite of many transformations, however, the basic relations of Prometheus with the Flood legend are preserved.

The cycle of Canis Major, the Great Dog Constellation, or simply Sirius as it is better known by its alpha star, was connected, both in Egypt and in Babylonia, with the descent of maximum heat and with the release of the annual flood, owing to its auroral rise and ascension towards the sun in the summer solstice when

frenzies inflame me", is the cry of one travailing with the Divine Efflux. Prometheus bound is the phallus of Zeus in agony, and Io, the Virgin of the World, whose other names are Asia, Hesione, Pandora, and occasionally Athene herself, is the female Demiurge or the First Woman who is to bring forth the cosmos, or the human race, or the Saviour who is to unbind man at the end of time and install the millennium, Horus-Herakles. The paradox of the situation is that, though the agency is titanic, the informing spirit is divine. The literature of Hermes Trismegistus has fully explored this mystery of the creation. The parentage of the Divine Child, Horus-Herakles, being at the centre of this mystery, was the subject of fruitless discussion by gods and men alike. The Trial of Isis in ancient Egypt over the obscure birth of Horus solved this issue. The formula reached was: Osiris was the agent, but the efflux was from Thoth.

As Osiris could not have been the incarnation of the Good Principle, so Seth, his torturer, could not have been identical with the Evil One. Seth is no other deity than Thoth himself, head of the Egyptian Ogdoad in the New Kingdom, whose sea we know from Manetho was Sothis or Sirius, the Dog-star that released the annual flood in the lore of ancient Egypt. The Pharaohs always called themselves after the head of the pantheon: the Thothmeses, the Amenheteps, the Ramseses, after Thoth, Ammon, and Ra. The Allfather, in any advanced system of monotheism, is of necessity a benign deity. No one called himself after the malefic Asar or Osiris, the Son of Ra and the sinning Demiurge.

The most substantial difference between the Greek approach to the story of the creation and the Egyptian approach is that the former insists on the anteriority of the Titans to the Olympians, or the anteriority of brute Matter to pure Mind, while in the latter, the Idea is enthroned from the beginning of time and the cthonic Demiurge is subordinated to it, now as the son of Ra, and now as the younger brother of Thoth. To the Greeks Zeus was the latest development representing the emergence of Mind

the other perfectly concrete, as implied in the concept of the First Woman. Whether she be one or the other, she is the object of dispute between the Allfather and the Demiurge, each trying to impregnate her or, in some cases, to animate her. Being pure Idea, the Allfather is unable to descend into generation without the help of some inferior agency. On the other hand, the Demiurge, having no fire of his own, is equally unable to impregnate the Virgin of the World without the help of some superior efflux. This problem is solved by yet another ambivalence: the agency is human but the efflux is divine. Hence the Theft of Fire or of the Anima Mundi.

This leads us to a new conception of the fertility myth. It suggests that the drama of the creation took place entirely within one being: the Allfather. His superior nature the Greeks called Zeus, while his inferior nature they called Prometheus. Prometheus is Zeus' own tool and agency to descend into generation and to create the cosmos. Zeus as Mind is unwilling to bring imperfection into being. But descending into generation is a Necessity stronger than Mind, and it can only be accomplished through Love, which is the inferior nature of the Deity. The Deity is at war with himself. His Mind punishes his Passion. The torture of Prometheus is an act of self-mutilation on the part of Zeus for having descended into generation.

If the stories of Osiris and Prometheus have any relation at all, an obscure episode in Aeschylus becomes clear at last, namely, the Io episode. Dramatically speaking, the Io episode which occupies one-third of the extant Promethean work of Aeschylus, is irrelevent. It interrupts the action needlessly. If its object is to forestall the birth of the Deliverer, then a choral ode or a Promethean speech would have fulfilled this purpose more adequately. We must, therefore, look for some more organic purpose in the episode of Io. Io roamed around the Promethean cliff, not to hear about her woeful wanderings, but, like Isis roaming around the Osirian pillar, to conceive in the spirit. Her cry: "Eleleu! Eleleu! Again the spasm and maddening

the perfection of Mind. He is commensurate with the Evil One, the author of imperfection in the universe. He is bound; he is mutilated. But he also plays the part of the Redeemer. By accepting the responsibility for the creation, he saved pure Mind from the charge of creating impure Matter and he saved impure Matter from the nihilistic tyranny of pure Mind. In fact he saved Mind from the sterility of unobjectified existence by clothing it in productive flesh, and he saved Matter from the sterility of inanimate being by suffusing it with immortal Mind.

This explains the ambivalent nature of the Demiurge. It makes him the centre of the archetypal tragedy of the creation As creator, he was a rebel against the divine Mind that could suffer no imperfection to exist and was therefore opposed to creation, at least in its present form. He was a sinner whose binding and mutilation were a moral necessity. But as creator too, he was a benefactor to both gods and men, a hero whose downfall was universally lamented, and whose unbinding and apotheosis were equally a moral necessity once he fully expiated his sin. The Plutarchian identification of Osiris with the Good Principle and of Seth with the Evil One, transforms the drama of the creation into a vast epopee, in which Good is all good and Evil is all evil, something akin to the cosmic struggle between Ormuzd and Ahriman in Zoroastrianism. Plutarch himself was an avowed Zoroastrian and a dualist (1). In rigorous dualism, as in rigorous monotheism, there is no room for compassion with the arch-sinner. The concept of the sinning god is a concept that has been lost to the modern world.

In the struggle between the Allfather and the Demiurge over the issue of the creation, a female Demiurge is needed to conceive the cosmos and to nourish it after its birth. This entity, like the male Demiurge himself, has an ambivalent nature and, in fact, two planes of existence, one highly abstract, as implied in the concept of the Minerva Mundi or the Virgin of the World.

(1) *De Iside et Osiride*, [illegible] et seq.

perish unless it duplicates itself or realizes itself in Matter, creation becomes an imperative Necessity, as imperative for the creator as it is for the creature. To solve this deadlock of the unwilling creator and the necessity of creation, an intermediary figure is called upon, a willing creator. This willing creator accepts the responsibility for the imperfections of the creation and, in this manner, exculpates the Allfather, the epitome of excellence, from soiling the perfect Idea with imperfect Matter. This willing creator must himself be, at least in part, imperfect and sufficiently removed from the Idea to undertake the creation of an imperfect cosmos. Indeed he must have roots in the physical world itself, which is covered by the concept of the Titan. At the same time, the willing creator, being the saviour of the Idea from perdition, is of necessity related to the unwilling creator by bonds of kinship. In some religions he occupied the position of the Younger Brother or the True Son of the father of "gods and men", as in the case of Osiris and Thammuz respectively; in others, he merely allied himself with the Allfather, but he is also described as anterior to him in stock and therefore with a stronger title to rule the cosmos, as in the case of Prometheus. In either case, he is the Demiourgos who, on a cosmic scale, brings into being the physical world, and, on a human scale, creates mankind. Where Matter exists, he impregnates it with a mysterious efflux which is not his own, for he has none to give, but the Allfather's. He animates it with divine fire which he steals, or thinks he steals, from the gods. For though the physical cosmos is base and full of shortcomings, the Anima Mundi is perfect and divine in origin.

The clash between Mind and Matter constitutes the essence of the struggle between the Allfather and the Demiurge. Between the unwilling Allfather and the willing Demiurge falls the cosmos. There can be no place for Matter where Mind rules supreme. Hence the Demiurge is perforce a sinning god, and must be chastised for assuming the creative functions of the Allfather, or at any rate for creating imperfect Matter and soiling

In another tradition, Isis took the shape of the far-famed cow Hathor (*i.e.* the House of Horus). The wanderings of Hathor form an important part of the cycle of Osiris. Like Io, Hathor was to conceive by the mysterious efflux and give birth to the Herakles of the Egyptian pantheon, Horus, among the papyrus swamps of the Delta where she suckled the divine infant and hid him from the wrath of Seth.

Such correspondences between the myth of Osiris and the myth of Prometheus are too close to be overlooked. There is no extant account of any Theft of Fire in the story of Osiris, and his cycle is entirely the cycle of generation. He was the mutilated fertility hero whose body was dismembered by Seth and whose parts were scattered all over the country and every province claimed possession of his head or genitalia to boast of the fertility of its soil. Like Prometheus, he was the founder of civilization and the giver of the arts and sciences to mankind. Apart from his supervision over vegetation, his creative functions are established by the fact that he created the First Man or the First Woman from the spittle of Ra mixed with earth.

Plutarch's estimate of the issue between Seth and Osiris has misled many inquirers into Egyptian religion. It is generally understood that, because Osiris was the fertility deity, he was the incarnation of the Good Principle, while his enemy Seth is that of the Evil One. This reverses the roles they play in the drama of the creation. Osiris was identical, not with the Good, but with the Evil Principle, precisely because he was the fertility deity. For in any system of religion advanced in monotheism, the task of creation is incumbent on, or rather vested in, the supreme deity, the Allfather. Being himself the sum-total of perfection, the Allfather, like Plato's Mind in the *Timaeus*, sees that creation involves, as it always does, a descent of the perfect Idea into imperfect Matter, and is therefore opposed to it. This opposition is commonly interpreted as "the jealousy of the gods", a motive which Plato has taken pains to refute. But as the Idea, with all its perfection, remains a poor potency, [illegible] even to

Prometheus was not always bound on Caucasus. In Hesiod he was bound into a pillar or a shaft. This is an indication that, like all the elemental deities of the ancient world, he passed through the tree-pillar stage. The binding of Prometheus to or into the tree-pillar is later revived in the literature of the Gnostics, particularly Zosimus and Jamblicus. It explains the curious presence of the tree in bas-reliefs and vase-paintings dealing with the popular theme of the deliverance of Prometheus.

After the downfall of Osiris, Isis, his sister and wife, filled the valley with lamentation, and her tears caused the flood of the Nile. She scoured the earth searching for Osiris, until she learned that he was bound in the tree-pillar at Byblos. There she took the form of an Eagle and fluttered around the Osirian pillar. In doing so, she bore immaculately the young Horus, who was destined to be the avenger of the chained hero. When he grows up, Horus accomplishes labours similar to those of Herakles and grapples with Seth.

Isis is the Eagle fluttering around the chained Prometheus and perpetually devouring his liver. This is the inner meaning of Hesiod's peroration, in the course of his Promethean account, on the role of woman in devouring man's happiness. If the scourge of Epimetheus is Pandora, the scourge of Prometheus is the Eagle. Pandora and the Eagle are interchangeable because they perform the same function. Another zoomorphic symbol of the female principle of generation is the sacred bird sometimes known as the ibis and sometimes as the bennu bird. It was the symbol of the First Woman in ancient Egypt and was the basis of Venus and probably of Pandora herself. In Herodotus the ibis was sacred to the Egyptians because it devoured the serpents in the spring. The struggle between the Eagle and the Serpent is but an offshoot of this primitive pattern in which the male fertility principle is identified with the Serpent, the female, with the Eagle. It is noteworthy that in some of the popular variations on the story of artificial creation, the Alchemist manufactures a beautiful bird which he tries to endow with life, but the bird crumbles to pieces.

In the Egyptian fertility cycle Seth is at war with his younger brother Osiris. Unable to defeat him by force, Seth resorts to a subterfuge. In collaboration with the seventy-two gods of the valley he manufactures a beautiful coffer, all wrought with gold, precisely to the measure of Osiris. He holds a banquet at Netar to which he invites Osiris and all the members of the pantheon. When Osiris' judgment is overpowered by wine, Seth announces that the golden coffer is his gift to whomsoever finds it to his size. As the coffer is especially designed for Osiris, it falls to his lot. But while he is lying inside the coffer to try out his size, Seth and his confederates close it, seal it, then throw it into the Nile.

This episode is strongly reminiscent of Pandora and her pithos or pyxis. As Pandora with her pithos was the gift of Zeus and "all the Olympians" to Epimetheus, so was the golden coffer the gift of Seth and the seventy-two gods to the intoxicated Osiris. The special emphasis laid in the two accounts on the splendour of the gift is significant. Epimetheus is Prometheus' lower self or his weaker nature. He is the inebriated Osiris who lost his foresight through Methe or drunkenness, and the coffer of Osiris is at once Pandora and her pithos. This Methe element, though it does not feature in the Greek myth, is a fundamental motif which is preserved in some of the later variants (1).

The coffer of Osiris floated on the waves of the Nile down to the Mediterranean, where it drifted to the shores of Byblos in Phoenicia. There, an erica tree shot up containing the coffer, and thus Osiris was bound in the tree. It was such a beautiful tree that the queen of Byblos, Astarte, ordered it to be cut and placed in the middle of her temple or palace.

(1) The Methe motif is confirmed in the Hellenic world by Herodotus ([illegible]. II, 156) who says that Isis wedded Dionysus, and by Anticleides who calls Isis the daughter of Prometheus and adds that she was wedded to Dionysus, *i.e.* Osiris after the banquet (Plutarch, *De Iside et Osiride*, 365. c. 37, Loeb V. p. 91).

and not an indigenous deity. At no time was there a recognized "cult" of Prometheus in Greece (1). Even in the age of Aeschylus, when he is most heard of, his worship was restricted to the Keramaikos and the Akademeia. The pre-Hellenic origins of Prometheus are discussed by Pausanias who places Prometheus even before the Pelasgians and "those called at Athens aboriginals" (2).

In the lore of the ancient world, there are several parallels to the myth of the suffering Titan, which, if considered in their totality, may help to clear up some of the obscurities regarding the name and nature of Prometheus. They mainly belong to the fertility cycle, the cycle of the sinning god, as Frazer has termed it, whose theme is the creation. Though the setting of the story of the creation is modified according to the ethnic centre it flourished in, the archetypal pattern remains always the same, because it alone gives adequate expression to the archetypal theme of the creation.

1

The archetypal pattern from which all fertility cycles are derived is the cycle of the ancient Egyptian trinity, Osiris, Isis and Horus. As reconstructed by Plutarch (3), it contains several fundamental motifs which have their counterparts in the myth of Prometheus and Epimetheus. They are (*a*) Pandora's box, (*b*) the binding and mutilation of the hero, (*c*) the Eagle fluttering around the chained hero, (*d*) the wanderings of the Virgin Cow and the immaculate conception and birth of the Saviour, the "son mightier than his sire".

(1) Lucian. *Prometheus*: "In fact, there are temples to Zeus, to Apollo, to Hera, and to you Hermes, in sight everywhere, but nowhere, any to Prometheus": Farnell extends this to the other fire-divinity, Hephaestus, who had no cult in Greece: *Cults of the Greek States* vol. V pp. 374-390.

(2) *Description of Greece*, II. XIV. 4 (Loeb I. p. 323)

(3) *De Iside et Osiride*.

revolving wheel, to Atlas the dome of heaven, to Io the gadfly, to Epimetheus Pandora's pithos, and to Prometheus the liver gnawing vultures. It is hardly likely that they repeated themselves regarding the methods of torture. This means that in the Homeric age, the suffering Prometheus was better known as the suffering Tityos

The sin of Tityos, as explained by Homer, is not exactly that of Prometheus. Tityos stole, not the fire of Zeus, but his mistress, Leto: "For he dealt violently with Leto, the famous bed-fellow of Zeus", Homer says. However, in some of the variants of the myth of Prometheus, we are told of an illicit relation between the Titan and Athene, the famous daughter of Zeus. The rape of Athene by Prometheus is another concept justifying his binding and mutilation. The story of Leto, as given by Callimachus, is the same as the story of Io. Pursued by the lust of Zeus, she incurred the wrath of Hera, and through the Allfather's embraces she gave birth to the "son mightier than his sire" (1). She is Virgil's Latona, mother by Zeus of Apollo and Diana. The shift from Io to Athene will be explained in its proper place.

The locality assigned by Homer to Tityos, namely, Panopeus, is assigned by Pausanias to Prometheus (2). Homer's interest in the stature of Tityos, that "he covered nine roods as he lay", is later echoed by Philostratus in connexion with Prometheus (3).

Such correspondences between the cycle of the suffering Tityos and that of the suffering Titan reveal their identity. Other indications show that the fundamentals of the myth formed the core of the central fertility pattern common to all systems of religion in the ancient world. The minor role that Prometheus played in Greek mythology intimates that he was a naturalized,

(1) *Hymn to Delos* (Bohn, pp. 392 et seq.).
(2) *Description of Greece*, X. 4, 5 (Loeb vol. IV, pp. 385-7).
(3) *Life of Apollonius of Tyana*, II. 52 (Loeb I. p. 123).

THE ESSENTIAL PROMETHEUS

Some Preliminary Assumptions

BY

LOUIS AWAD, M. Litt., M.A., Ph.D.

Assistant Professor in English Cairo University

It is generally taken for granted that Prometheus is a post-Homeric divinity because he does not occur in Homer. Yet there are several indications that the Titan was known to Homer under a different name. In fact, there is sufficient evidence that Prometheus belongs to an antiquity considerably higher than Homer and that he was not altogether a native of Greece.

Some of the most important features of the myth of Prometheus are: (*a*) that he was a Titan, (*b*) that he was the son of Caia-Themis, (*c*) that he was bound by Zeus, and (*d*) that his liver was perpetually devoured by a vulture. When we read in Homer of Tityos that he was the "son of renowned Earth, lying on a levelled ground ... and vultures twain beset him on either side, and gnawed at his liver... but he drove them not away with his hands" [1], we have reason to suspect that Homer was using a form of the generic word Titanos to stand for Prometheus. The context is equally significant, as it is the catalogue of famous sinners suffering in the infernal regions, like Tantalus and Sisyphus.

The Greeks had a luxuriant imagination, especially when they dealt with the tortures of hell. To Tantalus they assigned unquenchable thirst, to Sisyphus the rolling rock, to Ixion the

Odyssey. XI. 576 et seq.; *cf.* Virgil's *Aeneid*. VI. 595 and *Culex*, 237.

et que l'Amour leur a causé mille maux — une démonstration qui est dans le goût de l'alexandrinisme et que Théocrite réussit à présenter avec talent. C'est pour atteindre ce but que le poète a complètement transformé le mythe traditionnel. Celui-ci, dès lors[1], devient une fable gracieuse, dépeinte dans un tableau idyllique.

[1] Cf. Prop. I, XX ; A. Chénier, Bucols. éd. Dimoff, p. 41.

de tout étalage d'érudition : pas d'aitiologie (1) religieuse ; pas d'abus de science géographique (2), ni mythologique (3). Il n'y a pas non plus de longueurs ni de digressions ; mais cela ne nous empêche point de trouver quelques exemples de pédantisme : le rappel des relations amicales qui unissent Héraclès et Télamon (4), l'attribution d'un arc scythe (5) au héros, l'indication de sa forme recourbée (6). Mais ces détails ne suffisent pas pour accuser Théocrite de trop d'érudition (7) alexandrine. Sa simplicité est, donc, indiscutable ; quant à son originalité, elle réside en ceci. Le poète a voulu simplement, comme il le dit en termes assez clairs (8), montrer par un exemple que mêmes les êtres d'une nature supérieure, tels qu'Héraclès, ont subi le joug de l'Amour

---

(1) Il ne dit pas un seul mot sur le culte d'Hylas ; le poète se contente de le compter parmi les bienheureux, XIII. 72. Remarquons qu'Apollonios dit seulement que la nymphe épouse Hylas sans expliquer si ce mariage a rendu l'époux immortel ou non. Mais si le Rhodien passe rapidement sur la divinisation d'Hylas, il enveloppe, pourtant, son enlèvement d'une certaine atmosphère sacrée. Ne célèbre-t-il pas le culte d'Artémis avec beaucoup d'éclat et de solennite ?

(2) Pas de villes, pas de montagnes, pas de sources, pas de peuples, comme chez Apollonios et Nicandre. Signalons, à ce propos, que l'énumération des sanctuaires d'Aphrodite, Idy. XV, 101, est à sa place dans le chant, consacré à glorifier la déesse ; que celle des héros et des peuples nommés à la fin du même hymne (137-143) ne doit pas être inspirée par un souci d'érudition mais par d'autres motifs Par exemple, le nombre considérable des fils d'Hécube est indique (139) pour faire valoir Hector, qui surpassait tous ses frères en mérite.

(3) Théocrite ne fait aucune allusion aux épisodes de Polyphemos, de Théiodamas, de Glaucos.

(4) Cf. Pindare. Ném., IV, 25 et suiv : Isthm. V. v. 37-38. Pourtant il est facile d'admettre que la parenthèse (Καὶ ἀστεμφεῖ Τελαμῶνι v. 37) est indispensable car elle présente Héraclès comme un de ceux qui estiment la vaillance et la grandeur d'âme : ce qui corrobore les vers 14-15 : d'autre part elle nous montre le héros fidèle et jaloux en amitié (ἀεὶ-38). Théocrite voulait donc prouver, par cette allusion mythologique, que l'amour d'Héraclès était très ardent.

(5) Cf. Lycoph., Alexand. v. 458.

(6) Cf. Esch., Choeph. v. 160; Herod. VII. 69 : Lycoph., Alexand 917.

(7) Legrand, Etude sur Théoc., pp. 83-103.

(8) Théoc., Idy. XIII, 1-6 : 60.

d'une manière bien théocritéenne : l'introduction de détails familiers dans l'exposé d'événements légendaires (1). En outre, ces deux détails démontrent la force de l'Amour. En effet, en insistant sur les inconvénients auxquels s'expose Héraclès amoureux, le poète réussit à prouver d'une manière frappante la puissance d'Eros. De ces inconvénients, passer pour un homme faible sans parole n'est pas le moindre. Ainsi les deux vers (73-74) apportent une innovation qui se rattache bien au début du récit. Quant au vers (75), il réhabilite Héraclès. Le héros ne pouvait rester sous le coup d'une accusation injuste λιποναυτής ; il rejoindra alors ses compagnons, en voyageant à pied, et cette fatigue endurée, conséquence indirecte de sa passion brûlante, sera une preuve de plus des rigueurs de l'amour (2).

Voilà, donc, la marque ineffaçable que Théocrite a imprimée sur la légende d'Hylas. Le poète, comme nous l'avons déjà constaté, dépouille la fable de tout merveilleux pour la transformer en un récit plus vraisemblable, plus réel qui emprunte ses éléments à la vie même. Il dépeint l'amour d'Héraclès tel qu'il l'a subi, il l'analyse rapidement, mais avec puissance. Pour lui, Héraclès n'a rien d'extraordinaire, ni de surhumain (3) ; il est le fils d'Amphitryon (4), une victime d'Eros. Il souffre sous le joug de ce dieu dont les traits sont infaillibles ; en somme, il n'est guère un héros, il perd toute qualité divine. La comparaison du poème avec le développement d'Apollonios au chant I, nous permet encore une fois d'apprécier la simplicité aussi bien que l'originalité du Syracusain. Son poème est net de toute intention didactique,

(1) Legrand, Etude sur Théoc., p. 90.

(2) *Ibid.*

(3) Cf. Idy. XXIV, 134 et suiv. *Contra*, Apollonios et Nicandre qui témoignent beaucoup de révérence pour la grandeur future de demi-dieu.

(4) Dans cette idylle XIII. 72. Héraclès est le fils d'Amphitryon mais ailleurs il est le fils de Zeus. Cf. Idy. XVII. 33 ; Idy. XXV, 159.

jeune garçon en pleurs, le consolaient par des douces paroles' (1). La scène a de la grâce sans manquer de naturel (2).

Autre innovation, beaucoup plus importante : les compagnons d'Héraclès, las de l'attendre, l'abandonnent sciemment ; et lui, après avoir cherché en vain le bel adolescent, gagne à pied le pays de Colchide et le Phase. Le premier de ces détails ne se trouve, à notre connaissance, chez aucun autre Alexandrin (3) ; le second détail ne se trouve nulle part. Expriment-ils, donc, une tradition obscure que notre poète a préférée aux autres en raison même de son obscurité ? Nous en doutons fort ; car Théocrite, en traitant ce sujet que traitèrent ses contemporains, le fait avec une simplicité sans égale (4). A notre avis, il imagine ces deux détails toujours en vue du même but ; d'autre part, c'est aussi une excellente façon de conclure son poème. Tout occupé d'Hylas, Théocrite n'a rien dit d'Héraclès avant d'avoir à peindre son chagrin ; ce trait commande la suite du récit. Les héros peuvent fort bien oublier celui qui les avait quittés à cause d'une vive inquiétude, sans avoir rien confié à ses amis. Pourtant (5) Türk estime incroyable que les Argonautes aient douté d'Héraclès. 'Mais montrer les compagnons d'un futur demi-dieu parlant de lui comme d'un homme ordinaire, prêter à une troupe de héros les sentiments de matelots quelconques, ce n'est qu'un cas particulier

(1) Theoc., XIII, v.v. 53-55.

(2) Theoc., XIII, 40 et suiv. Autour de la fontaine poussent l'ache, les joncs, le chiendent. Ce sont les plantes qui croissent naturellement dans les prairies et non pas les lis, les pavots, les fruits dont parle Properce, I, xx, 35-40.

(3) D'après l'auteur de Noces de Céyx et d'après Hérod., VII, 193, Héraclès fut abandonné en Magnésie, au lieu dit Aphetai, tandis qu'il était allé chercher de l'eau ; les textes ne disent pas d'une manière positive si l'abandon fut volontaire ou non. Chez V. Flaccus seul, les choses passent comme chez Théoc., à cetre différence près que les Argonautes avant de lever l'ancre, attendent Héraclès pendant huit jours.

(4) Comparé à Nicandre et à Apollonios, le Syracusain montre qu'il cherche la simplicité.

(5) Türk, De Hyla, p. 29.

père, tué misérablement par le héros. Théocrite, au contraire, ne fait aucune allusion ni à la mort du père, ni à la servitude du fils. Hylas va chercher l'eau pour Héraclès et Télamon, il le fait 'sua sponte'—comme un fils pieusement affectueux envers son père 'qui le chérit et qui veut que son enfant soit façonné selon son cœur et qu'il devienne enfin un vrai homme'.

A cette préoccupation : décrire ce sentiment profond et démontrer la puissance d'Eros, s'ajoute celle de transposer le mythe dans le ton de la vie quotidienne et de l'interpréter en 'scènes de genre'—pratique chère aux Alexandrins [1]. C'est pour cette raison que Théocrite apporte à la légende des innovations tout à fait personnelles.

Aux vers 58-59 Héraclès, en cherchant Hylas, l'appelle, 'trois fois' [2], de toute la force de son gosier profond et 'trois fois' l'enfant répond. Nous pouvons rapprocher cette idée de ce que disait Nicandre [3] : en Mysie, lors de la fête d'Hylas, un prêtre appelait par 'trois fois' le jeune homme. Il n'est pas impossible que Théocrite ait connu ce rituel, ou même les causes de son établissement et qu'il y ait conformé son récit d'une façon originale. Lui seul imagine qu'Hylas répond à Héraclès ; peut-être pour montrer que le bel adolescent aime tant son ami, qu'il préfère sa compagnie à la vie auprès des nymphes. Pourtant ces nymphes, habitantes de la fontaine, à qui le poète donne de jolis noms [4], sont très gracieuses ; Théocrite en trace un tableau charmant. Regardez comment elles reçoivent Hylas quand il tombe dans l'eau : 'Les nymphes, tenant sur leur genoux le

(1) Legrand, Bucs. Grecs, T. I. p. 169.

(2) Legrand, Etude sur Théoc., p. 99. Il est vraisemblable que Théocrite imite un passage de l'Iliade, XI, 462 : τρὶς μὲν ἔπειτ'ἤϋσεν ... τρὶς.δ'ἄϊεν. Cf. Prop., I. 20-49.

(3) Antoninos Liberalis, 26 : Cf. Servius, In Verg. Buc., VI, 43.

(4) Selon Türk, De Hyla. p. 27 : c'est Théocrite qui imagina ces noms : cependant ils existaient déjà dans d'autres textes. Euneika figure parmi les cinquante Néréides nommées par Hésiode : Theog., v. 240 et suiv. Cf. Suidas, S.V Sapho—Euneika fut une disciple de Sapho, Idy. XX. 1 : 42—la jeune citadine, qui meprise le berger, s'appelle Euneika.

pour raconter l'histoire de Théiodamas et d'Héraclès (v.v. 1212-1220), pour ajouter à la fable l'épisode de Polyphemos (v.v. 1243-1252), pour faire surgir Glaucos de la mer (v.v. 1310-1328) afin que celui-ci annonce aux Argonautes le destin des trois compagnons. Il fait encore une digression pour nous décrire la dispute entre Jason et Télamon. Théocrite suit des procédés de composition différents, parce que son but est tout autre.

En effet il veut uniquement nous dépeindre le rapt d'Hylas et la douleur d'Héraclès. Il consacre une grande partie de son poème à la description de l'amour du héros pour le gracieux adolescent ; et fait de cet amour le sentiment le plus noble qui puisse lier deux êtres (¹). Une simple comparaison entre lui et Apollonios, à ce propos, nous prouve la supériorité du Syracusain (²). Le Rhodien nous donne l'impression qu'Hylas sert Héraclès, comme s'il était son captif; il le suit comme un 'esclave' pour porter ses flèches et garder son arc (³) ; un peu plus loin, le poète ajoute

δὴ γάρ μιν τοίοισιν ἐν ἤθεσιν αὐτος ἔφερβεν (v. 1211).

Ce qui explique comment Héraclès avait élevé le bel enfant depuis le temps où celui-ci avait été enlevé de la maison de son

=sujets que traita Théocrite, l'enlèvement d'Hylas, Apollonios nous permet d'apprécier l'inconvénient de trop d'érudition. Apollonios voulut, sinon concilier les versions différentes qui avaient cours sur la légende, du moins nous laisser entendre qu'il les savait toutes".

(¹) Pour Héraclès, ce fut un devoir d'élever jusqu' à lui l'être aimé par un enseignement de chaque jour ; je ne crois pas que Théocrite ait voulu faire dans le poème l'apologie de la pédérastie tout au moins de la péderastie comme la comprennent les modernes. Voir, Marrou (H.), Hist. de l'Educ. dans l'Ant., Paris, 1948. Le savant consacre un chapitre entier à la pédérastie chez les Grecs où il donne une analyse minutieuse de la conception grecque à ce sujet. Il réussit à prouver que ce genre d'amour ne fut pour les Grecs 'qu'un idéal, fait de vertus'. Cf. Strab., X, 483 ; Plat., Conv., 178 a.

(²) Geoffroi : Idylles de Théocrite : Paris. 1843, p. 168.

(³) Apollon. Rhod., I. v. 131.

Cependant le fils d'Amphitryon, s'inquiétant au sujet de l'enfant, se mit en route, avec son arc recourbé à la mode scythique et sa massue, qu'il avait toujours dans sa main droite. Trois fois, il appela Hylas, de toute la force de son gosier profond. Trois fois l'enfant répondit; mais sa voix, venant du fond de l'eau, arriva toute grêle; et bien qu'il fût tout proche, il semblait éloigné. Alors Héraclès, plein du désir d'Hylas, s'agitait au milieu d'épines impraticables et dévorait une vaste étendue de pays, comme un lion carnassier se précipite de son repaire quand il entend de loin un faon bramer dans la montagne. Malheureux ceux qui aiment ! Que de peine il endure, à battre montagne et fourrés. Toutes les affaires de Jason ne venaient pour lui qu'en seconde ligne. Le navire, tout prêt pour le départ, était plein des demi-dieux qui, au milieu de la nuit, descendirent de nouveau les voiles, pour attendre Héraclès. Lui, cependant, allait où le menaient ses pieds, en proie à la folie d'amour. Voilà comment le bel Hylas est compté parmi les bienheureux. Quant à Héraclès, les héros le traitaient de matelot déserteur, parce qu'il avait abandonné Argo. C'est à pied qu'il gagna le pays des Colchiens et le Phase inhospitalier" (1).

Malgré les frappantes similitudes d'expressions chez Apollonios et Théocrite (2), nous remarquons que les détails de la légende diffèrent beaucoup de l'un à l'autre. En effet, le développement de la fable chez Apollonios fait partie d'une longue épopée, tandis qu'elle est présentée, chez le Syracusain, dans un autre genre poétique.

Le premier, donc, s'attache étroitement aux règles de l'art épique—'ars continetur variis rebus quam plurimis collegendis, ut legentium animi copiosa expeditionis clarissimae imagine delectuntur' (3). Aussi interrompt-il (4) le cours de son récit

(1) Idy., XIII, v.v. 10 et suiv.

(2) Cf. Théoc, XIII, v.v. 36, 49, 63, 70 et Apollon. Rhod., I, v.v. 1209, 1249, 1552, 1264. Signalons encore que, de la comparaison entre le récit au Chant I et l'idylle XIII, il ressort avec certitude que l'un des deux poètes s'inspira de l'autre. Pourtant il est difficile de savoir lequel écrivit le premier. Voir. Gow. Class. Quart., 1942, p. 10.

(3) Türk. De Hyla. p. 26.

(4) Voir. Legrand. Etude sur Theocrite p. 92 : "Traitant un des=

(c) *Chez Théocrite.*

L'idylle XIII—Hylas—est un très beau poème (carmen pulcherrimum) [1], écrit avec une finesse, bien supérieure à celle d'Apollonios de Rhodes [2]. Théocrite commence par la constatation de cette loi fatale : " L'amour fut mis au monde pour tous ; personne n'y échappe ; sa puissance est écrasante même pour le fils d'Amphitryon au cœur de fer qui ne recula pas devant le lion féroce mais fut frappé au cœur par Eros. Il aima le gracieux Hylas, il lui enseigna, comme un père à son fils chéri, tout ce que lui-même avait appris pour devenir 'fortissimus græcorum vir'. Jamais il ne le quittait. " Aussi, quand Jason, accompagné des Grecs les plus braves, prit la mer pour aller conquérir la toison d'or, Hylas suivit-il Héraclès et descendit-il avec lui au rivage, vers le navire Argo. Poussés trois jours par le souffle du vent du Sud, les Argonautes atteignirent l'Hellespont et mouillèrent dans la Propontide à Kios. Débarqués sur la plage, ils préparèrent le repas du soir. Alors le blond Hylas alla chercher l'eau nécessaire au repas pour Héraclès et Télamon, couple d'amis [3] qui toujours mangeaient à une même table ; il avait un vase d'airain. Bientôt il remarqua une source dans un lieu bas ; autour poussaient en abondance des herbes diverses. Au milieu de l'eau, des Nymphes formaient un chœur. Comme le jeune homme approchait de l'eau la vaste cruche, pressé de l'y plonger, toutes s'attachèrent à sa main ; car toutes sentirent leur tendre cœur emporté par l'amour vers l'enfant argien [4]. Celui-ci tomba dans l'eau tout d'un coup. Les nymphes tenaient sur leurs genoux le jeune garçon en pleurs et le consolaient par des douces paroles.

(1) Türk, De Hyla, p. 24.

(2) Wissowa, S. V. Hylas, T. IX. p. 110 : Cf. Wilamowitz, Textgeschichte Der Griechischen Bukoliker, 1906, p. 177.

(3) Cf. Pindare qui rappelle plusieurs fois les rapports d'amitié entre Héraclès et Télamon, Ném., IV, 25 et suiv ; Isthm., V, 37-38.

(4) 'Αργεῖος signifie 'Grec', non pas d'Argos ; aussi ne doit-on pas en conclure que Théocrite prenait Hylas pour un Argien, compatriote d'Héraclès. *Contra*, Hygin, fable XIV, p. 11 : 'Hylas, ephebus, ex Oechalia, alii aiunt ex Argis'

pas la sienne [1]. Héraclès est, en somme, le héros épique qui menace de bouleverser [2] le pays des Mysiens et qui achevèra les douze travaux [3], à la suite desquels il montera au ciel et sera un des immortels [4]. Cette façon de concevoir Héraclès et de développer ainsi l'ensemble de la fable s'explique, d'ailleurs, facilement : le Rhodien traite de la légende dans une épopée et pense, avant tout, à suivre les lois épiques pour s'approcher d'Homère—son maître.

(1) Apollon. Rhod., v. 1291.
(2) Ibid., v. 1348-1349.
(3) Ibid., v. 1381.
(4) Ibid., v. 1319.

ne renferme rien qui puisse confirmer l'idée de Türk. En effet, l'épithète (δῖος) peut être une simple allusion à l'habileté professionnelle du laboureur [1] et non pas à sa race. Nonnus, en outre, parle de Theiodamas comme d'un simple paysan : (ἀροτριῶντά τινα θειοδάμαντα οὕτω λεγόμενον) [2].

A ces innovations qu'apporte Apollonios, poète épique, s'ajoutent celles qui sont le résultat de l'érudition, trait caractéristique des poètes Alexandrins. La science mythologique et géographique se déploie, en effet, partout dans son chant. Nous rencontrons, çà et là, des noms de déesses, de peuples, de héros, de villes, de montagnes, de sources et de fleuves ; même un nom commun devient chez lui un nom propre tel le mot (Πηγαί) qui est pris comme nom d'une source particulière. Le poète a tellement lu, tellement étudié qu'il donne dans son récit certains [3] détails que nous ne lisons pas ailleurs.

Mais malgré les innovations qu'Apollonios apporte à la fable, malgré le talent dont il fait preuve quand il fond les versions multiples [4] pour en donner une originale, nous ne pouvons pas prétendre qu'il laisse une empreinte personnelle sur la légende. Le poète reste, dans l'ensemble, attaché à la tradition épique ; le fond de son récit ressemble à celui de Kinéthon [5]. Héraclès, pour lui, est encore un héros puissant qui tient une place prépondérante dans la légende. Apollonios décrit sa force et sa vigueur ; il en fait le rival redoutable de Jason et celui-ci veut le laisser exprès en Mysie pour que 'la gloire du héros n'obscurcisse

---

(1) Cf. Théoc. XXV, v. 51 : δῖος ἀροτρεύς ; Homère : Ody., XIV, v. 3, v. 413 : XV, v. 301 : XVI, v 1—Eumée appelé δῖος ὑφορβός.

(2) Cité d'après Türk. De Hyla, p. 40.

(3) Par exemple, une seule nymphe entraîne Hylas et l'épouse.

(4) Türk, De Hyla, pp. 19-20 - étudie le procédé qui consiste à fondre deux récits différents pour en faire un. A maintes reprises, Apollonios suit ce procédé —les deux versions sur la nomination d'Héraclès comme chef ; les deux versions sur l'amour d'Hylas.

(5) Cf. Sch. Apollon. Rhod., I 1357.

identiques une douleur que seuls éprouvent les amants à la perte de leur amour. Nous pouvons, donc, avouer, comme nous l'avons déjà signalé, que Nicandre, à ce propos, est bien supérieur à Apollonios et qu'il fond les deux versions d'une façon plus heureuse : son récit présente moins d'incohérence et de confusion.

Un autre épisode intéressant qu'Apollonios rattache à la légende est celui de Theiodamas, père d'Hylas. Le Scholiaste [1] d'Apollonios nous raconte dans quelles circonstances Héraclès tua Theiodamas : "Le héros se trouvait chez les Dryopes, avec son fils Hyllos, qui mourait de faim ; son pédagogue Lichas l'avait abandonné. Héraclès demanda à Theiodamas un peu de nourriture qui lui fut refusée. Le héros, très en colère, lui arracha un de ses bœufs, l'immola et s'en régala Theiodamas fit une expédition contre Héracles . . . . le héros le tua enfin et prit son fils Hylas". Ajoutons que les fragments, qui nous restent des Aitia de Callimaque, font allusion à Theiodamas. Ils sont assez nombreux pour que nous constations que le poète s'étendît sur cette histoire de Theiodamas et d'Héraclès [2]. Apollonios, par contre, traita cet épisode avec concision et avec simplicité car le poète ne voulut pas, comme le dit Türk [3], répéter ce que son adversaire avait déjà décrit en détail. Apollonios, d'ailleurs, nous donne cette impression quand il déclare :

'αλλά τά μὲν τηλοῦ κεν ἀποπλαγξειεν ἀοιδῆς. [4]

Avant d'en finir avec Theiodamas nous devons signaler un mot qui a déjà attiré l'attention de Türk. Apollonios appelle le père d'Hylas 'le divin Theiodamas', tandisque Callimaque le représente comme un simple laboureur. Fut-il donc le roi des Dryopes, comme le pense Türk [5] ? ou non ? A vrai dire le texte

---

(1) Sch. Apollon. Rhod., I. v. 12[illegible]2

(2) Cf. Sch. Apollon. Rhod. I. v. 1212 : τούτων δὲ καὶ ὁ Καλλίμαχος μέμνηται

(3) Türk, De Hyla, p. 3[illegible].

(4) Apollon. Rhod., Ch. I [illegible] 122[illegible].

(5) Türk, De Hyla, p. [illegible].

d'Hylas, nous permet d'aboutir à la même conclusion. Cette constatation du poète, 'Hylas aimé de Polyphemos et non pas d'Héraclès', montre qu'il connut aussi deux versions de cette légende et qu'il choisit la moins courante. C'est pourquoi nous partageons l'avis de Türk [1] : la légende qui donne Polyphemos comme amant du bel adolescent, n'est pas une invention d'Apollonios, mais l'originalité du poète réside uniquement dans la façon de fondre les deux versions déjà connues et d'introduire le personnage de Polyphemos, tout en conservant à Héraclès son rôle traditionnel de héros. En effet, il réussit, dans une certaine mesure, à passer sous silence ce qu'il avait lu sur l'amour de Polyphemos; il se contente de faire participer celui-ci à la recherche d'Hylas. L'empressement de Polyphemos s'explique logiquement. Tout d'abord, il est 'le seul' parmi tous ses compagnons qui entendit crier le jeune homme; d'autre part il est un parent par alliance d'Héraclès [2]. En outre, si nous nous demandons pourquoi Polyphemos ne quitte pas la Mysie avec les autres Argonautes, le poète nous donne facilement la réponse: c'est l'ordre de Zeus qu'il reste pour fonder la ville illustre de Kios [3]. Ce ne serait, donc, pas par amour pour Hylas. Pourtant nous avons quelquefois l'impression que le sentiment de Polyphemos pour le jeune homme n'est pas moins ardent que celui d'Héraclès. En deux passages [4] exactement symétriques, le poète exprime avec la même force et dans des termes presque

(1) Türk, De Hyla., p. 21-22.

(2) Sch. Apollon. Rhod., v. I, 124 :

... ... γυναῖκα δὲ ἔσχεν ὁ Πολύφημος Λαονόμην, Ἡρακλέους ἀδελφήν, Ἀμφιτρύωνος καὶ Ἀλκμήνης θυγατέρα.

(3) La fondation de cette ville est très contestée. Cf. Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1177. C'est une ville de Mysie, ainsi nommée de Kios, chef d'une colonie de Milésiens, comme le raconte Aristote dans sa constitution de Cos.

Selon Strabon, 483, 52, Kios, fils d'Olympos, était un compagnon d'Héraclès, c'est à son retour de Colchide qu'il fonda la ville à laquelle il donna son nom et qui plus tard fut appelée (Pruses). D'autre part, Apollonios, I. v. 1347, dit que Polyphemos doit fonder cette ville.

(4) Ch. I. v.v. 1240-1260 : v.v. 1274-1285.

a fait son époux par amour. C'est à cause de leurs courses errantes à sa recherche que les deux héros ont été abandonnés'. Ayant ainsi parlé, Glaucos se précipita au fond de la mer. Les héros s'embrassèrent et la concorde fut rétablie parmi eux ; ils continuèrent leur voyage.

Quant aux deux héros abandonnés, la volonté de Zeus était que l'un Polyphemos fondât, chez les Mysiens une ville du même nom que le fleuve qui la baigne, et que l'autre partît pour achever les durs travaux imposés par Eurysthée. Mais Héraclès menaça de bouleverser avant de partir, le pays des Mysiens, si on ne découvrait pas ce qu'était devenu Hylas, qu'il fût mort ou vif. Les Mysiens donnèrent en otage à Héraclès des enfants choisis parmi les notables du peuple, et ils s'engagèrent par serment à ne jamais cesser leur travail de recherche. Voilà pourquoi les habitants de Kios recherchent encore maintenant Hylas, fils de Theiodamas et s'intéressent à Trachis, la ville bien construite. Car c'est là qu'Héraclès installa les enfants que les Mysiens lui avaient donnés en otage" (¹).

Apollonios, en poète épique, introduit dans la fable, comme nous le voyons, beaucoup d'épisodes, et fait de multiples digressions. Par exemple, quand il mentionne Theiodamas, le poète donne les détails de l'enlèvement d'Hylas après la mort de son père ; de même, il rattache à la dispute entre Jason et Télamon au sujet d'Héraclès l'anecdote des deux fils du Thrace Borée. Mais de tous les épisodes qu'Apollonios ajoute à la légende, celui de Polyphemos retient particulièrement notre attention.

Cet Argonaute cherche Hylas (1243-1252) et manifeste à sa disparition autant de douleur qu'Héraclès (1260-1272). Le rôle que joue Polyphemos, chez Apollonios, nous porte à croire qu'il y avait deux versions différentes sur l'amour d'Hylas—dans l'une il fut aimé de Polyphemos, dans l'autre d'Héraclès. D'autre part, le fragment de Socrate, qui fait une allusion nette à l'amour

(¹) Apollon. Rhod., I, v.v. 1177-1357.

Polyphemos l'entendit, lui, qui avait fait route plus avant, car il attendait le retour du grand Héraclès. Il s'avança en hâte vers les sources. Dégaînant sa grande épée, il se mit à la recherche d'Hylas pour le sauver des bêtes sauvages ou pour le libérer des brigands. Il allait ainsi, brandissant son épée nue dans sa main, quand il rencontra sur sa route Héraclès. Aussitôt, il lui annonça le malheur déplorable qui venait d'arriver : ' Malheur ! Je vais, le premier de tous, te dire une nouvelle bien triste : Hylas, qui est allé à la source, ne revient pas sain et sauf. Mais des brigands l'ont saisi et l'entraînent de force, ou des bêtes le dévorent ; moi je l'ai entendu crier '. Héraclès, très ému de cette nouvelle, se mit en route, courant devant lui où le menaient ses pieds. Il poussait des cris qui retentissaient au loin. Au moment où l'étoile du matin commençait à briller, Tiphys ordonna de s'embarquer. Mais quand l'aurore sereine resplendit, les Argonautes s'aperçurent que, sans y prendre garde, ils avaient laissé leurs compagnons. Une violente querelle s'éleva entre eux, un tumulte affreux. Télamon accusait Jason d'avoir laissé Héraclès pour que sa gloire n'obscurcît pas la sienne. Ils seraient, certes, revenus en arrière, vers la terre des Mysiens, si les deux fils du Thrace Borée n'avaient interpellé Télamon par de dures paroles : infortunés ! Une terrible vengeance leur était réservée dans l'avenir, de la main d'Héraclès, pour avoir empêché qu'on allât à sa recherche. Mais, du fond de la mer, Glaucos apparut aux Argonautes. Il éleva la tête à la surface de l'eau et leur annonça ceci : ' Héraclès, selon le dessein du grand Zeus, ne doit pas aller à la ville d'Aietès mais retourner à Argos pour accomplir les douze travaux jusqu'au bout, suivant les ordres de l'injuste Eurysthée (1). Quant à Polyphemos, l'ordre fatal est qu'après avoir fondé une ville illustre chez les Mysiens, à l'embouchure du Cios, il achève son destin dans le pays immense des Chalybes (2). Pour Hylas, une nymphe divine en

(1) *Contra*, Chant I, v. 122 et suiv. Après avoir pris vivant le sanglier du marais d'Erymanthos, Héraclès partit avec les Argonautes, par sa propre volonté, sans l'ordre d'Eurysthée.

(2) Cf. Hygin., table, XIV, 25 : Condita in Moesia civitate periit apud Chalybas.

(b) *Chez Apollonios de Rhodes.*

Il nous donne, sur l'aventure d'Hylas, le récit le plus long et le plus riche en détails ; en voici les grandes lignes.

" Quand les Argonautes arrivèrent aux habitations de la terre de Kios, près du mont 'Arganthoneios' et de l'embouchure du Cios, les Mysiens, habitants du pays les reçurent avec hospitalité. Pendant que les héros préparaient le festin, Héraclès partit pour la forêt; il avait hâte de se fabriquer, avant tout, une rame. De son côté, Hylas [1], muni d'un vase d'airain, s'était écarté de l'assemblée des héros, à la recherche du jaillissement sacré d'une source pour puiser l'eau nécessaire au repas d'Héraclès. En effet, dès sa petite enfance, il avait été élevé par Héraclès dans ces habitudes, depuis le temps où celui-ci l'avait enlevé de la maison de son père, le divin Theiodamas, tué misérablement au pays des Dryopes par le héros, à la suite de leur querelle au sujet d'un bœuf de labour. Or, Hylas arriva bien vite à une fontaine que les habitants du voisinage appellent 'les sources'. A ce moment, des chœurs de nymphes y étaient installés; car toutes, tant qu'elles étaient, habitantes de ce riant promontoire, elles avaient soin, chaque nuit, de célébrer Artémis par leurs chants. Toutes celles qui habitaient les hauteurs ou les grottes des montagnes ou les forêts arrivaient de loin ; et, de la source aux belles ondes, venait de s'élever la nymphe de la fontaine. Elle aperçut Hylas près d'elle, resplendissant de beauté et de grâces séduisantes. Cypris frappa le cœur de la nymphe. Alors dès qu'Hylas eut plongé son vase dans le courant, dès que l'eau commença à s'engloutir avec bruit dans l'airain sonore, aussitôt la nymphe lui mit sur le cou son bras gauche, pleine de désir de baiser sa bouche délicate ; de sa main droite, le saisissant au coude, elle l'entraîna au milieu du tourbillon d'eau. Il cria ; seul, parmi tous ses compagnons,

(1) Il fut déjà signalé aux vers 131 et suiv :

... ... σὺν καὶ οἱ Ὕλας κίεν ἐσθλὸς ὀπάων,
πρωθήβης ἰῶν τε φορεὺς φύλακός τε βιοῖο,

explique ainsi. Le poète avait trouvé, chez l'auteur où il puisa sa légende, que le fleuve Ascanius baignait toute la région : ensuite il avait lu qu'Hylas fut entraîné par les Nymphes dans une source quelconque. Il voulut faire entrer ces deux récits dans un seul ; et pour établir une relation entre le fleuve et les nymphes, il imagine que celles-ci étaient filles d'Ascanius. Cette explication est, pourtant, peu probante ; Türk n'aborde pas le point qui cause la confusion. Quel est le rapport entre le fleuve et la source ? Pourquoi le poète les signale-t-il l'un après l'autre ? Si dans l'esprit de Nicandre, la source, où Hylas disparaît, est la source du fleuve, il faut penser au lac d'Ascagne [1].

Or le mot (κρήνη) employé par le poète ne signifie "lac" ni non plus un endroit où peut naître un fleuve. A notre avis, cette confusion est due à l'érudition du poète. " A l'époque où il vivait, la recherche érudite ne se glisse-t-elle pas un peu partout ? Le récit, qu'on croirait fantaisiste, n'est-il pas en réalité un tissu de curiosités historiques, mythologiques, géographiques" [2] ? Nicandre se fait donc volontiers gloire de déployer son pédantisme dans ce récit.

En ce qui concerne la métamorphose d'Hylas en Echo, elle est une innovation créée par Nicandre. Dans la version ancienne aussi bien que dans le poème de Théocrite et d'Apollonios, Hylas disparaît dans la source et les nymphes [3] s'emparent de lui ; chez Nicandre elles le précipitent dans la fontaine et le métamorphosent en Echo. Mais cela s'explique très bien si nous n'oublions pas que le récit fait partie des Ἑτεροιούμενα.

(1) C'est là que nait le fleuve ; Cf. Verg., Georg., III, v. 270 ; Pline, V. 144 ; Prop., I. XX, v. 16.

(2) Legrand (Ph. E.), Etude sur Théoc. p. 83.

(3) Chez Apollonios, il s'agit d'une seule Nymphe ; chez Theocrite, elles sont trois.

qui prépare le repas pour ses compagnons ? A vrai dire, c'est une innovation heureuse que le poète ajoute, avec habileté, à la fable ancienne. En effet, étant le capitaine, Héraclès n'a pas le droit de quitter son navire ni ses compagnons ; il poursuivra son voyage jusqu'au bout. Sur ce point, Nicandre diffère de Théocrite chez qui Héraclès, considéré comme 'matelot déserteur' est abandonné par les Argonautes. Aux yeux de Nicandre, Héraclès demeure le type du héros qui remplit sa mission sans défaillance ; chez Théocrite, Héracles n'est guère un héros, il est un mortel qui cède à Eros ; et toutes les affaires de Jason ne viennent pour lui qu'en seconde ligne'.

Quant à la façon d'introduire Polyphemos dans le récit, elle est ingénieuse aussi bien qu'originale. Le poète passe sous silence l'autre version de la légende sur l'amour de Polyphemos pour Hylas ; il n'y fait aucune allusion. Polyhemos, chez lui, est un simple argonaute qui, sur les ordres du capitaine, reste en Mysie pour chercher Hylas. Ainsi le poète réussit à donner un récit cohérent. A ce propos il est plus adroit qu'Apollonios ; car celui-ci, en fondant les deux versions en une seule, nous laisse croire que Polyphemos est toujours l'amant d'Hylas autant qu'Héraclès. Ce qui laisse une impression de confusion et d'incohérence dans son récit (1). D'autre part, Nicandre est le seul à dire qu'Hylas fut le fils de Céyx. Peut-être apporte-t-il cette modification parce qu'il ne veut pas qu'Héraclès aime le fils d'un ennemi—Theiodamas ; cela pourrait affaiblir l'amour du héros pour Hylas. Il traiterait le bel adolescent comme un captif (2), pris par la force des armes. Aussi le poète remplace-t-il Theïodamas par Céyx.

Cependant le récit de Nicandre soulève une difficulté : le poète, en effet, raconte qu'Hylas arrive au fleuve ; et tout d'un coup il dit que les nymphes, filles d'Ascanius, le précipitent dans la source. Il y a, donc, dans son récit une confusion que Türk (3)

(1) Voir Sect. (b) de cet article.
(2) Voir Sect. (c) de cet article.
(3) Türk. De Hyla, p. 33.

(a) *Chez Nicandre.*

Il nous donne au livre II des Hétéroioumena ce récit [1] : " Héraclès partit avec les Argonautes qui le nommèrent 'chef'. Il emmena avec lui le plus bel adolescent, Hylas, fils de Ceyx [2]. Quand ils furent arrivés au détroit du Pont Euxin et eurent dépassé la montagne d'Arganthe, une tempête les obligea à jeter l'ancre et à s'arrêter. Héraclès prépara le repas pour ses compagnons et Hylas alla (ἔχων κρωσσόν) jusqu'au fleuve Ascanius pour puiser de l'eau. Quand les nymphes, filles de ce fleuve, l'aperçurent, elles brûlèrent d'amour pour lui. Tandis qu'il puisait l'eau, elles l'entraînèrent dans la source et Hylas disparut. Comme il ne revenait pas, Héraclès s'éloigna de ses compagnons et le chercha par toute la forêt en l'appelant à plusieurs reprises. Les nymphes, craignant qu'Héracles ne le trouvât caché chez elles, le changèrent en Echo ; et l'Echo répondit plusieurs fois à l'appel d'Héraclès. Celui-ci fit de son mieux pour trouver Hylas mais en vain. Alors il retourna au navire et poursuivit le voyage jusqu'au bout après avoir laissé Polyphemos dans cette région pour qu'il trouvât Hylas s'il pouvait. Or, Polyphemos mourut avant de le trouver. Les habitants du lieu font encore des sacrifices, près de la source, en honneur d'Hylas ; le prêtre l'appelle par son nom trois fois et trois fois l'Echo lui répond ".

Parmi ces détails, quelques-uns sont tout à fait personnels ; ils appartiennent à Nicandre seul. Le poète met Héraclès à la tête des Argonautes. Il est le chef de l'expédition [3]—'généreux et affable' comme il convient à tout grand chef. N'est-ce pas lui

(1) Antoninos Liberalis, 26 : ἱστορεῖ Νίκανδρος.

(2) Hylas a plusieurs généalogies. Chez Hellanicos. Sch. Théoc., XIII, v. 17-9-il est le fils de Theioménès ; chez Socrate, Sch. Théoc., XIII, v. 7, il est le fils d'Héraclès, mais ce n'est qu'une confusion du nom avec celui d'Hyllos. Selon la version la plus répandue, il est le fils de Theiodamas ; Cf. Apollon. Rhod., Callimaque : Hygin, fab. XIV.

(3) Cf. Apollod., I, 9, 19 ; Diod. Sic., IV. 41, 3 : *Contra*. Apollon. Rhod., I, v. 341 ; Théoc., v. XIII, 37.

Quant à Nicandre, à Apollonios de Rhodes et à Théocrite, ils sont les trois poètes importants à qui nous devons les détails caractéristiques du mythe. Tâchons, donc, d'examiner ces détails pour suivre l'évolution de la légende, connaître les modifications apportées par chaque poète et ainsi mieux juger de leur goût et de leur originalité.

3. — La légende chez les Alexandrins

De toutes les œuvres alexandrines qui traitèrent de la fable d'Hylas, il nous reste le développement d'Apollonios dans son premier chant et le poème XIII de Théocrite ; ils nous sont parvenus intégralement. D'autres auteurs, l'histoire nous a conservé quelques fragments maigres ou des débris de quelques vers (1).

Callimaque, dans les 'Aitia' fait allusion à l'épisode de Theiodamas et Héraclès ; il le rappelle encore dans l'hymne d'Artémis (v. 160). Mais le caractère très fragmentaire des livres des 'Origines' ne nous permet pas de dégager une idée nette sur cet exploit d'Héraclès.

L'histoire de Theiodamas fait-elle partie d'une série des aventures du héros ? Fut-elle suivie de l'enlèvement d'Hylas ? Dans ce livre même des 'Aitia' y avait-il une suite de récits relatifs au voyage des Argonautes ? Autant de questions dont la réponse aurait pu nous intéresser ! Or, le manque de textes grecs laisse la discussion ouverte malgré les arguments des critiques modernes, de nombreux arguments que nous ne voulons pas soulever de nouveau (2).

---

(1) Philétas., frag., Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1178 ; Sch. Théoc., XIII, v. 7 ; Euphorion. frag, Sch. Apollon. Rhod., I v. 1236 ; Sch. Théoc., XIII, v. 48 ; Onasos., frag, Sch. Appollon. Rhod : Une version unique sur la disparition d'Hylas—" "Ονασος δὲ ἐν πρώτῳ 'Αμαζονικῶν ἀληθέστερον τὴν ἱστορίαν ἐκτίθεται, οὐχ ἡρπάσθαι αὐτὸν ὑπὸ Νυμφῶν, ἀλλὰ κατηνέχθαι εἰς κρήνην καὶ οὕτως ἀποθανεῖν."

(2) Voir. Cahen (E.), Callimaque, Hymnes, Epigrs. frags., Paris, 1929, p. 40 et suiv. Il refute toutes les hypothèses de ses adversaires pour arriver à cette conclusion : 'Les Aitia contenaient un grand nombre de récits variés, où étaient rapportés des mythes, des traditions, des usages locaux, non pas une série des aventures des Argonautes'. Cf. Türk., De Hyla, p. 39-qui affirme que Callimaque n'avait pas abordé l'histoire de l'enlèvement d'Hylas. *Contra*, Schneider (O.), Callimachea, T. II, p. 79 et suiv. : Cf Couat, La Poésie Alex., p 161. Les fragments 410, 512, 546 ed. Schneider, dit-il, prouvent que Callimaque avait développé toute la fable d'Héraclès et d'Hylas depuis la rencontre d'Heraclès avec Theiodamas.

Kinéthon ([1]) semble avoir vécu et écrit son, 'Héraclée' aux environs de cette date. Nous aurions pu même fixer une date antérieure, mais le fragment d'Hésiode ([2]) ne nous permet pas de supposer l'existence d'une relation entre Héraclès et Hylas pendant ce voyage.

([1]) Il faut remarquer que la confusion, concernant la date et l'œuvre de Kinéthon et de Créophyle de Samos, n'infirme pas notre constatation. Car l'auteur de l'Héraclée et l'auteur de la Prise d'Oechalie vécurent au plus tard au 8e av. J. Ch.; Voir, Croiset (A et M)., Hist. de la Litt. Grec., T. I. p. 579; Cf. Röscher, Lexikon Der griech. Mythologie., Leipzig, 1884, S. V. Hylas—col. 2793.

En outre Wilamowitz, cité par Köhler, *op. cit.*, p. 262, croit fermement que: "Hylam antiquus in ipsa Graecia collocatum fuisse". *Contra*, Röscher, S. V. Hylas: "Erst die Alexandrinische Poesie hat die Hylassage in die Argonautensage aufgenomen".

([2]) Sch. Apollon. Rhod., I. v. 1289. Hésiode dans les Noces de Céyx dit qu'Héraclès, débarqué en Magnésie pour chercher de l'eau fut abandonné à l'endroit appelé (Aphetai) à cause de sa séparation (ἄφεσις) d'avec les héros en ce lieu. Le Scholiaste ajoute que Poseidippos, l'épigrammatiste et Phérécyde ont suivi ce récit. Cf. Herodote. VII. 193.

Théiomène, fut l'ami d'Héraclès. Eschyle(1) et Aristophane, eux aussi, ont dû connaître la légende de la disparition d'Hylas ou tout au moins le proverbe né de cette légende; puisqu'ils font allusions aux "vains appels" lancer pour "regretter un objet ardemment désiré" (2). Cependant chez ces auteurs nous ne trouvons rien qui puisse montrer le rapport entre cette légende et la fable des Argonautes. Il nous reste, en outre, quelques fragments qui soulèvent, à ce propos, une autre difficulté. Quand Onasos (3), dans le premier livre de ses Amazoniques parle d'Hylas, il nous donne l'impression que cette légende fut rattachée à l'aventure d'Héraclès contre les Amazones. Servius (4), de son côté, quand il aborde les diverses raisons de la guerre de Troie, mentionne Héraclès cherchant Hylas. Bien que le texte ne soit pas clair, nous y rencontrons Héraclès—'quaerentem Hylam'. Il est possible, dit-on (5), que le critique fasse allusion à une version ancienne, isolée, que l'on ne connaît guère. Il nous est difficile, pourtant, d'affirmer cette hypothèse car nous n'avons aucun texte qui nous ait conservé les traces d'une telle version. Ajoutons qu'à l'exception du fragment d'Onasos et du texte de Servius, toutes les traditions anciennes, en particulier les alexandrines, rattachent la légende d'Hylas à l'expédition des Argonautes. Nous pouvons, donc, constater que la légende mysienne fut mêlée à la fable grecque à partir du 8e siècle av. J. Ch. ou peut-être avant car

---

(1) Les Perses, v. 1054: "Frappe aussi ta poitrine et lance l'appel mysien"—telles sont les paroles de Xerxès regrettant sa gloire perdue.

(2) Aristop., Ploutos, v. 1127 "ποθεῖς τὸν οὐ παρόντα καὶ μάτην καλεῖς." Cf. Suidas, S. V. "Υλαν.

κραυγάζειν—une expression qui est devenue un proverbe—'Crier Hylas' veut dire chercher quelque chose en vain.

(3) Sch. Théoc., XIII, v. 46; Sch. Apollon. Rhod., I, 1236.

(4) Servius, In Verg. Aen., XI, v. 262: "Sunt qui volunt nec raptam esse a Paride Helenam, sed aliam causam belli fuisse Troiani, illam scilicet, quod Herculem, quærentem Hylam, suscipere noluerunt".

(5) Köhler, Analecta Hellanicea. p. 265.

s'était éloigné de ses compagnons, soit pour puiser de l'eau [1], soit pour chercher son ami [2], fut abandonné en Mysie ; les autres racontent qu'il resta avec les Argonautes jusqu'à la fin du voyage. Théocrite [3] seul dit que le matelot déserteur gagna à pieds le pays de Colchide.

Quoi qu'il en soit, nous pouvons, peut-être, tirer cette conclusion : si cette expédition eut jamais lieu, Héraclès y participa, sans doute, et arriva avec les Argonautes en Mysie, pays des gens de Kios, adorateurs d'Hylas.

Quant à la date où la légende d'Hylas fut mêlée au récit de l'expédition des Argonautes, le Scholiaste d'Apollonios nous l'indique ainsi [4] : " La plupart des fables et des légendes locales de source ancienne sont mêlées au récit de l'expédition par les poètes et les prosateurs postérieurs à Pindare ". C'est une constatation vague car elle ne donne aucune information sur les poètes antérieurs à Pindare ; elle n'indique non plus qui de ces poètes postérieurs mêla le premier cette légende à la fable argonautique. D'autre part, peu clairs sont les renseignements que nous donnent les écrivains anciens.

Kinéthon [5] nous raconte l'amour d'Héraclès pour Hylas ; il parle des otages qu'Héraclès exigea des gens de Kios après la perte d'Hylas. Hellanicos [6] n'ajoutait rien à ces détails ; son fragment est, au contraire, très maigre. Il y disait qu'Hylas, fils de

---

(1) Hésiode, les Noces de Céyx ; Poséidippos, l'épigrammatiste et Phérécyde ; Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289.

(2) Selon la tradition la plus répandue, Héraclès resta pour chercher Hylas.

(3) Théoc., XIII, v. 75. Mais Denys de Mitylène, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289 dit que " le héros navigua avec les guerriers jusqu'au pays des Colchidiens et aida Jason dans toutes les conjonctures concernant Médée ". Cf. Démarate, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289 ; Antimaque seul, dans son poème Lydé, dit qu'Héraclès fut mis à terre parce que le navire Argo était surchargé par le poids du héros.

(4) Sch. Apollon. Rhod., IV, v. 259.

(5) Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1357.

(6) Sch. Apollon. Rhod., I, v. 131 ; I, v. 1207.

Il est certain, d'après toutes les traditions (1), qu'Héraclès participa à l'expédition des Argonautes. Les opinions sont pourtant, diverses en ce qui concerne le rôle qu'il y joua et la distance qu'il parcourut avec ses compagnons.

Nicandre (2), Apollodore (3), et Diodore (4) constatent qu'Héraclès fut le chef de l'expédition ; les autres écrivains (5) le considèrent simplement comme un des Argonautes. Quant à Apollonios de Rhodes, il connut, semble-t-il, les deux versions, les fondit pour nous en donner une originale. C'est du moins l'impression que nous donne ce récit : " Les jeunes gens de leurs regards indiquèrent l'audacieux Hercule, assis au milieu d'eux, et d'une clameur unanime, ils l'invitèrent à prendre le commandement. Mais celui-ci de sa place éleva la main droite et leur parla ainsi : Que personne ne m'attribue cet honneur, car je ne consentirai pas à l'accepter et j'empêcherai tout autre de se lever comme chef parmi nous. " Que celui-là (Jason) qui nous a réunis commande aussi notre peuple " (6).

Pour l'itinéraire que suivit le héros, il est encore plus difficile de l'indiquer avec exactitude. Les uns disent qu'Héraclès, qui

---

(1) Hésiode, Les Noces de Céyx, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289 ; Kinéthon, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1347 ; Hellanicos, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1207 ; Cf. Sch. Théoc., XIII, v.v. 7-9. Tous disent qu'Héraclès participa à l'expédition, sauf Aristote, Polit., III, 13, qui raconte que le héros ne voulut pas accepter Jason pour chef et qu'il se retira de l'expédition, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289.

(2) Nicandre, Hétéroioumena, II, frag. 48 ; Sch. Apollon. Rhod. I, v. 1236—Ἡρακλῆς ὅτε μετὰ τῶν Ἀργοναυτῶν ἔπλει, στρατηγὸς ὑπ' αὐτῶν ἀποδειχθείς.

(3) Apollod., I, 9, 19 : Διονύσιος...... αὐτὸν (Héraclès) καὶ ἡγεμόνα φησὶ τῶν Ἀργοναυτῶν γενέσθαι.

(4) Diod. Sic., IV, 41, 3 : ... τοὺς δ' οὖν ἀριστεῖς συνελθόντας ἑλέσθαι σφῶν αὐτῶν στρατηγὸν Ἡρακλέα προκρίναντας κατ' ἀνδρείαν.

(5) Apollon. Rhod., I, v. 131 ; Théoc., XIII, v. 20 ; Hésiode, Les Noces de Céyx. Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289 ; Kinéthon, Sch. Apollon. Rhod., v. I. 1357.

(6) Apollon. Rhod., I, v. 341 et suiv : Cf. Hygin., fable, XIV, 31.

2.—Les rapports entre la légende et la fable argonautique

Selon les auteurs grecs, nous savons que la fable des Argonautes remonte à l'origine même de leur race. Le navire Argo fut connu de tout le monde, dit Homère (1); et après lui, la plupart des poètes, jusqu'à Apollonios de Rhodes (2), traitèrent de cette légende. Celle-ci, en se transmettant d'âge en âge devait, donc, subir, pendant cette longue suite de siècles, de nombreuses transformations. Elle fut élargie, surchargée d'incidents par les poètes et les logographes qui cherchaient à combiner les diverses traditions et les forçaient à entrer dans un récit suivi (3). Mais nous n'avons pas à nous occuper de toutes ces modifications, car cela n'entre pas dans le cadre de cette étude. Il nous suffira de nous consacrer à celles qui concernent Héraclès et son compagnon—Hylas.

(1) Hom., Ody., XII, v.v. 69-73. Voir la dissertation de Groeger (M)., De Argonauticarum fabularum historia quaestiones selectae, Vratislaviae, 1889.

(2) Hésiode, Théog., v.v. 992-1002—résume en quelques vers tout le sujet des Argonautiques. Pindare en fait l'objet de la IVe Pythique; Sophocle, dans les Lemniennes, Sch. Apollon. Rhod. IV, v. 223 et Euripide dans Héraclès Furieux et Médée, avaient présenté les diverses phases de l'expédition. Antimaque, dans son élégie, Lydé, réserve une grande place à l'histoire de Jason et Médée; Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1289. Dans les Héracléides, de Pisandre—selon Théoc., Epig., XXII—et de Panyasis; Sch. Apollon. Rhod., IV, v. 1149, on lisait plusieurs détails de la légende Argo.

Pour les ouvrages alexandrins et les fragments qui nous en restent, Voir la Scholie d'Apollon. Rhod., éd. Keil; consulter l'index qui est à la fin du volume.

(3) Voir, Stender (J.), De Argonautarum ad Colchos usque Expeditione Fabulae Historia critica, Kiel, 1874. Dans cette étude précise, l'auteur suivit l'évolution de la fable chez les écrivains grecs, éclaircit les points confus et signala les modifications et les épisodes apportés à la fable; Cf. Couat (A.), La Poésie Alex. sous les trois prems. Ptolemées, Paris, 1882, p.p. 300-304.

Mais Hylas fut-il un dieu indigène ou une source ? Les auteurs anciens nous expriment, à ce propos, des idées contradictoires. Hésychius ([1]) dit qu'Hylas fut une source dans le pays des gens de Kios ; Pline ([2]) le range parmi les trois fleuves qui arrosent cette région. Cependant tous les autres écrivains ([3]), sans exception, affirment qu'Hylas fut un bel adolescent, aimé par Héraclès ([4]) et ravi par les nymphes ([5]) de 'la source'. Philostrate ([6]) aussi bien que les critiques modernes ([7]) ont accepté cette tradition du fait qu'ils comparent la triste fin d'Hylas à la mort prématurée d'Hyacinthe et d'Adonis ([8]). Pour les modernes, ces dieux sont "l'image de la fraîche végétation printanière, qui chaque année, se flétrit, après une courte et brillante floraison" ([9]).

([1]) Hésychius., S. V. Ὕλας, κρήνας Κιανοί (καλοῦνται).

([2]) Pline., Hist. Nat., V. 143 : Ascanius, Cios et Hylas. Pline dit vrai en ce qui concerne les deux premiers, car ils existèrent ; quant au troisième, il nous est inconnu. Cf. Türk., De Hyla, Breslau, 1895, p. 3.

([3]) Apollon. Rhod., I, v. 1177 et suiv. ; Théoc., XIII, v. 45 ; Strab., XII, 564 ; Apollod., I, 9, 19 ; Hygin., fable 14 ; Val. Flacc., III, v.v. 545 et suiv. ; Prop., I, xx, v. 6 ; Verg., Buc, VI, v. 44.

([4]) Socrate seul, dans son livre à Eidothéos, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1207, dit qu'Hylas fut aimé de Polyphemos et non d'Héraclès.

([5]) Théoc., XIII, v. 45 ; Nicandre., Sch. Apollon. Rhod, I, v. 236. *Contra*, Apollon. Rhod., I, v. 1229 — chez qui Hylas fut ravi par la nymphe de la fontaine. Onasos donne une version unique, Sch. Apollon. Rhod., I, v. 1207. " Dans le livre I de ses Amazoniques, Onasos dit qu'Hylas ne fut pas ravi par les nymphes, mais qu'ayant été entraîné dans la source il mourut ainsi ".

([6]) Philos., II, p. 197, 23, remarque les similitudes entre Adonis, Narcisse, Hylas et Hyacinthe.

([7]) Voir, Wissowa., Real. Encyc, S. V. Hylas 'Heros der Kianer' ; Cf. Decharme., Myth. de la Grèce Ant. p. 332.

([8]) Mellink (M. J.) : Hyakinthos, Introd., p. 1.

([9]) Decharme., Myth. de la Grèce Ant., p. 332. Parmi les divinités qui représentent la même image qu'Hylas, signalons celles-ci : Osiris ; Cf. Frazer, Adonis, Attis, Osiris, London, 1906, p. 319 ; Bormos, Voir Athénée, XIV, 619 ; Linos, Voir, Pausan., I, 43, 7 ; IX, 29, 6-9 ; Cf. Théoc., XXIV, v. 103 ; Apollod., II, 63 ; Homère, Il, XVIII, v. v. 569-71. " Le chant des moissonneurs en honneur de Linos ".

Est-ce une légende qui date des origines de la race grecque, connue de tous les poètes à partir d'Homère ? Ou n'est-elle qu'une fable locale, mêlée, à une certaine époque, au récit de l'expédition des Argonautes ? Quels sont les écrivains qui l'ont traitée ?

* * *

Strabon (1) nous décrit une fête, célébrée tous les ans, depuis l'antiquité, dans Kios, une ville de Mysie. Cette description nous apprend que les habitants de cette ville sortaient en foule et erraient dans les montagnes et les bois pour appeler 'Hylas' et le chercher. Le géographe ajoute qu'auprès de la ville, s'élevait la montagne (Arganthion) où Hylas fut enlevé—ἐνταῦθα δὲ μυθεύουσι τὸν Ὕλαν, ἕνα (2) τῶν Ἡρακλέους ἑταίρων συμπλεύσαντα ἐπὶ τῆς Ἀργοῦς αὐτῷ, ἐξιόντα δὲ ἐπὶ ὑδρείαν ὑπὸ νυμφῶν ἁρπαγῆναι.

Servius (3), de son côté, constate qu'on célébrait en l'honneur d'Hylas des cérémonies religieuses où l'on avait l'habitude de l'appeler 'trois fois' dans les montagnes. Nicandre (4), lui aussi, dans le livre II des Hétéroioumena racontait qu'Hylas fut ravi par les nymphes et que les habitants de Kios faisaient des sacrifices en son honneur auprès de la source—le prêtre l'appelait trois fois et l'Echo lui répondait. Selon ces récits nous pouvons affirmer qu'Hylas fut l'objet d'un culte chez les Mysiens, habitants très anciens de cette région (5). Sa légende est, donc, d'origine mysienne (6) et c'est pourquoi elle reste liée à la Mysie, même après avoir été mêlée à la fable argonautique.

(1) Strabon, XII, 4, 3 ; Voir Knorr (A)., De Apollonii Rhodii Argonauticorum fontibus quaestiones selectae, Lipsiae, 1902, p. 33.

(2) Sch. Apollon. Rhod., I. v. 1207 : Il y eut beaucoup de gens aimés par Héraclès : Hylas, Philocrète, Diomos, Perithoas et Phrix.

(3) Servius, In Verg., Buc. VI. v. 43.

(4) Sch. Apollon. Rhod., I. v. 1236. Cf. Suidas., S. V. Ὕλαν κραυγάζειν

(5) Sch. Apollon. Rhod., I. v. 1177.

(6) Apollod., I. 9. 19. Voir, Köhler (R)., Analecta Hellanicea, Lipsiae, 1898, p. 262-264.

Ὕλας

" Mais Alcide inquiet, que presse un noir augure,
" Va, vient, le cherche, crie ; auprès de l'onde pure,
" Hylas, Hylas ! .... "

A. Chénier

PAR

Dr. M. S. KHAFAGA

1.—L'origine de la légende

" Quand les argonautes abordèrent, dans la Propontide, à la côte de Bithynie, le jeune Hylas, ami d'Héraclès, fut envoyé à la recherche d'une source pour y puiser l'eau nécessaire au repas pour Héraclès. Sous un bosquet verdoyant où le sol est émaillé de fleurs brillantes, il aperçoit une fontaine dont la fraîcheur et la limpidité l'attirent. Il s'approche, se penche à la surface des eaux et y plonge son urne. Mais les nymphes de la source l'ont vu. Elles fendent les flots, sortent et entraînent Hylas par la main au fond de leur brillante demeure. Cependant Héraclès, en proie à la folie, court çà et là à la recherche de son ami ; il l'appelle trois fois, mais la voix d'Hylas, venant du fond de la source, arrive toute grêle. On ajoutait que le héros avait menacé de ravager toute la contrée si l'on ne découvrait pas Hylas. Depuis ce temps, à un jour consacré, les habitants de cet endroit et des environs se répandent sur la montagne, en prononçant à grands cris et à plusieurs reprises le nom d'Hylas " [1].

Avant d'étudier cette légende, nous voulons, pour la mieux comprendre, éclaircir ces points historiques.

---

[1] Résumé d'après Apollon. Rhod. Argon., I, vv. 1207-1240. Théoc., Idy. XIII, v. 45 et suiv. Cf. Decharme (P.) : Mythologie de la Grèce Antique, p. 354.

The Demotic name *nbe* is probably a shorter form of the Egyptian word *ỉnb* meaning "wall", τεῖχος; hence the meaning "dyke", literally "wall", τεῖχος. Yet it may be worth adding that the word is possibly composed of two elements: the first *n*, a *nisbe*-adjective meaning "that of", and the second *be*, = *bȝy* (*Wb. Aeg. Spr.*, I, p. 417; 15, 16) or *bȝỉ* (*ib.*, p. 418; 1) meaning "breach in a dyke", διάκομμα. And thus the word would mean "work on the διάκομμα", which exactly corresponds to the term يشتغل ف قطع الجسر "to work on the breach in the dyke" in current use in to-day's Egypt. Again, the word might possibly be connected with the Egyptian word *nbyw* meaning "protector" (*Wb.*, II, 245) and so means "protection or preservation (of the dykes)". For the equation of the Demotic *nbe* with the Greek χωματικόν "dyke-tax", see Thompson *Theban Ostraca*, p. 26, note 3.

The tax called χωματικόν in the Third Century B.C. was a burden on land and, therefore, entirely distinct from the χωματικόν of the Roman period In the Second Century B.C., the Greek name of the tax was displaced by the Egyptian name ναύβιον (*Pap. Tebtunis* 5, 79, 119) (Tait, *Gr. Ostr.*, p. 5, No. 31, note on line 3). The receipts for the dyke-tax were usually issued by the bank, sometimes by tax-collectors.

THE CHŌMATIKON: ITS FORM AND NATURE IN DEMOTIC AND GREEK TEXTS

BY

GIRGIS MATTHA

During the period between the beginning of June and the middle of August, the Government officials used to summon from every village in Egypt a number of its inhabitants to work each for a period of five days on the dykes and canals and so prepare for the rise of the Nile. Such inhabitants as were not summoned had to pay a fixed sum as the equivalent, a dyke-tax, known in Greek texts by the name χωματικόν. Demotic receipts for this tax from Thebes describe such sums as were paid for it (which are, with very few exceptions, 6 drachmae 4 obols each, paid at the end of the year for which they were due or at the beginning of the next year) as *ḥt nbe* (var. *nb*), "dyke-money" or as for *nbe* (var. *nb*), "dyke".

Some receipts from Thebes record 4 drachmae and 5 drachmae 2 obols as sums paid for this tax; but these sums possibly represent what remained for the tax after the payment of previous instalments in respect of it.

At Edfu and Dendereh the sums paid were described as *p wš nb*, "the commutation of dyke (-work). The sums paid as commutation were at times 6 drachmae at Edfu, while at Dendereh the rate was the same as that at Thebes, namely, 6 drachmae 4 obols.

In a receipt from Hermonthis, the sum of ½ drachma 2 obols is paid for the dyke-tax as an adjunct to the poll-tax of year 8 of Vespasian. The sum is certainly an instalment.

to be discharged in gross on a later date, possibly at the end of the year for which the corn-tax was due, just in the same way as money-taxes were receipted with the further remark that they were paid *n wš n wt* "without prosdiagraphomena", literally "without payment or sending dues", or that *pe-w wt ẖn-w* "their prosdiagraphomena are being included in them".

THE PROSMETRŪMENA IN DEMOTIC TAXATION RECEIPTS

BY

GIRGIS MATTHA

A technical term, which frequently recurs in receipts for corn-taxes, is the phrase (*n*) *wš* (*n*) *šp* "without extra charges". This demotic term is suggested by Spiegelberg (*Ostr. Strassb. G.* 329, note) to mean "ohne koerperlichen Empfang". He, moreover, suggests that the sentence *st šp n 'p* "they are credited" or "they are received on account", which frequently recurs in receipts for payments both in money and in kind issued by the taxation officials of the bank or the granary to describe the sum or the amount received as being an interim payment, has the same significance. But the contexts in which either of these two different terms occurs point to the contrary. I, therefore, suggest that *šp*, in *n wš n šp*, is the technical word for an "extra charge", literally "collecting or receiving dues", identical with the προσμετρούμενα of Greek texts, to meet the expenses of collecting corn, and comparable to the *wt* or προσδιαγραφόμενα of money-taxes. The word *wt* "extra charge", literally means "sending charges", which latter points to the practice of *sending* money-taxes into the bank through the tax-collectors who charged tax-payers a certain percentage, normally 6¼ %, of the amount of the tax *sent* through them (sc. tax-collectors) into the bank. The whole phrase *n wš n šp* "without extra charges" implies that these charges were not included in the amount of corn paid to the collectors or farmers of corn-taxes and remained

"I am paid in full by thee the rest of my wine for the shrine of Ratow the great goddess—one keramion of wine—for year 20 of Hadrian Caesar our lord. It is credited (*e-f šp n 'p*)". In this case it is hardly possible to translate the phrase *e-f šp n 'p* into "it is being received by reckoning", as already suggested by Thompson, since the amount this phrase refers to is *only one* keramion.

For ths use of the term "received on account" in Greek documents it will suffice to adduce here the following passage from *Pap Oxy.* 54, ll. 15-17, by way of illustration: αἰτούμεθα ἐπισταλῆναι ...... ἐπὶ λόγου ἀργυρίου τάλαντα τρία, ... ὧν λόγον τάξομεν ὡς δέον ἐστὶν "We request that we may receive... three talents of silver on account, of which we will render due account".

INTERIM PAYMENTS IN GREEK AND DEMOTIC DOCUMENTS

BY

GIRGIS MATTHA

In acknowledging payments, whether in money or in kind, the tax-collectors of the Ptolemaic and Roman periods, as well as private individuals, frequently mention after the sum or amount paid to them that this sum or that amount is *šp n 'p* "received on account", *i.e.* credited as an interim payment, which exactly corresponds to the Greek technical term ἐπὶ λόγου "on account". In a tax-receipt from Hermonthis of the 12th year of Euergetes I the tax-collector, in referring to the sum of 2 kiti (= 4 drachmae) paid to him by the tax-payer, declares to the latter: *mte-y ty šp-w s n-k n 'p* "and I shall cause them (sc. the 4 drachmae) to be received on account for thee (*i.e.* credited for thee as an interim payment)". In another receipt, from the same locality and dating from the 4th year of the same king, the tax-collector's declaration to the tax-payer of the receipt of 4 kiti (=8 drachmae) is elaborated into *mte-y ty šp-w s n-k n 'p n p hw n 'p 'rm-k nt e-w a 'r-f* "and I shall cause them (sc. the 8 drachmae) to be credited to thee on the day on which the account will be settled with thee". Thompson suggested (*Theban Ostraca*, p. 33, note 10) that the frequently recurring sentence *st šp n 'p* seems to mean that the amount has been reckoned after being counted or measured and diffidently translated it "they are received by reckoning". But it must be remarked that, in an acknowledgement of receipt of wine from Thebes of the 20th year of Hadrian, a certain Petechespekhrat son of Ḥatre, divine-father of the goddess Ratow, consort of Mont at Thebes, declares to a certain Amenḥotp son of Ḥarpbēk

l'invention individuelle, si caractéristique dans les ostraca figurés de même provenance (1).

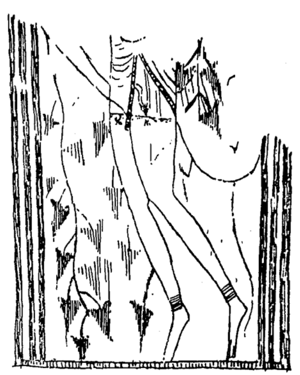


Fig. 44.—Danseuse jouant de la double flûte (Deir el Medineh).

(1) J. Vandier d'Abbadie : Catalogue des ostraca figurés de Deir el Medineh, 1936, 1937, 1946.

naviguant au milieu des fourrés (N.O. XII) (fig. 43), une gracile danseuse nue jouant de la double flute sur un fond de feuillages (S.E. VIII) (fig. 44), une femme allaitant, sans donte l'Isis lactans (S.E. I).

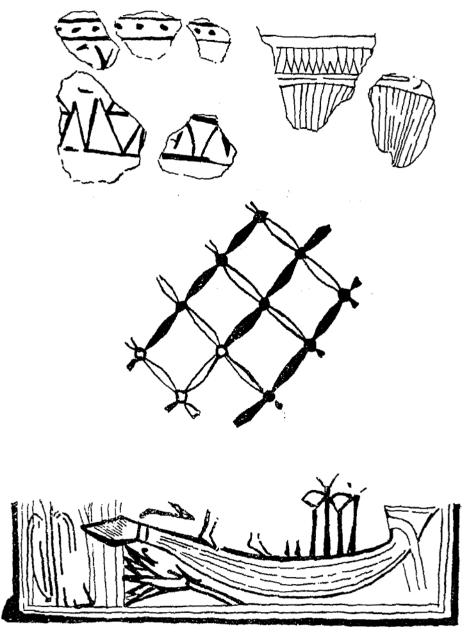


Fig 43.—Homme naviguant et motifs végétaux (peinture d'autel, Deir el Medineh)

Ce n'est plus la stylisation très poussée et souvent rigide du répertoire officiel, mais bien une production originale qui tient de

profil sur deux panneaux flanquant la porte de l'entrée de l'autel, et sur le panneu central, de face, les bras étendus, munis d'ailes éployées et tenant des fleurs de lotus (N.E. X) (fig. 40). On

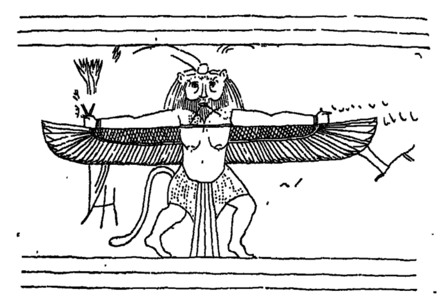


Fig. 40.—Bès ailé (frise de couronnement d'autel, Deir el Medineh, N.E. X).

prendra même le soin d'en faire un masque en haut-relief à l'échelle humaine (fig. 41).

On pourra aussi représenter des scènes de la vie journalière : une femme à sa toilette (C. VIII), servie par une esclave nue (fig. 42), un homme debout dans une barque de papyrus

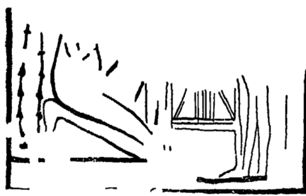


Fig. 42. —Femme à sa toilette et servante (peinture d'autel, Deir el Medineh).



Fig. 41.—Masque en haut-relief de Bès, en limon colorié (Deir el Medineh).

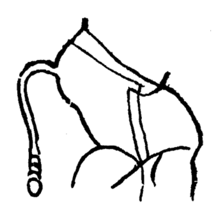


Fig. 37.—Peinture au trait de Bès (maison N° 2, rue principale, village oriental)

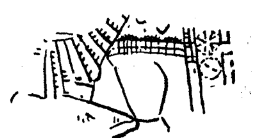


Fig. 39.—Bès dansant (peinture d'autel, Deir el Medineh, S.O. VI).

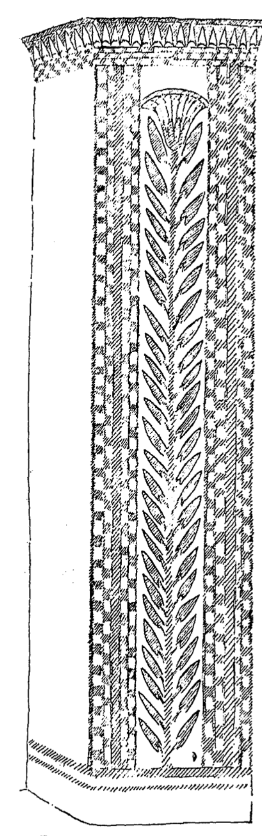


Fig. 38.—Décoration d'un pilastre (maison N° 9, rue principale, village oriental, 'Amarna).

Dans le registre inférieur une série de cinq panneaux identiques, dont l'un est cependant plus haut, semblent indiquer cinq portes arquées en bois. Le registre supérieur figurerait l'intérieur.

'Amarna.—Dans la première phase de la construction du village ouvrier la décoration a recours à un peinture riche, polychrome, en panneaux situés à 20 cm. du sol [1]. Plus tard ce sera un style plus léger, consistant en esquisses au trait monochrome noir sur paroi badigeonnée, ou en blanc sur un enduit de limon D'ordinaire c'est le living-room qui bénéficie de l'ornementation. Ce sont des frises végétales à feuilles de lotus, chevrons, cercles, quelquefois avec un Bès (fig. 37), des têtes de Hathor, une Taourt ou l'oeil sacré de Horus. Un pilastre de section quadrangulaire, couronné d'une gorge, est décoré d'une tige de lotus bordée de feuilles lancéolées et flanquée de deux bandes à carreaux en damier (fig. 38).

Deir el Medineh.—La verve de l'artisan a fait ses preuves dans des productions d'une grâce et d'un goût sûr, qui peuvent atteindre au chef-d'œuvre.

Toutes les pièces bénéficient de la décoration murale, mais c'est surtout l'autel ('lit clos'), qui est doté de scènes religieuses. Les parois sont divisées [2] en deux registres, celui du bas étant peint en une plinthe blanche au lait de chaux (0,9-1,30 m. de hauteur), bordée au haut d'un filet et d'une cimaise grise. Les niches, au ras du sol, destinées aux stèles ou statues, et celles au-dessus de la plinthe, pour les lampes, sont encadrées d'une large bordure blanche délimitée par un listel noir.

L'autel est badigeonné en blanc et les parois en sont décorées de panneaux gris à filets noirs et encadrés de larges bandeaux blancs. Les dessins sont en gros traits blancs. On affectionne les dieux populaires propices au bonheur du foyer. C'est surtout Bès qui y figure sous différents aspects : il peut danser au son de la musique (N.E. XIII) (fig. 39) ou être répété deux fois de

[1] T. Eric Peet—C. Leonard Woolley : The City of Akhenaten, I, 1923, p. 59-60, 66, pl. IX.

[2] B. Bruyère : Fouilles de Deir el Medineh (1934-1935), III. p. 55, 57-61, 65.

C'est souvent une plinthe courant le long des parois internes, jusqu'à une hauteur de 1-1,5 m., à lignes noires et rouges sur fond blanc (Kahoûn), ou blanches avec lignes de faîte noires (Deir el Medineh). Le procédé n'est pas nouveau, puisqu'on le rencontre déjà dans les mastabas de l'Ancien Empire à Giza et à Saqqara, et qu'il devait provenir de l'architecture civile de l'époque.

Plus prétentieuses sont les scènes de genre. Les sujets, d'ordinaire religieux, peuvent aussi traiter de la vie journalière, telles ces façades de maisons à Kahoûn, ou ces panneaux figurant une femme à sa toilette, un homme dans une barque ou une danseuse nue à Deir el Medineh. On aime figurer les divinités tutélaires, celles qui protègent l'homme du peuple, qui lui assurent le bonheur au foyer. C'est Bès, de face ou de profil, Bès dansant, Bès ailé, Bès en haut-relief. Ce sera aussi Isis et Horus, Taourt, l'œil sacré de Horus, la tête de Hathor. La peinture peut aussi décorer le contour des niches à stèles ou à lampes. Le parterre, recouvert de gypse, était peint d'un badigeon rouge. Les colonnes en pierre étaient aussi coloriées en rouge.

On ne peut s'empêcher de rapprocher le décor de ces maisons mitoyennes de celui des maisons de plaisance à Pompéi ou à Ostie, où chaque foyer a son lararium, son panneau où sont figurées les divinités tutélaires du lieu, où certaines scènes représentent les mystères dionysiaques, d'autres les amours familiers.

Kahoûn.—La plinthe présente à sa base une bande noire ou foncée et une cimaise de lignes noires et rouges sur fond blanc, à une hauteur de 1-1.65 m. (1).

Dans deux maisons deux scènes murales en jaune, blanc et noir, sur enduit de gypse, représentent des constructions (2). Le panneau le plus important figure un dessin architectural composite le plan du mur extérieur servant de cadre à deux registres (3).

(1) W. Fl. Petrie: Kahun, Gurob and Hawara, 1890, 23.

(2) W.Fl. Petrie: Illahun. Kahun and Gurob. 1891, p. 7, pl. XVI, 4,6.

(3) Alexandre Badawy: Le dessin architectural chez les Anciens Egyptiens, 1948, p. 74-75, fig. 79.

La colonne du living-room, comme à 'Amarna, est un tronc de palmier enduit de limon et de stuc peint, érigé sur une base tronconique (60 cm. de diam. ; 10-25 cm. de ht.), munie d'une assiette centrale (30 cm. de diam.), circulaire ou à pans coupés.

Dans la cuisine le mobilier a été, comme à 'Amarna, construit : auges, pétrin en brique crue, cuvette en quart de cercle, silo carré ou rectangulaire. Le four est une cloche en limon (0,8 m. de diam. ; 0,75 m. de ht.), contenant trois cerceaux de hauteurs différentes en terre-cuite. Le plafond est en branchages.

Constructions autour du temple de Medinet-Habou (1).— La caractéristique saillante de ces constructions est l'épaisseur excessive des murs en brique. Il semble que la couverture y ait été, tantôt en plafond à poutres en bois, tantôt voûtée. L'étage était, sans doute, couvert d'un plafond en bois.

Il est intéressant de décrire la construction du portique formant le fond de la cour d'entrée. Deux colonnes octogonales en grès (28 cm. de diam. ; 2,25 m. de ht.) retiennent un muret d'entrecolonnement (1,03 m. de ht.) dans les deux baies latérales.

III.—La Décoration

La maison mitoyenne a bénéficié du goût inné de l'Egyptien pour la décoration. Mais, tandis que l'initiative de l'exécution des grands ensembles de maisons en série est certainement due à des organismes officiels, celle de la décoration semble pouvoir être assignée à des individus. Les occupants, le plus souvent de simples ouvriers, ont essayé d'agrémenter leur demeure en en décorant les parois internes.

On retrouve des traces de décoration dès l'époque du Moyen Empire, dans les maisons à Kahoûn, puis, communément par la suite, dans les cités ouvrières de 'Amarna et de Deir el Medineh.

(1) U. Hölscher : The Excavations of Medinet Habu. IV. 1951, p. 14-16.

les parterres soient en brique. Des traces de plâtre rouge ont pu être relevées. L'installation sanitaire, à proximité de l'entrée, comporte un bassin, une dalle en pierre et un support en brique pour le siège. Pour les colonnes on a aménagé des bases en pierre (0,58 m. de diam.) sur lesquelles reposent les futs (0,3 m. de diam.).

Quartier des serviteurs dans le Grand Palais à 'Amarna[1].—Le parterre y est fait d'un mélange de brique et de pierre, en cailloux ou en brique. Le seuil peut être en pierre. Comme ailleurs les bases de colonnes sont en pierre (35, 45, 50, 60, 65 cm. de diam.), et les futs en bois (17, 21, 28, 29, 33 cm. de diam.). Certaine petite colonne en pierre semble avoir appartenu à une loggia érigée sur la terrasse. Dans le hall une dalle en pierre pour ablutions est munie d'un deversoir communiquant à un petit bassin.

Village ouvrier à Deir el Medineh [2].—Une porte d'entrée à un vantail en bois, tourne au-dessus d'un seuil en bois ou en pierre. Le sol, de terre battue, peut être badigeonné à la chaux, stuqué et peint en rouge. Pour couverture on dispose des troncs de palmier et tiges végétales en un plafond, au-dessous duquel s'ouvrent des fenêtres en bois ou en pierre, munies de barreaux.

La construction de l'autel ('lit clos') est intéressante (fig. 25) : le massif inférieur est composé de deux parois externes (épaisseur 1 br., 18 cm.) et d'un mur de refend central encaissant un remplissage de terre. Le haut est en mortier de limon, blanchi, bordé d'une margelle de briques de champ (5 cm. d'épaisseur).

Le lit, qui est aménagé dans le living-room, est une estrade basse (20 cm. de ht.), bordée de blocs de calcaire et quelquefois munie, aux extrémités, d'un ou de deux accoudoirs en pierre (6 cm. d'épaisseur) ou en brique, au faîte arrondi, ou en corniche.

---

(1) *Ibid.* p. 35-6.
(2) B. Bruyère : Fouilles de Deir el Medineh, III, p. 54-72.

Un loquet à coulisse, manipulé de l'extérieur par une cordelette, assure la fermeture du vantail, et une solide barre de bois le butait pendant la nuit.

La réserve d'eau est emmagasinée dans de grandes jarres placées sur une dalle en calcaire dans le living-room et communiquant par une rigole à un pot enterré. D'autres grandes jarres souterraines servent de dépôts à provisions.

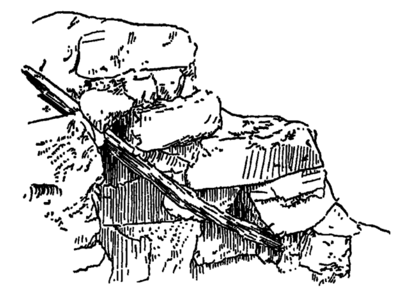


Fig. 36.—Volée d'escalier supportée par une tige en bois ('Amarna).

Dans la cuisine l'aire réservée à la préparation du pain est séparée par un rebord en brique enduite d'un mortier au calcaire. Des bassins plats (10 cm., 65 cm. de profondeur) servent de resserres.

Pour les fenêtres aucune donnée sûre ne nous est parvenue. Toutefois, d'après les dessins architecturaux de l'époque on peut supposer qu'elles s'ouvraient au haut des parois. Pour la chambre-à-coucher aucune fenêtre ne semble avoir été employée, la ventilation étant assurée par un malqaf.

La cuisine est simplement couverte de branchages et une ouverture y est laissée au-dessus du foyer.

Maisons de fonctionnaires à 'Amarna (1) —Les maisons sont mal construites et les murs n'en sont que badigeonnées, quoique

(1) *Ibid* p. 122-3.

tiges sont disposées à angle droit, le tout étant recouvert d'une épaisse couche de boue (10-25cm.) (fig. 35).

Lorsque les dimensions ne permettent plus l'emploi d'une seule travée on érige au centre de la pièce, généralement le living-room, une colonne en bois, quelquefois un simple tronc de palmier (2,1m. de ht.) enduit de limon, et dont le faîte est taillé en tenon quadrangulaire pour être fixé aux poutres. Dans tous les living-rooms on a retrouvé les bases de ces colonnes : blocs circulaires plats dont la face supérieure est munie d'un disque simplement épannelé, destiné à recevoir la base de la colonne. On a aussi retrouvé une colonne en pierre peinte en rouge.

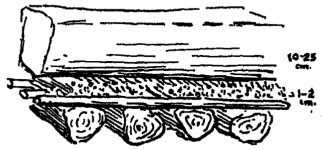


Fig. 35.—Coupe de la couverture d'une maison ouvrière ('Amarna).

Les escaliers sont en brique crue (marche : 30 cm. ; contremarche : 20 cm.), et montent en volées rectilignes disposées autour d'un pilier en brique, sur l'extrados d'une voûte ou, le plus souvent, en un massif de brique crue enfermant un remblai de sable. Quelquefois, pour la seconde volée, on fixe des tiges en bois suivant l'inclinaison à donner à l'escalier, l'une extrémité engagée dans un massif de brique au départ et l'autre extrémité dans le mur, à l'aboutissement (fig. 36). Les marches sont construites au-dessus de ces soutiens, tandis qu'au-dessous on a ménagé une armoire.

Les seuils sont en pierre, en bois, comme dans les maisons de Kahoûn, ou le plus souvent en brique. Le vantail de la porte est en bois et le chambranle est fixé au moyen de tenons et de mortaises dans les pied droits, ou des fentes dans le seuil. La crapaudine d'usage courant est en bois.

---

(1) T. Eric PEET—C. Leonard WOOLLEY : The City of Akhenaten, I, 1923, p. 53 fol.

à l'étage. On a même retrouvé la base d'une colonne érigée à l'étage. Aucune trace d'installation sanitaire n'a pu être relevée.

Comme à 'Amarna, les grandes maisons ont, dans la chambre-à-coucher, une alcôve aux murs épais et au sol surélevé en brique crue, destinée à contenir un lit.

Cité ouvrière à 'Amarna.—C'est sans doute dans les restes du village ouvrier que les données relatives à la construction de la maison mitoyenne sont le plus abondantes.

Le mur d'enceinte (0,75-0,8 m. d'épaisseur) fut bâti seul, au premier stade de l'exécution. Puis ce furent le quartier intérieur et muraille mitoyenne. Les maisons sont adossées à la paroi interne de l'enceinte et elles furent réparties en séries, en érigeant des parois parallèles sur un plan en L. Les murs secondaires furent ajoutés par la suite.

Les ruelles, quoique rectilignes dans le plan d'urbanisme, ne le demeurent pas longtemps : les occupants placent au-devant de leurs maisons des blocs de pierre entourés d'un rebord en brique pour soutenir de grandes jarres, des mangeoires en brique pour leurs vaches ou leurs ânes ; ils fixent aux parois des métiers à tisser. Et qui plus est ils construisent dans les rues de petits tunnels. Ces rues n'étaient pas d'ailleurs à ciel ouvert, mais couvertes d'une toiture de poutres rudimentaires et de branchages. Aucune paroi externe n'est enduite.

Les murs sont minces, n'étant pas destinés à porter un étage, en brique crue, quelquefois au-dessus de fondations et d'assises inférieures en pierre. Les seuils, et rarement (deux maisons) les jambages des portes, sont en pierre taillée. Pour les murs principaux on a choisi une épaisseur de 35 cm. tandis que l'on s'est contenté de 13 cm. pour les murs internes (1 brique).

La couverture, au-dessus de murs aussi minces, ne pouvait être que légère. C'est, en effet, un plafond consistant en une armature de branches assez rapprochées, au-dessus desquelles des

maisons est tantôt voûtée, mais le plus souvent en plafond de poutres soutenant un lascis de branches et de faisceaux de tiges végétales. Un enduit de limon, à l'intérieur et à l'extérieur, rend cette couverture imperméable et rigide [1]. Les voûtes pouvaient être construites sans cintre, sur un remplissage de sable. Dans les pièces spacieuses une colonne en bois supporte les poutres du plafond. On en reconnaît les traces de section octogonale sur les bases en pierre (20-24 pouces diam.) encore en place. Dans le type de la grande maison les colonnes sont employées en groupes de quatre pour les halls et dans les portiques droits ou coudés. L'ordonnance des colonnes, d'environ dix pouces de diamètre, est de l'ordre d'espacement de trois à quatre coudées (62-83 pouces).

Les baies des portes sont en arc cintré de deux briques de haut, les joints s'élargissant vers l'extrados étant remplis de caillasse. Des vantaux et chambranles en bois fermaient les baies des portes. Le seuil pouvait aussi être en bois, la crapaudine en pierre ou simplement un trou dans le seuil. Un dispositif ingénieux d'un rebord en pierre fixé autour du trou empêchait la poussière d'y rentrer. A mesure que le fond du trou s'usait, on y fixait des pièces de cuir, sans doute de vieilles sandales, pour en rehausser le niveau.

Les escaliers vers la terrasse comportent deux volées égales de cinq ou six marches, de directions opposées. Les degrés ont 25-28 pouces de large.

Agglomérations à Sesebi [2] —Les murs de brique crue comportent des seuils en pierre et sont enduits de boue et badigeonnés. Les parterres sont de terre battue. Les plafonds en paille, palmes et boue, sont posés sur des poutres rudimentaires, sans colonnes. Ce n'est que dans les grandes maisons que des escaliers mènent

[1] *Ibid.* W. Fl. PETRIE : Kahun, Gurob and Hawara, 1890, p. 23.
[2] A. M. BLACKMAN (FAIRMAN) : Preliminary Report on the Excavations at Sesebi. Northern Province. Anglo-Egyptian Sudan. 1936-1937. J.E.A., XXIII, p. 149-151.

les programmes domestiques c'est la brique crue qui est le matériau de base. Souvent les parois sont enduites et on n'a pas oublié le soin de l'ornementation, puisque en de nombreux cas, des peintures, quelquefois religieuses, ou simplement des plinthes, viennent égayer le leurs polychromie la monotonie des intérieurs. Les parois sont aussi munies de niches servant d'armoires ou d'étagères, de petits retraits pour lampes. Le long des soubassements des tréteaux servent, dans les harems royaux, à soutenir les coffres à lingerie.

Les parterres sont en terre battue, souvent en brique crue, crépie et peinte en rouge. On aura quelquefois soin d'aménager des estrades servant de divan, des massifs pour autels, et, dans les cuisines, des fours, des aires pour le grain et le pétrin. L'installation du bain est aussi construite.

On ne peut souvent se prononcer sur la nature de la couverture. Il semble cependant permis de supposer l'hypothèse de voûtes, lorsque le plan consiste en pièces longues et étroites et que les murailles sont épaisses. Tel n'est certainement pas le cas lorsque le plan se compose de pièces quadrangulaires séparées par de minces parois : c'est alors la couverture en faisceaux de tiges végétales ou de poutrelles, couches de roseaux ou palmes, enduites de limon ou de crépi.

On n'a pas négligé la fermeture des baies : portes en bois et fenêtres à clairevoie, en bois ou en pierre.

Habitations de prêtres à Giza.—Construites de gros murs en brique crue ces maisons montrent un soin particulier dans l'exécution. Les parois sont enduites à l'intérieur et à l'extérieur d'un mortier jaune (3,4 cm. d'épaisseur), à base de gypse, sel, poudre de calcaire, sable, silice et oxydes de fer et d'aluminium ([1]).

Habitations ouvrières à Kahoûn.—Les rues de la cité sont pourvues d'une rigole médiane en pierre ([2]). La couverture des

([1]) S. Hassan : Excavations at Giza, III, p. 35.
([2]) W.Fl. Petrie : Illahun, Kahun and Gurob, 1891, p. 8.

II.—La Construction

Les données utilisables pour l'étude de la construction de la maison mitoyenne sont de valeur variable, suivant l'état des

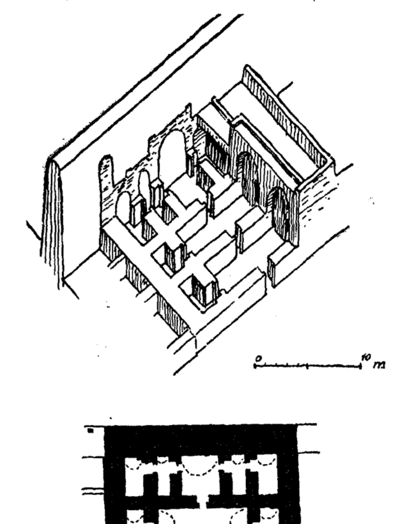


Fig. 34.—Plan et reconstitution axonométrique d'une unité des bâtiments de l'administration (Temple de Medinet-Habou).

monuments ou le soin porté à leur présentation par les fouilleurs. On ne saurait, toutefois, espérer une documentation aussi riche que pour l'étude des plans.

Le même facteur d'économie, qui a présidé à l'élaboration du plan est suivi dans l'exécution des projets. Comme pour tous

ou aux habitations des prêtres (Giza, Médamoud). D'aucuns ont suggéré qu'il s'agirait d'une habitation pour fonctionnaires [1].

Une allée (1,6 m.) sépare le dos de cette première rangée des façades de la seconde, plus profonde et de plan différent. Une porte mène à un vestibule profond (M), communiquant avec un second vestibule plus petit (M'). De part et d'autre du vestibule deux portes mènent à deux pièces, l'une indépendante (N2, N4), l'autre (N1, N3) communiquant à une pièce (02) ou à quatre pièces (01,P,Q,R). Un escalier monte dans l'une des pièces secondaires vers l'étage.

Le type de plan est à rapprocher de celui des greniers dans la grande maison à Kahoûn. La couverture semble avoir été en voûtes, dans la direction longitudinale du plan. S'agirait-il de casernes pour soldats ou esclaves ? Le papyrus Harris I, IV, 5 (Vol. III, 2) prête bien à Ramses III la prétention d'avoir établi, au temple, des dizaines de milliers de captifs et leur progéniture[2].

Les bâtiments de l'administration au temple de Medinet-Habou[3] :

Un vaste bâtiment (16x16 m. = 256 m^2.), faisant face à l'esplanade et disposé symétriquement de part et d'autre du temple, consiste en un plan carré à trois sections transversales peu profondes. Chacune des deux premières est une salle flanquée de deux pièces, aux extrémités. La troisième section est un vestibule central, auquel sont adjointes, de chaque côté, deux pièces en enfilade (fig. 34).

Les proportions des pièces et l'épaisseur des murs feraient supposer une couverture en voûtes. C'est le type du plan à axe central, connu déjà au Moyen Empire (grande maison à Kahoûn), ou au Nouvel Empire (habitations du harem au palais de Ramses III à Medinet-Habou).

[1] *Ibid.* p. 15.
[2] *Ibid.* p. 15, N. 40.
[3] *Ibid.* p. 16, fig. 17.

Ramses III. Un hall peu profond communique avec un living-room, dont la paroi du fond est dotée de deux portes menant à deux petites pièces.

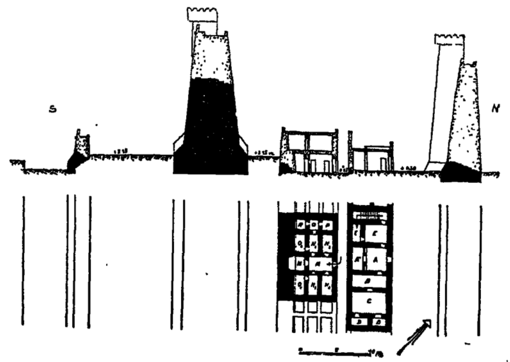


Fig. 32.—Constructions mitoyennes autour du temple à Medinet-Habou.

De l'autre côté de la cour une grande pièce communique d'une part avec une resserre et d'autre avec un escalier montant à l'étage. La superficie de l'ensemble (16,5x6,2 m.=102,3 m².)

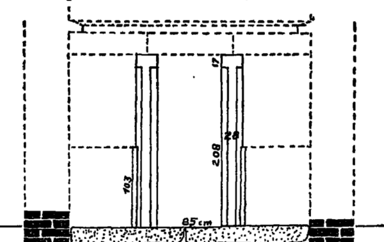


Fig. 33.—Elévation reconstituée du porche au fond de la cour.

classe ce plan au-dessus des habitations d'ouvriers, mais ne permet pas cependant de le comparer aux maisons moyennes de Kahoûn

latéralement sur le petit côté d'un hall profond, qui communique latéralement avec le living-room, lui-même menant à deux pièces : une garde-robe et un bain.

On sera frappé de la ressemblance contre ces maisons et celles figurées dans les représentations égyptiennes du harem au palais de 'Amarna (fig. 31).

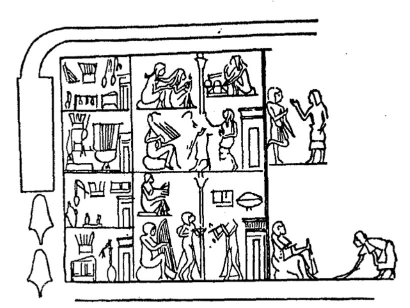


Fig. 31.—Dessin égyptien représentant deux habitations de harem (Tombe d'Ay à 'Amarna).

Les habitations autour du temple à Medinet-Habou :

Les fouilles ont révélé à Medinet-Habou, entre le mur du temple et la muraille d'enceinte, deux rangées de constructions mitoyennes, séparées par une rue (6,5 m.) et une allée (1,6 m.). Les constructions dans chacune des rangées sont d'un type uniforme. L'épaisseur des murs et l'existence d'escaliers suggèrent l'emploi de l'étage (fig. 32).

La première rangée, celle desservie par la rue entourant immédiatement le temple, consiste en maisons, longues et peu profondes, accolées bout à bout. Une porte centrale ouvre dans une cour (A), dont le fond est occupé par un porche (A') à deux colonnes et murets d'entre-colonnement (1,03 m. de ht.) (fig. 33). La partie du plan au Sud de la cour est du type amarnien, employé d'ailleurs pour les maisons des concubines au second palais de

Le harem au second palais de Ramses III à Medinet-Habou (1).

Entre le palais et le mur d'enceinte à contreforts se trouve un îlot rectangulaire de trois maisons mitoyennes identiques

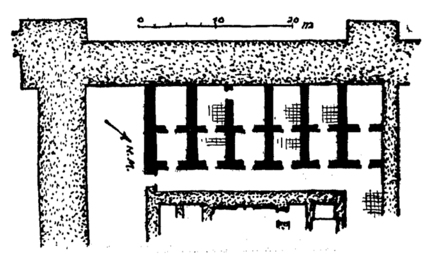


Fig. 29. Constructions mitoyennes (Palais de Ramses III à Medinet-Habou)

(fig. 30). L'îlot est entouré d'un dégagement qui en assure la surveillance. Le pharaon pouvait y accéder directement de la salle du trône par un couloir. Ce sont trois habitations destinées aux concubines.

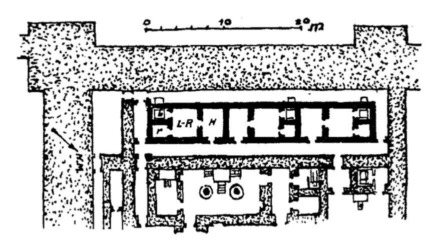


Fig. 30.—Trois habitations de harem (Palais de Ramses III à Medinet-Habou).

Le plan, de superficie modeste (9×5 m. = 45 m².), est identique à celui d'une aile des maisons mitoyennes autour du temple de Medinet-Habou (2). L'entrée y est, en effet, disposée

(1) *Ibid.* Abb. 60. S. 68.
(2) U. Hölscher: The Excavations of Medinet Habu. IV. p. 14.

Nord-Ouest ou le Sud-Est. Ce sont, peut-être, des habitations de serviteurs ou gens du palais (fig. 28).

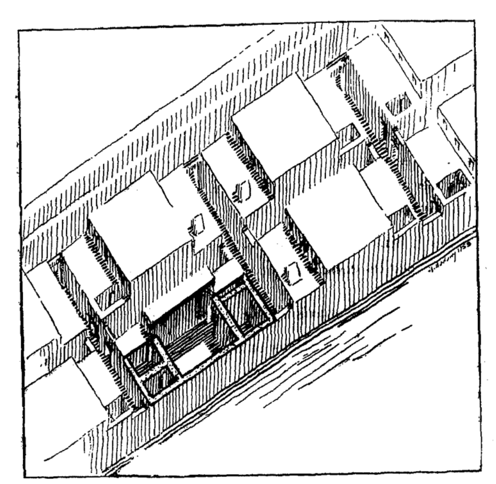


Fig. 28. Reconstitutions axonométriques de la rangée d'habitations identiques

Les constructions mitoyennes au palais de Ramses III à Medinet-Habou (1).

Une série de six constructions mitoyennes, de plan indentique (10×5 m. = 50 m².), est adossée au mur d'enceinte du palais (fig. 29). Le plan en est simple, comportant deux pièces en enfilade. L'absence de dépendances et le manque d'intimité semblent éloigner l'hypothèse d'une habitation. C'est plutôt le plan employé pour magasins (Temple du Moyen Empire à Médamoud, grandes maisons à Kahoûn).

(1) H. Ricke : *op. cit*, Abb. 59.

La superficie du plan rectangulaire (22x8 m. = 176 m².) est celle d'une maison moyenne, bien supérieure aux maisons d'ouvriers du Nouvel Empire (ʿAmarna, Deir el Medineh), mais est comparable à celles des contremaîtres à Kahoûn ou à celles des prêtres au temple du Moyen-Empire à Medamoud ou à Giza. Une antichambre ou hall peu profond, à une ou deux colonnes et dispositif pour jarres, communique avec un living-room carré à deux ou à quatre colonnes par une porte centrale. Dans la paroi du fond deux portes mènent à deux pièces servant de chambre-à-coucher et de dépendances. Une resserre, longue et étroite, avec de petits murets adossés aux parois, sert de garde-robe.

Ces habitations individuelles ne comportent aucun dispositif pour occuper les concubines royales à un travail.

Les habitations au palais d'Aménophis III à Malqata (1) :

Ce sont des habitations individuelles, sur plan rectangulaire, complètement séparées les unes des autres par une allée longitudinale principale et des allées transversales. Les tracés des plans sont symétriques par rapport à ces allées. Le type du plan est tripartite amarnien, comportant un hall, un living-room à colonne et deux pièces (fig. 27).

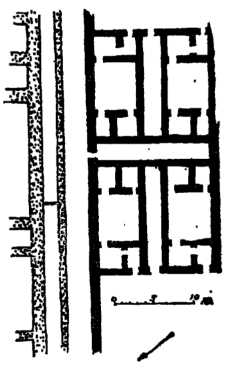


Fig. 27. Plans de quatre habitations identiques (Palais d'Aménophis III à Malqaʿa).

On a pris soin d'aménager un dispositif d'entrée en chicane comportant un petit vestibule ou porche et un hall. La façade est orientée alternativement vers le

(1) E. White : The Egyptian Expedition, 1914-5. Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, 10. 1915, p. 254. fig. 3. Aussi d'après des notes communiquées par Dr. H. Ricke.

Les habitations du quartier externe sont du même type, mais sur des lots plus larges, et comprennent une cour à bestiaux, des silos et dépendances.

Le dispositif du mur d'enceinte, doté de deux portes et l'existence d'ouvriers d'origine étrangère prêteraient à supposer que la main-d'œuvre était contrôlée, peut-être même, recrutée de force [1].

Le harem du palais d'Aménophis III à Thèbes [2] :

De part et d'autre de la salle hypostyle du palais d'Aménophis III à Thèbes deux groupes de constructions comprennent chacun quatre habitations mitoyennes identiques. Le plan est du type tripartite primaire de 'Amarna (fig. 26). Chaque habitation est indépendante et directement accessible de la salle hypostyle.

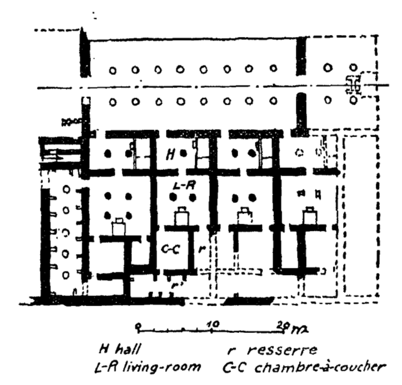


Fig. 26. Habitations moyennes du harem au palais d'Aménophis III à Thèbes.

(1) H. W. Fairman : *op. cit.* p. 46.
(2) H. Ricke : *op. cit.* S. 61. Abb. 56.

et dénommé "lit clos" ce massif n'est, en réalité, qu'un autel aux dieux qui y sont figurés en peinture : Bès, quelquefois Isis et Horus, auxquels avaient recours les gens du peuple. A 'Amarna la maison moyenne est aussi munie d'un autel privé. De petites niches au ras du sol contiennent d'ailleurs des stèles ou des statues.

Une seconde pièce, plus spacieuse et dont le plafond plat est soutenu par une ou deux colonnes en bois, sert de living-room. On y a toujours disposé un massif bas (0,2 m. de ht.) servant de divan. Le sol et le plafond sont plus élevés que dans le hall. Près du divan une baie à trappe ouvre sur un escalier descendant à une cave taillée dans le sous-sol. L'élément du divan est connu aussi à 'Amarna, où il est entouré d'une margelle [1]. Des stèles peuvent être fixées dans la paroi et servent, comme à 'Amarna, au culte des ancêtres. Au-dessous du parterre de cette salle, on a trouvé, comme à 'Amarna, des sépultures de nouveaux-nés.

Dans la paroi du fond du living-room deux portes s'ouvrent, l'une dans une pièce servant de chambre-à-coucher, l'autre dans un dégagement menant à la cuisine. On y a aménagé, comme à 'Amarna, le four, l'auge en pierre, le silo et un escalier menant à la terrasse.

Quelquefois une baie ouvrant dans la paroi au fond de la cuisine mène, par un escalier descendant, à une resserre taillée dans le roc. Il est à remarquer qu'aucun soin n'a été pris pour masquer l'intérieur de la maison, les portes en enfilade permettant de voir jusqu'au fond de la cuisine.

Le village n'était approvisionné en eau, comme au village ouvrier à 'Amarna, que par des ânes, à partir du canal le plus proche situé à un mille. Un réservoir à l'entrée du village servait à la distribution et chaque ménagère gardait sa provision dans une jarre, devant sa maison.

---

(1) H. Ricke : Der Grundriss des Amarna-Wohnhauses, S. 31, Abb. 31.

centre du grand côté. Cet élément est quelquefois doté d'une margelle (0,5 m. de ht.), mais souvent aussi d'une paroi fermée,

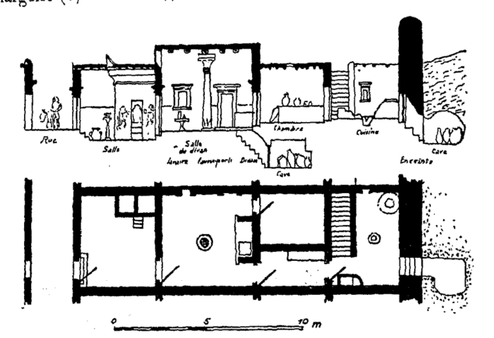


Fig. 24.—Plan type d'une maison à Deir el Medineh.

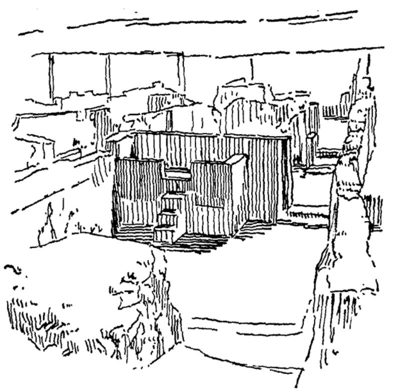


Fig. 25.—Perspective de l'intérieur d'une maison à Deir el Medineh.

couronnée d'une corniche, montant jusqu'au plafond et dans laquelle s'ouvre une porte, au haut de l'escalier. Mal interprété

La population du village était mélangée : Syriens, Nubiens, Hittites, Chypriotes. Il semble que les habitations d'ouvriers n'aient été occupées que par les femmes et les enfants, les ouvriers vivant dans des abris de la montagne pendant les neuf jours de travail et ne retournant à leur foyer que le dixième jour.



Fig. 23.—Plan d'ensemble de la cité ouvrière à Deir el Medineh.

Le type de la maison dans le village clos a un plan axé (fig. 24). Les parcelles sont mitoyennes, extrêmement profondes et peu larges (5×15m.= 75m^2.), disposées de part et d'autre de la rue médiane et le long d'une rue secondaire coudée. L'espace restreint devait avoir sa répercussion dans une économie de la construction. Malgré le surpeuplement du village les maisons ne semblent pas avoir comporté d'étage, mais seulement une terrasse où l'on dormait.

Le plan en est, évidemment, extrêmement réussi, n'ayant recours à aucun dégagement et basé sur le type tripartite primaire amarnien. Les murs sont aussi plus épais qu'à 'Amarna. Les pièces sont disposées en enfilade, communiquant par des portes à l'extrémité des murs transversaux du plan (fig. 25). Une première pièce en contrebas de la rue sert de hall d'entrée et est munie, dans un angle, d'un massif de maçonnerie ($1,7 \times 0,8 \times 0,75$ de ht.), vers lequel montent quelques trois à cinq marches, au

d'enceinte, suivant des éléments parallèles coudés en L, la porte étant à l'extrémité de chaque façade.

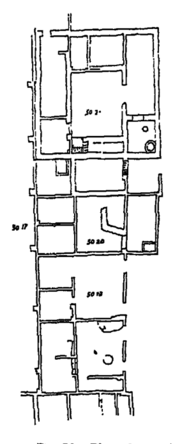


Fig. 22. Plans de grandes maisons à Hagg Qandil.

D'autres agglomérations trahissent une plus grande individualité et sont déjà plus spacieuses (4,7x 2 m = 38,5 m².) (fig. 22). Au-devant de la façade on a aménagé une cour (50·20), ce qui rapproche le programme du plan tripartite primaire de la maison au village ouvrier.

Le village ouvrier à Deir el Medineh[1] :

C'est dans une petite vallée aride que fut bâti, sous le règne de Touthmosis I (1528-1512 av J.C.), le village destiné aux ouvriers de la nécropole royale. Le site fu habité pendant près de quatre-cents ans, subissant trois agrandissements consécutifs, sous les XVIIIème, XIXème et XXème dynasties.

A son dernier stade le village comprend deux parties distinctes (fig. 23) :

1. Le noyau, plus ancien, enclos d'un épais mur d'enceinte de plan rectangulaire (131,65 x (47,5-50) m.), à rue médiane et contenent près de soixante-dix habitations pour ouvriers, scribes, artisans, chefs-de-travaux.

2. Le quartier externe, adjoint au petit côté Nord-Est de l'enceinte, comprend près de cinquante maisons, plus vastes, disposées le long d'une rue coudée et destinées à des prêtres.

(1) B. Bruyère : Fouilles de Deir el Medineh (1934-1935) III, p. 15 fol. H.W. Fairman : Town Planning in Pharaonic Egypt, p. 46-49.

La disposition des éléments du plan y est identique : hall peu profond, living-room spacieux attenant, au fond, à deux pièces (fig. 19). Un souci de l'intimité se manifeste dans le porche ou mur-paravent, érigé au-devant de la façade Nord, la porte d'entrée et la disposition des portes du hall dans les angles opposés, de manière à ne pas s'ouvrir en regard l'une de l'autre. Ce soin, qui ne se retrouve pas dans les maisons mitoyennes à 'Amarna, rappelle le dispositif à l'entrée de la maison mitoyenne des prêtres à Giza.

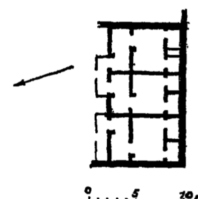


Fig. 19.—Plan de trois maisons de prêtres ('Amarna).

Maisons d'ouvriers à Hagg Qandil (1) :

C'est, sans doute, l'agglomération la plus pauvre à 'Amarna. La parcelle y est extrêmement petite (2,5 x 5,5 m. = 13,75 m².) et le plan consiste en un living-room et, dans le fond, deux petites pièces (fig. 20). Ce plan uniforme a, sans doute, été exécuté par

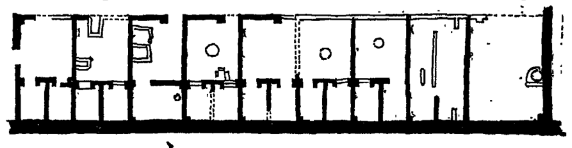


Fig. 20. —Plans de petites maisons à Hagg Qandîl.

une administration, comme le plan du village ouvrier (fig. 21). Les murs (0,17 m. d'épaisseur) des maisons sont simplement accolés au mur

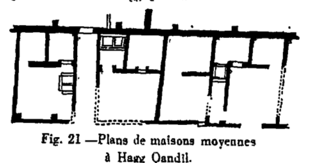


Fig. 21 —Plans de maisons moyennes à Hagg Qandil.

(1) Les trois plans m'ont été communiqués par le Dr. H Ricke, que je remercie.

profondeur des trois parties est uniforme, de sorte que les murs transversaux de toutes les maisons sont dans un même alignement. Le hall y est cependant doté de deux colonnes. Il en est de même du living-room qui peut n'avoir qu'une seule colonne, ou communiquer avec une pièce latérale correspondant à la seconde chambre de la maison privée normale (¹). Au fond deux portes

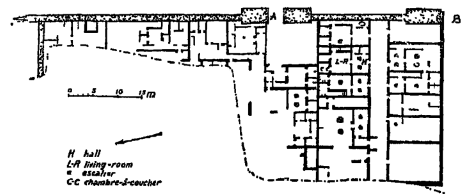


Fig. 18.—Habitations des serviteurs au Grand Palais à 'Amarna

ouvrent dans deux, ou même trois pièces. Dans toutes les maisons un escalier monte du living-room vers la terrasse. A part l'abondance des colonnes toutes ces maisons sont munies d'un parterre en brique, en pierre et brique ou en cailloux ; quelques-unes ont un petit cellier, des étagères contre les parois, des installations d'eau avec dalle en pierre, drain et bassin d'écoulement (²), un dais en brique ou une loggia à colonnes sur la terrasse. Tous ces éléments trahissent une recherche du confort, voire même d'agrément, qui enrichissent le programme du type simple de la maison connue par ailleurs dans la cité ouvrière.

Les trois maisons des prêtres de service au Sanctuaire du Grand Temple à 'Amarna (³).

Occupant toute la largeur, à l'extrémité Sud de la cour du Sanctuaire, se trouvent trois maisons mitoyennes identiques, du type tripartite primaire. La superficie est légèrement inférieure (4,5x7,5 m.) à celle d'une maison de la cité ouvrière.

(¹) *Ibid.* p. 36.
(²) *Ibid.* pl. XXXIII, 1.
(³) *Ibid.* pl. VII-VIII, p. 7.

L'installation sanitaire (N° 23, 27) et certains détails dans la construction, tels que le pavage en brique (N°37), l'aménage-

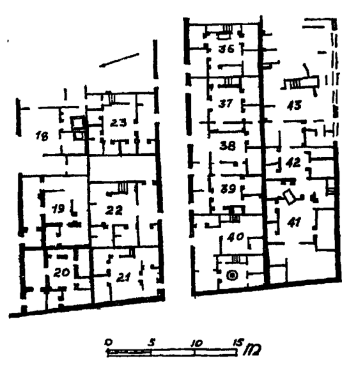


Fig. 17.—Quartier des fonctionnaires à 'Amarna.

ment d'un cellier dans le sous-sol du living-room ou d'un bassin à libations prouvent que l'architecte, tout en ménageant le facteur économie, à su adjoindre certains éléments de confort.

Quartier des serviteurs dans le Grand Palais à 'Amarna (1).

Au Nord du palais deux groupes de maisons mitoyennes, s'alignant le long de deux rues Est-Ouest, en quatre rangées dont deux accolées dos-à-dos, servaient à loger les serviteurs. On y accède directement de la Rue Royale par un portail.

Les parcelles ne sont pas exactement de la même largeur, quoique de même profondeur (fig. 18). Une moyenne de cinq mètres semble cependant avoir régi la largeur, tandis que la longueur mesure dix mètres, ce qui coïncide avec les dimensions de maisons d'ouvriers dans le village Est. Le plan est d'ailleurs presque identique, toujours du type tripartite primaire. La

(1) *Ibid.* p. 35, pl. XIII A.

de cette pièce, où l'on vivait. Le souci de l'agréable se manifeste dans la plus grande hauteur du plafond soutenu par une colonne centrale, dans la décoration des parois au moyen de fresques.

La chambre-à-coucher contient un matelas en joncs ou un lit de palmes. La cuisine est souvent dotée d'un récipient à provisions, un four cylindrique en poterie pour la cuisson du pain, un mortier en pierre à pilon en bois, une aire enduite de pisé et de mortier au calcaire pour la préparation de la pâte [1]. Le combustible devait consister indifféremment en paille ou boue desséchée. Comme Peet-Woolley le font justement remarquer le programme ne comporte pas de pièce réservée à l'emmagasinage, puisque ce souci était laissé à l'administration dirigeant la cité ouvrière, gouvernement ou entreprise.

Le quartier des fonctionnaires à 'Amarna.

Au Sud du Bureau des Archives à 'Amarna se trouve un ensemble de maisons à plan uniforme mitoyen, accolé dos à dos, de part et d'autre de rues Est-Ouest. Les parcelles sont sensiblement plus spacieuses que celles du village d'ouvriers, et les pièces plus nombreuses, ce qui permet de supposer que ce plan d'urbanisme était destiné à des habitants d'une position sociale quelque peu plus élevée. On a pensé à des fonctionnaires subalternes [2].

Le plan est de type tripartite (fig. 17) : un vaste hall transversal, muni à une extrémité d'une toilette, précède un living-room carré. Dans le fond deux portes mènent à la cuisine et à la chambre-à-coucher. Le living-room n'occupe pas toute la largeur de la maison, mais est bordé latéralement d'un escalier et d'une pièce longue et peu profonde. C'est, avec l'augmentation des dimensions (8,75×6 m. : N° 36, 37, 38 ; ou 8×8 m. : N° 22), la seule différenciation avec les maisons d'ouvriers.

---

(1) *Ibid.* p. 64.

(2) T. Eric Peet—C. Leonard Woolley : The City of Akhenaten, III. 1951. p. 122-3, pl. XX, XLIX, 4.

sous terre, contiennent les provisions. C'est aussi ici que se trouve la réserve d'eau : une jarre posée au-dessus d'une dalle en calcaire, d'où l'eau s'écoule par un drain vers un pot enterré sous terre ([1]). Quelques disques en pierre (5-10 cm. d'épaisseur), servant de tables, de chaises, des instruments de travail, des

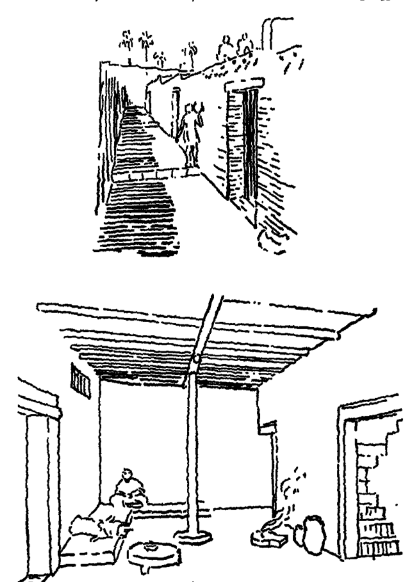


Fig. 16.—Perspectives reconstituées d'une rue et d'un intérieur ('Amarna) (Ludolf Veltheim-Lottum : Kleine Weltgeschichte des städtlischen Wohnhauses, 1952, S. 90-91).

lampes à huile placées dans des niches (1 m. ht. au-dessus du sol) ou sur des piquets enfoncés dans la paroi, complètent le mobilier

([1]) *Ibid.* p. 62.

Le plan axé est réduit à sa plus simple expression : trois pièces de la largeur de la façade se font suite, la dernière étant subdivisée en deux parties. Le principe de la division tripartite y est au stade primaire. On accède de la rue par une porte à une extrémité de la façade, à un hall. Quelquefois on y a aménagé une cuisine ou un escalier montant à la terrasse. La seconde pièce, la plus spacieuse, est un living-room, dont le plafond est soutenu par un tronc de palmier. Dans le mur du fond deux portes mènent à deux petites pièces adjacentes : une chambre-à-coucher et une cuisine, contenant souvent un escalier. En se basant sur la hauteur du tronc de palmier (2,10 m.) on a pu estimer la hauteur du plafond à environ 2,30 m. Les fenêtres, s'il y en eut, devaient s'ouvrir au haut des parois, ou au-dessous du plafond plus élevé du living-room. Le mur postérieur de la maison n'était pas, sans doute, percé de baie, un malqaf pouvant suffire à la chambre-à-coucher et un trou pour évacuer la fumée de la cuisine. Peut-être même celle-ci n'était-elle couverte que de fagots de bois à bruler [1].

L'attribution des différentes pièces est clairement corroborée par l'équipement qui a été retrouvé dans chacune d'entre elles. Le hall d'entrée (2x5 m.) contient souvent une mangeoire et des tenons d'attache pour animaux (N° 26, rue O) : on pouvait donc y élever des bestiaux ou héberger une bête de somme. L'existence de foyers ouverts ou de fours (N° 13, rue O), avec tout un attirail de moules, de bols, de brosses et de forets indique l'exercise d'un artisanat. Un métier à tisser pouvait aussi s'y trouver installé.

Le living-room est la pièce où la famille se retrouve à l'heure du repas et du repos : un estrade en brique crue (0,10-0,20 m. de ht.), sur laquelle on étend des nattes, sert de divan (fig. 16). On y établit un foyer consistant en un bol en terre-cuite entouré d'un rebord en terre. Des jarres, à même le parterre ou enterrées

(1) *Ibid.* p. 57.

destruction de la capitale. Le site n'aurait donc été occupé que pendant près d'un demi-siècle. (1).

Ici aussi, comme à Kahoûn, un mur Nord-Sud traverse la ville, la divisant en deux quartiers de superficie inégale, celui à l'Est n'atteignant que la moitié de l'autre. Dans le quartier de l'Ouest une seule rue Nord-Sud dessert deux rangées de maisons. Les quatre autres rangées sont desservies, chacune, par une rue. Cette division en deux quartiers correspondrait-elle à une différentiation raciale ou sociale ? (2)

Mieux qu'à Kahoûn les habitations mitoyennes sont à plan unique (fig. 15). Chaque parcelle mesure 10x20 coudées, soit

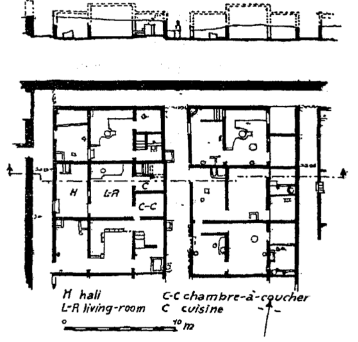


Fig. 15.— Plans de six maisons au quartier central Nord ('Amarna).

5x10 m. Les façades d'entrée des maisons sont orientées vers l'Ouest. Les murs d'une épaisseur minime (0,35 m. pour les parois externes ; 0,13 m. pour les parois internes) ne sont pas destinés à soutenir un étage (3).

---

(1) B. Bruyère : Fouilles de Deir el Medineh (1934-1935), III, p. 52.

(2) B. Smith : Egyptian Architecture as cultural expression, 1938, p. 217.

(3) T. Eric Peet—C. Leonard Woolley : *op. cit.* I, p. 56.

d'aucuns [1] en ont déduit que les ouvriers n'étaient pas toujours très paisibles et étaient astreints au travail. L'approvisionnement en eau devait se faire du Nil, situé quelques kilomètres à l'Ouest, par transports et il y a lieu de croire que cette difficulté seule aurait suffi à faire abandonner le village, au moment de la

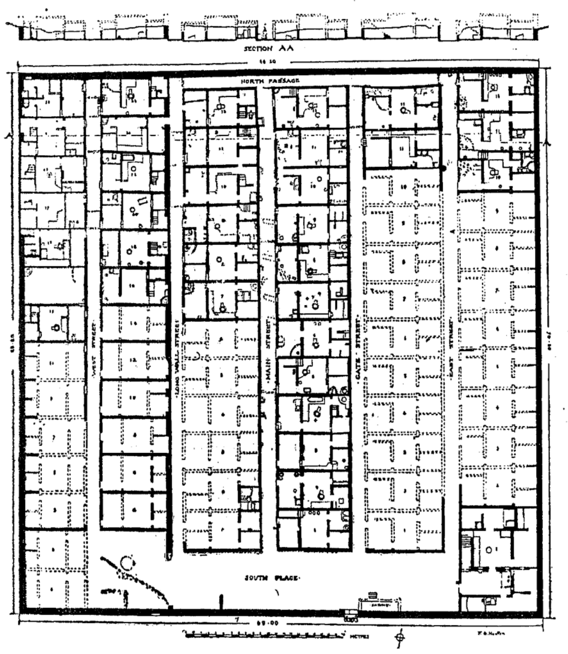


Fig. 14.—Village ouvrier à 'Amarna.

(1) H.W. FAIRMAN : Town Planning in Pharaonic Egypt, p. 46. T. Eric PEET—C. Leonard WOOLLEY : *op. cit.* I, p. 52.

du roi Djeser imité en pierre dans l'ensemble de sa pyramide à Saqqara (1) (fig. 3). Le plan axé, tripartite, se maintient pour aboutir bientôt au plan amarnien.

Les deux autres paires sont de même profondeur et accolées. Le type le plus grand se rapproche (22,5×7, 5 m. = 168,5 m².) de la maison précédente: façade Nord à porte axiale, cour et portique à deux colonnes, deux halls en enfilade, desservant, le premier, une grande chambre et le second, deux petites. Le type le moins spacieux (22,5×5,5 m. = 123,75 m².) toujours en deux exemplaires mitoyens à une porte à l'extrémité de la façade, ouvrant sur une large pièce desservant deux chambres séparées latérales et deux autres pièces en enfilade.

Maisons ouvrières à 'Amarna.

Les architectes se devaient de mettre au point un plan de maison mitoyenne axée, ou le facteur "économie" aurait joué le rôle le plus important, normal dans un programme d'une capitale érigée du jour au lendemain, dans les sables du désert. On y trouve un type unique de maison mitoyenne, avec différences infimes, appliqué dans de grands ensembles, tels que la cité ouvrière, le quartier des fonctionnaires, ou individuellement dans les habitations des prêtres à côté des temples, les habitations des serviteurs dans le palais.

Le cité fondée par le pharaon Akhnaton pour les ouvriers de la nécropole de la nouvelle capitale, présente un plan d'urbanisme semblable à celui de Kahoûn (fig. 14). Située à l'Est de la capitale, dans un repli du désert et à proximité des tombes, cette cité, connue sous la dénomination de "village oriental" (2), est entourée d'une muraille d'enceinte sur plan carré (69-70,2 m.), orientée vers les points cardinaux. Il semble que le village ait été fermé la nuit et surveillé par des gardes et

(1) H. Ricke: Bemerkungen zur Baukunst des Alten Reichs. I. Abb. 26.

(2) T. Eric Peet—C. Leonard Woolley: The City of Akhenaten. I. pl. XVI. p. 51 fol.

le même prolongement, ce qui ferait croire à l'adoption d'un plan plus ou moins uniforme (1).

Annexes au temple du Moyen Empire à Médamoud (2).

A l'intérieur des gros murs englobant le temple de Médamoud se trouve une série de bâtiments, dont certains semblent être des dépôts, d'autres cependant des habitations. Ces dernières sont réparties par paires en trois groupes (fig. 13). Les deux

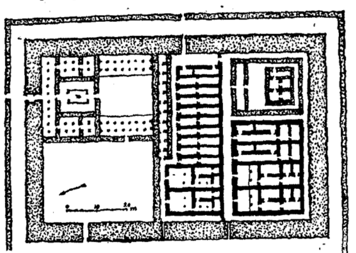


Fig. 13.—Maisons mitoyennes annexées au temple du Moyen Empire à Médamoud

plus petites sont mitoyennes, de même plan ($19 \times 7,5$ m. $= 142,5$ m^2.), adjacentes à une série de dix magasins. La façade, dirigée au Nord, est munie d'une porte centrale, suivie d'une cour, dont la partie du fond est occupée par un portique à deux colonnes. C'est déjà l'aménagement amarnien qui s'annonce. La seconde partie du plan semble consister en un hall à deux colonnes, un living-room et une chambre-à-coucher, disposés en enfilade. Une pièce séparée accessible à partir du hall pourrait servir de cuisine. Le plan du type axé rappelle fortement celui du pavillon

(1) A.M. Blackman (Fairman): Preliminary Report on the Excavations at Sesebi, Northern Province, Anglo-Egyptian Sudan, 1936-1937, J.E.A., XXIII, p. 145.

(2) Robichon-Varille: Description sommaire du temple primitif de Médamoud, 1940, fig. 2.

pièces, dont la plus grande, au centre, pouvait être une cour, et les autres, les chambres du harem.

Comme on le voit la distribution proposée est des plus aléatoires et n'est guère suggérée que par l'étude des proportions des pièces, de leur position respective et une comparaison avec le plan de la grande maison de Kahoûn.

Maisons à Sesebi.

Dans la ville de Sesebi, au Soudan, le tracé suit les règles d'urbanisme : les rues se coupent à angle droit, se dirigent vers les points cardinaux et forment quatre grands blocs. L'agglomération date d'avant Akhnaton.

On ne saurait cependant y reconnaître un type uniforme de maison mitoyenne en série, quoique les habitations y soient quelquefois accolées dos à dos, et de profondeur uniforme, avec des parois mitoyennes (fig. 12). Le type du plan semble suivre le principe tripartite : un vaste hall, rappelant le hall transversal de la villa amarnienne, un living-room entouré de quatre pièces. Les murs transversaux des maisons adjacentes se trouvent dans

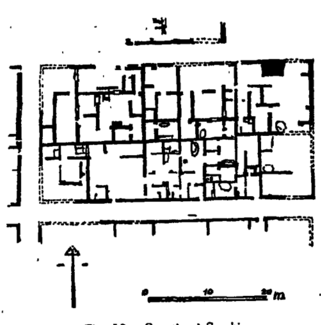


Fig. 12.—Quartier à Sesebi

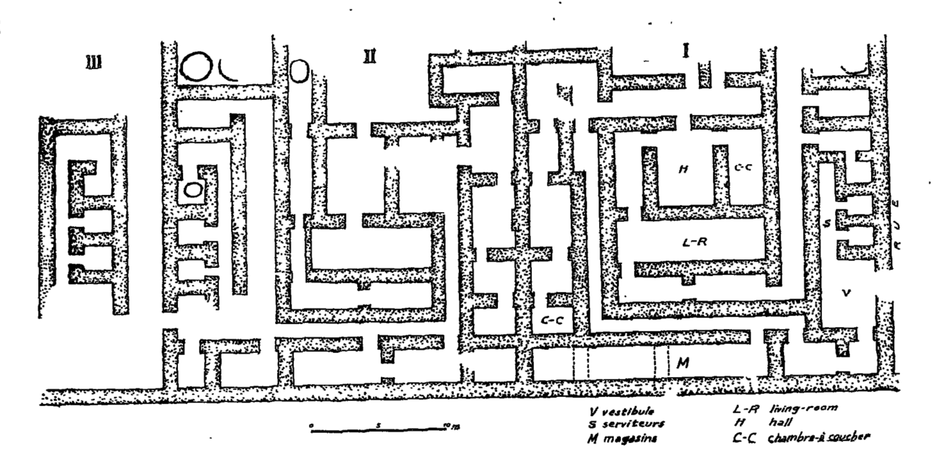


Fig. 11.—Plans de trois maisons mitoyennes (Abydos).

une baie. Souvent des nouveaux-nés furent trouvés ensevelis dans des coffrets, sous le parterre des maisons (1).

Comme dans les maisons de Giza aucun dispositif spécial n'a été aménagé pour la cuisine, les traces de foyers se retrouvant indifféremment dans diverses pièces. On ne saurait donc parler de "cuisine".

Agglomération à Abydos.

Une cité pour loger le personnel employé à la construction de la tombe de Ahmes I fut aménagé à Abydos et n'aurait été habité que pendant dix ans (2).

Les parcelles sont grandes, carrées (26, 3x27 m. $=$ 710 m^2.) et les habitations mitoyennes. Le plan de lotissement semble être uniforme, symétrique par rapport au mur de mitoyenneté, par paire de maisons adjacentes.

Le plan de la maison est du type asymétrique avec de gros murs (1 m. d'épaisseur), bien construits (fig. 11). Il est difficile de reconnaître l'attribution des différents éléments. On pourrait, peut-être, les grouper en trois sections où l'on verrait les pièces de réception et l'habitation du maître, au centre, les chambres du harem, magasins et dépendances. Un hall d'entrée très peu profond mène à l'appartement du maître, qui forme le noyau de la maison. C'est un second hall central, flanqué d'une chambre-à-coucher et d'un dégagement menant à un living-room. Un long dégagement en sort et mène à de petites pièces servant de dépendances. A partir du hall d'entrée un vestibule, muni de deux portes, conduit vers les autres sections de la maison : un long dégagement coudé aboutit à de longues pièces, bordant la partie postérieure, et qui pourraient être identifiées comme magasins. La seconde porte ouvre sur une enfilade de quatre

---

(1) W. Fl. Petrie : Kahun, Guroab and Hawara, p. 24.

(2) E.R. Ayrton, C.T. Currelly and A.E.P. Weigall : Abydos III, 1904, p. 37.

proche du dégagement d'entrée, serait, peut-être, réservé à la réception.

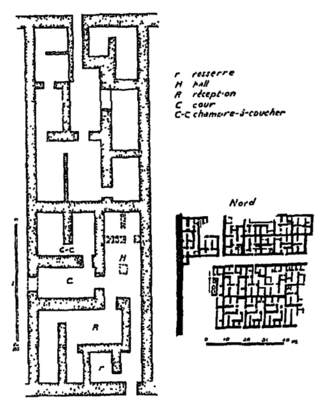


Fig. 10.—Plans de deux types de petites maisons mitoyennes (quartier Ouest, Kahoûn)

L'attribution de la description "cour" à un élément du plan d'habitation égyptienne est très souvent aléatoire, lorsque ses dimensions permettent une couverture. L'éclairage et l'aération peuvent facilement se faire par la porte et des manches d'aération (malqaf).

Des greniers coniques (1,6 m. de diamètre) furent trouvés dans plusieurs pièces. Si l'on en croit le relevé d'urbanisme il semble que la plupart des maisons aient été rendues communicantes avec les maisons accolées, dans la même rangée ou dans celles au dos [1].

Dans une pièce on avait aménagé un cellier souterrain (0,90x1,50 m.), de hauteur médiocre (0,90 m.), et accessible par

[1] W.Fl. Petrie : Illahun, Kahun and Gurob, pl. XIV.

on pourrait le comparer aux installations d'appartements pour concubines ou servantes dans le palais de 'Amarna, connues d'après les représentations ([1]) (fig. 30) et par les fouilles ([2]). Le même groupe en habitation mitoyenne, se retrouve dans le palais d'Aménophis III à Thèbes ([3]) et les deux palais de Ramses III à Medinet Habou ([4]). Là, cependant, l'habitation de la concubine n'est pas accompagné, comme à Kahoûn, d'un groupe consistant en une seconde cour et trois pièces destinées aux servantes.

Deux groupes de chambres, munies de cour et accessibles de l'entrée subsidiaire, pourraient avoir servi de bureaux ([5]).

Le type de la petite maison.—La majorité des maisons mitoyennes sont placées dos à dos, suivant des rangées bordant des rues Est-Ouest. Seules, quelques-unes des rues, les plus pauvres d'ailleurs, sont dirigées du Nord au Sud. Il semble que l'on puisse distinguer plusieurs types de plans variant légèrement. La superficie peut, cependant, monter de 95 m²., pour quatre chambres, à 169 m²., pour six à douze pièces.

Le type de plan est semblable à celui de l'ensemble de Khentkaous, plus simplifié sans doute (fig. 10). Ici aussi point de dégagement, mais des pièces coudées. Le programme le plus complet, celui de quelques dix maisons au Sud-Ouest du relevé d'urbanisme, consiste en une façade Nord ou Sud, à l'extrémité de laquelle s'ouvre une porte donnant sur un petit vestibule, à pièces latérales (resserre, ?), d'un court dégagement aboutissant à un hall au plafond soutenu par un pilier. C'est de cette pièce, qui forme le centre du plan, que l'on a accès par deux portes à deux groupes, de trois pièces chacun. L'un, aménagé dans le coin le plus éloigné de l'entrée, pourra être identifié comme cour et deux chambre-à-coucher communicantes. L'autre groupe, plus

---

([1]) N. de G. Davies : Amarna, VI, pl. 28.
([2]) J.D.S. Pendlebury : The City of Akhenaten, II, pl. XII, A, 1.
([3]) H. Ricke : *op. cit.* Abb. 56.
([4]) *Ibid.* Abb. 59, 60.
([5]) H.W. Fairman : *op. cit.* p. 43.

L'appartement principal forme le noyau du plan et se trouve sur l'axe principal, soit au centre (série Nord), ou au Sud (série Sud). Une vaste cour le précède et un portique à colonnes en borde la face Nord. Comme pour les grandes villas à 'Amarna le plan en est tripartite [1] : la porte d'entrée, à une extrémité du portique, ouvre dans un hall transversal très peu profond, communiquant avec une salle carrée de réception à quatre colonnes, flanquée d'un hall à deux colonnes et de la chambre-à-coucher. Dans le fond on a accès à un living-room et à quatre chambres secondaires, dont l'une est munie d'une salle de bain.

Que l'entrée de la maison soit unique ou double, on a aménagé un dispositif double de dégagements séparés desservant les appartements d'habitation (appartement du maître, harem) ou les dépendances. Un petit vestibule carré à une colonne communique avec deux dégagements, dont l'un, plus large, aboutit à un second vestibule pareil au premier et qui ouvre sur la cour principale. Le second dégagement mène, directement ou par le même vestibule, à deux ou trois cours desservant les pièces des dépendances et greniers. Ceux-ci, placés au Nord, consistent en deux rangées de quatre pièces carrées communicantes ou disposées en damier et dépendant d'une cour. L'écurie est une grande salle à quatre stalles, et se trouve reléguée à l'Ouest. On y parvient par une entrée séparée ou, de l'entrée principale, par un dégagement qui lui est réservé.

Le harem, disposé à l'Ouest ou à l'Est, n'est accessible que de la cour principale, et consiste en deux groupes de pièces disposées autour de deux cours. C'est l'habitation de la femme principale : dépendant d'une cour carrée, autour de laquelle est disposé un portique, se trouvent un living-room, une chambre-à-coucher, une resserre et un bain. C'est, en somme, le même programme du troisième groupe, dans le plan tripartite à 'Amarna. Là, cependant, le harem n'existe pas, puisque la condition sociale de l'épouse lui permettait de vivre avec son époux. Par contre,

---

(1) H. Ricke : Der Grundriss des Amarna-Wohnhauses, 1932, S. 53.

d'autre d'une rue Est-Ouest, qui leur est réservée, et qui se termine, à une porte, dans la muraille Est d'enceinte. Il est curieux de remarquer que la grande maison (40x60 m. = 2400 m².) occupe autant de terrain que vingt-cinq maisons ouvrières du type primaire (9,9x9,6 m. = 95 m².) ou quatorze maisons d'un type moins modeste (10,5x16 m = 168 m².). Il semble qu'elles aient été réservées à de grands fonctionnaires.

Plus de cent maisons de petites dimensions occupent le reste de l'espace fouillé.

Le type de la grande maison.—Les grandes maisons (40x60 m.) se trouvent de part et d'autre d'une rue Est-Ouest et n'y ont, chacune, qu'une ou deux portes d'entrée. Comme l'orientation vers le Nord a été maintenue pour les différents appartements, on a du avoir recours à des dégagements plus ou moins longs pour faire communiquer les vestibules avec la rue. On peut distinguer quatre sections dans le plan : l'appartement principal, réservé au maître, le harem, les dépendances et les pièces du bureau ou greniers (fig. 9) (¹).

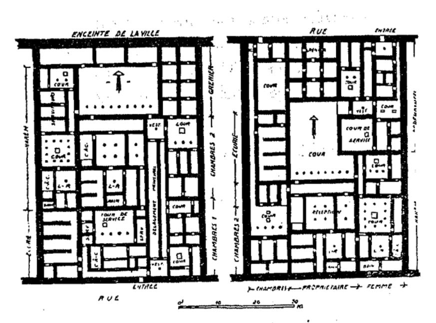
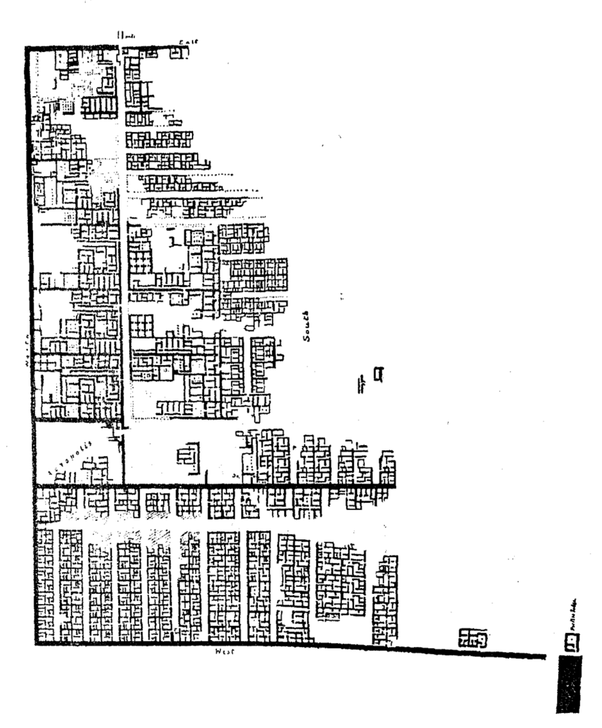


Fig. 9.—Plans de deux types de grandes maisons mitoyennes (quartier Nord, Kahoûn).

(¹) H. W. Fairman : Town Planning in Pharaonic Egypt, p. 43.

(de 20,1-21,3 inches) prouvent que le plan d'urbanisme a été soigneusement tracé d'après un projet unique [3].



Au Nord de la cité une large superficie est occupée par huit ou neuf maisons de grandes dimensions, mitoyennes, de part et

(1) W. Fl. PETRIE : Kahun, Gurob and Hawara, p. 23.

ses lignes générales, a pu être reconnue dans la maison dès la troisième dynastie [1]. Ricke a, en effet, pu retrouver le programme d'une habitation de l'époque, copié dans le pavillon du roi Djeser à Saqqara (fig. 3).

La couverture de ces maisons pourrait avoir consisté en voûtes de brique, les proportions des pièces étroitées et les épaisseurs des murs (0,80 m. pour les murs externes, 0,60 m. pour les parois internes) étant en faveur de cette hypothèse.

La cité ouvrière à Kahoûn.

Cette cité, construite pour héberger les ouvriers travaillant à la pyramide de Senousert II (1897-1879 av. J.C.) et occupée pendant près d'un siècle, présente un plan d'urbanisme bien défini [2] (fig. 8). Seule une partie du site a été fouillée, mais il semble qu'il ait été entouré, comme la cité ouvrière à 'Amarna, d'un mur d'enceinte sur plan carré, les côtés dirigés vers les quatre points cardinaux. Toujours comme à 'Amarna un mur Nord-Sud sépare une tranche occupant moins que le tiers de la superficie totale. Les maisons mitoyennes sont accolée dos à dos le long de rues Est-Ouest, dans le quartier Ouest, ou Nord-Sud dans la ville elle-même.

Elles sont pour la plupart très petites et ont subi maint remaniement de manière à faire communiquer deux ou trois maisons mitoyennes. On peut, toutefois, distinguer trois variantes d'un même plan caractérisé par l'absence totale de dégagements, ce qui trahit un souci d'économie. La répétition du même plan et l'emploi de dimensions à coudées entières, 10,5,4,3,2

(1) H. Ricke: Bemerkungen zur Baukunst des Alten Reichs, I. Abb. 26.

(2) W. Fl Petrie: Illahun, Kahun and Gurob, 1891, p. 5. W. Fl Petrie: Kahun, Gurob and Hawara. 1890, p. 23. B. Smith: Egyptian Architecture as cultural expression. 1938, p. 216. H.W. Fairman: Town Planning in Pharaonic Egypt. The Town Planning Review, XX, N° 1, 1949, p. 43.

Sud de chaque maison on s'aperçoit que seule celle du Sud a été munie d'un dispositif en chicane bien étudié, éliminant une vue directe de la maison sur la voie. La largeur réduite des dégagements coudés n'est pas pour faciliter l'accès aux porteurs d'eau, aux serviteurs ou bêtes de somme. Tout porte à croire que l'entrée Sud était réservée à l'accès des prêtres. La rue au Nord desservait les entrées de service.

La description du plan est loin d'être aisée. L'étude comparative des trois types de plans dans cette agglomération peut suggérer la distribution suivante : le noyau est occupé par une cour attenant d'une part à la partie publique, et de l'autre à la partie privée de l'habitation. Ceci semble corroboré par l'existence de deux pieds-droits à l'extrémité Sud de cette cour, ce qui ferait supposer que seul ce retrait aurait été voûté, pour abriter un divan. Dans le type des six maisons identiques on aurait, à partir de l'entrée principale au Sud, le dispositif des murs-paravents, une cachette (r), un premier hall (H), duquel on parvient à un second hall ou salle de réception (R). De l'autre côté de la cour (C) se trouvent les deux chambres-à-coucher (C-C) communicantes, occupant le fond de la demeure. A côté de l'entrée Nord se trouve une resserre ou toilette (r') et une pièce, quelquefois subdivisée, servant de magasin (M). Dans un cas on y avait construit cinq silos(1). Dans le type des deux maisons à l'extrémité Est de la série, on aurait une disposition quelque peu différente : à partir de l'entrée principale on verrait une salle de réception (R), puis la cour (C), au fond de laquelle on aurait, d'une part, un resserre, et, d'autre part, une porte conduisant à un hall (H) et à une pièce attenante (H'). Le fond du plan est occupé par trois pièces, vraisemblablement un vestibule (V) et deux chambres-à-coucher (C-C). La resserre (r') et le dépôt (M) ont été étirés en longueur sur la façade Nord.

Cette disposition a l'avantage de concorder avec celle des maisons moyennes à l'époque de 'Amarna, disposition qui, dans

(1) S. Hassan : *op. cit.* p. 38 (N° 75 du plan. fig. 1).

Plusieurs autres considérations (1) tendent à prouver que cette voie avait été réservée aux cérémonies du culte. On a, en effet, évité de la couper par la rue transversale qui dessert l'agglomération des maisons au Sud, en aménageant un passage souterrain, projet qui suppose une somme d'efforts et de connaissances techniques peu ordinaires. De plus les dernières maisons à l'extrémité Est n'ouvrent pas sur cette voie, mais dans la rue transversale (fig. 7). Si l'on compare les deux entrées Nord et

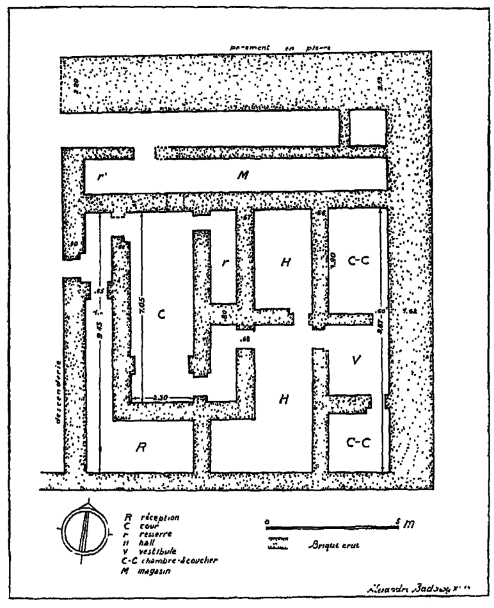


Fig. 7.—Plan de la Maison à l'extrémité Est (Ensemble de Giza)

---

(1) Je remercie le Dr. H. Ricke qui a bien voulu examiner mes suggestions.

Le plan individuel de la maison semble avoir été mal interprété par le fouilleur, qui a placé l'entrée principale au Nord et l'entrée de service sur la façade Sud (fig. 6). Celle-ci se trouve, cependant, le long de la voie aboutissant à l'entrée de la chapelle du mastaba de Khentkaous, suivant l'axe de cette entrée. Il semble donc qu'elle soit en rapport avec celle-ci.

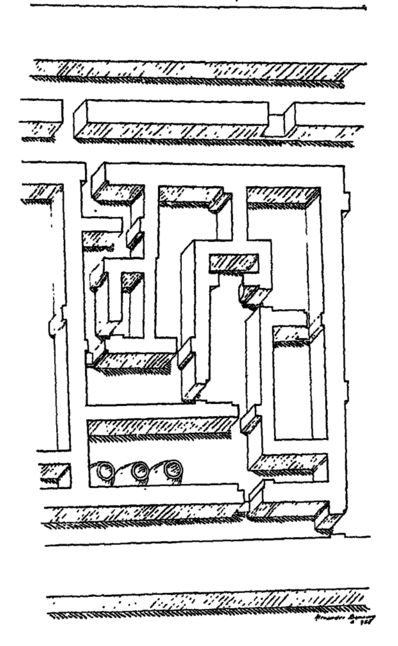


Fig. 6 — Vue axonométrique d'une maison, prise du Nord.

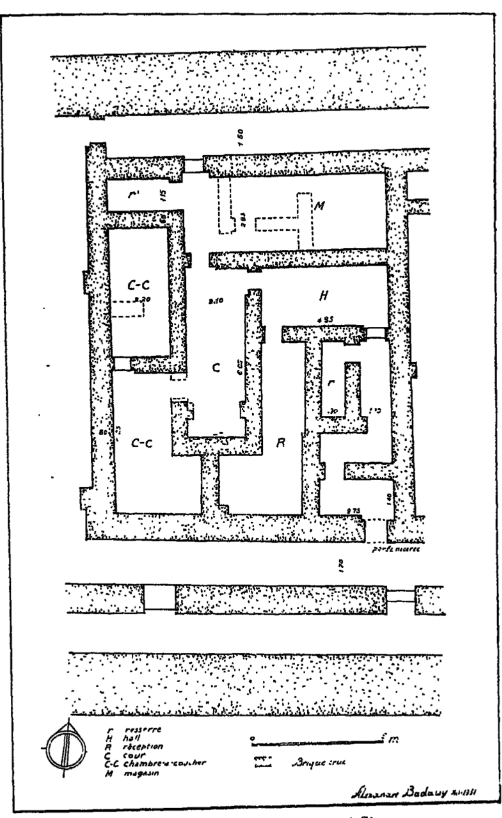


Fig. 5. Plan d'une maison mitoyenne à Giza.

semble pouvoir être assignée à la même époque de construction que cette tombe, du fait qu'un seul mur d'enceinte englobe la tombe et cette agglomération (1).

On peut y reconnaître six maisons de plan identique (fig. 4), occupant toute la profondeur des parcelles (14,4 m.), placées côte à côte, puis, vers l'Est, deux autres dont le plan ne présente plus que la partie Sud du type précédent, la façade Nord ayant été reculée par la rue qui fait un crochet, et enfin deux dernières maisons assez semblables, de part et d'autre du passage souterrain creusé au-dessous de la rue Est-Ouest. Les parcelles sont quadrangulaires (11,4x14,4 m. pour la première à l'Ouest, ou 11x13 m. pour les deux à l'extrémité Est). La forme légèrement trapézoïdale des parcelles est due à ce que la rue Nord n'est pas rigoureusement parallèle à celle courant de l'Ouest, à partir de la superstructure de la tombe vers l'Est. La superficie construite est relativement modeste (164m², 142m²), si on la compare à celle des maisons d'ouvriers à Kahoûn (169m²).

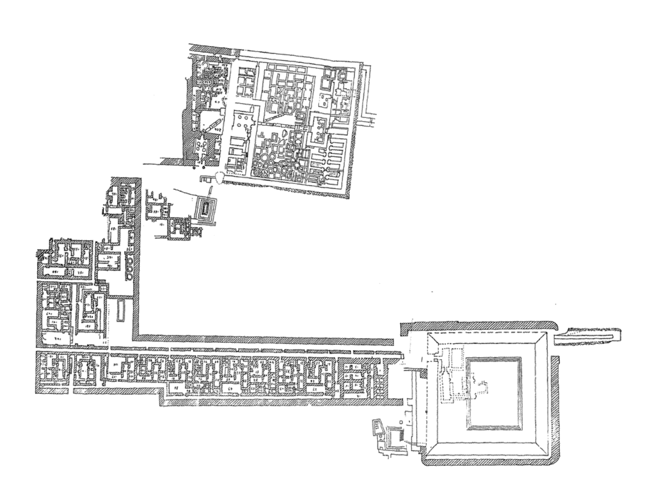
Le plan est clairement du type asymétrique ou à dédales (fig. 5), avec prédominance des éléments coudés en L, sans avoir, toutefois recours à des dégagements. Chaque maison a deux entrées aux deux coins opposés du plan, l'une au Nord-Ouest et la seconde au Sud-Est. Aucune trace d'escalier ne fait présumer de l'existence d'un étage.

Le plan des six maisons n'est pas rigoureusement identique. L'architecte a tracé la majeure partie du plan, celle qui est délimitée par la façade Sud et le mur transversal Est-Ouest, suivant un schéma uniforme, qui se maintient dans les maisons adjacentes à l'Est. La profondeur de la partie restante, immédiatement attenante à la façade Nord augmente sensiblement, de la première maison à l'Ouest, vers la sixième, à l'Est. C'est donc la rue Sud qui a servi de ligne de base au projet d'urbanisme.

(1) S. Hassan : Excavations at Giza, 1932-1933, fig. 1, p. 35 fol.

TABLEAU COMPARATIF DE LA SUPERFICIE DE LA MAISON SUIVANT L'OCCUPANT

Occupant	Dimensions	Emplacement	Epoque	Superficie totale	Superficie utilisable	Pourcentage utilisable
Soldats ou esclaves (administration ?)	16x16 m.	Medinet-Habou	Ramses III.	158,85 m².	97,5 m².	61,3 %
Serviteurs	6x10 m.	'Amarna .	Akhnaton .	60 m².	49,30 m².	82,1 %
	7x14 m.	Malqata .	Aménophis III	91 m².	54,2 m².	59,6 %
Ouvriers	10,5x16 m.	Kahoûn. .	Senousert II	169 m².	103 m².	63,2 %
	5x10 m.	'Amarna .	Akhnaton .	50 m²	40,2 m².	80,4 %.
	4,3x6 m	'Amarna .	Akhnaton .	25,8 m².	20,16 m².	80 %
	2,5x5,5 m.	'Amarna .	Akhnaton .	13,75 m².	10,27 m².	74,6 %
	5x15 m.	Deir el Medinuh.	XVIII-XIXème dynastie.	75 m².	62,77 m².	83,5 %
Fonctionnaires	40x60 m	Kahoûn. .	Senousert II	2400 m².	—	—
	26,3x27 m.	Abydos . .	Ahmes . .	710 m².	425,84 m².	59,9 %
	6,2x16,5 m.	Medinet-Habou	Ramses III.	102 m².	55,44 m².	46,2 %
	8,7x11 m.	Medinet-Habou	Ramses III.	95,7 m².	38,78 m².	40,6 %
	8x8,7 m.	'Amarna .	Akhnaton .	69,6 m².	60,2 m².	86,8 %
	6x8,75 m,	'Amarna .	Akhnaton .	51,5 m²	—	—
Prêtres	11,4x14,4m.	Giza. . .	Khentkaous.	164 m².	99,47 m².	60,5 %
	11x13 m.	Giza. . .	Khentkaous.	143 m².	—	—
	7,5x19 m.	Medamoud.	Moyen-Empire	142 m².	104 m².	73 %
	7,5x22,5 m.	Medamoud.	Moyen.Empire	168,7 m².	104,2m².	61,9 %
	5,5x22,5 m.	Medamoud.	Moyen-Empire	123,7 m².	68,2 m².	55,2 %
	4,5x7,5 m.	'Amarna .	Akhnaton .	33,75 m².	31,05 m².	94 %
Harem	8x22 m.	Thèbes . .	Amenophis III	176 m²	154,4 m².	87,5 %
	5x10 m.	Medinet-Habou	Ramses III.	50 m².	35,6 m².	71,2 %
	5x10 m.	Medinet Habou	Ramses III.	50 m².	39,2 m².	78,4 %



Il est extrêmement intéressant de rapprocher les plans d'agglomérations ouvrières dans les deux principales cités de l'Inde préhistorique, Harappâ et Mohendjo-Daro.. Au Nord-Ouest de la citadelle de Harappa deux rangées de quatorze maisons mitoyennes, remontant à près d'un millénaire avant l'époque amarnienne, on été retrouvées. Le plan (40 × 24 pieds) consiste en deux pièces en enfilade, la première plus vaste, avec une entrée en diagonale. Le même dispositif est employé à Mohendjo-Daro, en deux rangées parallèles de maisons mitoyennes (20 × 12 pieds), desservies par une rue et une allée [1].

La superficie utilisable est celle des pièces habitables, tirée de la superficie totale, après déduction des superficies de la maçonnerie et des dégagements. Le pourcentage en est calculé, représentant le rapport de la superficie utilisable à la superficie totale.

Si l'on compare les données calculées d'après les dessins on est frappé de la haute efficience atteinte par les architectes amarniens: Les habitations dépendant des temples ou des palais sont les plus coûteuses, parce que construites avec de gros murs, quelquefois même attenant à des murailles d'enceinte. Il faut, par contre, mentionner qu'elles étaient munies d'un étage, ce qui compense les frais d'installation du rez-de-chaussée.

Certains plans, comme celui des habitations du palais d'Amenophis III à Malqata, ne donnent qu'un pourcentage utilisable relativement réduit, malgré l'emploi d'un système économique de murs, parce qu'érigés indépendamment, ne comportant aucune paroi mitoyenne.

Les maisons pour femmes du harem et les cités ouvrières sont certes, les réussites les plus brillantes de l'économie de la maison mitoyenne.

Les Exemples

Maisons près de la tombe de Khentkaous à Giza

La date de l'ensemble de maisons mitoyennes s'échelonnant le long d'une rue Est-Ouest à l'Est de la tombe de Khentkaous

[1] S. Piggott: Prehistoric India, 1952, p. 169-170, fig. 19.

Pour les grandes maisons (Kahoûn, rue Est-Ouest, au Nord) le groupe basique se retrouve dans l'axe du plan : on y reconnaît la cour au Nord, le portique à colonnes abritant la façade du vestibule transversal, la salle de reception, un living-room suivi de la chambre-à-coucher et des dépendances. On a dû, cependant, aménager des dégagements plus ou moins longs et dont les deux extrémités aboutissent à de petits vestibules, pour y parvenir de la rue. Deux petites cours quadrangulaires, placées de part et d'autre du groupe basique, servent de noyaux aux agglomérations des pièces du harem, dépendances et des chambres subsidiaires et écuries. La disposition des pièces est bien celle d'un plan axé et non asymétrique ou "à dédales", et l'élément du dégagement ne s'y trouve employé que pour relier les cours à l'entrée sur la rue.

Les portes s'ouvrent, d'ordinaire, à l'extrémité de la paroi d'une pièce, ce qui permet l'utilisation de cette paroi et évite les recoins déterminés par le vantail. Ici aussi le facteur de l'économie de l'espace a suggéré une solution pratique. Ce n'est que dans les programmes dépendant des palais royaux (harem du roi Ramses III aux deux palais de Medinet-Habou), ou des temples (habitations autour du temple de Medinet-Habou), que les portes principales se présentent dans l'axe des pièces. Le plan est, d'ailleurs, symétrique.

L'orientation des façades des parcelles est vers l'Ouest (village ouvrier à 'Amarna), vers le Nord ou le Sud (village des fonctionnaires à 'Amarna), vers le Nord-Est (harem des deux palais de Ramses III, barraquements du temple de Medinet-Habou), vers l'Est ou l'Ouest (Deir el Medineh).

L'évolution de la forme de la parcelle en profondeur, qui s'était amorcée au Moyen Empire, s'affirme. Les parcelles, quoique profondes, n'ont été que rarement accolées dos à dos (Deir el Medineh). D'ordinaire chaque rangée de parcelles est desservie par une rue qui lui est réservée.

Le groupe basique qui forme le plan le plus simple, mais qui peut être répété avec des variantes dans les grands ensembles, comprend une entrée, un living-room ou hall et une partie réservée à l'habitation. C'est le dispositif tripartite [1], que l'on retrouve à toutes les époques dans l'architecture domestique ainsi que religieuse en Egypte, et qui correspond au but assigné à chacune des parties : entrée, réception et habitation (fig. 3). L'importance des pièces varie suivant ce même but. C'est le hall central qui bénéficie de la plus grande superficie, tandis que les pièces d'habitation sont relativement étroites.

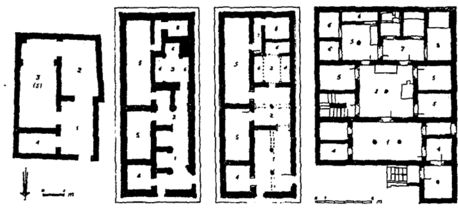


Fig. 3. Disposition du plan tripartite de l'habitation à différentes époques.
a. maison de la IIIème dynastie à Saqqara.
b. pavillon du roi Djeser à Saqqara et son plan original (d'après Ricke).
c. Villa amarnienne (Q. 46, 2).

Dans les plans d'habitations réduites les éléments secondaires (loge de portier, cours, vestibules et portiques) ont naturellement été éliminés. Au village ouvrier de Deir el Medineh, aussi bien qu'à celui de ʿ Amarna, la maison, toute en profondeur, est divisée par deux murs transversaux en une pièce d'entrée, une salle carrée à colonnes et une chambre à coucher et cuisine. C'est le plan idéal de l'habitation mitoyenne réduite à sa plus simple expression. Un escalier disposé au-dessus de la cuisine mène à la terrasse où une installation subsidiaire peut être érigée.

[1] H. Ricke : Der Grundriss des Amarna-Wohnhauses, 1932, S. 53.

portes d'entrée, l'une principale au Sud et l'autre, secondaire, au Nord. A Kahoûn les façades des petites maisons sont au Nord ou au Sud, quelquefois même à l'Est ou à l'Ouest, les rangées ayant la profondeur de deux parcelles, tandis que les grandes maisons rappellent la disposition observée à Giza, sans toutefois montrer deux entrées. Les proportions de la parcelle se rapprochent plutôt du carré (Giza, Abydos), mais tendent à s'allonger en un rectangle, dont le petit côté formera façade (Kahoûn). C'est cette dernière phase, la plus économique pour des maisons en série, qui sera maintenue par la suite au Nouvel Empire.

Les dimensions des parcelles varient suivant la ville et l'époque. Il ne semble pas possible de trouver une relation constante avec la position sociale de l'occupant. C'est, du moins, ce que l'on a pu constater à Deir el Medineh où un chef de travaux et un ouvrier ont, tous deux, de grandes maisons [1]. D'après le tableau comparatif on peut, cependant, constater, malgré les différences individuelles dans les maisons de même type à une même époque, une tendance générale vers la diminution de la superficie. C'est, sans doute, un résultat de l'augmentation des effectifs et des charges qui grèvent les organismes responsables, gouvernementaux, royaux ou du clergé. A 'Amarna, où cette caractéristique est le plus sensible, il faut aussi considérer le facteur "temps", puisque la ville a été construite dans le désert pour servir de capitale à Akhnaton.

Le plan axé.

La grande majorité des habitations mitoyennes ont un plan régi par un axe, qui ne détermine pas la symétrie, mais une certaine balance des éléments constitutifs. La recherche de l'intimité a, ici aussi, conduit à la disposition des portes en chicane. Les pièces sont jutaposées en enfilade, ce qui élimine tout dégagement et réalise une économie notable dans la superficie utilisable.

---

(1) B. Bruyère : Fouilles de Deir el Medineh (1934-1934), III, p. 17.

de la première époque (Djeser) [1]. Peut-être pourrait-on appliquer à ce type de plan le qualificatif de "plan à dédales".

Il est intéressant de remarquer que dans deux habitations de dates aussi éloignées l'une de l'autre que celle de Khentkaous à Giza et celle de la cité ouvrière de Kahoûn (Senousert II) on rencontre les mêmes carctéristiques. C'est ainsi que près de la porte d'entrée on a disposé un réduit indépendant qui fait penser à la loge du portier ou à la resserre d'eau. Un petit vestibule d'entrée communique avec un dégagement, plus ou moins long, qui mène à un second vestibule plus important attenant à une cour. C'est ici que le plan se départage en deux groupes bien délimités de pièces de fonctions différentes. C'est, d'une part, les pièces servant à l'habitation proprement dite : deux chambres à coucher communicantes auxquelles pourra être adjointe une antichambre. D'autre part, situées sur l'autre côté de la cour, sont groupées cuisine et dépendances.

Cette disposition schématique, autant que nous le permet l'interprétation assez aléatoire de certains plans, semble se retrouver avec des variantes secondaires, dans les trois exemples. Il est extrêmement suggestif de rapprocher cette même disposition de celle que l'on a reconnue pour le plan de l'habitation indépendante à différentes époques. Le plan d'une ville amarnienne peut, en effet, être décomposé, à partir de l'entrée, en une loge de portier, un vestibule transversal communiquant avec un autre vestibule profond, entouré de chambres séparées en deux groupes. Ici cependant la cuisine et les dépendances ont été reléguées au dehors de l'habitation.

L'orientation des maisons est tributaire du plan d'urbanisme, basé sur un schéma de rues et de parcelles en damier. Les rues suivent une direction Nord-Sud ou Est-Ouest. A Giza les maisons ont deux façades Nord et Sud, puisque le bloc a la profondeur d'une parcelle et l'on en a profité pour ouvrir deux

[1] H. Ricke : *op. cit.* Abb. 24, 26, 30.

Empire le plan axé ne sera d'usage courant qu'au Nouvel Empire. Dans ce type de plan les pièces sont alignées en enfilade le long d'un axe longitudinal. C'est le plan dominant, qui fournira de nombreuses variantes

Le plan asymétrique.

L'ensemble des habitations rattachées à la tombe de Khentkaous à Giza, ainsi que celui de Senousert III à Abydos, présentent la caractéristique des gros murs et des longs dégagements coudés. Aucun axe ne semble avoir régi la répartition des pièces. Les maisons sont tantôt juxtaposées suivant un plan uniforme, en une longue série, desservie par une ou deux rues (Giza), tantôt accolées de manière à ce que les plans de deux maisons soient symétriques suivant un axe délimité par leur mur mitoyen (Abydos). Il semble que l'on ait évité d'ouvrir deux baies, en regard l'une de l'autre. Cette caractéristique peut d'ailleurs être aussi retrouvée dans l'entrée en chicane des forteresses ou dans le mur-paravent du temple égyptien, où l'on tâchait de masquer les baies des portes par des murs de manière à aménager des entrées coudées (1). Quant au plan des dégagements ou des pièces coudées en L, qui est une résultante de l'aménagement précédent, il se trouve déjà indiqué schématiquement par certains hiéroglyphes architecturaux figurant des plans de cours de palais ou de résidences (2) (fig. 1),

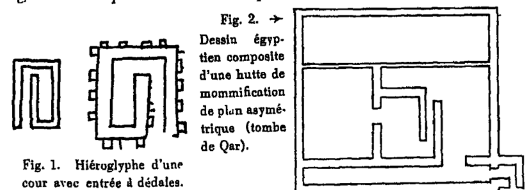


Fig. 1. Hiéroglyphe d'une cour avec entrée à dédales.

Fig. 2. → Dessin égyptien composite d'une hutte de mommification de plan asymétrique (tombe de Qar).

dans certains dessins égyptiens (3) (fig. 2) et dans des constructions

(1) Alexandre Badawy : Le dessin architectural chez les anciens Egyptiens, 1948, p. 42, 173, fig. 211 c. Cf. H. Ricke : Bemerkungen zur Baukunst des Alten Reichs, I, Abb. 24.

(2) Alexandre Badawy : *op. cit.* fig. 43, 44 a.

(3) *Ibid.* fig. 246.

village des travailleurs de la pierre à Deir el Medineh ([1]), pour serviteurs ou soldats autour du temple de Medinet Habou ([2]), pour les serviteurs du grand palais à 'Amarna ([3]), pour les dames du palais à Thèbes ([4]) et à Medinet Habou ([5]). Ailleurs ce sont les temples qui aménagent des habitations en série pour leur personnel : grandes maisons mitoyennes le long de la voie menant à la tombe de Khentkaous à Giza ([6]), maisons des prêtres de service au grand temple à 'Amarna ([7]).

Ces installations s'échelonnent sur toute l'histoire de l'Egypte pharaonique, depuis l'Ancien Empire. L'idée de la maison mitoyenne n'est donc pas neuve. Rien ne prouve, cependant, que le système fut connu à l'époque prédynastique. Les restes mis au jour ne consistent qu'en huttes indépendantes, quelquefois alignées le long d'une allée ([8]). Il se peut, cependant, qu'avec l'emploi de la brique et la découverte du plan quadrangulaire l'idée de la maison mitoyenne ait aussi été réalisée. Il faudra, sans doute, attendre que les cités archaïques d'Hierakonpolis, de Negada, d'El Kâb aient été fouillées pour pouvoir se prononcer.

I.—Le Plan

Il semble que l'on puisse distinguer deux types de plans pour la maison mitoyenne. Sous l'Ancien et le Moyen Empire c'est un plan asymétrique, où les axes des portes se butent constamment à des murs. Quoique apparaissant déjà au Moyen

---

([1]) B. Bruyère : Fouilles de Deir el Medineh (1934-1935), III, p. 15 fol.

([2]) U. Hölscher : The Exavations of Medinet Habu, IV, 1951.

([3]) J.D.S. Pendlebury : The City of Akhenaten, III, 1951, p. 35, pl. XIII A.

([4]) H. Ricke : Der Grundriss des Amarna Wohnhauses, 1932, S. 61.

([5]) *Ibid.* S. 68.

([6]) S. Hassan : Excavations at Giza, IV, 1932-1933, 1943, p. 35-46.

([7]) J.D.S. Pendlebury : The City of Akhenaten, III, 1951, p. 7, pl. VII-VIII.

([8]) H. Junker : Vorläufiger Bericht über die ... Grabung auf der neolitischen Siedlung von Merimde-Benisalam, 1933, S. 57-64.

LA MAISON MITOYENNE DE PLAN UNIFORME DANS L'EGYPTE PHARAONIQUE

PAR

Dr. ALEXANDRE BADAWY

Parmi les programmes architecturaux que s'est proposés l'Egyptien celui de l'habitation de plan uniforme, répétée en de longues séries suivant un ensemble urbaniste bien défini, est, certes, des plus intéressants. Car ici l'architecte ne jouit plus d'une liberté presque illimitée, comme dans le projet d'un palais, à Tell el 'Amarna ou à Medinet-Habou, ou d'une villa de grand personnage à Tell el 'Amarna : ses moyens se trouvent réduits, tant dans la conception du plan que dans sa réalisation. Il s'agit, en effet, de satisfaire à certains facteurs qui n'entrent pas en jeu dans d'autres programmes : l'économie dans la superficie occupée, les matériaux et la main-d'œuvre, et l'ordonnance des unités d'habitation en groupes desservis par des rues, de manière à en assurer l'hygiène et à en faciliter le contrôle. Car il semble que ces projets aient été dus, en Egypte, à l'initiative des différentes institutions. C'est tantôt le gouvernement qui en est responsable, comme pour les cités ouvrières à Kahoûn (1) ou à 'Amarna (2), pour employés à 'Amarna (3). C'est aussi le roi, comme pour l'installation de maisons pour artisans en Abydos (4), pour le

---

(1) W. Fl. Petrie : Illahun, Kahun and Gurob, 1891, p. 5. W. Fl. Petrie : Kahun, Gurob and Hawara, 1890.

(2) T. Eric Peet—C. Leonard Woolley : The City of Akhenaten, I, 1923, p. 51 fol.

(3) J.D.S. Pendlebury : The City of Akhenaten, III, 1951, p. 122.

(4) E.R. Ayrton, C.T. Gurrelly and A.E.P. Weigall : Abydos III, 1904, p. 37 fol.

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

PAGE

DR. ALEXANDRE BADAWY
La Maison Mitoyenne de Plan Uniforme dans l'Egypte Pharaonique 1

GIRGIS MATTHA
Interim Payments in Greek and Demotic Documents ... 59

GIRGIS MATTHA
The Prosmetrūmena in Demotic Taxation Receipts ... 61

GIRGIS MATTHA
The Chōmatikon : Its form and Nature in Demotic and Greek Texts 63

DR. M. S. KHAFAGA
Ὕλας 65

LOUIS AWAD
The Essential Prometheus 93

DR. WAHEEB KAMEL
The Versus Fescennini 151

DR. RASHAD RUSHDY
The English Travel-Book (1780-1850). A Popular Literary Form 159

DR. KAMAL EL-DIN SAMEH
Minarets in North Africa and Spain 181

MURAD KAMIL
De Certains Termes Techniques en Langue Amharique 189

M. MITWALLY
Some Luo Handicrafts 197

MUSTAFA AMER and IBRAHIM RIZKANA
Excavations in Wadi Digla... 201

Y. SHAWKI MUSTAFA
A Contribution to the Knowledge of Animal Life in Predynastic Egypt 207

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Cairo University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to the Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



DECEMBER 1953

VOL. XV—PART II

CAIRO

CAIRO UNIVERSITY PRESS,

1954



Bibliotheca Alexandrina
05542794